رسائل ابن رشد

وهى للعلامة ابى الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد القرطبي

المتوفى سنة ٥٩٥هـ

مشتملة على ست رسائل

السماع الطبيعى ـ السماء والعالم ـ الكون والفساد

الآثار العلوية ـ كتاب النفس ـ ما بعد الطبيعة

الطبعة الاولى

بمطبعة دائرة المعارف العثمانية

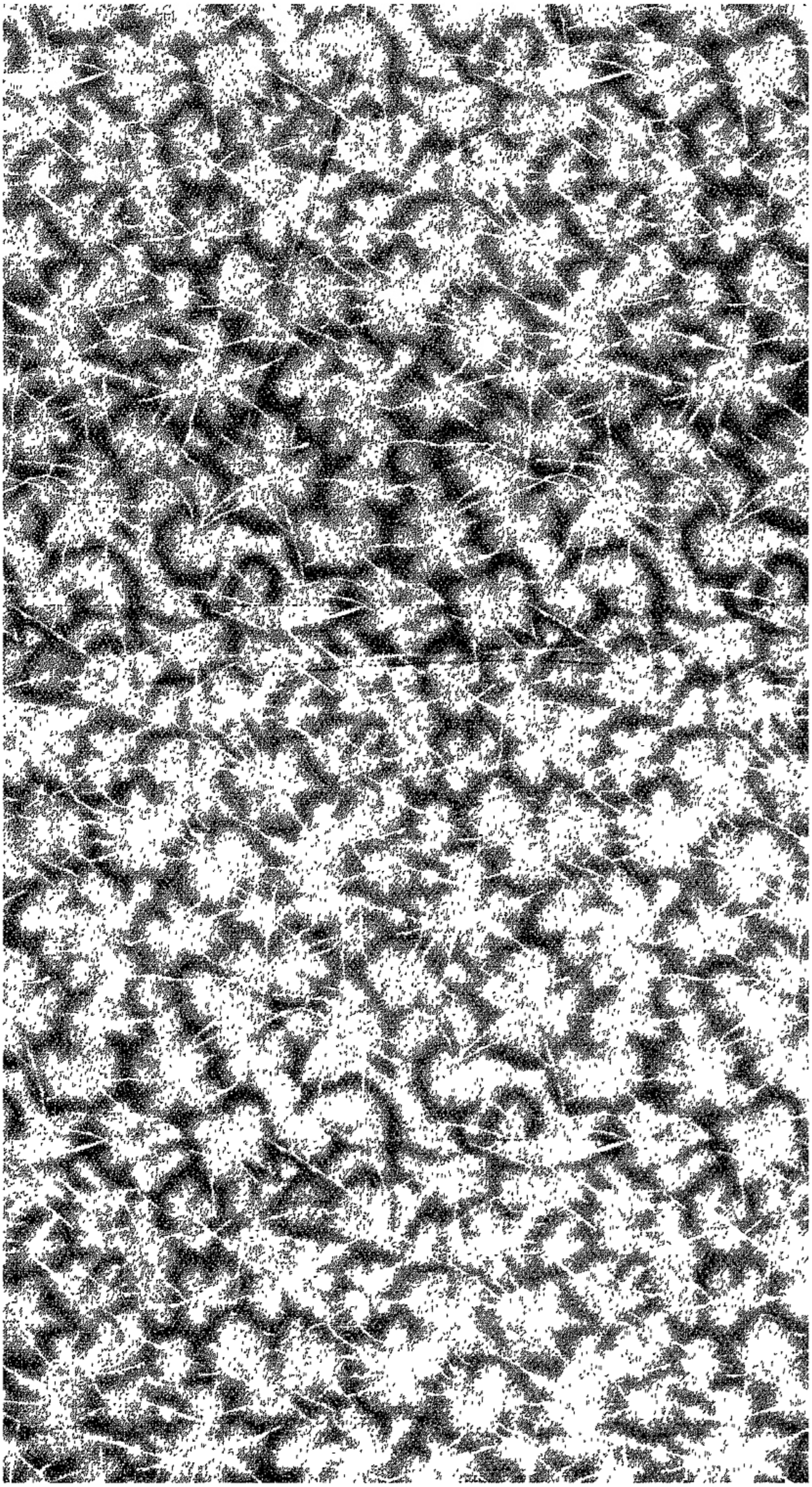
بعاصمة الدولة الآصفية

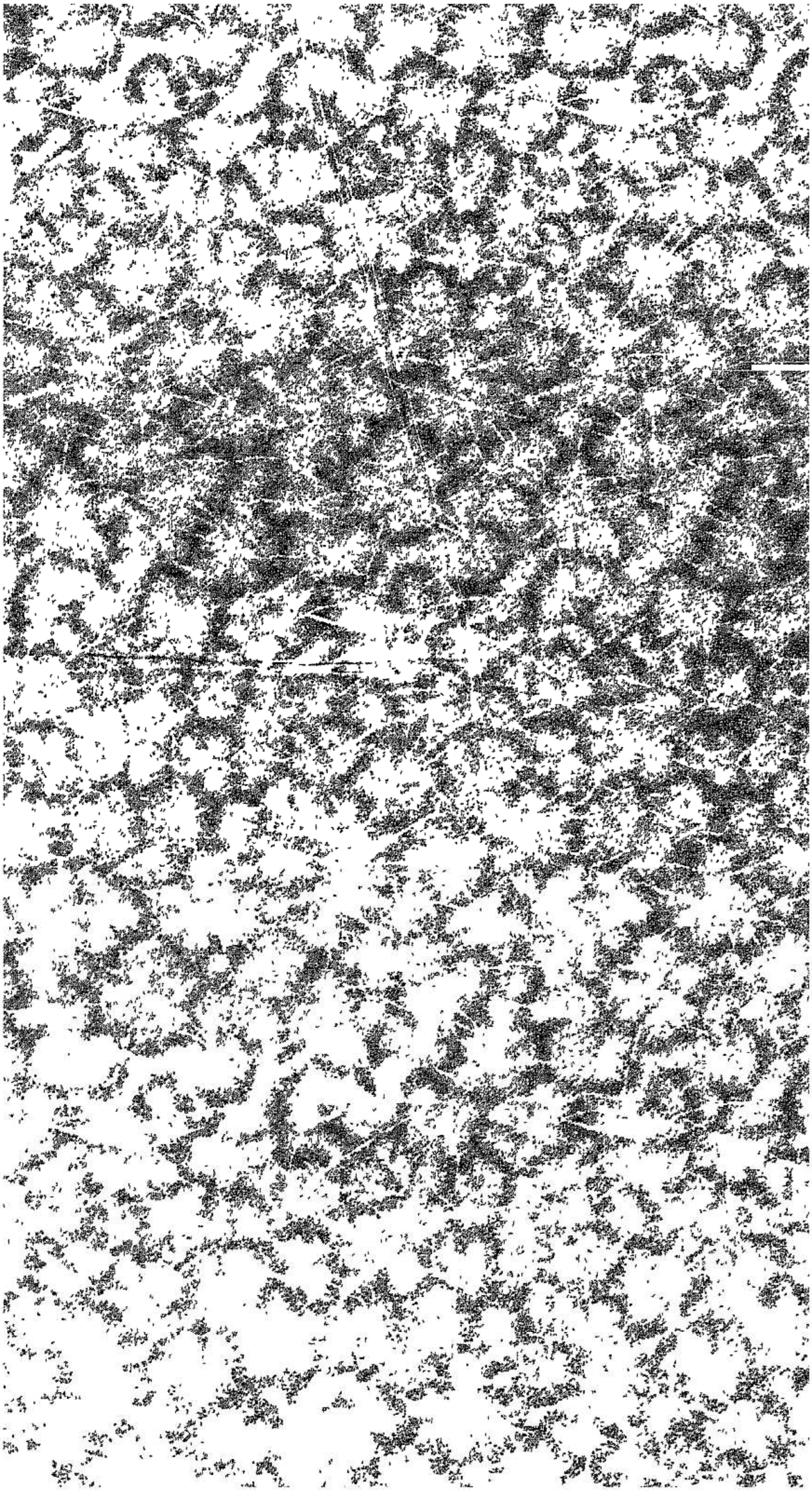
حيدرآباد الدكن

صانها الله عن الفتن

سنة ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م

تعداد الطبع ٥٠٠ / ١٣٥٧ ف





كتاب السماع الطبيعي

للفقيه القاضي العلامة ابي الوليد
محمد بن رشد رضي الله عنه
المتوفى سنة ٥٩٥ ﻫ

طبع
بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بعاصمة الدولة
الاسلامية الآصفية حيدر آباد الدكن لازالت
شموس افاداتها بازغة وبدور
افاضاتها طالعة الى
آخر الزمن
سنة ١٣٦٥ﻫ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الفقيه القاضى ابو الوليد محمد بن رشد رضى الله عنه اما بعد حمد الله بجميع محامده و الصلوة على المنبعث بالصدق والهدى فان قصدنا فى هذا القول ان نعمد الى كتب ارسطو بتجريد منها الاقاويل العلمية التى تقتضى مذهبه اعنى اوثقها ونحذف ما فيها من مذاهب غيره من القدماء اذ كانت قليلة الاقناع وغير نافعة فى معرفة مذهبه •

وانما اعتمدنا نقل هذا الرأى من بين آراء القدماء اذ كان قد ظهر للجميع انه اشد اقناعا و اثبتها حجة وكان الذى حركنا الى هذا أن كثيرا من الناس يتعاطون الرد على مذهب ارسطو من غير ان يقفوا على حقيقة مذهبه فيكون ذلك سببا لخفاء الوقوف على ما فيها من حق اوضده •

وقد كان ابو حامد رام هذا المرام فى كتابه المعروف بالمقاصد (١) لكنه لم يف بما رام من ذلك فرأينا ان نقصد قصده لما رجونا فى ذلك لاهل زماننا من المنفعة التى رجاها وللسبب الذى ذكره وبين ان الناظر فى هذا الكتاب ينبغى ان يتقدم فينظر فى صناعة المنطق اما فى كتب ابى نصر (٢) واما فى اقل ذلك فى المختصر الصغير

---

(١) ذكره صاحب كشف الظنون فقال مقاصد الفلاسفة للامام حجة الاسلام ابى حامد محمد بن محمد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ رحمه الله كشف ج١ – ص٤٩٢

(٢) هو ابو الشيخ ابو نصر محمد بن محمد بن طرحان التركى الفيلسوف الفارابى المتوفى ٣٣٩ – رحمه الله – كشف ج ١ – ص ١٩٣

الذى

تسمية الكتاب

الذى لنا فلنبدأ باول كتاب من كتبه وهو المعروف بالسماع الطبيعي ونلخص مافى مقالة مقالة منه من الاقاويل العلمية بعد ان نحذف ايضا منها الاقاويل الجدلية لانها انما كانت مضطرا اليها عندهم فى الفحص عن المطالب الفلسفية قبل ان يوقع عليها بالاقاويل العلمية فاما انه اوقع عليها فلا يدخل (١) لها فى التعليم الاعلى جهة الارتياض ويكفى فى ذلك الاقتصار على مسائل محدودة العدد ولنبدأ من حيث بدأ .

فنقول لما كان العلم اليقيني والمعرفة التامة انما تحصل لنا فى شئ شئ من الامور بان نعرف ذلك الشئ بجميع اسبابه الاول الى ان ينتهى الى اسبابه القريبة واسطقساته فمن البين ان فى العلم بامر الطبيعة والاجسام (٢) الطبيعية قد ينبغي ان نسلك هذا المسلك و نطلب (٣) فيها معرفة الاسباب .

وقد قيل فى صناعة المنطق ان مبادىء التعليم (٤) فى الصنائع صنفان احدهما ان تكون المتقدمة عندنا هى المتقدمة فى الوجود بمنزلة ما عليه الامر فى التعاليم والبراهين (المؤتلفة ــ ٤) عن هذه هى البراهين المطلقة والثانى ان تكون المتقدمة عندنا فى المعرفة متأخرة فى الوجود بمنزلة ما عليه جل الامر فى هذا العلم واصناف البراهين المؤتلفة عن هذه المبادىء المتأخرة تسمى الدلائل لكن

(١) صف ــ فلا مدخل (٢) هامش صف ــ الامور (٣) د ــ ولنطلب (٤) هامش صف ــ التعاليم (٤) من صف .

اذا حصلت لنا اسباب الشئ بهذا النحو من الحصول فقد يمكن ان نجعلها حدودا وسطى فى اعطاء اسباب بعض اللواحق والاعراض فتكون البراهين المؤتلفة عنها براهين اسباب فقط وقد يمكن ذلك دون هذا وذلك فيما اسبابه معلومة لنا من اول الامر •

وقد يمكن فى بعض لواحق الشئ فى هذا العلم ان يعطى فيه الوجود والسبب معا وذلك فى الاقل •

مثال ذلك الشبان اكثر ما يكون فيهم الحرارة الغريزية فى زمان الربيع والشبان اتم ماهم افعالا فى هذا الزمان فاما اعطاء ذلك فى نوع نوع وجنس جنس فذلك مما لا يمكن لان اسباب الشئ التى يلزم عنها وجوده هى الصورة والغاية اما الصورة فليس يصح ان تكون معلومة والنوع مجهولا واما الغاية فقد يصح ذلك فيها الا ان غايات الانواع الخاصة ليس شأن المعرفة الانسانية على الاكثر ادراكها واما الفاعل والمادة فليس يلزم عنهما باضطرار وجود النوع فلذلك معظم ما فى هذا العلم يحتاج ان يشاهد بالحس ثم يطلب معرفة اسبابه ومعرفة اسباب الاعراض اللاحقة له •

الشبان اتم ماهم افعالا

واما هل يمكن تبيين وجود بعض الانواع فى هذا العلم بدليل فذلك مما لا يمتنع مثل ما يتبين ان ههنا جسما كريا يحيط بالكل من (١) وجود الحركات دورا ومثل ما يتبين وجود النار بالفعل فى مقعر فلك القمر بوجود ضدها وهو الارض لانه اذا وجد

(١) د ـ منه .

الضد

الضد الواحد لزم ضرورة ان يوجد ضده فان الضد ضد للضد •

وايضا فلو لم يوجد الضد لما ثبت العالم فقد تبين بهذا مراتب التصديقات الحاصلة فى هذا العلم وانواع البراهين المستعملة فيه •

التصديقات الحاصلة

فاما ترتيب التعليم المستعمل فيه فلما كنا انما نبتدىء من الامور التى هى عندنا اعرف سواء كانت هى المعروفة عند الطبيعة اولم تكن وكانت المبادىء العامة اعرف عندنا فى الطلب وامكن ان نقف عليها بسهولة من جهة العموم اللاحق لها وانما كان العام ابدا عندنا اعرف من الخاص لأن الاحساسات التى تحدث لنا فى اول الامر والتخيلات غير منفصلة(١) ولا متميزة وليس الامر عند الطبيعة كذلك لان المعروفة عند الطبيعة هى الامور الخاصة التى منها نعمل الاشياء كالحال فى الصنائع العملية كان من الواجب ان نبتدىء بالنظر فى المبادى العامة للامور الطبيعية ونتبع ذلك بالنظر فى اللواحق العامة لها وايضا فان المطلوبات الخاصة بموضوع موضوع انما يتم بهذا النحو من التعليم اعنى ان تكون للمطلوبات العامة موضوعات عامة وللخاصة موضوعات خاصة والا لم تكن اولى وكلية لها ومحمولة من طريق ماهو •

ولو كنا نروم مثلا اعطاء احد الاسباب العامة لبعض الامور الخاصة كالمادة الاولى للنبات مثلا او الانسان لم تكن المقدمات

المادة الاولى للنبات

(١) د ـ منفعلة

المأخوذة فى ذلك من طريق ما هو ولا اولا فضلا عن (١) ان تكون خاصة وكانت المعرفة بهذا النحو معرفة ناقصة مع ما كان يصحب ذلك من التكرار فانه كان يلزم ان نكرر السبب الواحد بعدد الاشياء التى هو لها سبب فهذه هى الامور الضرورية الداعية الى انقسام هذه الصناعة وغيرها الى اجزاء كلية وجزئية بعضها فى التعليم متقدم لبعض ٠

ومنها (٢) يتبين ان غرض هذا الكتاب المترجم بالسماع الطبيعى هو النظر فى الاسباب العامة الاول لما يوجد بالطبيعة من جهة ماهو موجود بالطبيعة وفى اللواحق العامة لهذه الاسباب وانه يجب ان يؤخذ (٣) او لا لهذا النحو من النظر ان ههنا اسبابا اربعة تتقوم (٤) بها الموجودات الطبيعية على جهة ما يوضع موضع (٥) الصناعة للصناعة ولذلك ما يقول ارسطو ليس على صاحب العلم الطبيعى ان يبرهن ان الطبيعة موجودة كما ليس ذلك على صاحب علم من العلوم بل يضعها وضعا سواء كانت بينة بنفسها اولم تكن وان كان الظاهر من كلام ارسطو ومن تبعه من المفسرين ان وجودها بين بنفسه وان القول الشارح لا مما هو حد الا ابن سينا وسيأتى القول فى هذا عند حد الطبيعة فارسطو كما قلنا يحد الطبيعة بانحاء (٦) ثم يترقى من ذلك الى اعطاء الاسباب الاول ويعطى من ذلك ما امكنه

---

(١) د ـ من (٢) صف ـ وهنا تبين ـ (٣) صف يوضع (٤) د ـ مقسوم (٥) صف موضوع (٦) صف ـ ماهى .

فى هذا العلم وهى المادة الاولى والمحرك الاقصى •

واما الصورة الاولى والغاية الاولى فلم يجد(١) فى هذا الجنس من النظر مقدمات مناسبة يكتسب منها الوقوف عليها فلذلك ارخى(٢) النظر فى ذلك الى الصناعة الكلية وهى الفلسفة الاولى •

الفحص عن الغاية القصوى

وانما ننظر فى هذا العلم هاهنا (٣) فى صور الاشياء المتحركة والغايات الموجودة لها من حيث هى متحركة كالفحص عن الغاية القصوى للانسان بما هو موجود هيولانى •

فقد تبين من هذا القول ما موضوع هذا الكتاب وما غرضه ونحو التعليم المستعمل فيه ومرتبته وهى الجمل النافعة تصورها عند ورود المتعلم على الصناعة وشروعه فى النظر فيها •

القول فى المادة الاولى

وارسطو بدأ اولا بالفحص عن المادة الاولى لانها اشهر الاسباب وهى التى رام اعطاءها من سلف من القدماء ولنجر فى ذلك على عادته •

فنقول إن التغير بالجملة واولا صنفان احدهما ما يقال فيه انه يكون كذا وصار كذا وتغير كذا وبالجملة فما يقال فى موضوع وهو شخص العرض والآخر ما يقال فيه انه متغير ومتكون باطلاق وهو شخص الجوهر فاما الاول فظاهر افتقاره الى الموضوع الذى يجرى منه مجرى الهيولى واما شخص الجوهر فقد تبين ايضا عند التأمل افتقاره الى الموضوع لانه ليس يكون شىء من لاشىء على

(١) صف فلم يجد (٢) كذا والظاهر ارجى (٣) صف ــ منها .

الاطلاق نعم ولابد(١) من اى شيء اتفق فضلا عن ان يكون من لاشيء على الاطلاق ونعنى بقولنا ههنا لاشيء ما يدل عليه السلب وهو العدم مطلقا فانه يظهر ان ههنا نسبة ذاتية بين المتكون وما منه يتكون ولو امكن ان يكون اى شيء اتفق من اى شيء اتفق اومن لا شيء على الاطلاق لكان قولنا مثلا فى الزنجار انه يتكون من النحاس كقولنا عن لاعالم يكون عالم (٢) وعن الليل يكون النهار اى بعد كون الانسان لاعالما يكون عالما .

وبالجملة فكانت تكون هذه النسبة المأخوذة فى التكون بينهما نسبة بالعرض واى ضرورة ليت شعرى كانت تدعو الى فساد النحاس عند تكون الزنجار سوى ان الحجمين لا يجتمعان معا فى مكان واحد ولوكان هذا هكذا لكان هذا احرى ان يسمى تعاقبا منه تكونا وذلك خلاف ما يعقل .

ان الحجمين لايجتمعان معا

وبالجملة فمن البين ان ههنا نسبة ذاتية بين النحاس والزنجار مثلا بها قيل فى الزنجار انه متكون عن النحاس وان احد ما يتقوم به الزنجار هو النحاس الا انا متى وضعنا انه انما تكون عن النحاس بما هو نحاس ومشار اليه كانت تلك ايضا نسبة بالعرض لأن ماهية النحاس تذهب والشيء الذى هو به موجود بالفعل ومشار اليه وما به يتقوم الشيء فينبغى ان يوجد فيه على جهة ما يوجد اجزاء الحد فى المحدود فلذلك يلزم ضرورة ان يكون فى النحاس

(١) د ـ يعم وفى صف ـ ولا من (٢) كذا

 مثلا

مثلا جزآن جزء ذاهب وهو صورته وهو الشئ الذى به صار النحاس موجودا بالفعل وجزء باق وهو مادته الا انا متى فرضنا ذلك الجزء الباقى موجودا بالفعل ومشارا اليه وواحدا بالعدد لم يكن ذلك تكونا بل استحالة فاما وجود المتكون وما منه تكون واحدا(١) بالجنس فليس يمنع من ذلك مانع كالجسمية مثلا وما اشبهها من الامور المشتركة للكائنات الفاسدات ولا ايضا النحاس فى الزنجار موجود على جهة ما توجد الاسطقسات فى الممتزج والمركب منها وان كان مثل هذا يدعى ايضا تكونا وذلك ان هذا النحو من الهيولى انما يوجد فى الاشياء التى تتكون من اكثر من شيء واحد فاما وجود مثل هذه الهيولى فى الاشياء التى تتكون من شئ واحد فمستحيل لانه من المستحيل ان نقول ان الهواء(٢) موجود فى النار عند ما تتكون منه على جهة ما توجد اجزاء السكنجبين فى السكنجبين واما اى وجود هو مثل هذا الوجود اعنى وجود الاشياء الممتزجة فى الممتزج فسيبين فى كتاب الكون والفساد .

الفرق بين الكونين

والفرق بين الكونين كما قلنا ان هذا كون واحد من واحد وذلك كون واحد من كثير اعنى مثل كون السكنجبين من الخل والعسل فلهذه الاشياء التى قلنا يلزم ضرورة ان تنزل (٣) ان ههنا موضوعا اقصى لجميع الكائنات الفاسدات ليس فيه شئ من الفعل اصلا ولا له صورة تخصه وانه بالقوة . الا مكان جميع الصور وانه

موضوع اقصى لجميع الكائنات

(١) صف . ـ واحد ـ (٢) د ـ الهيولى (٣) صف ـ نتزل .

لا يتعرى من صورة اصلا لأنه لو عرى منها لكان ما لا يوجد موجودا وان الامكان والقوة ليس فى نفس جوهره بل هو موضوع لهما فان القوة والامكان مما يحتاج الى موضوع •

وايضا لو كانت القوة فى نفس جوهره او ماهيته لا بالقياس الى الصورة لكان بالقوة لأن تكون بالقوة فان القوة مما يقال بالاضافة

وكذلك تبين ايضا انه لا يختص به قوة دون قوة ولا عدم دون عدم لأنه لو كان كذلك لم يقبل جميع الصور ولكان ايضا يحتاج الى موضوع به قوامه وهذا هو الفرق بين المادة الاولى وبين المادة الخاصة لموجود موجود •

ومما يظهر ايضا فى هذا السبب انه غير متكون ولا فاسد لأنه ليس له موضوع يتكون منه ولا يفسد اليه اللهم الا ان يقال ذلك بالاستعارة كما يقال ان الدن استحال خلا اذا اريد بذلك الخمر الذى فيه •

وكذلك ايضا يتبين الى (١) العدم اللاحق له غير القوة والاستعداد بوجه ما فان القوة والاستعداد هو تلقى الموضوع لامر ما عندما عرض له عدم ذلك الامر والفرق بين العدم وهذا الموضوع الاول ان العدم متى قيل فيه انه مبدأ المتكون فبالعرض وليس كذلك المادة الاولى فانها موضوعة للصور ثابتة عند تعاقب صورة صورة عليها وعدم عدم وهذا هو الذى خفى على من تقدم

فالتبست

(١) صف ـ ان .

فالتبست عليهم الهيولى بالعدم وبهذا النحو يتصور •

وقد يمكن تصورها بالمناسبة كما يقول ارسطو وان نسبتها الى جميع الصور نسبة الخشب الى الحرارة(١) وبالجملة نسبة المادة الخاصة الى صورة خاصة لكن هذه النسبة التى بين الخشب مثلا والخزانة ليست من جهة ما الخشب موجود بالفعل بل ذلك عارض له وهذا هو الفرق بين هذه النسبة وبين النسبة الموجودة للصور الى المادة الاولى لان تلك النسبة بين ما بالقوة وما بالفعل من غير ان يعرض لما بالقوة ان يكون فيه فعل اصلا وهذه نسبة ايضا بين ما بالقوة وبين ما بالفعل لكن عرض لما(٢) بالقوة ان وجد هو شيئا ما بالفعل ولذلك اختص بصورة ما وما لم تختص المادة الاولى بصورة اصلا فقد وجدنا اليقين بهذا السبب حسب ما فى طباعه ان يصح (٣) والنقصان الوارد فى التصور الحاصل عنه هو من قبله لا من قبلنا ولذلك ما قيل فى كتاب البرهان(٤) انه ينبغى ان لا يقتصر على مادون اليقين فى الاشياء التى يمكن وقوع اليقين بها فاما فى التصور فليس فيه حد بل يختلف بحسب طبيعة طبيعة وجنس جنس وههنا بان ان جميع الاجسام المتغيرة فى الجوهر مركبة من مادة وصورة فهذه جملة ما فى هذه المقالة الاولى من الاقاويل العلمية على اوجز ما امكننا • وجدنا اليقين بهذا السبب

المقالة الثانية

غرضه فى هذه المقالة التكلم فى الامور التى تجرى مجرى

(١) صف – الخزانة (٢) –ن – لها (٣) صف يعلم (٤) تلخيص كتاب البرهان لارسطوطاليس – عيون الانباء ج – ٢ •

الاصول و المبادىء فى هذه الصناعة وكل مايتكلم فى هذه المقالة فهو بين بنفسه اوكالبين بنفسه و انما يرشد فيه الى الجهة التى توقع اليقين بالشىء فابتدأ وقال (١) ٠

اصناف الموجودات

ان الموجودات منها صناعية ومنها طبيعية ومنها ما ينسب الى البخت والاتفاق فالصناعية منها كالكرسى والسرير ٠

وبالجملة فكل ما هو من فعل الصناعة والطبيعية كالحيوان والنبات وكل ما هو من فعل الطبيعة فانه يظهر ان الاجسام الطبيعية تفارق الاجسام الصناعية بان الطبيعية هى التى لها فى نفسها (٢) مبدأ حركة وسكون واعنى بالحركة ههنا التغير وبالسكون عدم التغير ومعنى قولنا مبدأ حركة اى لها من ذاتها ان تفعل وتتغير و تقبل الانفعال وهذه الموجودات الطبيعية اما ان توجد مبدأ جميع ضروب التغاير فى واحد منها او يوجد بعضها فى بعض ٠

مثال ذلك الحيوان فانه يوجد فيه مبادىء جميع ضروب التغاير الاربعة اعنى النقلة والنمو والاستحالة والكون والفساد وليس الامر فى الاجسام البسيطة كذلك كالماء والارض فان هذه لا توجد لها حركة النمو ويوجد سائر التغاير فاما الجسم السماوى فانه يظن ان ضروب التغاير ممتنعة عليه الا الحركة فى المكان وكيف ما كان فهو داخل فى الاشياء الطبيعية بحسب ما رسمناها به ٠

حد الطبيعة

واذا كان هذا هكذا فالطبيعة اذا مبدأ وسبب لان يتحرك به

---

(١) صف ــ فقال (٢) صف ــ انفسها ٠

به ويسكن الشيء الذى هى فيه اولاو بذاته لا بالعرض وانما قلنا اولاو بذاته لا بالعرض لان ههنا اشياء صناعية مبدأ تحريكها فيها بالعرض كالطبيب يبرىء نفسه وانما قلنا اولا لان ها هنا اشياء صناعية مبدأ تحريكها فيها لا اولا كالسفينة تتحرك عن نفس الملاح ولذلك امكن فى هذه ان تفارق فاماهل يوجد فى المبادىء الطبيعية المحركة ما يمكن ان يفارق فهذا آخر (١) ما نفحص عنه فى هذا العلم فانه قد يظن ان النفس الناطقة هذه حالها وكذلك هل يمكن ان يوجد فيهما محركه من خارج كالحال فى الاجسام الصناعية وكيف ما كان الامر فى ذلك فهو غير مخل بما وضع ها هنا من هذا الحد .

وكذلك ما نفحص عنه فيما بعد من ان هل المحرك فى كل واحد من الامور الطبيعية هو غير المتحرك ام هاهنا شيء يحرك ذاته كل ذلك غير ضار لهذا الحد اعنى فى الاعتراف الاولى بوجوده فقد ظهر مبنى (٢) هذا القول ماهى الطبيعة بهذا النحو من الظهور الذى لا يمكن هاهنا غيره وما الاشياء الطبيعية فاذا كان الامر كذلك فان ابن سينا متعسف على المشائين فى قوله ان هذا الحد ها هنا للطبيعة غير بين بنفسه وان صاحب الفلسفة الاولى هو الذى يتكفل بيان (٣) ذلك فانه ان كان اراد بذلك ان صاحب الفلسفة الاولى يتكفل بابطال الاشياء التى يرام بها نفى وجود الطبيعة .

الاعتراف الاولى بوجوده

وبالجملة نفى الاشياء البينة الوجود بنفسها فهو كما قال وان

---

(١) صف احد (٢) صف ـ من (٣) د ـ بيان .

كان اراد بذلك ان الطبيعة مجهولة الوجود كما هو الظاهر من قوله وان صاحب العلم الالهى يبرهن وجودها فقد اخطأ وذلك ان تبرهنت فانما تبرهن من الامور المتأخرة التى فى هذا العلم اعنى العلم الطبيعى ولو تبرهنت فى العلم الالهى لوجب ان تبرهن (١) من امور هى اقدم منها واعرف عندنا وذلك غير ممكن •

الفرق بين العلم الالهى والطبيعى

واما اعطاء اسبابها فى العلم الالهى فذلك مما يمكن فيها فقد اخطأ بل وجود الطبيعة فى الاشياء الطبيعية بينة الوجود بنفسها على النحو الذى قلناه وبهذا المقدار الذى امكن هاهنا تصوره وافعال هذه الاشياء الطبيعية اذا صدرت عنها على التمام قيل انها على المجرى الطبيعى وبالطبع وقد يقال ما بالطبع على اعم من المجرى الطبيعى وهى العوارض اللاحقة من قبل المادة كالاصبع الزائدة وما اشبه ذلك فاما ان الصورة احق باسم الطبيعة من المادة وانها يقال عليه(٢) بتقديم وتأخير فذلك ظاهر لان من الموجودات (٣) الطبيعية انما هى بما هى بالصورة وهى التى تخص موجودا موجودا وبحصولها للموجود تصـــدر عنه (٤) افعاله الخاصة واما المادة فمشتركة وايضا فكما نقول فى الشىء انه صناعى بالصناعة كذلك نقول فيه انه طبيعى بالطبيعة ونعنى بها هنا المعنى الذى نعنيه فى الصناعة اعنى الصورة وكذلك تبين ايضا ان صاحب هذا العلم ينظر فى كليهما كما ينظر الطبيب فى الصحة فى موضوع الصحة •

---

(١) صف ـ تتبرهن (٢) صف ـ عليها (٣) صف ـ لان الموجودات وبالجملة
(٤) صف عنها •

وبالجملة فالحال فى هذه الصناعه النظرية كالحال فى الصنائع العملية الا ان نظر صاحب هذا العلم فى المادة من اجل الصورة ونظره فى الصورة انما هو من حيث هى فى مادة وغير مفارقة بالقول فضلا عن الوجود وكذلك ينظر ايضا فى جميع الاسباب الباقية لانه حيث تظهر المادة والصورة يظهر الفاعل والغاية بوجه ما لاسيما ان الفاعل والغاية والصورة تظهر فى اكثر هذه الاشياء الطبيعية واحدة بالنوع وذلك فيما يتكون عن جنسه وبظهور المادة فى الحدود المستعملة فى هذه الصناعة تبين الفرق بين نظر صاحب هذا العلم ونظر التعاليمى وذلك ان كليهما وان كانا ينظران فى الاجسام وفى السطوح والخطوط والنقط فان التعاليمى ينظر فيها من حيث هى مجردة عن المادة ومفارقة لها بالقول اذا كانت (١) لا تظهر فى حدود هذه الاشياء المادة اذا اخذت بما هى اجسام وسطوح وخطوط وهذا هو الذى غلط قوما فظنوا انها مفارقة بالوجود .

الفرق بين نظر صاحب هذا العلم والتعاليمى

واما صاحب العلم الطبيعى فانه ينظر فى هذه ايضا من حيث هى مادة (٢) .

وبالجملة فانما ينظر فى السطوح والخطوط من حيث هى نهايات اجسام متحركة وهيولانية وذلك بين فيما كان من التعاليم اقرب الى العلم الطبيعى كالخط الذى يستعمل صاحب علم المناظر فانه ليس

---

(١) صف ـ اذ كانت (٢) صف ـ فى مادة

النسب العددية

يستعمل الخط مطلقا بل خطا شعاعيا وكذلك النسب العددية التى يستعملها صاحب علم الالحان فانه يستعملها من حيث هى نسب اصوات محسوسة •

وبالجملة فان المادة تظهر فيما كان اقرب الى العلم الطبيعى ويتفاوت ذلك بحسب مراتبه فى القرب والبعد لكن على اى حال فليس تظهر المادة فى هذه كظهورها فى هذا العلم ولذلك اذا اشتركا فى مطلوب واحدوراما (١) ان يعطيا فيه برهان سبب ووجود او برهان سبب فقط كان اعطاؤهما ذلك من جهتين مختلفتين كصاحب علم النجوم اذا اعطى السبب فى كرية الجسم السماوى مثلا وصاحب هذا العلم فان احدهما يقول انما صار بهذه الصفة لانه لاثقيل ولا خفيف اولانه نار وما اشبه ذلك مما يمكن ان يعتقد فيه فى هذا العلم والثانى يقول انه انما صار كذلك لان الخطوط التى تخرج من مركزه الى محيطه متساوية اولانه يرى فيه شىء ثابت بمنزلة القطب ولانه كما قلنا يظهر فى هذه الموجودات ان لها فاعلا وغاية اما الفاعل الذى من خارج فالامر فيه بين كالمكون والمحيل والمنمى فاما المحرك فى المكان ففيه نظر كما قلنا فانه قد يظهر (٢) ان ههنا اشياء تحركت ذواتها وان المحرك فيها هو المتحرك •

الفرق بين صاحب علم النجوم والعلم الطبيعى

واما السبب الذى هو الغاية ففى وجوده شكوك قد تقصاها ارسطو الا انه يظهر عند التصفح ان كل ما تفعله الطبيعة

(١) واما (٢) صف يظن.

فانما تفعله لمكان شيء ما وان الغاية الاولى فى الكون هى الصورة فاما الغايات الثوانى فليست هى الصورة لكن هى يفحص عنها فى غير هذا العلم ولذلك ما يقول ارسطو، ان الطبيعة لا تفعل باطلا والصناعة فى ذلك الطبيعة واحدة بل الطبيعة احق بذلك لان الصناعة متأخرة عنها ومتيقنة (١) لها — ولو لا ان الطبيعة تفعل لمكان شيء من الاشياء لكان ما يحدث عنها يحدث على الاقل لا على الاكثر •

ان الطبيعة لا تفعل باطلا

وبالجملة فكانت ترتفع الاسباب الباقية لان الاسباب الثلاثة تتبع الغاية بالضرورة ويلزم وجودها عنها — ولذلك الاولى ان ينسب الاضطرار فى سائر الاسباب الى الغاية لا الى المادة على ما كان يراه كثير من قدماء الطبيعيين وانما كان عرض لهم ذلك من اجل انهم لم يقفوا على السبب الذى هو الغاية •

الحال فى الامور الطبيعية كالحال فى الامور الصناعية

وبالجملة فينبغى ان يعتقد ان الحال فى الامور الطبيعية كالحال فى الامور الصناعية وكما ان اللبن والحجارة انما وجدت فى البيت فى(٢) الاضطرار لمكان صورة البيت كذلك المادة والامور المادية انما وجدت من اجل الصورة وذلك ظاهر عند التأمل اذ كانت هى الغاية الاولى فى الكون ولو كانت الصورة من ضرورة المادة لما كان ها هنا فاعل كما يرى ذلك كثير من قدماء الطبيعيين ولكان

(١) د — مستقبلة وفى صف — متقبلة (٢) صف من

مبدأ الامور(١) الطبيعية الاتفاق فقد تبين من هذا القول ان ها هنا اسبابا اربعة على جهة الارشاد لا على جهة البرهان — وان صاحب العلم الطبيعى يطلب ان يعطيها فى موجود موجود وليس يقتصر على القريبة منها دون ان يعلم قبل ذلك البعيدة المشتركة وذلك فيما يمكنه منها فى هذا العلم وهى المادة الاولى والمحرك الاقصى اذ كان احد هذين هو السبب الاقصى فى التحريك والآخر فى التحرك والانفعال وهما جهتا الاشتراط المأخوذ فى نظر صاحب هذا العلم فى الموجودات وليست كذلك الصورة الاولى والغاية الاولى فلذلك لم يمكن اعطاؤهما فى هذا العلم •

الاسباب الاربعة على جهة الارشاد

و العجب من ابن سينا حيث يقول انه يجب على صاحب هذا العلم ان يتسلم وجود المادة الاولى عن الفلسفة الاولى وليست ههنا الضرورة التى يتسلم بها صاحب علم عن علم آخر شيئا ما ويلزمه مثل ذلك فى المحرك الاول ولا سبيل الى بيان وجوده الا فى هذا العلم ولو كان اراد بذلك ان صاحب العلم الالهى ينظر فيها من حيث هى موجودة ويعطى اى وجود وجودها كما يفعل بالمحرك الاول لكان لعمرى قد قال صوابا لكن اكثر شكوك هذا الرجل على المشائين اذا تؤملت توجد من هذا القبيل كمثل ما تقدم من قوله فى الطبيعة ولا نا قد قلنا ان ههنا اشياء توجد عن البخت والاتفاق فينبغى ان نبحث عن هذين السببين وننظر هل هما داخلان تحت الاصناف(٢) الاربعة

وجود المادة الاولى عن الفلسفة الاولى

(١) صف — مبدأ القول (٢) صف — احد الاصناف

الاربعة ام هما خارجان عنها وان وجدا تحت احد اصناف الاسباب الاربعة فهل ذلك بالعرض ام بالذات ٠

في البخت والاتفاق

فنقول ان ما يحدث بالاتفاق ومن تلقاء نفسه فليس هو من الاشياء التى هى باضطرار ولامن الاشياء التى تكون على الاكثر وانما تكونه على الاقل وما يحدث على الاقل فانه يعوق ما يحدث على الاكثر وليس كلما يحدث على الاقل بل ما كان منها حادثا عن الاشياء التى تكون (١) لمكان سبب ما وغاية حتى اذا اخلت تلك الاشياء بتلك الغايات التى توجد عنها على الاكثر تلك الغايات ووجدت عنها اشياء اخر بالعرض قلنا بان ذلك من تلقاء نفسه وان فاعل ذلك البخت والاتفاق٠

ومثل (٢) ذلك امافى الاشياء الطبيعية فكلبنة سقطت فشدخت رأس انسان واما فى الاشياء الاختيارية فكمن يحفر بئرا فيصادف كنزا فانه لاسقوط اللبنة ولا طلبها لمركزها كانت سببا بالذات لشدخ رأس زيد ولا الحفر كان سببا لوجود الكنز لا بالعرض فيكون الاتفاق على هذا داخلا فى صنف السبب الفاعل لكن بالعرض لا بالذات ٠

والفرق بين الاتفاق وسائر الاشياء التى تعد اسبابا بالعرض ان تلك هى امور تعرض للاسباب التى بالذات كما يعرض للطبيب عند ما يعالج ان يكون عجميا او عربيا ـ فان نسبة العلاج اليه من

(١) صف ـ تكون تفعل على الاكثر (٢) صف ـ مثال .

حيث هو متصف بمثل هذه الصفات هى نسبة بالعرض وليس كذلك الاتفاق فانه السبب بعينه الذى كان موجودا لشىء ما بالذات ووجد الآن شىء آخر بالعرض وكيف ما كان فهو تابع لما بالذات ومتأخر عنه اذ ذلك شأن ما بالعرض ولذلك لاتحيط به معرفة ولا يطلب هذا النحو من الاسباب فى صناعة اذ كانت غير محصلة الوجود فى نفسها وكان الذى يقال انه حدث من تلقائه اعم مما يقال فيه انه حدث بالبخت والاتفاق لان جودة الاتفاق ورداءته تنسبان الى الافعال الاختيارية اذ تسمى (١) تلك سعادة وهذه شقاوة وما يقال انه حدث من ذاته يعم ما بالاختيار وما بالطبيعة فهذه جمل ما فى هذه المقالة وهى الاشياء التى تجرى مجرى الاصول الموضوعة للنظر فى هذا العلم وقد كان الترتيب الصناعى يعطى ان يتقدم القول فى هذه الاشياء على النظر فى المادة الاولى لكن فعل ذلك ارسطو للسبب الذى ذكرناه ٠

جودة الاتفاق ورداءته تنسبان الى الافعال الاختيارية

المقالة الثالثة

هذه المقالة تتضمن القول فى الحركة وما لا نهاية وابتدأ فيها يخبر بالضرورة الداعية الى التكلم فى هذه اللواحق العامة والفحص عنها لان آخر ما بين فى هذا الكتاب هو المحرك الاول وهو مضطر فى الفحص عنه الى الفحص عن هذه الاشياء فابتدأ فقال لما كنا قد اخذنا فى حد الطبيعة الحركة فقد ينبغى ان نعرفها ولما كان يظهر ايضا ان الحركة من الامور المتصلة فقد ينبغى ان نعرف طبيعة المتصل ولما كان المتصل يلزمه ما لا نهاية ويؤخذ فى حده كان واجبا ايضا

(١) صف تسمي (٢) صف لمشاركة.

ايضا ان نتكلم فيه وكذلك يلزمنا ايضا القول فى الزمان والمكان لان الموجودات المتغيرة من ضرورة وجودها الزمان والمكان ٠

القول فى الزمان والمكان

وبالجملة فقد يلزم صاحب هذا العلم النظر فى اللواحق العامة للموجودات الطبيعية والخلاء وان لم يكن من اللواحق العامة وانما منشأ القول به التخيل فقد يظن به المشاركة (١) لهذا الوهم للجميع من اول الامر انه عند الفحص عن المكان ما هو ينقسم الطلب اليه اولا والى النهاية المحيطة ايهما هو المكان على جهة ما ينقسم الطلب الى جزئى النقيض بالطبع ولذلك الاولى بحسب غرضنا ان نذكره عند الفحص عن المكان ولنبدأ على عادته (٢) من القول فى الحركة ٠

القول فى الحركة

فنقول ان حد الحركة وان كان فهمه عسيرا وعلى ما يقوله ارسطو فهو من الحدود المعطاة باحدى الطريقين المعدودين فى انالوطيقى (٣) الثانية اعنى طريق القسمة اوطريق التركيب وبالجملة فليس فيه شئ يجرى مجرى مبدأ برهان ونتيجة برهان ولا جميع اجزائه مجهولة الوجود للحركة حتى يكون نتيجة برهان ولذلك الاولى ان نسلك فى استنباط طريق القسمة فنقول انه قد يظهر انا لسنا نقدر ان ندخلها تحت جنس واحد من الاجناس العشرة بل نجدها فى الاين وهى المسماة نقلة وفى الكيف وهى المسماة استحالة وفى الكم وهى

(١) صف ـ لمشاركة هذا (٢) صف ـ عادة (٣) قال الامام ابن نديم ـ انا لوطيقا معناه تحليل القياس ـ ابودقطيقا وهو انا لوطيقا الثانى ومعناه البرهان الفهرست ـ ٣٤٧ ٠

المسماة نموا او نقصانا ولننزل ها هنا ايضا ان المسمى فى الجوهر كونا وفسادا حركة الى ان تبين هذا فيما بعد وان كان قد يظهر من امرها انها مما يقال فى موضوع لا على موضوع لكن لننزل الامر هنا على ما يضعه ارسطو وعلى ما هو المشهور من امرها الى ما بعد •

واذا ظهر انها داخلة تحت مقولة اكثر من واحدة فبين ان جنسها العالى هو الموجود ولان الموجود بما هو موجود ينقسم الى ما هو بالفعل والكمال المحض والى ما هو بالقوة والامكان المحض والى ما هو متوسط بينهما وهو كالمؤلف مما بالكمال ومما بالقوة قد اخذ من كل بقسط — وهذا القسم هو الذى كان قد اغفله القدماء عند النظر فى امر الحركة ولذلك خفى عليهم حدها وبين عند ادنى تأمل ان الحركة داخلة تحت هذا الجنس المتوسط وانه منطو عليها ولذلك حدها ارسطو بانها كمال ما بالقوة من جهة ما هو بالقوة وانما اشترط فيه من جهة ما هو بالقوة لأنه فصل الحركة الخاص الذى يحفظ وجودها على جهة ما يحفظ فصول الموجودات وجودها لان الكمال كما قلنا صنفان اما كمال محض لا يكون فيه شىء من القوة اصلا وهو نهاية الحركة الذى اذا بلغته كفت وفسدت وذلك مثل الابيض يتحرك الى ان يصير اسود والنحاس يتحرك الى ان يصير تمثالا واما كمال يحفظ ما بالقوة ولا يوجد الا بوجود القوة مقترنة به وهذا المعنى هو المسمى حركة ولذلك قد يظهر

القسم الذى كان قد اغفله القدماء

حد الحركة

ان

ان الحركة من الامور المتصلة لأنه متى وقفت وتعين منها جزء يمكن ان يشار اليه فقد بطل فصلها الخاص بها ووجد الصنف الآخر من الكمال المحض وان تحركت بعده(١) فانما ذلك من جهة ما لها قوة اخرى •

وبالجملة هى حركة اخرى وبين اذ كان جنسها الموجود ان هذا الحد من الحدود المشككة وانه من اصناف المشككة مما يقال بتقديم وتأخير ولاسيما اذا وجد فى كل جنس ضربان من التغير متقابلان وذلك مثل الكون والفساد فى الجوهر والنمو والنقص فى الكم والابيضاض والاسوداد فى الكيف •

وما كان من الحدود هذا شأنه فليس يكتفى منه بهذه المعرفة دون ان يقال فى معنى معنى مما تحته مفردا فلذلك سيقال فيما بعد فى جنس جنس من اجناس الحركة اما النقلة ففى كتاب السماء والعالم والنمو والنقص ــ والكون والفساد ففى كتاب الكون والفساد لكن يكفى ها هنا من معرفتها هذا المقدار من التصور اذ كان الغرض فى هذا الكتاب ان نتكلم فى الامور العامة فقد ظهر من هذا ما هى الحركة باطلاق وكان سلوكنا الى اخذ حدها من المحمولات الذاتية المناسبة لها التى هى اجزاء اجزاء حدها •

التكلم فى الامور العامة

وقد يمكن ان نبين ذلك على جهة اخرى منطقية واعنى بالمنطقية الاقاويل الصادقة العامة التى ليست بخاصة ولا مناسبة وذلك انه يظهر ان للاشياء كلها طبيعية كانت او صناعية كمالين

ان للاشياء كلها كمالين

(١) صف بعد.

كمالا حين ما ينفعل حافظا للانفعال وكما لا حين يتم الانفعال والتغير فان المبنى له كما لا ان كمال حين ما يبنى من جهة ما شانه ان ينبنى و يوجد له الا بتناء (١) زمانا ما وكمال حين يصير بيتا فانه لا الا نبناء كان قبل ان تحرك الحجارة و اللبن و لابعد ان فرغ البيت لكن فيما بين ذلك فالبنيان اذا كمال المبتنى من جهة ما هو مبتنى و كذلك الدحرجة كمال المتدحرج بما هو متدحرج و التعلم كمال المتعلم بما هو متعلم .

و بالجملة فتحصل من هذا الاستقراء ان الانفعال كمال المنفعل بما هو منفعل فالحركة كمال المتحرك بما هو متحرك و بين ان وقوفنا على حدها من هذه الجهة انتقل اليه الذهن من امور عامة غير مناسبة بخلاف ما كان الامر فى البيان المتقدم فيحق ماقيل فيه ايضا انه تعليم منطقى و الفصل الذى اخذه (٢) ها هنا فى حدها هو من جهة الموضوع وهو بالجملة اشهر من الحركة و ابين و لذلك اخذ فى حدها .

التغيرات الحاصلة فى الآن فليست بحركة

و اما التغيرات الحاصلة فى الآن فليست بحركة اذ لا توجد فيها القوة حافظة لكمالها زمانا ما بل انها (٣) توجد باحدى الحالين وذلك اما بالكمال المحض او بالقوة المحضة كذى اليمين يرجع يسارا او ذى اليسار يرجع يمينا ولذلك ليس فى المضاف حركة وسيأتى تفسير هذا فيما بعد .

فهذا هو القول فى الحركة على غاية ما امكننا من الاجمال و البيان

---

(١) صف الانبناء (٢) صف اخذ – (٣) صف انما – .

وقد بقي علينا من مطالب هذه المقالة مالانهاية .

القول فيما لا نهاية

ومبدأ النظر في ذلك ان يقسم على كم وجه يقال ما لا نهاية وهو يمكن ان يتصور على وجوه .

احدها ما لم يكن (١) له من المقادير والاعظام نهاية بل هو ممتد بالفعل الى غير نهاية وكذلك ما كان من المعدودات غير متناهية الآحاد بالفعل فهذا احد ما يمكن ان يتصور من وجود (٢) مالانهاية .

والوجه الثاني كما يقال في المقدار انه منقسم الى غير نهاية يعني أن اي جزء اخذ منه في الذهن امكن ان ينقسم وذلك الى غير نهاية لا بمعنى انه منقسم بالفعل الى اجزاء غير متناهية بل نعنى (٣) ان الانقسام فيه يحفظ ما بالقوة دائما كما يحفظ الكمال (٤) القوة في الحركة وعلى هذا الوجه يقال في المقدار ايضا وفي العدد انه غير متزيد الى غير نهاية بمعنى انه اذا اخذ في الذهن عدد ما او خط ما اى عدد كان او خط كان امكن ان تزيد (٥) عليه وذلك دائما لا يخل وعلى مثل هذا ايضاً يقال ذلك في الحركة والزمان والكون والفساد ولكن يمكن ان يتصور ما لا نهاية في هذين على وجوه .

تصور مالانهاية

احدها ان تكون الحركة والزمان حادثين ثم اى جزء وجد منه امكن ان يوجد اجزاء (٦) بعده الى غير نهاية وهذا لائق بمذهب افلاطون في تكوينه العالم ثم القول بازليته .

---

(١) صف لم يمكن (٢) الظاهر ــ وجوه (٣) كذا (٤) د ــ كالحفظ الكمال (٥) بهامش د ــ يتزيد (٦) صف ــ آخر .

والوجه الثانى ان يكون اىما جزء وجد منه فى الزمان الحاضر وجد قبله جزء وبعده جزء كما يرى ذلك ارسطو فيكون معنى رفع النهاية على هذا الوجه هو عدم الموضوع ماشأنه ان يوجد موجود ما من غير اضافة الى المستقبل او الماضى لان على ذلك الوجه الاول انما عدم الموضوع ما وجد له فى الماضى اعنى النهاية •

والوجه الثالث عكس الوجه الاول (١) وهو ان يكون اى جزء وجد منه فى الحاضر وجد قبله جزء وليس يوجد بعد اى جزء فرض فى المستقبل جزء بل يتناهى •

وينبغى ان نفحص عن واحد واحد من هذه المعانى هل هو موجود ام لا وان كان موجودا فماذا وجوده ولماذا وجوده •

قد يقال مالا نهاية

على طريق الاستعارة على وجوه

احدها ما لاشأنه ان يقبل النهاية اصلا كما يقال فى الصوت انه غير مرئى •

والثانى فيما يفوت الحس ادراكه اولا يمكن سلوكه كما يقال فى البحر انه غير متناه — لكن هذه المعانى خارجة عما قصدنا اليه بالفحص هاهنا وانما تذكر على وجه التحذير من تغليط ما يدل عليه الاسم المشترك فلنرجع الى حيث كنا •

ابطال وجود مالا نهاية بالفعل

فنقول انه قد يظهر انه ليس يوجد عظم ولا عدد غير متناه من جهة ما هو موجود بالفعل وذلك ان كل عدد يفرض بالفعل

(١) لعله الثانى

فيمكن

فيمكن ان يزاد عليه عدد آخر فيكون مالا نهاية له اعظم مما لا نهاية وايضا فان كل عدد فهو اما زوج واما فرد وكل واحد من هذين متناه فكل عدد فهو متناه •

وبالجملة فكل نوع يفرض بالفعل من انواع العدد فهو واحد عما هو ذلك النوع وللواحد اليه نسبة ما وكذلك بين ايضا انه لا يوجد عظم غير متناه بالفعل وذلك ان كل عظم اما ان يكون خطا او بسيطا او جسما والخط كما قيل فى حده هو الذى نهايته نقطتان والبسيط هو الذى نهايته خط او خطوط والجسم هو الذى نهايته سطح او سطوح •

حد مالانهاية

وبالجملة فقولنا مالا نهاية وموجود بالفعل يظهر عند التأمل انهما متناقضان لانه من جهة ما هو بالفعل فقد وجدت جميع اجزائه معا فهو تام وكل ومتناه ولذلك ما يحد ارسطو مالا نهاية بانه الذى يوجد ابدا شئ خارج عنه لكن هذا الطلب ليس مما يخص هذا العلم وانما الفحص المناسب له هل ههنا جسم طبيعى غير متناه على ما كان يضعه من سلف من قدماء الطبيعيين •

فنقول ان وجد ههنا جسم طبيعى غير متناه فاما ان يكون بسيطا او مركبا لكنه ان كان بسيطا ووضع غير متناه فى جميع اقطاره ولم يوضع متحركا دورا فليس يمكن اصلا ان يتحرك ولا يسكن لانه ليس يكون له مكان يتحرك اليه ولا يسكن فيه ولا يقال فيه انه

ساكن اومتحرك الاعلى جهة ما يقال ذلك فى النقطة •

وبالجملة فاشأنه ان لا يقبل الحركة والسكون وما كان بهذه الصفة فليس جسما طبيعيا ولا فيه مبدأ تغير اصلا ، فاما انه يلزم ان يوضع غير متناه فى جميع اقطاره فهو بين مما اقول، لما كان الجسم هو الممتد فى جميع الابعاد الثلاثة لزم ضرورة ان وضع جسم غير متناه بما هو جسم ان يكون غير متناه فى جميع اقطاره لانه متى وضع متناهيا فى واحد منها كان عدم التناهى له بالعرض وغير ضرورى لان الحكم على بعد واحد من جهة ما هو بعد بالتناهى اولا تناهى حكم على جميع الابعاد فلذلك يلزم ضرورة ان يوضع غير متناه من جميع اقطاره (١) وكذلك ايضا يلزم ليس بدون هذا ان لم يوضع غير متحرك دورا، فان المحرك (٢) دورا متحرك بجميع اجزائه كلها معا وتم (٣) دورته بجميع اجزائه فى زمان متناه ومتى فرض غير متناه لزم ان يقطع مسافة غير متناهية فى زمان متناه ونبين فيما بعد ان هذا ممتنع فقد تبين من هذا القول صحة ما أخذناه مشترطا (٤) فى المقدم فى هذا القياس الشرطى الا انا كما قلنا متى انزلناه هكذا لزم التالى المذكور وهو انه لا يمكن فيه ان يسكن ولا يتحرك وذلك محال •

الجسم هو الممتد فى جميع الابعاد الثلاثة

وبالجملة فوضع جسم بسيط غير متناه سواء كان ذلك فى جميع ابعاده او اثنين منها او واحد اذا وضع غير متحرك دورا محال لان كل متحرك على استقامة من شىء يتحرك والى شىء ومكان الكل

(١) بها.ش ـ فى جميع الاقطار (٢) صف ـ المتحرك (٣) صف ـ ومتمم (٤) ت ـ شرطا

والجزء فيه واحد فانه حيث يتحرك مدرة واحدة هناك يمكن ان أن يتحرك جميع الارض وحيث يسكن الجزء هناك يسكن الكل ولو وضع جسم مالانهاية له على هذا الوجه متحركا اذا انزلناه خارجا عن مكانه من الجهة التى هو منها متناه للزم الا يكون مكان الكل والجزء واحدا لان الكل اذا فرض كيف ما فرض غير متناه لم يكن له مكان اصلا لانه ليس يكون له نهاية تحيط به فكانت تكون حركات الاسطقسات ليست الى اماكن محددوة وسنبين هذا اكثر اذا تبين ما هو المكان لكن من الظاهر ههنا ان الاماكن متناهية والا لم يكن(١) ان يتحرك شئ الى مالانهاية له لانه انما يسكن من جهة ما يتحرك الى متناه واما ان وضع الجسم غير المتناهى مركبا على ما كان كثير من القدماء يرونه فى الكل لزم ان يكون مركبا اما عن بسائط غير متناهية العدد فى النوع وكل واحد منها متناه فى العظم او يكون منها واحد غير متناه فى العظم وتكون متناهية بالعدد فى النوع فيلزم المحال المتقدم لكن متى فرضناه من بسائط متناهية فى العظم وغير متناهية فى النوع لزم ان تكون انواع المكان غير متناهية فتكون لذلك انواع الحركات غير متناهية لان اختلاف انواع الحركات وتناهيها هو الذى اوقفنا على اختلاف انواع الاين •

اختلاف انواع الاين

الحركات البسيطة ثلاثة

والحركات البسيطة كما قيل ثلاثة اما الى (٢) الوسط واما من الوسط واما حول الوسط اما الاثنان منها فظاهر وجودهما للنار

---

(١) صف ـ لم يمكن (٢) صف ـ على.

والارض واما التى حول الوسط فسنبين انها موجودة لجسم بسيط وذلك فى السماء والعالم •

وبالجملة فليس يظهر من القسمة فى الذهن ان ها هنا حركات بسيطة غير هذه الثلاثة سواء كان لكل حركة من هذه جسم بسيط او لم يكن فمتى انزلنا جسما بسيطا لزم ضرورة ان يتحرك بواحدة من هذه الحركات فالاجسام البسيطة اذا متناهية باضطرار والمركب من المتناهى متناه فاما انه ليس يمكن ان يوضع هذا الجسم الغير المتناهى مركبا من بسائط غير متناهية العدد بالشخص وان كانت متناهية بالنوع فسنبين ذلك فى السماء والعالم•

الاجسام البسيطة متناهية

لانه مما يبين هنالك انه لا يمكن ان يوجد من اجزاء العالم اثنان بالشخص وقد يمكن ان يبين ذلك بالجهة المنطقية المتقدمة وهو انه اذا (١) وضع عظم مركب من اجسام غير متناهية العدد بالشخص كان ذلك او بالنوع لزم ان يوجد عظم غير متناه بالفعل لانه يلزم ان تكون الاجزاء التى يتركب منها الجسم غير المتناهى متماسة (٢) والا لم يكن المركب منها مركبا •

فان قيل فلعله يمكن ان توجد اجسام لا نهاية لها بالعدد غير متماسة على ما كان يرى انكساغورس (٣) فى الخليط فهذه الاجسام

(١) صف متى (٢) صف متناهية (٣) عيون الانباء ج ١ - ص ٢١ قال العلامة ابن ابى اصيبعة وكان الاطباء المذكورون فى هذه الفترة التى بين برمانيدس وافلاطن الطبيب ... واصحاب القياس وهم انكساغورس.

يلزم

يلزم ضرورة متى وضعت واحدة فى النوع ان تجتمع وتتماس وتتحرك الى اين واحدة(١) وايضا فانها توجد فى بعد غير متناه، ان وضعت غير متناهية فى النوع لزم المحال المتقدم فقد ظهر من هذا انه لا يوجد جسم غير متناه لامركبا ولا بسيطا وذلك ما قصدنا بيانه .

فاما ما يقال فيه غير متناه بالقوة وهو الذى يوجد ابدا شئ خارج عنه فى الكم وذلك اما فى الذهن كانقسام المقدار الى غير نهاية واما فى الوجود كالحركة والزمان (٢) والكون والفساد وسائر ما يقال عليه انه غير متناه من الوجوه التى عددناها فهو ممكن الوجود وما امتنع من تلك الاقسام فلم يمتنع من هذه الجهة بل من جهة اخرى سنبين فيما بعد كوجود الحركة والزمان متناهية من احد طرفيها وغير متناهية من الطرف الآخر فان ذلك ممتنع عند ارسطو وان كان قد ظن قوم ان وجود ما لا نهاية له فى الحركة والزمان ممكن بالقوة فى المستقبل وممتنع فى الماضى وتمسكوا فى ذلك بحجج واهية .

فيما يتناهى بالقوة وهو ممكن بالوجود

منها انهم قالوا ان ما وقع فى الزمان الماضى فقد وجد وخرج الى الفعل وحكمه حكم ما بالفعل وما بالفعل متناه وهذه مغالطة بينة وذلك ان صاحب هذا الوضع ليس الماضى يضع انه وقع فى الزمان الماضى اشياء لا نهاية لها وانما يضع انه وقع فى الزمان الماضى اشياء متناهية وقبل تلك الاشياء اشياء وقبل تلك الاشياء اشياء وذلك

(١) صف ـ واحد (٢) صف ـ فى الزمان (٣) صف ـ كثير .

الى غير نهاية وفرق كبير(١) بين ان يضع مالا نهاية له فى الاشياء انفسها او فى كون بعضها قبل بعض كما ان فرقا كبيرا بين أن يضع ان المقدار ينقسم الى مقادير لا نهاية لعددها او ان يضع مالا نهاية فى الانقسام لا فى المقادير انفسها فان الواحد ممتنع والآخر ممكن وايضا فان ما دخل فى الوجود الماضى فقد انقضى وما انقضى فقد ابتدأ ٠

فاما ما ليس له مبدأ فليس له انقضاء فاذا وضع ان الزمان الماضى ليس له مبدأ لم يصدق عليه انه قد دخل فى الوجود، فلزم ان يكون له انقضاء وذلك ان كل ماله انقضاء فله مبدأ ومالا مبدأ له لا انقضاء له وكذلك مالا نهاية له فلا مبدأ له ولذلك من يقول ان الزمان يمكن ان يكون غير متناه فى المستقبل ولا يمكن ان يكون غير متناه فى الماضى لم يلزم الاصل المعروف بنفسه فى ذلك وهو ان ماله مبدأ فله نهاية وما ليس له نهاية فليس له مبدأ ٠

وبهذا ينحل الشك الذى يقولون فيه انه ان كانت الحركات التى فى الشهر المتأخر اكثر من الحركات التى فى الشهر المتقدم فالحركات متناهية فان الاقل والاكثر انما يصدق على ماله مبدأ — فاما ما ليس له مبدأ فليس فيه لا اقل ولا اكثر كالحال فيما ليس له نهاية ٠

ولنرجع الى الكتاب فنقول ومنها انهم يجعلون تلك الحوادث المفروضة غير متناهية فى الماضى بعضها ضروريا فى وجود بعض ٠

---

(١) صف — كثير

وبالجملة

و بالجملة فكان بعضها اسباب لبعض فيلزم على ذلك تناهيها سواء وجدت بالقوة او الفعل ونحن نقول ان الامر لعمرى كان يكون كذلك لوكانت تلك الكائنات بعضها اسبابا لبعض بالذات لكن ليس الامر كذلك بل وجود مالانهاية فيها من قبل المحرك الازلى الذى لم يزل يحرك،وسنبين فيما بعد أن وجودا لغير متناه بهذه الصفة اعنى بالقوة ضرورى لاممكن فقط وقد يمكن ان يقع اليقين بذلك فى هذا الموضع فى الزمان فانا متى انزلنا الزمان متناهيا من احد طرفيه اعنى الابتداء لزم ان يكون متكونا من تلك الجهة والمتكون بما هو متكون يلزم ان يتكون فى زمان اذا المتكون هو الذى وجد بعد أن لم يوجد وكذلك متى فرضناه متناهيا من آخره لزم ان يكون فاسدا والفاسد يلزم ان يكون بعده زمان يلبث فيه فاسدا •

فالقبل والبعد لايوجدان مالم يوجد زمان

و بالجملة ، فالقبل و البعد لايوجد ان ما لم يوجد زمان كما يقول ارسطو، وهذا ظاهر بنفسه ، وسنبين هذا فيما بعد على وجه اتم ، واما وجود هذا فى الحركة فهو آخر ما يبين فى هذا الكتاب •

وقد يمكن ان يظهر ذلك على قرب اذا وقفنا على ان الزمان عارض للحركة وان الحركة مأخوذة فى حده على جهة ما تؤخذ الموضوعات فى حدود اعراضها الذاتية وكذلك يمكن ان يقع اليقين بمثل هذا فى العدد •

واما المقدار فان التزيد فيه قد يظن انه ممكن الى غير نهاية

وارسطو يأبى ذلك لان التزيد فيه هو تزيد فى صورة واحدة فلو امكن التزيد فيه الى غير نهاية لامكن وجود صورة غير متناهية لانه اذا لم يكن (١) فى طبيعة الشئ الواحد قبول النهاية فهو غير متناه بالفعل •

وانما سوى قوم فى ذلك بين العدد والمقدار لانه قد يظن انه من المعلولات (٢) الاولى انا متى فرضنا عددا ما ومقدارا ما امكننا ان نزيد عليه وذلك دائما وبالجملة فتزيد المقدار الى غير نهاية هو احد الاوضاع التى يستعملها المهندس فيما يزعم قوم •

تزيد المقدار الى غير نهاية هو احد الاوضاع

وارسطو يرى انه ليس يمكن فى المقدار ان يزيد الى غير نهاية كما يرى فى العدد الا ان تقص منه بقدر ما نزيد وقد بينا هذا فى غير (٣) هذا الموضع •

واما فى انقسام المقدار الى غير نهاية فسيبين فى السادسة لان ههنا قوما يضعون المقدار مؤلفا مما لا ينقسم واما العدد فظاهر انه ليس يمكن فيه الانقسام الى غير نهاية ـ فقد ظهر من هذا القول فى جميع المعانى التى يقال عليها ما لا نهاية ما منها ممكن الوجود وما منها ممتنع وبقى علينا ان نبين عماذا وجود الموجود منها ولماذا وجوده وان كان ذلك اليق بعلم ما بعد الطبيعة •

فنقول ان هذا النوع الممكن الوجود مما يقال عليه لامتناه انما وجوده كما قلنا بالقوة والامكان وان يكون التزيد فيه والامعان دائما

---

(١) صف ـ لم يمكن (٢) صف ـ المعلومات الاول (٣) بها مش صف ـ تفسير •

يحفظ ما بالقوة وما هو بهذه الصفة فانما ينسب الى المادة لان القوة عارضة لها على ما تبين وايضا فان التناهي انما هو بالصورة وتابع لها والمادة لما كانت غير محصورة بالذات لم تكن لها نهاية تخصها بل متى حصلت فيها صورة امكن ان تفارقها (١) وتحلها ضرورة صورة اخرى وذلك ممكن الى غير نهاية بما هي مادة فى الماضي والمستقبل •

وكذلك الحال فى انقسام المقدار وتزيده الى غير نهاية فانه انما عرض له ذلك فى الذهن من جهة المادة لان الصورة باقية على حالها ولذلك امكن فى العدد ان يتزيد الى غير نهاية فاما ان ينقسم الى غير نهاية فلانه (٢) مركب من آحاد وينتهي بالضرورة الى الواحد والواحد بما هو واحد انما هو بالصورة ولذلك ليس هو منقسما اصلا بل هو اكثر شيء تبرأ عن المادة فاما الكثرة والتزيد فمن قبل المادة واما لم وجد البقاء للكائنات بهذا النحو من الوجود فلا فضل لانه لما كان الازلي افضل مما ليس بازلي وكان ما لم يمكن بقاؤه بالشخص الافضل له ان يكون بهذه الحال وان يبقى بالنوع ولذلك جعل مثل هذا الوجود سرمديا لا يحل (٣) ولا ينقطع وههنا انقضى القول فى هذه المقالة •

المقالة الرابعة

القول فى المكان والخلاء والزمان

هذه المقالة تتضمن القول فى المكان والخلاء والزمان ولنبدأ بالقول فى المكان على عادته فنقول اما ان المكان شيء

---

(١) صف ـ تفارق (٢) صف ـ فلا لانه (٣) صف ـ يخل •

موجود فذلك بين بنفسه فانه يظهر ان ههنا محمولات ذاتية لا تليق الا بالموجود كقولنا ان المكان منه فوق ومنه اسفل وانه الذى تنتقل اليه الاجسام بالطبع وتسكن فيه وانه يحيط بالمتمكن وانه يفارق المتمكن وانه لا اعظم ولا اصغر من المتمكن •

وانما الفحص ها هنا عما اذا هو ونحن ننظر فى ذلك من هذه المحمولات الذاتية ونتأمل فيها ما يحمل عليه من جهة ما هو جزء ماهية له فان الفيناه اجريناه مجرى مبدأ البرهان وجعلنا الجزء الآخر من اجزاء الحد ان لم يكن بينا بنفسه فكان مما يمكن بيانه بالجزء الاول يجرى مجرى نتيجة برهان •

فنقول انا اذا تأملنا المحمولات الاول التى عددناها للمكان لم نجد فيها شيئا خاصا تحمل عليه من طريق ما هو جزء ماهية الا قولنا فيه انه يحيط لان الفوق والاسفل من فصوله المقسمة لا من فصوله المقومة ويشبه ان يكون فصله المقوم انه محيط واذا تؤمل هذا ادنى تأمل ظهر من غير وسط ان المحيط بما هو محيط هو نهاية الجسم الخاصة الغريبة التى من خارج وذلك اذا اشترط فى المحيط ان يكون غيرا وان يكون خاصا لان الاين كما قيل منه ما يقابل بتقديم وتاخير والطلب ها هنا انما هو عن الاين الحقيقى لا المشترك فان زيدا مثلا انما هو فى البيت من اجل انه فى مقعر الهواء وهو فى الدار من اجل انه فى البيت حتى ينسب فى وجوده الى العالم وآفاقه

الفوق والاسفل من فصوله المقسمة

من

من اجل كونه فى مكانه الاول واذا كان هذا هكذا وغير ترتيب هذا البرهان كان حد المكان انه النهاية المحيطة .

ومن ههنا يظهر ان المكان ليس هو الفضاء والبعد الذى بين النهايات المحيطة الذى كان يجوز مفارقته قوم وهو المدلول عليه باسم الخلاء لأن ما كان هذا سبيله فليس بمحيط بل ان كان ذلك ممكنا اعنى وجود بعد مفارق فذلك عارض للمكان وايضا فقد يمكن ان يبرهن وجود هذا الحد باسره ببرهان مطلق والذى يجتمع من هذا البرهان هو ا كمل الحدود وهو الذى يسميه ارسطو فى الحقيقة برهانا متغيرا فى الوضع لان منه تعرف ماهية الشىء بسببها وهو ان المكان هو الذى تنتقل اليه الاجسام على جهة التشوق اذا كانت خارجة عنه وتسكن فيه اذا بلغته على جهة الملاءمة والشبه وما هو بهذه الصفة فهو نهاية جسم محيط فاذا بدل ترتيب هذا البرهان كان حد المكان التام انه النهاية المحيطة بكونها استكمالا للاجسام المتحركة وغاية لحركاتها فهذه هى الطريق التى يمكن ان نبين بها ان المكان هو النهاية المحيطة من غير ان يعرض لابطال مايدل عليه اسم الخلاء وهو القول ببعد مفارق لكن لما كان هذا الرأى مما يكاد يقع عليه الفكرة اولا عند النظر فى المكان وكان الطلب فيه اولا كأنه ينقسم الى النهايات والفضاء على جهة ما ينقسم الطلب الى جزئى النقيض فى جميع المطلوبات كان من الواجب ان نجمله احد الاطراف الموضوعة فى حد المكان

---

(١) د — منها .

قياس شرطى منفصل ونجعل الاطراف الاخر ما يظن بها انها ايضا مكان و بالجملة ما تقع عليه الفكرة اولا لانه ليس يوجد هاهنا (١) للمكان متعاندات بالطبع •

فنقول ان الذى يقع عليه الظن من جميع ما يقال عليه ان شيئا فى شئ هو اربعة اشياء احدها كالصورة فى الهيولى مثل قولنا التمثال فى النحاس والثانى كالهيولى فى الصورة مثل قولنا الخشب فى الكرسى والثالث وهو الاشهر كقولنا الماء فى القدح وهذا يمكن ان يفهم على ضربين احدهما ان يكون الماء فى الفضاء والبعد الذى بين نهايات الاناء على ان يكون البعد مفارقا والآخر ان يكون الماء فى نهايات الاناء ولا يجوز ان يكون هنالك بعد مفارق اصلا فهذه الاوجه التى يمكن ان يقع عليها الظن بان الشئ ينسب الى المكان باحدها وهو الظاهر انه لا يمكن ان يقال ان الشئ فى المكان على وجه سوى قولنا الماء فى نهايات الاناء •

ان شيئا فى شئ هو اربعة اشياء

الماء فى نهايات الاناء

اما القسم الاول وهو ان يكون الشيء كالصورة فى الهيولى فيكون المكان على هذا هيولى فامتناع ذلك بين بنفسه والا لكانت النقلة كونا وفسادا وكذلك الحال فى القسم الثانى، والذى ينبغى ان نفرد الفحص عنه ههنا هو النهايات والبعد •

فنقول انه متى انزلنا ابعادا مفارقة سوى بعد الجسم المتمكن وسواء كانت هذه الابعاد مما يمكن ان يخلو عن جسم على مذهب

(١) د — منها .

من

ابطال وجود الخلاء

من يقول بوجود الخلاء مطلقا ولا يمكن ذلك فيها بل انما يوجد ابدا مع الاجسام ومقارنة(١) الا انها ابعاد قائمة بذاتها سوى ابعاد الجسم المتمكن لزم هذا الوضع محالات كثيرة — منها انه ان امكن ان يوجد البعد بالفعل بعدا (٢) خلوا من جسم وفى غير مادة فيمكن ايضا فى النقطة ذلك لان نسبة النقطة الى الخط هى نسبة الخط الى السطح والسطح الى الجسم فلذلك يلزم(٣) ضرورة متى فارق الجسم الابعاد التى هى المنقسم اليها وهى مأخوذة فى حده بجهة ما ان يفارق السطح الجسم واذا فارق السطح ان يفارق الخط السطح واذا فارق الخط ان يفارق النقطة والنقطة كما قيل هى نهاية الخط فيمكن على هذا الانزال فى النهايات ان يفارق الشىء الذى هى له نهاية وكيف يكون ذلك والوجود لها انما هو فى هذه الصفة وهذه الابعاد انما امكن فيها ان تفارق بالقول اذا اخذت من حيث هى ذوات لا من حيث هى نهايات كما يأخذها المهندس فيجردها فى الذهن ويقول فى حد النقطة مثلا انها شىء لا جزء له وكذلك يفعل فى سائرها لانه ليس تظهر فيها اذا نظرت بهذه الجهة مادة اصلا وانما يظهر ذلك فيها اذا اخذت من حيث هى نهايات اجسام طبيعية وهى الجهة التى ينظر فيها فى هذا العلم ولذلك غلط فى هذا قوم فظنوا ان كل ما فارق بالقول مفارق بالوجود فقالوا بمفارقة الاعداد والاعظام، وسنفحص عن هذا فيما بعد الطبيعة •

الابعاد اذا اخذت من حيث هى ذوات

---

(١) صف — مقترنة (٢) صف بعد (٣) بها مش صف — لزم .

الاجسام انما تحل فى المكان بابعادها

وقد يمكن ان يبين هذا بوجه آخر وذلك ان الاجسام انما تحل فى المكان بابعادها لا باعراضها وانما امتنع فى الجسمين ان يحلا معا فى مكان واحد لامن جهة ان هذا ابيض وهذا اسود مثلا بل من جهة امتناع تداخل الابعاد بعضها فى بعض ولذلك ليس

ليس يطبق المهندس الاجسام فى براهينه

يطبق المهندس الاجسام فى براهينه ويطبق الخطوط والسطوح لان الانطباق انما يمكن فى المنقسم من جهة ما هو غير منقسم ولذلك لا يمكن فى الجسم اصلا ان ينطبق اذ كان منقسما فى جميع الابعاد ولو امكن فى الاجسام ان ينطبق بعضها على بعض لكان الامر كما يقول ارسطو سيمكن فى السماء ان تدخل فى حبة جاورس وذلك انه كان يمكن ان نجزى اى جزء كان فى العظم الى اى جزء شئنا فى الصغر ونطبق بعضها على بعض حتى يمكن فى الكل ان يداخل الجزء وهذا اشنع ما يكون من المحال ولو كان المكان هو الفضاء للزم ان تتداخل الاجسام وذلك مستحيل وايضا فان الجسم كما قلنا انما يحل فى المكان بابعاده وبها (١) هو مفتقر الى المكان فلو كانت الابعاد هى المكان لكانت الابعاد ايضا مما يحتاج الى مكان وكان لعمرى يلزم شك زين (٢) وهو ان يكون المكان فى مكان ويمر ذلك الى غير نهاية فهذه هى المحالات اللازمة لو ضمنا بعدا مفارقا تحل فيه الاجسام واذا بطل هذا لم يبق ان يكون المكان شيئا

(١) بها مش صف — وبها (٢) بها مش صف — اسم رجل .

سوى النهايات المحيطة وبهذه الاقاويل باعيانها ينبغى ان نتمسك فى ابطال الخلاء بعد ان نبين ان ما يدل عليه اسم الخلاء عند القوم الذين يضعونه هو هذا المعنى اعنى انه بعد مفارق .

وانما قاد الى القول بالخلاء التوهم العارض لنا منذ الصبى فان ما لم يحرك ابصارنا ولا صدمنا حجمه نتوهمه خلاء ولذلك ما يطلق الجمهور على هذا انه لاشئ فيه ويشبه ان تكون لفظة فى انما يدل بها عند الجمهور على هذا المعنى المتوهم ولذلك صار هذا الرأى مغلطا (١) جدا فلنرجع الى حيث كنا .

نهايات السفلى هى نهاية الماء

فنقول ولان المكان منه فوق واسفل صارت النهاية المحيطة منها فوق واسفل ولنضع على ما هو المشاهد ان النهايات السفلى هى نهاية الماء ونهاية الهواء اذ يظهر ان الارض ساكنة فى نهاية الماء ومتحركة اليها بالطبع والماء ايضا ساكن فى نهاية الهواء ومتحرك اليها بالطبع وكذلك لننزل ها هنا ان النهايات العلياء هى نهايات الجسم السماوى ونهاية النار اما نهاية الجسم السماوى فالنار واما نهاية النار فالهواء على ما تبين فى كتاب السماء والعالم من امر هذه الاشياء وان النار متحركة الى نهاية السماء ساكنة فيها والهواء متحرك الى نهاية النار وساكن فيها لكن ان كان الامر هكذا فى كل جسم طبيعى فما مكان الجسم السماوى ليت شعرى فانا ان انزلناه فى نهاية

نهايات العلياء هى نهايات الجسم السماوى

---

(١) صف مغلطا .

في مكان الجسم السماوى

جسم آخر لزم فى ذلك الجسم ايضا ان يكون فى جسم آخر و مر الامر الى غير نهاية و قد تمسك بهذا قوم فى وجود ما لا نهاية لكن تلزمه المحالات التى تقدمت .

و ايضا إن لم نضعه فى مكان فكيف هو متحرك ومن ضرورة الحركة يلزم ضرورة المكان فنقول اما انه لو كان لعمرى يتحرك حركة مستقيمة لقد كان ان يكون فى نهاية جسم الآخر من خارج وكان يلزم فى الآخر ايضا مثل ذلك متى انزل متحركا حركة استقامة .

و بالجملة فليس يمكن رفع ما لا نهاية له بالفعل ان لم نضع جسما متحركا دورا لانه مما تبين ان الجسم المتحرك دورا وهو الكرى بما هو كرى ومتحرك دورا انه انما هو فى مكان بقعره ومكانه هو محدب الجسم الساكن الذى يتحرك عليه لان الكرة بما هى كرة حاوية لا محوية .

ان الكرة الطبيعية لا بد لها من مركز

والدليل على ان الجسم المتحرك دورا يحتاج الى جسم ساكن كرى عليه يتحرك وليس هو جزء منه بل هو منفصل عنه و ملاق له على جهة التماس ان الكرة الطبيعية بما هى كرة لا بد لها من مركز عليه تدور هو السبب فى كونها ثابتة بجملتها ومتحركة باجزائها(١) ولو انزلناها متحركة بسطوحها الخارجة من غير مركز مثل ما ندير التفاحة كانت حركتها (٢) دحرجة ولم تكن دورا وليس يمكن فى مثل هذه الحركة ان يتوهم الجسم الكرى المتحرك بها ثابتا بجملته الا ان

(١) صف ـ بذاتها (٢) صف ـ حركاتها .

يوضع

يوضع فى مقعر جسم آخر كرى اذ كان ليس له مركز لكن متى انزلنا ثبوته على هذه الجهة من اجل الجسم الذى من خارج كان ثبوتا قسريا و بالعرض ولم يكن سببا ذاتيا لثبوته فى مكان واحد ولذلك متى رفعنا الجسم الذى من خارج امكن ان ينتقل الجسم المتحرك بمثل هذه الحركة بجملته فتكون حركته دحرجة لا دورا وهذا كله بين بنفسه •

و بالجملة متى اخذنا السبب فى ثبوت الكرة فى مكان واحد مقعر الجسم الذى من خارج نكون قد اخذنا سببا ما ليس بسبب وهو من المواضع المغلطة كمن يضع ما لا نهاية له غير متحرك لانه ليس له مكان يتحرك اليه و ايضا لو انزلنا الكرة بما هى كرة يلزم ان تتحرك فى مقعر جسم آخر كرى للزم من ذلك وجود ما لا نهاية له و اذا كان هذا هكذا وكانت كل كرة لا بد لها من مركز عليه تدور فليس يمكن ان نضعه جزأ منها وهو متحرك بحركتها لانه ايضا يحتاج الى مركز ولا يمكن ايضا ان نضعه ساكنا وهو جزء من الكرة لان اجزاء الكرة كلها متحركة معا و قاطعة قسيا متشابهة •

اجزاء الكرة كلها متحركة معا

و ايضا فمن المعلومات الاول ان المتحرك ليس يتحرك على نفسه و ان كل متحرك يحتاج الى شئ ساكن عليه يتحرك فلذلك يلزم ضرورة فى المركز ان يكون مفارقا وساكنا وما هذا شأنه

فهو جسم ضرورة وان انزلنا هذا ايضا يتحرك دورا لزم ان يتحرك على جسم ساكن ومر الامر الى غير نهاية او وجدت نقطة مفارقة فقد ظهر من هذا ان الكرة بما هى كرة انما هى فى مكان بقعرها ومكانها هو محدب الجسم الساكن الذى عليه تتحرك وكأنه يطيف بها من داخل وانما ادى اليه القول مطابقا لما يوجد حسا من امر الارض وسائر الاجسام البسيطة والجرم السماوى فعلى هذا ينبغى ان يعتقد فى مكان الجسم الكرى انه محيط اى من داخل •

وبالجملة لما كانت الجسمية مما يقال عليه بتشكيك وعلى الاجرام المتحركة حركة استقامة على ما سنبين فى كتاب السماء والعالم وجب ان يكون كذلك الاعراض المشتركة لها واحدها هو المكان هذا هو الذى يظهر من كلام ابى نصر وهو صراح من كلام ابن الصائغ(١) لكن يشبه ان يكون الاصح ان يقال ان الكرة من مركزها الذى تحيط به فى مكان بالعرض اعنى ان مركزها هو فى مكان بالذات من قبل ان الذى فى مكان بالذات هو محاط به لا محيط والمحيط مقابل للمحاط به فاذا كان جسم ما مثل السماء ليس فى محيط به فليس فى مكان بالذات وانما هو فى مكان من قبل ان يتحرك على ما هو فى مكان وهو المركز من قبل انه فى المحاط به بالعرض فهذا معنى قول ارسطو ان الجسم السماوى ان وجد فى مكان فبالعرض •

الجسم السماوى ان وجد فى مكان فبالعرض

واما ابو بكر بن الصائغ فالظاهر من كلامه ان الكرة فى

(١) كذا فى النسختين .

مكان

مكان بالذات وهذا يلزمه ان المحيط فى المحاط به فى مكان بالذات وذلك مستحيل وليس يبلغ الاشتراك الذى بين الجسم المستدير والجسم المستقيم الابعاد ان يكون المكان فى احدهما مقابلا للمكان فى الآخر ولما كان ما يقال انه فى مكان بالعرض انما يقال فيه ذلك من قبل انه فى شئ هو فى مكان بالذات وجب ان يكون هذه حال الكرة لانها فى مركزها الذى هو فى مكان بالذات وقول ابن سينا فى الحركة الدورية انها ليست فى مكان اصلا وانما هى فى الوضع فلست افهمه واحسبه يريد بذلك انها تنتقل من وضع الى وضع من غير ان يعدل المكان بجملته (١) وان كان ذلك اراد فهو صحيح وان كان اراد ان حركتها فى الوضع نفسه التى هى المقولة فليس بصحيح لانه سيبين ان الوضع ليس فيه حركة اصلا فان احد ما يتقوم به الوضع هو المكان ايضا فسيبين ان الوضع ليس فيه حركة اصلا ولما كان المكان هو الذى اليه ينتقل المنتقل وجب ان تكون نهاية الجسم المحيط متناسبة وشبيهة وكما لا للمتحرك بمنزلة الماء للارض والهواء للماء والنار للهواء الا انه للاجسام التى تتحرك حركة استقامة لما كان ما منه يتحرك المتحرك خلاف ما اليه يتحرك وجب ان تسكن الاجسام البسيطة اذا صارت فى مواضعها الطبيعية وان تتحرك إذا كانت خارجة عنها .

واما الجسم الكرى المتحرك دورا فلما كان مبدأ الحركة

---

(١) هامش صف — تنزل المكان بجملتها .

فيه والمنتهى واحدا بالقول لزم ان تكون حركته دائما وسرمدا — ان كان متحركا بالطبع وسكونه دائما ان كان ساكنا بالطبع كالحال فى السماء والارض اذ ليس اى نقطة فرضت فى الكرة ان يكون مبدأ اخرى منها ان يكون منتهى واذا لم يكن هناك منتهى بالطبع فان كان يتحرك بالطبع فليس هناك سكون اصلا واذا لم يكن سكون فالحركة دائمة وسنبين هذه الاشياء على وجه اوضح فيما بعد •

القول فى الزمان

والطلب المقصود ها هنا ايضا من امر الزمان انما هو ان يعلم ماهيته فاما وجوده فبين بنفسه لانه قد يظهر ان له محمولات ذاتية لا يليق الا بالموجود كقولنا ان الزمان منه ماض ومنه مستقبل وان الآن نهاية مشتركة بين الماضى والمستقبل وان الزمان الحاضر بالوضع لا بالطبع اذ كان ليس يمكن ان يوجد جزء من الزمان بالفعل وكذلك يظهر ايضا ان الزمان متصل وان كل زمان محدود فطرفاه آنان •

كل زمان محدود فطرفاه آنان

وبالجملة فاتفق له مع ان وجوده بين بنفسه ان كان مشهورا ولذلك عد فى كتاب المقولات احد اصناف الكم ونحن فينبغى لنا الآن ان ننظر فيه من هذه الامور البينة وجودها له على نحو ما فعلنا فى المكان فنقول انا اذا تأملنا وجود الزمان وكون اجزائه اما ماض واما مستقبل وانه ليس شئ منه يمكن ان يشار اليه بالفعل

لم نجد

لم نجد شيئا يشبهه الا الحركة و من الحركة النقلة فان اجزاء بعضها قد فسدت و بعضها مزمعة بان تكون كالحال فى الزمان ٠

و بالجملة فليس يمكن ان نضع زمانا ولا نتوهمه فضلا عن ان نتصوره ان لم نتصور حركة و لذلك متى ما لم نشعر بالحركة اصلا لم نشعر بالزمان كما يقال انه عرض للتألهين الذين ناموا وكما يعترى الانسان عند الاكباب على الاعمال الملذة اوعند النوم المستغرق فانه اما ان يصل الآن المتقدم بالمتأخر واما ان يعتقد فى الزمان القصر بخلاف مايعترى المرضى الذين يسهرون فانهم يستطيلون الليل وليس هذا فقط بل متى وضعنا ان شيئا فى زمان فانما نضعه كأنه متحرك وقاطع مسافة ٠

ما لم نشعر بالحركة لم نشعر بالزمان

و بالجملة فمتى توهمنا الزمان فانما نتوهمه متحركا او تابعا لمتحرك فاما ان الزمان ليس هو حركة فذلك بين فانا قد نتصور انواع الحركات خلوا منه ولو كان الزمان حركة لكان يلزم ان يكون معاوانواع الحركات، متكثرا بتكثرها ولكان من لم يحس بحركة مافاته زمان ما ولذلك ليس يمكن ان نضعه نوعا من انواع الحركات(١) او حركة مامشارا اليها كما كان يرى من يجعله حركة السماء فانا لو انزلنا مثلا قوما اسارى محبوسين تحت الارض منذ الصبى كما يقول افلاطون فى لغزه المكان هؤلاء لا يشعرون بالزمان اصلا لانهم لم يحسوا حركة الجرم العالى وذلك محال وايضا فان الحركة منها اسرع

قوم اسارى محبوسون تحت الارض لايشعرون بالزمان

(١) صفة الحركة٠

ومنها ابطأ وكلاهما انما يحدان بالزمان فان السريع هو الذى يقطع عظما كبيرا فى زمان يسير والبطئ بخلاف ذلك •

الزمان عارض للحركة

وبالجملة فقد يظهر ان الزمان عارض للحركة وان الحركة مأخوذة فى حده على جهة ما تؤخذ الموضوعات فى حدود اعراضها فانا لا نقدر ان نتصوره خلوا من الحركة ويمكن ان نتصور الحركة خلوا منه وليس ينبغى ان يظن بنا انا استعملنا ههنا (١) موضع الوجود والارتفاع فى ان الزمان متقدم بالحركة فانا انما استعملناه على جهة الارشاد لا على جهة التصديق فانه قد تبين خلل هذا الموضع فى استنباط الاسباب به واذ قد تصورنا من امر الزمان انه عارض للحركة فما هذا العارض ليت شعرى فنقول ان الزمان كما قلنا اظهر ما يوجد تابعا لحركة النقلة والنقلة يلحقها ان يوجد بعض اجزائها متقدما وبعضها متاخرا والسبب فى ذلك ان المنتقل انما ينتقل على بعد ما والحركة مساوقة للبعد ومترتبة بترتبه فكما ان البعد يوجد بعض اجزائه متقدما بالاضافة الى مبدأ ما وبعضها متأخرا كذلك يلزم ان يوجد الامر فى الحركة بل هذا هو السبب فى كون الحركة بهذه الصفة الا ان الفرق بينهما ان المتقدم والمتأخر فى البعد موجودان بالفعل ومشار اليهما واما الحركة فوجود المتقدم والمتأخر فيها انما هو فى الذهن اذ كانت الحركة وجودها فى الذهن •

---

(١) د — استعملنا هاهنا •

وبالجملة فما يلحق الحركة من كونها متصلة وذات اجزاء وان منها المتقدم والمتأخر انما ذلك لها من اجل البعد الذى عليه يكون كما ان مايلحق الزمان من ذلك انما يوجد له من اجل الحركة والبعد الذى عليه الحركة انما يمكن ان يتصور فيه المتقدم والمتأخر لا بان يؤخذ واحدا ومتصلا لكن بان يفرض عليه اقل ذلك نقطة واحدة فصاعدا وحينئذ تتصور منه ان هذا الجزء متقدم لهذا وذلك متأخر وكذلك الحركة ايضا لا يمكن ان يتصور فيها المتقدم والمتأخر اذا أخذت واحدة بالفعل فاما اذا اخذ فيها نهاية تفصل المتقدم منها من المتأخر فلسنا نعقل شيئا سوى الزمان وذلك ان المتقدم والمتأخر ليس شيئا سوى الماضى والمستقبل اذ كان ذلك الشىء الذى تأخذ نهاية الحركة المتقدمة ومبدأ للحركة المتأخرة هو الآن ولذلك متى لم نشعر بالآن لم نشعر بالزمان لانا متى لم نشعر بالآن لم نشعر بالمتقدم والمتأخر فى الحركة ومتى أخذنا الآن وشعرنا به شعرنا بالزمان ومتى أخذنا الآن المتقدم والمتأخر واحدا لم نشعر بانه حدث زمان زايد كما عرض للمتألهين الذين ناموا واذا كان هذا هكذا فبين ان الزمان انما يحدث عند قسمتنا الحركة بالآنات الى المتقدم والمتأخر منها ولذلك ليس الزمان شيئا غير قسمة الحركة بالآنات الى المتقدم والمتأخر وبين ان قسمتنا الحركة بهذه الاقسام يلحقها بذلك ان تكون معدودة ومحصاة لنا اقل ذلك باثنين لان المتصل اذا أخذناه بما هو متصل وواحد كان

نهاية الحركة المتقدمة ومبدأ للحركة المتأخرة

معدودا بالقوة واذا فصلناه الى اجزاء بالفعل لحقه ان يكون معدودا واذا كان الامر على هذا فالزمان هو ضرورة معدود والمتقدم والمتأخر الموجود فى الحركة والمعدود هو جنسه والمتقدم والمتأخر الموجود فى الحركة هو فصله وقول ارسطو فيه ان (١) عدد الحركة بالتقدم والتأخر انما يريد انه معدود والمتقدم (٢) والمتأخر الموجود فى الحركة لا ان جنسه هو العدد لان العدد جماعة الآحاد والزمان ليس هو جماعة الآحاد وانما هو جماعة المتقدم والمتأخر والمتقدم والمتأخر معدود لا عدد لكن هذا المعدود من جهة ان به تقدر الحركة والعدد هو الذى به تقدر الاشياء اولا كان فى الزمان شبها من العدد وامكن فيه بوجه ما ان يقال انه عدد الحركة .

حد الزمان

فقد ظهر من هذا القول المعنى الذى اراده الحكيم بقوله فى حده انه عدد الحركة بالمتقدم والمتأخر ومن هنا يظهر ان الزمان ليس هو حركة ظهورا اكثر بينا فان كون اجزاء الحركة بعضها متقدم لبعض ولحوق العدد لها ليس شيئا فى جوهر الحركة بل الحركة فى جوهرها (٣) وكذلك ايضا يظهر من حده انه من جهة فعل النفس (٤) كما يقول ارسطو ومن جهة موجود خارج النفس وذلك ان الحركة تحتاج فى وجودها وجمع اجزائها بعضها الى بعض الى الفعل لان الموجود منها خارج النفس انما هو المتحرك

(١) صف ـ انه (٢) صف ـ معدود المتقدم (٣) صف ـ جوهرها (٤) صف النفس .

وهو

وهو حال المتحرك لكن اذا اخذت في الذهن مجموعة لزم ان تكون ذات اجزاء متقدمة ومتأخرة وذات عدد على جهة ما يلحق الذوات خارج النفس محمولاتها الذاتية لكن يشبه ان يكون لها هذا العارض ايضا بالقوة والاستعداد لان الحركة التى الزمان لها لاحق واحدة ومتصلة على ما سيبين بعد وانما تعرض لها القسمة فى الذهن ولذلك ما يقول (١) اسكندر لولا وجود النفس لم يوجد اصلا زمان ولا حركة .

لولا وجود النفس لم يوجد اصلا زمان

فقد تبين من هذا القول ما هو الزمان واى وجود وجوده وان الآن فيه بمنزلة النقطة من الخط فانه كما ان النقطة مبدأ ونهاية لجزئى الخط كذلك الآن مبدأ ونهاية لجزئى الزمان الماضى والمستقبل اذ كان الآن كما تقدم ليس شيئا سوى النهاية المفروضة بين الحركة المتقدمة والمتأخرة ، الا ان الفرق بينه وبين النقطة ان النقطة موجودة فى الخط بالفعل ومشار اليها واما الآن اذا اخذ (٢) بالفعل فليس يمكن ان يشار اليه اصلا اذ كان ليس يمكن ان يشار الى جزء من اجزاء الحركة على ما تبين من حدها وايضا فان النقطة يمكن ان تفرض مبدأ من غير ان تكون نهاية او نهاية من غير ان تكون مبدأ وذلك انما يلحقها فى البعد المستقيم من جهة ما هو متناه ومحاط به وليس يمكن ذلك فى الآن فانا متى اخذنا آنا ما فانا انما ناخذه نهاية للزمان الماضى ومبدأ للزمان المستقبل وهو اشبه شئ بالنقطة التى تفرض على الدائرة فانها كيف

ان الآن فيه بمنزلة النقطة من الخط

(١) د ــ يعمل (٢) صف ــ اخذنا .

ما فرضت عليها وجدت مبدأ ونهاية •

ومن هنا يظهر ازلية الزمان وانه تابع لحركة ازلية مستديرة وكما ان النقطة هى التى تفعل الخط وتحدده وبها يكون المتصل ذا اجزاء كذلك الآن هو الذى يفعل الزمان ويحدده ولولاه لم يكن متقدم ولا متأخر اصلا ولا عدد اذ كانت الحركة من الاشياء المتصلة وكذلك تصدق على الزمان خواص الكم المتصل وهما الطويل والقصير وخواص المنفصل وهما القليل والكثير فلو كان الخط يأتلف من نقط لكان يلزم ان يكون الزمان يأتلف من آنات ولكان هو عددها •

الزمان يأتلف من آنات

وبالجملة فكان يعد فى الكم المنفصل لكن سنبين ان كل نقطتين فبينهما خط وان كل آنين فبينهما زمان ولما كان الزمان عدد الحركة لحقه ضرورة ان تقدر به الحركة ويقدر بالحركة لكن تقديره الحركة هو شئ له بالذات من جهة انه عدد وتقدير الحركة له بالعرض اى من جهة ما يعرض للمعدود ان يعد به العدد واذ قد تبين من امر الزمان انه عدد الحركة بالمتقدم والمتأخر فليت شعرى هل هو عدد لكل حركة اى موجود فى كل حركة ام عدد حركة بعينها فانا ان انزلناه عددا موجودا فى كل حركة لزم ان يتكثر الزمان بتكثر الحركات وتكون الآنات ايضا متكثرة والزمان فى كل موضع واحد متصل — وان انزلناه عدد حركة

واحدة

واحدة بعينها لزم ان لا يشعر بالزمان من لا يشعر بتلك الحركة فلذلك ما يجب ان نضعه(١) غير متكثر بتكثر الحركات كالعدد الذى لا ينفصل بانفصال موضوعاته ولا يتكثر بتكثرها كالعشرة مثلا اذا اخذناها عشرة افراس وعشرة حمر وعشرة اناس فانها نفسها واحدة وليست فى ذلك بمنزلة الاعراض التى تنقسم بانقسام موضوعاتها كالبياض والسواد وذلك واجب فيه من قبل انه عدد الحركات والعدد ليس من شأنه ان يتكثر بتكثر الموضوعات له •

ولذلك ما يقول(٢) انه عدد الحركة الكلية التى يدرك العقل ان جميع الموجودات المتغيرة فيها وانها المحيطة بجميع المتغيرات وانه ليس يحتاج فى تصوره ان يوجد مخصوصا بحركة ما بخلاف ما يعرض له اذا اخذ مقدارا (٣) وذلك انه يجب ان يسير(٤) الى حركة معلومة ليكون معلوما ــ ولما كانت الحركات بعضها اشد تقدما من بعض واشهر(٤) وجودا وكان اشدها تقدما حركة النقلة ومن هذه حركة الجرم السماوى ومن هذه حركة اليومية وكان المقدر ينبغى ان يكون اصغر ما يقدر به فى ذلك الجنس واشدها تقدما وجب ان يوجد مخصوصا بحركة بهذه الصفة لانها انما تقدر به حركة مخصومة وهذه هى حركة السماء مع سائر الحركات ولو كانت هاهنا حركة اسرع منها لكانت هى المقدرة بزمانها دون تلك لكن

حركة الجرم السماوى ومن هذه حركة اليومية

(١) د ــ نصفه (٢) صف ــ تقول (٣) صف ــ مقدرا (٤) هامش د ــ يشير
(٥) د ــ اشد.

لما كان عدد هذه الحركات هو اشدها تقدما على سائر عدد الحركات حتى ان وجوده اولا وبالذات انما هو لهذهِ الحركة ووجوده لساير الحركات وتقديره لها انما هو ثانيا - وبتوسط هذه الحركة وجب ان يكون هو المقدار (١) وذلك ظاهر اذ كان اليوم والشهر والسنة ليس شيئا سوى اجزاء الزمان التى هى تابعة لحركة الجرم السماوى ٠

اليوم والشهر والسنة هى تابعة لحركة الجرم السماوى

واتفق لهذا مع انه معقول ان كان مشهورا عند جميع الامم فان هذه هى الحركة التى تقدر بها وبزمانها سائر الحركات وسائر الازمنة والشيء الذى يقدر به الشيء مع انه ينبغى ان يكون من جنس المقدر يلزم ان يكون ضرورة اولا فى ذلك الجنس غير منقسم اذا (٢) كان مقدارا بالطبع كالواحد فى العدد فلذلك ما يجب ان تكون هذه الحركة متقدمة على سائر الحركات وزمانها الذى هو اليوم والليلة مقدارا (٣) لسائر الازمنة وان يكون الزمان مقدارا (٣) لهذه الحركة اولا وبالذات ويكون تقديره لغيره من الحركات ثانيا وبتوسط هذه الحركة ٠

مشهور عند جميع الامم

ومن ها هنا يظهر كيف تقديره لسائر الحركات وليست للحركات فقط بل وللسكون ٠

وبالجملة كيف ينسب وجود الاشياء الى الزمان من جهة ما شأنه ان توجد فى زمان وكيف يسئل بمتى ونحن نقول فى ذلك اما تقديره لما كان من الحركات يوجد لها المتقدم والمتأخر

---

(١) صف - المقدر (٢) د - اذ (٣) صف - مقدرا ٠

وهى حركة النقلة فانه انما يقدرها بالمتقدم و المتأخر من الحركة اليومية واذا كان هذا هكذا فما كان من الحركات ليس يوجد لها المتقدم و المتأخر لحركة الاستحالة فانه باق فيها بالمتقدم والمتأخر من عند نفسه وكذلك تقديره لوجود الاشياء الا ان الفرق بينهما ان مثل هذه الحركات وان لم يكن فيها المتقدم و المتأخر فلها نهايتان بالطبع وليس كذلك وجود الشيء فان الزمان هو الذى ياتى بالنهايتين فيه ويفعلهما واما تقديره للسكون فانه انما يكون بتقديره للحركة المساوقة له •

وبالجملة فانما تقدر الموجودات من حيث هى متحركة او يتخيل فيها امكان حركة واذا كان هذا هكذا فما ليس يتحرك ولا يسكن فليس فى زمان اصلا ولا يسلب عنه من جهة ما شانه اوشان جنسه ان يوجد له الا كما يقال فى الصوت انه غير مرئى ولذلك تقول فى الامور الازلية انها ليست فى زمان اذ كان الزمان ليس ينطبق على وجودها ولا يفضل عليها بطرفيه على ما شانه ان يوجد للاشياء الموجودة فيه • كما يقال فى الصوت انه غير مرئى

وقد تقول ايضا ان حركة الجرم العالى ليست فى زمان اذ(١) كان الزمان مساوقا لها وليس يفضل عليها من طرفيه بل ان قيل انها فى زمان فمن جهة انها اجزاؤها فى زمان واما متى فهى نسبة الزمان المحصل والآن المحصل من الآن الحاضر الى الحركة والى الاشياء

(١) د ــ اذا

الموجودة من حيث هى متحركة وكما ان الزمان يقدر الحركة كذلك الحركة قد يمكن ان تقدر الزمان على جهة ما شأنه ان يفعل الاشياء المقدرة بالأشياء التى تقدرها الا ان الفرق بينهما ان ماهية الزمان تقتضى بالذات تقدير الحركة وتقدير الحركة لها عارض لحقيقتها (١) •

المقالة الخامسة

هذه المقالة تتضمن القول فى اى جنس من اجناس المقولات توجد الحركة وفى ايها لا والقول فى لواحق تلحق الاجسام المتحركة حركة استقامة من التتالى والتماس والاتصال وعلى كم جهة تقال الحركة الواحدة وكيف تضاد حركة حركة واى سكون يقابله اى حركة واى حركة يقابلها اى سكون •

وارسطو يبتدئ قبل ذلك بالقول فى اشياء ضرورية فى بيان هذه الاشياء وان كان اكثرها فى هذه المقالة بينا بنفسه وانما يرشد الى الجهة التى يقع بها اليقين بالشيء وما كان سبيله هذه السبيل فالطرق المستعملة فى استنباطه هى طريق القسمة والاستقراء وشرح مايدل عليه الاسم وبالجملة جهات الارشاد الى وقوع اليقين بالشيء •

فالطرق المستعملة هى طريق القسمة والاستقراء

ولنجر نحن فى ذلك على عادته ولنجر فى ذلك ترتيبه فاقول ان المحرك يقال على احد ثلاثة انحاء احدها المتحرك بذاته كالحجر يهبط والابيض يسود والذابل ينمى والثانى المتحرك بطريق العرض

(١) بهامش صف ـ لحقها

 كقولنا

كقولنا الابيض ينتقل والمنتقل يبيض فانه لا الابيض من جهة ماهو ابيض وجدله الانتقال ولا المنتقل من جهة ماهو منتقل وجدله البياض بل ذلك شيء عارض له ـ والثالث المتحرك بجزئه كما يقال ان النائم تحرك اذا حرك بعض اجزائه (١) وفلان برئ لان عينه برئت وهذا القسم كأنه داخل فيها بالعرض بوجه ما وليس هو من جميع الوجوه اذ كان قد يظن بالاجزاء انها تتحرك بذاتها في الكرة لانه يوجد فيها الاسرع والابطأ لكن ان كان ذلك من جهة ماليس للكرة ان تتحرك بكليتها وايضا فان الاجزاء قد يمكن فيها فيما ينفصل منها ان يكون متحركا بذاته وليس الامر كذلك في المتحرك بالعرض لكن المتحرك بجزئه بوجه ما هو داخل فيها بالعرض والحركة منسوبة الى الكل بهذا الوجه من النسبة وما بالعرض فلا يحيط به معرفة ولا يخطر ببال ذي صناعة الفحص عنه كما يقول ارسطو فلنطرحها ولنقل فيما بالذات وبين ان المتحرك بالذات حركة متناهية طبيعية هو المتحرك من شئ محدود والى شيء محدود وليس يتحرك من اى شئ اتفق ولا الى اى شئ اتفق وبين ان ما منه يتحرك المتحرك الطبيعي (٢) حركة مستقيمة وما اليه يتحرك متقابلان وهذا يظهر بالاستقراء وليس ينبغي ان يشككنا حركة بعض المتحركات الى الوسط بين الضدين كالاسود مثلا يتحرك الى الاغبر فانه انما

(١) صف ـ ن ـ اعضائه (٢) د ـ بالطبع .

اصناف المتوسطات والمتقابلات

يتحرك اليه من جهة ما فى الاغبر من الابيض لا من جهة ما فيه من الاسود وكذلك سائر اصناف المتوسطات والمتقابلات كما قيل اربعة اصناف الايجاب والسلب والملكة والعدم والاضداد والمضافان وينبغى ان ننظر فى اى واحد واحد من هذه يمكن الحركة وفى ايها لا اذ كنا قد وضعنا الحركة فى المتقابلات •

فنقول اما التغير من السلب الى الايجاب وهو التغير من لاوجود الى وجود المسمى كونا او التغير من الايجاب الى السلب وهو التغير من وجود الى لاوجود المسمى فسادا فليس بحركة لان الحركة كما ظهر من حدها فى المتحرك وليس ههنا متحرك موجودا واحدا بالفعل ومشارا اليه من حين ابتداء الحركة الى انتهائها وايضا فان الحركة كما قيل كمال ما بالقوة من جهة ما هو بالقوة والكمال انما يحفظ ما بالقوة بان يشار اليه ويوجد زمانا مقترنا بها وليس فى المتكون ولا الفاسد من جهة ما هو متكون او فاسد كمال مقترن به ما بالقوة من نوع الكمال الاخير بل الكمال الاخير فيهما وهى الصورة حاصل فى غير زمان •

وبالجملة فالاليق بمثل هذا ان يسمى باسم جنسه تغيرا لا حركة وهذا النوع من التغير ان وجد فيه الكمال مقرونا بالقوة زمانا فذلك ان كان ولا بد فمن جنس الكمال الاخير لا من نوعه كالحجارة واللبن يتحرك عن الصناعة الى ان يكون البيت وبهذا يفارق هذا

التغير

التغير سائر التغاير الاخر التى ليست تعد حركة اصلا ولا بجهة من الجهات ولذلك عد هذا التغير فى الثالثة احد اصناف الحركة وتسومح فيه الى ان يبين امره هاهنا وبمثل هذا الذى قلنا اعنى ان الكمال فى المتحرك ينبغى ان يوجد مقترنا بالقوة زمانا ما يظهر انه ليس فى المضافين حركة ولا فى الملكة والعدم اكثر مما ظهر هنالك لانه ليس هاهنا متوسط ولا يوجد هاهنا كمال مقترن بالقوة هو من جنس الكمال الاخير او من نوعه بل ان وجد فبا ين جدا كحركة النقلة التى تتقدم الاضافة وغيرها ولذلك امثال هذه تابعة لحركة وقد يظهر ان ليس فى المضافين حركة من ان احدهما يلحقه التغير من غير ان يتغير هو فى نفسه بتغير الآخر كالشجرة مثلا تصير عنة زيد بعد ان كانت يسرة واذ قد تبين ان ليس فى هذه حركة وقد وضع ان الحركة فى المتقابلات فلم يبق ان يكون من انواع المتقابلات الا فى الاضداد ولان الاضداد صنفان صنف ليس بينهما متوسط كالزوج والفرد والصحة والمرض وهذا الصنف ايضا ظاهر من امره مما تقدم انه ليس فيه حركة اذ الكمال ليس يوجد ايضا فيه حافظا لما بالقوة زمانا ما على جهة ما يوجد فى الحركة وايضا فان المتحرك انما يوجد متحركا فيما بين ما منه يتحرك وما اليه يتحرك لانه اذا كان فيما منه يتحرك فهو ساكن لم يتحرك بعد واذا كان فيما اليه يتحرك فقد تحرك والاضداد التى ليس بينها متوسط ليس يوجد فيها ما بين فلذلك ليس يمكن فيها حركة وبمثل

الاضداد صنفان

هذا تبين انه ليس فى تلك الاصناف المتقدمة حركة . واما الصنف الثانى من الاضداد وهو الذى بينهما متوسط فهو الذى توجد فيه الحركة لان فيه ما بين والكمال يوجد فيه حافظا لما بالقوة وايضا فان المتحرك موجود فيه بالفعل وواحد ومشار اليه من حين يبتدىء بالحركة الى ان ينتهى ولان اصناف هذه الاضداد ثلاثة تكون اجناس الحركات ثلاثة احدها الحركة فى الاين وهى المسماة النقلة وهذه منها فوق ومنها اسفل والثانية فى الكم وهى المسماة نموا ونقصا وليس لهذين النوعين اسم يجمعهما والثالثة فى الكيف وهى المسماة استحالة وسنبين فيما بعد فى اى نوع من انواع الكيف توجد الاستحالة ولان الحركة كما تبين من هذا القول انما توجد فى المتقابلات ومن المتقابلات فى الاضداد ومن هذه فى التى بينها متوسط فقد ينبغى ان ننظر فى وجود الاضداد فى هذه الاجناس الثلاثة فنقول اما وجودها فى الكيف والكم فمشهور بين وذلك كالحار والبارد والصغير والكبير واما وجودها فى الاين فهو مما يحتاج الى تبيينه وهو يظهر من هذه الجهة لما كانت الاضداد فى المكان هى التى هى فى غاية البعد وكان ابعد البعد بين الضدين فى المكان انما يوجد للخط المستقيم من جهة ما هو خط مستقيم ومعنى ذلك انه لا يوجد خط مستقيم اطول من ذلك الذى به تباعد الضدان فاما الخطوط المنحنية والمقوسة فليس يوجد فيها ابعد بعد لانه ليس يوجد

اصناف هذه الاضداد ثلاثة

فيها

فيها اطول خطا لانا متى فرضنا خطا منحنيا بين نقطتين امكن ان ناخذ اعظم منه بين تلك النقطتين وذلك الى غير نهاية ولذلك ما قيل فى الخط المستقيم انه اقصر خط وصل به بين نقطتين واذا كان هذا هكذا لزم ان تكون الاضداد فى المكان طرفى البعد المستقيم الذى لا يوجد بعد مستقيم اعظم منه وهما الفوق باطلاق والاسفل باطلاق فقد تبين من هذا القول فى اى جنس من اجناس المقولات توجد الحركة وفى ايها لا وكم انواعها ولان العادة ها هنا قد جرت ان نفحص هل للحركة حركة وبالجملة للتغير تغير •

الاضداد فى المكان طرفى البعد المستقيم

فقد ينبغى ان ننظر فى ذلك فنقول انه انما يمكن ان يتصور ان للحركة حركة على احد وجهين اما ان تكون الحركة موضوعة للحركة وهذا محال لان التغير ليس بموضوع للتغير ولا هو شئ لابث مشار اليه وايضا فلو جاز ذلك لامكن فى الحركة ان تسكن وهى حركة •

وبالجملة فكان يكون الموضوع للسكون متحركا والوجه الثانى ان يكون للتغير المتناهى الى سكون وفى متغير واحد تغير وللحركة حركة وذلك الى غير نهاية وهذا الصنف ان كان ممكنا فلا يخلو اما ان يكون امكانه بالذات او بالعرض لكن ان انزلناه بالذات لزم ان يوجد لاى تغير فرضناه تغير آخر قبله ولذلك التغير تغير آخر وذلك الى غير نهاية فى متغير واحد بعينه واذا

لم يوجد الاول فى ذلك المتغير لم يوجد الاخير الذى اليه منتهى الحركة فلذلك يلزم الا يوجد ما وضع موجودا •

وبالجملة فمحال ان يخرج شىء الى الفعل اذ كان يتقوم باشياء لا نهاية لها واما وجود ذلك بالعرض فى اشياء كثيرة والى غير نهاية فليس هو ممكنا فقط بل لعله ضرورى على ما سنبين بعد •

وقد يمكن ان يتشكك فى هذا بان يقال انه يلزم ان يكون للحركة الواحدة حركة اخرى قبلها بالذات من قبل ان الحركة كمال ما بالقوة كما اخذ فى حدها والكمال يلزم ان تتقدمه حركة لانه خروج ما بالقوة الى الفعل فاذا لكل حركة حركة اخرى قبلها وذلك بالذات لكن ان انزلنا هذا لزم المحال المتقدم فنقول ان الكمالات كما قيل صنفان احدهما كمال هو غاية الحركة وتمامها والمأخوذ فى حدها وهذا الكمال لما كان بالفعل ومنقسما كان الوجود له من جهة ما هو منقسم بحركة والثانى كمال هو غير موجود بالفعل وهو كمال الحركة وهذا الكمال ليس يلزم ان يكون خروجه الى الفعل بحركة إذ كان غير موجود بالفعل فان كان كمال الحركة الخارج الى الفعل كأنك قلت اول جزء من الحركة نسبته الى الحركة التى قبله نسبة الكمال الاخير الذى للحركة الى الحركة لزم ان تكون حركة للحركة بالذات لانه يكون كمالا موجودا بالفعل وان لم يكن كمال الحركة الخارج الى الفعل من القوة نسبته

ان الكمالات كما قيل صنفان

الى

الى الحركة التى قبله نسبة الكمال الآخر للحركة الى الحركة كما هو الظاهر من امره لانه ليس للحركة مبدأ كما يتبين بعد ولا الحركة كمال موجود بالفعل فتبين ان وجود الحركة قبلها حركة اخرى بالعرض ومن جهة ماهى حادثة فنعم ما قيل فى القول المتقدم انه ليس يلزم ان توجد للحركة حركة بالذات بل بالعرض وثانيا وسنبين فيما بعد الجهة التى يصح بها وجود الاضطرار والدوام فيما بالعرض وان ذلك له من قبل ما بالذات .

واذ قد تبين من هذا القول ماهى الحركة وكم انواعها فبين (١) ايضا ما هو السكون فانه انما يقال ساكن على الحقيقة فيما شأنه ان يتحرك فى الوقت الذى شأنه ان يتحرك وعلى الجهة التى شأنه ان يتحرك واما سائر ما يقال عليه ساكن فبالعرض كما يقال فى الصوت انه غير مرئى وفى الجواهر المفارقة انها غير متحركة او بنوع من الاستعارة كما يقال للعسير الحركة انه غير متحرك .

وبعد هذا فينبغى ان نقول فى سائر ما يلحق الاجسام المتحركة حركة استقامة من المع والتماس والتشافع والتتالى والاتصال فنقول ان معا يقال على انحاء كثيرة قد عددت فى كتاب المقولات الا ان اولاها بالتقدم وهو المقصود هاهنا ما قيل فيهما انهما معا فى المكان الاول لهما الذى هو نهاية الجسم المحيط بهما من غير ان يدخل بينهما شىء من الجسم المحيط ويلحق ما وجودهما مثل هذا الوجود ان

---

(١) د ــ فتبين .

التماس يكون نهايتا هما معا ومنطبقتين وما هما بهذه الحال فهما متماسان وفرادى يقال مقابل معا •

التالى واما التالى فيقال على الاشياء التى ليس بينها شىء من جنسها سواء كانت فرادى اوكانت متماسة ويتلوا بدا انما يقال فيما بعد المبدأ وذلك اما فى الوضع كالحال فى البيوت التى يتلو بعضها بعضا اوفى الطبع كالحال فى الوحدة والاثنين اوفى المرتبة كصدر القول والاقتصاص •

التشافع واما التشافع فهو مع انه يتلو فهو مماس ويلاقى فان بعض الاشياء الشافعة لا يقال ذلك فيها كالحال فى المتصل الذى لا وضع له مثل الزمان الماضى والمستقبل •

المتصلة واما المتصلة فهى التى مع انها تماس قد اتحدت نهايتاها كالحال فى الغروس(١) المركبة •

المتحدة واما المتحدة فهى التى لم يبق لها نهاية اصلا وكأنه الغاية من هذه كلها وانت تتبين ذلك فيما تعالجه المهن الصناعية مثل السكنجبين الذى اجزاؤه الخل والعسل والماء فانه يعرض لهذه الاجزاء اولا ان تماس ثم تتصل ثم تتحد وتختلط فقد تبين من هذا القول ما معنى يتلو وانه كالجنس لما يشفع ويماس وذلك ان كل ما يشفع ويماس فهو يتلو وليس كل ما يتلو يماس كالحال فى العدد وكذلك يظهر ايضا ان التماس كالجنس للمتصل والمتصل كالجنس للمتحد •

---

(١) كذا

واذ قد تبين هذا فقد ينبغى ان تقول على كم وجه يقال الحركة الواحدة والواحد يقال على انحاء قد عددت فيما بعد الطبيعة الا ان الذى يطلب هاهنا هو الواحد فى الحركة وهو يقال فيها على وجوه احدها هو الواحد بالجنس والثانى الواحد بالنوع والثالث الواحد بالعدد فلنقل متى يكون ذلك فيها •

الحركة انما تتم بثلاثة اشياء

والحركة كما قيل انما تتم بثلاثة اشياء، احدها المتحرك والثانى ما اليه يتحرك وفيه يتحرك كأنك قلت مكان او بياض والثالث الزمان الذى تقع فيه الحركة فالحركة اذا انما تكون واحدة بالجنس اذا كان ما اليه الحركة واحدا بالجنس سواء كان الموضوع للحركة واحدا بالجنس او لم يكن وتكون الحركة واحدة بالنوع اذا كان ما اليه الحركة واحدا بالنوع، واما الحركة الواحدة بالعدد فمع انه ينبغى ان يكون ما اليه الحركة واحدا بالعدد يجب ان يكون الموضوع لها واحدا بالعدد وذلك من امرها بين، فانه لا يمكن ان يكون ما اليه الحركة واحدا بالعدد حتى يكون الموضوع واحدا بالعدد وليس يكفى اشتراط هذين فيها بل يجب مع ذلك ان يكون الزمان الذى فيه الحركة واحدا بالعدد فان مسير زيد اليوم ومسيره غدا ليس بواحد والا كان الفاسد والكائن واحدا بالعدد •

وبالجملة فمتى اشترطنا فى الحركة ان يكون ما اليه واحدا بالعدد لزم ان يكون الزمان واحدا بالعدد والموضوع للحركة والحال

فى الحركة كالحال فى الاعراض فكما ان الواحد بالعدد فى العرض انما يكون واحدا اذا كان موضوعه واحدا بالعدد وزمان وجوده واحد بالعدد كذلك الواحد فى الحركة وكما انه ليس يكفى فى العرض الواحد بالعدد ان يكون الزمان متصلا فقط دون ان يكون العرض واحدا ومشارا اليه كأنك قلت صحة زيد امس هى بعينها صحته(١) اليوم كذلك ليس يكفى فى الحركة الواحدة بالعدد ان يكون الزمان متصلا دون ان تكون الحركة متصلة فان الحركات المشافعة كثيرة بالعدد وان كانت واحدة بالنوع كالفرس يجرى والمصباح ينتقل من يد الى يد .

ولقائل ان يقول كما انه ليس تكون الحركات المتشافعة واحدة بالعدد وان كانت من نوع واحد لان الكائن منه غير الفاسد كذلك يشبه ان يكون الامر فى الحركة المتصلة فانه ليس يكون منها جزء الا ويفسد آخر واذا كان هذا هكذا فليس هاهنا حركة واحدة لكن الامر وان كان كذلك فالفرق بينهما بين وذلك ان الكائن منها (٢) غير متميز بالفعل من الفاسد بخلاف ما عليه الامر فى الحركات المتشافعة ويشبه ان لا يكون للواحد بالعدد وجود فى الحركة مما هو واحد حركة الا على هذا الوجه وقد يلحق الحركة الواحدة ايضا شك ما آخر وهو كيف يكون الموضوع لها واحدا والامور المحسوسة كلها سيالة ومتغيرة وهذا الشك بعينه يلحق

الامور المحسوسة كلها سيالة ومتغيرة

---

(١) د ــ هى صحة (٢) د ــ ههنا .

فى

فى الواحد بالعرض لكن القول فى امثال هذه الاشياء الأليق به غير هذا الموضع •

واذ قد تبين ان الحركة الواحدة بالعدد هى التى الموضوع لها واحد بالعدد وما اليه الحركة والزمان الذى فيه الحركة فبين ان احرى ما كان من ذلك واحدا الحركة التى اجتمعت فيها الى هذه الشروط ان تكون مستوية وهى التى تكون على مقدار مستو وعلى نحو واحد من السرعة والابطاء لان الاختلاف تغاير ما والتغاير كثرة ما واحرى ما ينمى من هذه واحدة ما كانت تامة وهى المتناهية من نفسها التى ليس يمكن فيها الزيادة والنقصان كالحركة المستديرة واما الحركة على الخط المستقيم فانما صارت متناهية بغيرها ويمكن فيها بما هى على خط مستقيم الزيادة والنقصان وانما وجد لها التمام من غيرها •

الحركات المتضادة

واذ قد تبين هذا فالذى بقى علينا من مطالب هذه المقالة هو ان نقول اى الحركات هى المتضادة واى حركة تضاد اى سكون فلنبدأ من القول فى الحركات المتضادة فنقول ان الحركة كما تقدم انما تكون من ضد الى ضد ومن هذه فى الاضداد التى لها متوسطات فان وضعنا ان حركة تضاد حركة فلا يخلو أن يكون تضادها اما بما اليه واما بما منه واما بالامرين جميعا ــ ومثال ذلك ان الحركة من السواد الى البياض مضادة للحركة من البياض الى السواد فبأى

جهة ليت شعرى تتضاد امثال هذه الحركات أبما احداهن من السواد والأخرى من البياض أم بما احداهما الى البياض والأخرى الى السواد ام بالأمرين جميعا؟ وهو ظاهر انما تتضاد بما اليه لأن به تحد الحركة وهو كمالها وغايتها واما ما منه الحركة فقد يظن انها لا تتضاد به من قبل انه قد يظن انما منه الحركة شيء عارض لها وليس الامر كذلك فانه قد قيل فى حد هذه الحركة انها من موجود الى موجود بخلاف الامر فى الكون والفساد فان التضاد فى هذين انما هو بما اليه فقط واذا كان هذا هكذا فالتضاد فى الحركات انما هو بما منه وبما اليه •

واذ قد تبين ما الحركات المتضادة وبماذا تتضاد فلنقل اى حركة تضاد اى سكون، وهو بين ان الحركة باطلاق تضاد السكون باطلاق وانما المطلوب اى حركة تضاد اى سكون على التخصيص فانه قد يظهر أن للحركة الواحدة سكونين احدهما فيما منه والثانى فيما اليه فلذلك يطلب اى هذين السكونين هو ضد للحركة الواحدة وهو بين عند التأمل ان الحركة من (ب) الى (أ) يضادها السكون من (ب) والسبب فى ذلك ان السكون فى (أ) هو تمام الحركة وكمالها وليس كذلك السكون فى (ب) فلذلك متى كان السكون مثلا فى (ب) طبيعيا لموجود كانت الحركة من (ب) لذلك الموجود خارجة عن الطبع •

و مثال

ومثال ذلك ان نضع (ب) اسفلا وفوقا فالارض اذا كان لها السكون فى (ب) طبيعيا كانت الحركة لها من (ب) خارجة عن الطبع ضرورة وبالعكس متى كان التحرك من (ب) لموجود آخر طبيعيا كالنار مثلا كان له السكون فى (ب) خارجا عن الطبع فقد تبين ان الحركة من (ب) انما تضاد السكون فى (ب) من جهة ان احدهما اذا كان لموجود ما طبيعيا كان الآخر خارجا عن الطبع وايضا فان السكون فى (ب) يضاد الحركة من (ب) من جهة ان السكون فى (ب) كمال للحركة المضادة للحركة التى من (ب) فاذا كان هذا هكذا وامكن فى الحركة الواحدة بالنوع ان تكون لشىء طبيعية ولشىء آخر خارجة عن الطبع فقد يوجد التضاد فى الحركة الواحدة وفى النوع •

ومثال ذلك ان الحركة الى فوق طبيعية للنار وغير طبيعية للارض والطبيعية مضادة للقسرية — فاذا الحركة الى فوق ضد للحركة الى فوق الا ان الشىء لايضاد نفسه وانما وجدلها التضاد من جهة الموضوع وقد يظن انه توحد الحركة الواحدة بالنوع تضاد الحركة الواحدة بالنوع فى متحرك واحد مثل الاستحالة الطبيعية لشىء واحد بعينه والعرضية له لكن التضاد الذى فيه وان كان شيئا واحدا فهو من جهتين احداهما من جهة ما هى طبيعية والأخرى من جهة ما هى له عرضية وهذه مثل الاستحالة (١) التى توجد فى

الاستحالة الطبيعية

(١) صف — الاستحالات .

البحارين المحمودة والمذمومة ومثل النمو الذى يكون عن الطبع والذى يكون طبيعيا ولذلك لايمتنع على هذا النحو ان يضاد سكون سكونا لكن لا من جهة ماهو سكون بل من جهة ماعرض ان يوجد احدهما لشئ طبيعى ولشئ آخر غير طبيعى •

ومثال ذلك السكون اسفل فانه طبيعى للارض وغير طبيعى للنار فقد تبين من هذا القول اى حركة تضاد اى حركة واى سكون يضاد اى سكون (١) وكيف يوجد التضاد فى الحركة الواحدة فى النوع وفى السكون الواحد وهاهنا انقضى القول فى هذه المقالة والحمد لله وحده •

المقالة السادسة

لما كان قد ظهر فى حد الحركة المتصل وكذلك فى الزمان وكان قد وعد بالتكلم فيه شرع فى اول هذه المقالة بالنظر فى ذلك والمتصل بما هو متصل هو احد ما يشترك بالنظر فيه صاحب هذا العلم وصاحب علم التعاليم لكن بجهتين مختلفتين على ما من شانهما ان ينظرا فى الشئ الواحد وذلك ان التعاليمى ينظر فيه من جهة ما هو منتزع من المادة والطبيعى ينظر فيه من جهة ما هو نهاية جسم متحرك •

وبالجملة من حيث يعرض له ان يكون فى مادة ولذلك لاسبيل لصاحب علم التعاليم ان يبين ان المتصل غير مؤلف مما لاينقسم يتسلم ذلك من صاحب هذا العلم ولنبدأ من حيث بدأ •

(١) ن — حركة

فنقول ان كان المتصل يأتلف من اشياء متصلة وكانت الاشياء المتصلة هى التى يعرض لها عندما تتماس ان تكون نهاياتها واحدة على ما تقدم فليس يأتلف المتصل مما لا ينقسم حتى يكون الجسم مؤلفا من سطوح والسطح من خطوط والخط من نقط فاما بيان وجود ما اشترط فى هذا المقدم وهو أن المتصل يأتلف من اشياء يتصل بعضها ببعض فهو مما يظهر بنفسه عند التأمل •

وقد يمكن ان نبينه على جهة الاستظهار وذلك ان المتصل ان ائتلف من اشياء غير متصلة ولا متلاقية فقد يلزم ضرورة ان يأتلف من اشياء متتالية كما يأتلف العدد فيكون الكم المنفصل متصلا وايضا متى وضعنا ذلك فان النقط المتتالية لا يخلو أن يكون بينها بعد او لا يكون هنالك بعد فان لم يكن بينها بعد اصلا فهى متلاقية ومتصلة وان كان بينها بعد فقد يمكن ان نفرض بين كل نقطتين من النقط المتتالية اكثر من نقطة واحدة فتكون النقطتان اللتان فرضنا متتاليتين يوجد بينهما شىء آخر من جنسهما وذلك نقيض ما وضع فى حد المتتاليين •

النقط المتتالية

واذ قد تبين هذا وصح ان المتصل يأتلف من اشياء متصلة وكانت المتصلة كما ظهر من حدها فيما سلف واشترطناه نحن فى المقدم هى التى اواخرها واحدة فقد بقى علينا من تصحيح هذا القياس الشرطى لزوم التالى فيه المقدم وقد تظهر هكذا الاشياء التى يأتلف

منها المتصل هى التى لها اواخر واطراف اذا اتحدت قيل بها فى العظم المؤلف انه متصل والاشياء التى لا تنقسم ليس لها اواخر واطراف يقال بها فى العظم اذا اتحدت انه متصل فالمتصل بما هو متصل ليس يأتلف من اشياء غير منقسمة فاما ان الاشياء التى لا تنقسم ليس لها اطراف فهو بين فان الطرف والاخير غير ماهو له طرف وبالاضطرار ان تكون للاطراف اوساط ٠

وقد يمكن ان نبين هذا المعنى بوجه اعم وذلك انا متى انزلنا ان المتصل مؤلف مما لا ينقسم من جهة التلاقى لزم ان يكون ذلك انطباقا فان ملاقاة ما لا ينقسم لما لا ينقسم من جهة ما لا ينقسم هو انطباق والمنطبقان بما هما منطبقان ومن الجهة التى هما بها منطبقان ليس يحدث عنهما منقسم اصلا فلذلك ليس يحدث منهما عظم اصلا ولا هو مركب منهما وايضا فان هذه التى لا تنقسم يلزم ضرورة من حيث هى اشياء طبيعية ان تكون قبل الاتصال مفارقة بالمكان وان تكون متحركة وهذا ممتنع على ما لا ينقسم على ما سنبين بعد وايضا فتى وضعنا هذا لزم بطلان كثير من الاوائل التى يستعملها المهندس وهى ان كل خط يمكن ان يقسم بنصفين وان القطر يقسم الدائرة بنصفين وذلك انه اذا ما كان يصح فى الخط ولا فى الدائرة التى تركب من نقط عددها فرد ـ فقد تبين من هذا ان المتصل بما هو متصل هو منقسم ضرورة واذا وضع هذا ان القولان

لزم عنهما ان يكون المتصل بما هو متصل هو منقسم الى ما ينقسم دائما لكن هذه القسمة انما لحقت المتصل من جهة ماهو متصل ومن نفس طبيعته لا بما هو فى جسم محسوس وموجود بالفعل والجسم المحسوس المتكون انما عرض له مثل هذه القسمة لا بما هو متكون وهيولانى بل من جهة ما الاتصال موجود له ولذلك ليس هاهنا اجزاء اولى(١) وبالذات من جهة الكمية اليها ينحل الجسم الطبيعى او عنها يتركب ولما جهل قوم هذا واخذ واما بالعرض مكان ما بالذات وذلك لقلة حنكتهم بالمنطق قالوا بالجزء الذى لا يتجزى وسيأتى بيان هذا اكثر فى الكون والفساد وهذا الذى قلناه يظهر فى المتصل ذى الوضع كما يظهر فى المتصل غير ذى الوضع وهو الزمان والحركة وان كان لا يتصور فى اجزاء هذه ان تتماس قبل ان تتصل لكن يلزم ضرورة ان تكون الاشياء التى تأتلف منها لها اواخر واطراف اذا اتحدت قيل بها فى الحركة والزمان انه متصل وقد يمكن ان يبين ذلك فى كل واحد منهما بنوع يخصه وكذلك يمكن ان يبين ان العظم غير مؤلف من غير منقسم من قبل ان الحركة هى بهذه الصفة وقبل ذلك فلنبين انه ان كان العظم مؤلفا من غير منقسم فان الحركة عليه تكون مؤلفة من حركات غير منقسمة والمتحرك عليها ايضا يكون غير منقسم وكذلك الزمان الذى فيه الحركة •

مثال ذلك ان نضع عظما مؤلفا من ثلاثة اجزاء غير منقسمة

---

(١) صف اول .

وهى (ا ج ج) (ب) (١) ونضع المتحرك عليها ايضا غير منقسم وهو (م) والحركة ايضا حركة (ج ط) فاقول ان حركة (ج ط) تلزم ضرورة ان تكون مؤلفة من حركات غير منقسمة لان حركة (ج ط) تنقسم بانقسام عظم (اب) وعلى عدد اجزائه ولان كل واحد من اجزاء عظم (اب) غير منقسم فالحركة التى عليه أيضا غير منقسمة لان الحركة لا تفضل على العظم الذى عليه الحركة ولا اجزاؤها على اجزائه بل هى منطبقة عليه ومساوقة له وهذا بين بنفسه عند التأمل وكذلك يشبه ان يكون الامر فى الزمان واما المتحرك فظاهر ايضا فيه انه يلزم ان يكون غير منقسم اذا كان متحركا على اعظام غير منقسمة لان المتحرك يساوق الذى يتحرك عليه وليس يمكن فيه ان يكون اعظم مما يتحرك عليه .

وبالجملة اى واحد من هذه فرضناه مؤلفا مما لا ينقسم لزم ذلك فى الغير وكذلك اى واحد من هذه وضعناه منقسما الى ما ينقسم دائما لزم ذلك فى الغير الا ان بعض هذا اللزوم فيها بين من اول الامر مثل ما تقدم وبعضها يحتاج الى بيان مثل ان العظم ان كان منقسما لزم ضرورة ان يكون المتحرك منقسما ومثل انا ان وضعنا المتحرك غير منقسم لزم فى العظم والحركة ان يكونا مؤلفين من غير منقسم الا ان القياسات التى تبين بهذه الاشياء قياسات بسيطة غير مركبة والنتائج عنها نتائج اول تكاد ان تكون كالظاهرة بانفسها وسنبين

(١) كذا .

هـذا فيما بعد فلنرجع الى حيث كنـا فنقول ان امكن فى الحركة ان تـكون مؤلفة مما لا ينقسم فلتكن مثلا حركة (ا ب ت ث) على عظم (ج ح خ د) ولتكن اجزاء (ا ب ت ث) غير منقسمة واذا وضع هذا هكذا لزم ان يكون كل واحد من اجزاء عظم (ج ح خ د) الذى عليه الحركة غير منقسم وكذلك يلزم ايضا فى المتحرك على كل واحد من اجزاء ذلك العظم لـكن المتحرك ليس يمكن فيه ان يكون معا يتحرك وقد تحرك فان الماشى الى بلد من البلدان ليس يمكن فيه ان يكون معا يتحرك وقد تحرك والا كان ساكنا ومتحركا معا ومتى انزلنا العظم مؤلفا مما لا ينقسم لزم ضرورة ان يكون المتحرك يتحرك وقد تحرك معا او تـكون الحركـة مؤلفة من سكون •

مثال ذلك لنفرض المتحرك (م) على كل واحد من اجزاء (ج ح خ د) التى هى غير منقسمة (فم) ضرورة اذا كان غير منقسم ما ان يكون على كل واحد من اجزاء (ج ح خ د) وقد تحرك ويتحرك معا لانها غير منقسمة او يكون ساكنا على كل واحد منها الا انه قد تحرك واما انه لم يتحرك بعد فتكون الحركة مؤلفة من سكون وهذا كله خلف لا يمكن فبا ضطرار ان تـكون الحركة مؤلفة من حركات منقسمة وعلى اعظام منقسمة وان تـكون الحركة تنقسم الى ما ينقسم دائما وايضا فلما كانت الحركة التى من (أ) مثلا الى

(ب) ذات اطراف و وسط بما هى حركة ومن شىء الى شىء لزم ضرورة ان تكون اجزاء الحركة بما هى حركة (١) ذوات اطراف ووسط ومن شىء والى شىء والا كانت اجزاء الحركة غير حركة وذلك خلاف ما يعقل •

وقد يمكن ان يبين ايضا هذا المعنى بعينه فى الزمان والعظم فنقول ان الزمان يلزم فيه ضرورة ايضا ان لا يأتلف من غير منقسم وذلك انا متى انزلنا زمانا غير منقسم يتحرك فيه متحرك مسافة ما لم يمكن ان نفرض متحركا آخر (٢) على تلك المسافة اسرع من الاول وذلك انه يلزم متى فرضناه ان يقطع تلك المسافة بعينها فى زمان اقل من الزمان الذى وضعناه غير منقسم ومن هنا يظهر انه لا يمكن ان يتحرك متحرك على عظم غير منقسم لا نامتى انزلناه متحركا عليه لزم ضرورة ان يقطعه فى زمان ما فاذا انزلنا متحركا آخر ابطأ منه فهو ضرورة يتحرك فى ذلك الزمان بعينه اقل من تلك المسافة التى وضعناها غير منقسمة حتى يوجد الامر على ما يقوله ارسطو انه يلزم فى المتحرك الاسرع على عظم ما بعينه ان ينقسم الزمان ابدا وفى الابطأ فى ذلك الزمان بعينه ان ينقسم العظم ابدا لكن لمتشكك ان يتشكك على هذا القول ويقول انما كان يلزم هذا لو كان الاسرع والابطأ يمران الى غير نهاية فى الوجود وليس الامر كذلك فان الاسرع والابطأ متناهيان فى الوجود واذا كان هذا هكذا لم يمكن ان نأخذ لكل متحرك متحركا اسرع منه

فيكون

(١) صف – حركات (٢) د – اوعلى

فيكون ما اخذناه من البيان قبل على انه ممكن ممتنع فاما ان الاسرع والابطأ ليس يمران فى الوجود الى غير نهاية فذلك بين من انواع المتحركات ليس تمر الى غير نهاية ولنترل مثلا ان اسرع حركة هاهنا هى الحركة اليومية واذا انزلنا هذا هكذا وكان هاهنا (١) ايضا زمان غير منقسم يمكن فيه الحركة فلقائل ان يقول انه يمكن ان يتحرك الجسم السماوى فى هذا الزمان غير المنقسم وكذلك ان انزلناه متحركا لا ابطأ منه امكن ان يتحرك على عظم غير منقسم فهذه الاشياء يمكن ان توضع هكذا ويتشكك بها على هذا البيان لكن ينحل هذا بان الاسرع والابطأ لم ينتهيا من جهة ما هما متحركان بل من جهة ما عرض لهما امر ما كأنك قلت من جهة ما لم يوجد له متحرك اقوى من محرك الاسرع والا لو كان ذلك من جهة ما هو متحرك لكان هاهنا ضرورة عظم غير منقسم عليه يتحرك الابطأ و زمان غير منقسم فيه يتحرك الاسرع وذلك نقيض ما تبين واذا كان هذا هكذا فاذا وضع فى القول المتقدم انه ممكن يلزم منه المحال هو ممكن بالذات ممتنع بالعرض وانما وضع من جهة ما هو ممكن لا من جهة ما هو ممتنع وعلى هذه الجهة اخذناه مع المقدمة المشكوك فيها فى قياس الخلف فيلزم عنه المحال والممكن اذا وضع موجودا لم يلزم عنه محال ٠

ومثل هذا البيان كثير ما يستعمل وسيأتى مواضعه فى هذا العلم وايضا متى انزلنا الزمان والعظم مؤلفا مما لا ينقسم لم يمكن ان

---

(١) صفب — منها

ينقسم الاسرع الزمان الذى فيه يتحرك الابطأ مسافة ما بعينها بنصفين اذا فرضنا ذلك الزمان مؤلفا من ازمنة غير منقسمة عددها فرد ومن البين ان كل متحرك بطىء يمكن ان يوجد له متحرك اسرع منه بالضعف فقد تبين من هذا القول ان المتصل بما هو متصل منقسم الى ما ينقسم دائما وانه ليس مؤلفا مما لا ينقسم فاما الآن فانه يقال على وجهين احدهما بالتقديم واولا وهو الغير منقسم اذ كان نهاية للماضى ومبدأ للمستقبل والثانى يقال بتأخير وتشبيه وهو زمان مؤلف من الماضى والمستقبل وسطه الآن الذى بالحقيقة وهو الذى يعرفه الجمهور بالزمان الحاضر فاما ان هذا الزمان الحاضر هو بالاصطلاح والوضع لا بالطبع فظاهر من ان الزمان ليس يوجد منه شئ بالفعل ولا هو ذو وضع فاما ان الآن الذى هو بالتقديم واحد اعنى نهاية الماضى غير المنقسمة هى بعينها مبدأ المستقبل غير المنقسم وهذا هو المطلوب هاهنا لان كون النهاية والمبدأ غير منقسم امر ظاهر بنفسه فاما المطلوب هل هما واحد بعينه ام اثنان فذلك بين مما تقدم من قبل انه ان كان اثنين فليس يمكن ان يكون احدهما مماسا للآخر والا كان المتصل مؤلفا من اشياء غير متجزئة واذا لم يكن احدهما مماسا للآخر فلم يبق الا ان يكون بين كل آنين (١) زمان وكل زمان منقسم فيكون الآن على هذا منقسما على جهة ما ينقسم الزمان ويكون بعضه ماضيا وبعضه مستقبلا ٠

وبالجملة

---

(١) صف ــ اثنين

وبالجملة فيكون مؤلفا من زمانين وقد كنا فرضناه نهاية للزمان الماضى ومبدأ للمستقبل والنهاية والمبدأ غير متواطية (١) بالاسم لذى النهاية فانه ليس نهاية الخط خط بل نقطة وكذلك نهاية الزمان ليست بزمان وايضا فرضنا (٢) اياه مبدأ للمستقبل ونهاية للماضى متى انزلناه منقسما لزم ان يكون شئ من الماضى مستقبلا وشئ من المستقبل ماضيا واذا ظهر ان هذا هكذا فقد بان ان الآن واحد وانه غير منقسم وان نهاية الماضى غير المنقسمة هى بعينها مبدأ للمستقبل وان غير المنقسم بما هو غير منقسم ليس يمكن فيه حركة كما تبين من قبل ولا سكون ايضا فان السكون انما هو عدم الحركة فيما شأنه ان يتحرك وعلى الجهة التى شانه ان يتحرك بها فان كان المتحرك ليس يتحرك فى الآن فالساكن ليس يسكن فى الآن وها هنا بان ان كل متحرك وساكن فهو فى زمان اذ كان ليس يمكن فى الآن حركة .

ومما قيل يظهر ان العظم والحركة والزمان متساوقة وانه ليس يمكن ان يقطع متحرك عظما غير متناه فى زمان متناه ولا يمكن ايضا ان يقطع متحرك عظما متناهيا فى زمان غير متناه الا ان يكون ذلك العظم مستديرا فان هذا لم يتبين بعد امتناعه بل لعله ضرورى وبيان هذا انه ان امكن ان يقطع متحرك ما عظما متناهيا فى زمان غير متناه فسيقطع ضرورة جزأ منه فى جزء متناه من ذلك وفى ذلك

(١) د ــ مواطية (٢) صف ــ ففرضنا.

الزمان والا لزم ان يقطع المتحرك الجزء والكل فى زمان واحد واذ قد فرضنا هذا هكذا فمن البين انه ان قدر ذلك الجزء من العظم العظم باسره ان ذلك الجزء من الزمان الذى فيه قطع المتحرك ذلك الجزء من العظم يقدر ايضا ذلك الزمان وان لم يقدره ايضا ذلك الجزء وفضل عنه العظم باى مقدار اتفق فانه سيتفق مثل ذلك فى ذلك الجزء من الزمان وما يقدره المتناهى او يفضل عليه بجزء متناه فهو متناه •

وبالجملة فانه يلزم ان يكون نسبة ذلك الجزء من العظم باسره هى بعينها نسبة ذلك الجزء من الزمان الذى قطع فيه الجزء من العظم الى الزمان باسره الذى قطع فيه العظم كله وليس لما لا يتناهى الى ما يتناهى نسبة •

وبهذا البيان بعينه تبين انه لا يمكن ان يقطع متحرك عظما غير متناه فى زمان متناه واما امر مساوقة الحركة للعظم وللزمان فظاهر جدا وبمثل هذا البيان يظهر ذلك فى الحركة غير المستوية فانه يلزم ان ينقسم الزمان بعدد انقسام العظم الا انه فى الحركة المستوية ينقسم باجزاء مستوية وفى غير المستوية باجزاء غير متساوية الا انها على عدة اجزاء الزمان وما تركب عن عدة متناهية فهو متناه •

ونقول ان كل متغير فى الاين والكيف فهو منقسم وذلك انه لما كان كل متغير فانما يكون من شئ الى شئ والمتغير لا يخلو ان

يكون فيما منه يتغير او فيما اليه يتغير او لا يكون فى واحد منهما او يكون بعضه فيما منه وبعضه فيما اليه يتغير او لا فيكون ضرورة منقسما ومحال ان يكون المتغير بالفعل فيما منه لانه اذا كان المتغير فيما منه فهو لم يتغير بعد ولا اذا كان فيما اليه لانه يكون حينئذ قد تغير ومحال ايضا ان يكون ولا فى واحد منهما فلم يبق الا ان يكون بعضه فيما منه يتغير وبعضه فيما اليه يتغير او لا لانه ليس يلزم ان يكون المتحرك ولا بد بعضه فيما منه يتغير وبعضه فيما اليه يتغير آخرا فهو اذا منقسم وانما اشترطنا ان يكون بعضه فيما منه يتغير وبعضه فيما اليه يتغير آخرا

مثال ذلك انه ليس يلزم فى الابيض عند ما يتحرك ان يكون بعضه فى البياض وبعضه فى السواد بل انما يلزم ان يكون بعضه ابيض وبعضه فى المتوسط الذى اليه ينتقل او لا من الابيض كانك قلت الاغبر وذلك فى حين ما يتغير والمتغير ها هنا مساو للمتحرك اذا قيل المتحرك بعموم على ما اخذ فى الثالثة من هذا الكتاب والمتحرك يقال فيه انه منقسم على وجهين احدهما كما يقال فى المتصل انه ينقسم اذا انقسم بالنهايات المأخوذة مما فيه فصار كثيرا بعد ان كان واحدا والثانى كما يقال فى الجسم انه منقسم اذا كان ذا عرضين متقابلين فى جزئين منه مثل ان يكون بعضه حارا وبعضه باردا وبعضه فوق وبعضه اسفل وهذا الانقسام ليس يقابله الاتصال بل احرى ان يقابله التشابه وهذا المعنى الآخر من معانى ما يقال عليه منقسم هو الذى

قصده هاهنا بيانه للمتحرك فى حين ما يتحرك ليكون مبدأ برهان للنوع الاول اعنى الانقسام بالنهايات وذلك ظاهر فى المتحرك فى المكان فانه انما هو فى مكان ما بابعاده وانما قبل التحرك من حيث هو ذو اجزاء صار بها ذا وضع وكذلك الامر فى المتكون والفاسد فانهما ذو عظم وليس يتكون المتكون اويفسد الفاسد دفعة فى غير زمان بل يذهب منهما جزؤ ويحصل جزؤ وكذلك النامى والذابل فاما حركة الاستحالة فلشاك ان يشك فيه(١) ويقول هبك ذلك كان فى هذه الاصناف من التغاير لان ذلك لاحق لها من حيث هى ذات اجزاء واما المتحرك مثلا من الحرارة الى البرودة فليس انما هو متحرك بهذه الحركة من حيث هو ذو اجزاء و وضع الا بالعرض فكيف يقال فيه بان بعضه فيما منه و بعضه فيما اليه ولكن هذا الشك ينحل من ان المحيل يلزم ضرورة ان يكون من المستحيل ذا وضع واذا كان هذا هكذا فظاهر ان الجزء الذى يلى المحيل هو الذى يتقدم فى الاستحالة ثم الذى يليه ثم الذى يليه الى آخر الاستحالة فقد تبين من هذا القول ان المتغير بالتقديم والتحقيق وهو المتغير الموجود فى الجوهر والكم والكيف والاين منقسم بما منه و ما اليه فى حين تغيره واذا كان ذلك كذلك فكل متغير منقسم باطلاق •

وقد وقع للقدماء شكوك على ارسطو فى هذا الموضع لانهم كانوا يأخذون المتغير بعموم على جميع اجناس التغير كان حركة او تابعا

(١) صف — فى ذلك .

او تابعا للحركة وكانوا يأخذون المنقسم على انه المنقسم بالنهايات وكانوا اذا اخذوا المتغير على العموم لم يصدق لهم ان كل متغير فبعضه فيما منه وفيما اليه اذ كان ليس يوجد هذا فى التغير الذى يكون دفعة كما يوجد ذلك فى التغير الذى يكون فى زمان وكانوا ايضا اذا اخذوا المتغير هاهنا على المتغير بالتقديم على ما كان يظنه ثامسطيوس لم يبن من ذلك انه منقسم ذلك الضرب من الانقسام الذى بالنهايات من اجل ان بعضه فيما منه وما اليه اذ كان ذلك الانقسام يوجد للجسم من حيث هو متصل سواء كان تغيره منقسما او غير منقسم •

وبالجملة فيكون ما اخذه (١) هاهنا كأنه سبب للانقسام ليس بسبب الا بالعرض واما ابو بكر بن الصائغ فانه جاوب عن الشك بان قال الانقسام الذى قصد ارسطو انتاجه للمتحرك هو الانقسام بالاعراض المتقابلة واذا كان ذلك كذلك كان السبب فيه سببا خاصا وذاتيا وهو كون المتحرك بعضه فيما منه وبعضه فيما اليه •

ولقائل ان يقول محتجا لثامسطيوس إنه ليس ينكر ان تكون المطلوبات فى البراهين المطلقة ليست باول ولا بخاصة وخاصة ما كان منها فى الدلائل لان هذا البرهان هو احرى ان يكون دليلا من ان يعطى السبب والوجود وابو بكر يقول محتجا لتأويله هذا على ارسطو انه لو كان ارسطو انما قصد هاهنا انتاج الانقسام بالنهايات للمتحرك لما

(١) صف — ما أخذ كان يكون .

تكلف ارسطو فيما بعد ان يبين ان ما ليس بمنقسم فليس بمتحرك اذ كان ذلك ظاهرا من هاهنا بقرب بحسب عكس النقيض وذلك انه اذا تبين ان كل متحرك فهو منقسم اعنى الانقسام بالنهايات تبين منه ان ما ليس بمنقسم فليس بمتحرك •

وانا اقول ان هذا كله عدول عن فهم برهان ارسطو وذلك انه انما كان يلزمه شك القدماء لو كانت المتغيرات فى غير زمان هى بالموضوع غير المتغيرات فى زمان وانما يكون (١) ذلك كذلك لو كانت المتغيرات التى فى غير زمان توجد مفارقة للتغيرات التى فى زمن لكن لما كانت التى فى غير زمان نهايات للتى فى زمان صار الموضوع لهما واحدا واذا كان واحدا صدق ان كل متغير فى غير زمان فهو متغير فى زمان واذا صح ان كل متغير فى زمان فهو منقسم فقد صح ان كل متغير فهو فى غير زمان (٢) وكان حمل مذهب ارسطو على هذا الوجه صحيحا وبرهانه واضح ومقدماته اول وذاتية ولم يحتج ان يتأول عليه ان الانقسام الذى قصد هاهنا نهاية للتحرك ما هو بالاعراض المتقابلة بدل الانقسام بالنهايات كما قال ابو بكر فان ارسطو انما يتكلم هاهنا فى انقسام المتصل بالذات الذى هو الانقسام بالنهايات فالعجب من القوم كيف اغفلوا هذا المعنى الواضح لان الانقسام الذى يلفى (٣) للتغير فى غير زمان هو موجود له من حيث هو متغير فى زمان

---

(١) صف — انما كان يكون (٢) فقد صح ان متغير فى غير زمان فهو منقسم كما

(٣) صف — علي •

كما ان مساوات الزاويا للقائمتين هو موجود للمثلث المتساوى الساقين من حيث هو مثلث لامن حيث هو متساوى الساقين ومن هاهنا يظهر ان الحركة منقسمة بانقسام المتحرك لان الحركة الواحدة اذا كانت لعظم واحد فان اجزاؤها مساوقة لاجزائه ضرورة والا كانت حركة الكل غير مؤلفة من حركات الاجزاء وذلك محال وكذلك يظهر ايضا انها منقسمه بانقسام الزمان لانها اذا كانت كلها فى كله فاجزاؤها فى اجزائه وكذلك يظهر ان الزمان منقسم بانقسامها وما فيه الحركة ايضا هو منقسم بانقسامها •

فقد تبين من هذا القول ان الحركة والزمان وما فيه الحركة والمتحرك ايضا منقسم الا ان ذلك للمتحرك فى الكم والاين بالذات وفى الكيف بالعرض وكان السبب فى انقسام هذه الاشياء هو انقسام المتحرك ولما كان كل تغير فانما يكون من شئ والى شيئ وجب ضرورة ان يكون ما منه التغير وما اليه التغير غير منقسم اصلا اما التغير الذى يكون فى المتقابلات التى ليس بينها متوسط فالامر فى ذلك بين وذلك ان المتغير مما ليس بموجود الى موجود اول ما تغير فقد فارق ما ليس بموجود وصار فى الوجود لانه ليس هاهنا ما بين فيتخيل فيه الانقسام واما المتغير الذى يكون فى المتقابلات التى بينها وسط فان ذلك ايضا ظاهر فيه من جهة انه متصل والمتصل متى فرض متناهيا من طرفيه كانت نهايتاه غير منقسمة اصلا الا ان

هذا المعنى يوجد او لا للمتصل ذى الوضع كالحال فى الخط فان نهايتيه نقطتان و يوجد بغير ذى الوضع ثانيا و من اجل ذى الوضع كالحال فى الحركة والزمان واما الحركة فى المكان فالامر فيها بين اذا كانت انما تكون على بعد نهاياته غير منقسمة ٠

وكذلك ليشبه ان يكون الامر فى النمو والاضمحلال واما الاستحالة فانما يوجد فيها ذلك بالعرض من جهة انها فى عظم ذى نهايتين وقد يظهر هذا المعنى مما يقوله ارسطو وذلك ان المتغير متى انزلنا ان آخر ما تغير اليه منقسم و اول (١) ما تغير منه لزم ان يكون بعد ان تغير متى توهمنا النهاية منقسمة او ان يكون قبل ان يتغير هو بعد ان يتغير اذا توهمنا المبدأ منقسما فاذا نهاية الحركة ومبدؤها غير منقسم اصلا فكيف يقول ارسطو ليت شعرى ان نهاية الحركة موجودة ومشار اليها ومبدأها غير موجود ولا مشار اليه وقد يظن كما يقول ثامسطيوس ان الابتداآت تجرى مجرى النهايات فى كل شئ وذلك ان النقطة هى نهاية الخط ومبدؤه وكما يمكننا ان نأخذها نهاية كذلك يمكننا ان نأخذها مبدأ وايضا فكما ان النهاية يلحقها ان تكون غير منقسمة كذلك يلحق المبدأ ٠

وبالجملة فقد يظن ان ما يلحق هذا يلحق هذا وان الامر فيهما واحد ٠

ونحن نقول اما ان هذا القول صادق على المتصل ذى الوضع

---

(١) صف ـ او اول

فذلك

فذلك مما لا يشك فيه كالحال فى الخط واما الحركة فلما كانت غير ذات وضع وكان المبدأ انما يقال بالاضافة الى ماهو له مبدأ وبوجوده يوجد المبدأ فكيف يمكن ليت شعرى ان يوجد مبدأ ما لم يوجد بعد او يشار اليه اللهم الا ان نضع ان مبدأ الحركة حركة وهذا مدفوع فان النهاية والمبدأ غير ما هو له مبدأ ونهاية ولذلك ليس مبدأ الخط خطا ولا مبدأ السطح سطحا .

وبالجملة فليس بين القوة والفعل وجود متوسط يمكن ان يشار اليه الا الحركة والحركة لا يمكن ان يوجد جزء منها اول لانها منقسمة الى ما ينقسم دائما واما نهاية الحركة فليس الامر فيها كذلك لانها انما اخذت نهاية ما قد وجد وفرغ وامكن ان يشار اليه زمانا ما لان هذا شان الكمال الذى هو نهاية الحركة واما مبدأ الحركة فوجوده فى الآن لا فى زمان ولذلك لم يمكن ان يشار اليه زمانا كما يمكن ذلك فى الكمال الذى هو نهاية الحركة لا نهاية ما لم يوجد بعد كالحال فى المبدأ وارسطو يعتمد فى بيان هذا على انه اذا لم يمكننا ان نأخذ ان اول جزء من الحركة من جهة ما هو حركة ولا اول جزء من الزمان الذى فيه الحركة من جهة ما هو جزء زمان وكان ليس بين السكون والحركة وجود متوسط لم يكن المبدأ موجودا اصلا فاما انه ليس يمكن ان نأخذ اول جزء من الزمان الذى فيه الحركة فذلك يظهر على هذه الجهة لا يخلو ان تكون ذلك الاول

اما منقسما واما غير منقسم فان كان منقسما فليس باول وايضا فانه يكون زمانا وكل زمان فينقسم الى ما ينقسم دائما وماينقسم الى ماينقسم دائما فليس فيه جزء اول بالطبع كالقلب فى الحيوان والاساس فى البيت وان انزلنا هذا الجزء غير منقسم بمنزلة الآن لم يمكن فيه حركة على ما تبين ولاجزء حركة يشار اليها فيه •

وايضا فان سلمنا انه يمكن فيه حركة فقد بتين امتناعه على هذا الوجه وذلك انه لما كان التغير انما يكون من سكون فهل هذا الآن والآن الذى هو نهاية السكون واحد او اثنان فان انزلناه اثنين لزم ضرورة ان تكون الآنات متتالية اوان يكون بينهما زمان يكون فيه الجسم لا ساكنا ولا متحركا لان الآن الواحد فرضناه نهاية السكون والآن الثانى مبدأ الحركة وكلا الامرين ممتنع اعنى ان يكون آن يتلو آنا على ما تقدم اويكون زمان لا يوجد فيه الجسم ساكنا ولا متحركا وان انزلناهما واحدا اعنى الآن الذى هو نهاية السكون وفيه يوجد مبدأ الحركة من جهة ماهو حركة لزم ضرورة ان يكون الشىء الواحد ساكنا متحركا او متحركا فيما ليس يمكن فيه سكونه لانه ليس يمكن ان يكون الآن الذى هو نهاية السكون يقع فيه مبدأ الحركة على انه جزء حركة والا ان امكن فيه ايضا سكونه فسيكون الجسم ساكنا متحركا معا فى الآن وذلك محال فاذا اى جزء من الزمان وقعت فيه الحركة هو منقسم ضرورة

وليس يمكن فيه وجود اول بالطبع •

وبمثل هذا الذى ظهر من انه ليس للزمان الذى فيه الحركة جزء اول تقع فيه الحركة يظهر ايضا فى الحركة وذلك ان كل متحرك فهو منقسم بما اليه اولا فيغير اذ كل متغير فى زمان فانه مهما تغير فقد تغير على ما تبين قبل •

وايضا فقد بين ان كل حركة فهى تنقسم الى ماتنقسم دائمة باخذ نا الاسرع والابطأ فيها وهذا ظاهر عند التامل الا ان هذا اما فى المتغير (١) الذى فى العظم والاين فبالذات واما فى الاستحالة فبالعرض من جهة انها فى منقسم والموضع الذى غلط فيه ثافرسطس وثامسطيوس ومن بتعهما من المفسرين هو من احد مواضع الابدال الذى يؤخذ فيه بدل الشئ خياله ومثاله ثم توخذ تلك الاشياء الصادقة على خيال الشئ ومثاله صادقة على الشئ وهكذا عرض لهم هاهنا فانهم اخذوا الشئ الموجود للخط الذى شبيه بالحركة فالزموا وجوده للحركة وثامسطيوس لما تعارض عنده حسن الظن بارسطو مع ما كان فى نفسه من هذه المقدمة الشعرية صرف التأويل الى ان قصد ارسطو هاهنا انما كان ليبين ان ليس للحركة ولا للزمان جزء اول من جهة ما هو جزء حركة وجزء زمان فحذف النتيجة التى كانت مقصود ارسطو ووقف بالبيان حيث لم يقف وذلك ظاهر من كلام ارسطو •

---

(١) د ـ التغير

وقد بقى علينا من مطالب هذه المقالة ان نبين ان ما يتغير اول ما تغير فقد تغير وانما كان قد تغير فقد كان من قبل يتغير وكذلك الامر فى السكون وان ما لا ينقسم فلا يتغير وانه ولا واحدا من التغاير غير متناه لا فى الاستحالة ولا فى العظم ولا فى الاين من جهة ما الحركة فيه مستقيمه فاما دورا فذلك غير ممتنع بل لعله ضرورى على ما سيبين بعد

فنقول ان ما هو ذا يتغير فقد تغير فذلك ظاهر من قبل الزمان والعظم اما من قبل الزمان فلما كان كل متغير فى زمان وكان الشئ اذا قيل فيه انه ذا يتغير واشير اليه فى آن ما فبين الآن الذى اشير اليه والآن الذى ابتدئ فيه ضرورة زمان على ما تبين قبل وكل زمان منقسم ضرورة الى آنات لا نهاية لها يصدق على المتغير فى كل واحد منها انه قد تغير وكذلك يظهر ايضا من قبل العظم وذلك انه لما كان كل متغير فمن شئ والى شئ يتغير وعلى عظم ما او فى عظم ما لزم من كون ذلك العظم ضرورة منقسما باقسام لا نهاية لها ان يكون المتغير فى كل واحد منها قد تغير وبمثل هذا يظهر ايضا ان ما قد تغير فقد كان من قبل يتغير وذلك ان كل متغير فانما يتغير فى زمان فان كان الآن الذى فيه قد تغير غير الآن الذى منه تغير وكل آنين فبينهما زمان فواجب ضرورة ان يكون ما قد تغير قد كان من قبل يتغير وكذلك يظهر هذا ايضا من قبل العظم وذلك انه لما كان مبدأ التغير غير نهايته وكان بين المبدأ والنهاية عظم

منقسم

منقسم وكان انما يقال فى المتغير انه قد تغير اذا صار فى نهاية العظم فمن البين ان ما قد تغير فقد كان من قبل يتغير وبالجملة فانما كان يمكن ان لا يكون ما قد تغير قد كان من قبل يتغير اوما تيغير قد كان من قبل لا يتغير لو تلاه الا ينقسم ما لا ينقسم •

وبين ان هذا البيان انما هو منطبق على التغايرا تى تكون فى زمان واياها قصد ارسطو هاهنا وهى الاصناف الاربعة اعنى التى قيل عليها اسم الحركة فى الثلاثة والكون والفساد وان لم يكن فى عظم فانه فى ذى عظم وفى زمان وكذلك الاستحالة وكذلك نرى ان ما اخذ هاهنا فى البيان موافق لهذه الاجناس الاربعة ولما كان ايضا الشئ انما يقال فيه انه ساكن اذا عدم ما شأنه ان يوجد فيه من الحركة على الحال التى شأنها ان توجد فيه وكان قد تبين من امر المتحرك ان ما قد تحرك فقد كان من قبل يتحرك وانما يتحرك فقد تحرك فقد وجب ضرورة ان يكون ما قد سكن ووقف قد كان من قبل دائما يقف وما هو دائما يقف فقد وقف وذلك انه كما انه ليس يمكن ان يكون الشئ قد تحرك وقد يتحرك معا كذلك ليس يمكن ان يكون دائما يتوقف وقد وقف معا لان قولنا قد وقف اى قد انقضى الوقوف وقولنا فيه يتوقف اى هو دائما يتحرك ويصير الى التوقف فان الساكن انما يتصور سكونه فى زمان من حيث يتخيل فيه الحركة والا لم يقدره الزمان واذا كان هذا

هكذا وكان الساكن انما يسكن فى زمن فما قد سكن فقد كان من قبل يسكن وما هو دائما يسكن فقد سكن •

والبرهان على ذلك هو البرهان بعينه على المتغير وبين ان السكون هاهنا اذا اريد به عدم السكون والفساد فانه مقول بتشبيه مع السكون الحقيقى الذى هو عدم الحركة بالحقيقة ومن هاهنا يظهر انه كما ليس يمكن ان نأخذ اول شئ من التغير كذلك ليس يمكننا ايضا اخذ اول جزء من السكون واذا كان المتحرك والساكن انما يتحرك ويسكن فى زمان فبين ان الشئ فى الآن غير متحرك ولا ساكن فان المتحرك انما هو فى بعد يساويه فى الآن وهو الذى ليس يمكن فيه ان يسكن ولا يتحرك والا كان المتحرك ساكنا فبهذا ينحل الشك القديم الذى قيل فى ابطال الحركة وهو ان السهم مثلا هو فى بعد يساويه وما هو فى بعد يساويه فهو ساكن فالسهم اذا حين يظن به انه متحرك ساكن•

واذ قد بان هذا فانا نقول ان ما يتجزىء فليس يمكن ان يتحرك بذاته كما يتوهم المهندس فى النقطة انها تتحرك اللهم الا بطريق العرض كما يقال فى البياض انه متحرك وفى الاشياء التى تنقسم فى جهة انها فى منقسم فلننزل ان امكن انه يتحرك ما لا يتجزىء اما من عظم الى عظم واما من كيفية الى كيفية واما من اين الى اين واما من موجود الى موجود ولانه قد تبين ان كل متحرك فبعضه يكون حين يتغير

فيما

فيما اليه يتغير اولا و بعضه فيما منه وكل ما هو بهذه الصفة فهو منقسم
عما منه و عما اليه ولا واحد مما لايمكن فيه الانقسام بالنهايات منقسم
عما منه و ما اليه فلا واحد مما لايمكن فيه الانقسام يتحرك وايضا فان
كل متحرك فهو يتحرك ضرورة اول ما يتحرك فى مكان اصغر
منه ثم فى مساوله وما هو بهذه الصفة فهو متجزىء ضرورة ٠

و بالجملة يلزم ان يكون بين المتحرك و بين المسافة التى عليها
يتحرك نسبة والا لم يمكن ان يقطعها وليس لما لا ينقسم الى منقسم
نسبة وايضا فان كل متحرك فانما يتحرك فى زمان فان كان اذا
تحرك بعدا مساويا له يتحرك فى زمان فبين انه يتحرك نصفه فى نصف
ذلك الزمان فهو ضرورة متجزىء وانما كان يمكن ان يكون
مالاينقسم متحركا لو تلا مالا ينقسم مالا ينقسم وكان يكون العظم
مؤلفا من نقط والزمان من آنات فاما انه ليس يوجد تغير بلا
نهاية ولايمكن وجوده الا فى النقلة دورا من جهة التكرار فذلك
يظهر على هذه الجهة ٠

اما الكون والفساد والاستحالة والنمو والنقص فالامر فيها
بين وذلك ان نهايتى هذه التغاير محدودة بالتقابل الذى بينها على
ما تبين ٠

واما الحركة المستقيمة فى المكان فان كان ليس يظهر ذلك
فيها من هذه الجهة فقد يظهر من جهة اخرى وهو انه ان كان من

الممتنع قطع مالا نهاية له فليس يمكن ان يشرع المتحرك فى قطعه والا كان شروعه عبثا وباطلا والطبيعة كما يقول ارسطو لا تفعل باطلا

وبالجملة فكما ان مالا يمكن فيه ان يكون ليس يشرع فى الكون كذلك مالا يمكن فيه ان يسير مسافة غير متناهية لا يشرع فى سيرها ٠

واما الحركة دورا فانها وان كانت متناهية فليس يمنع مانع ان توجد متكررة ومتصلة وواحدة وغير متناهية فى الزمان على هذه الجهة وكما لا يمتنع هاهنا وجود حركة واحدة غير متناهية على هذه الجهة كذلك لا يمتنع ايضا وجود حركات من تلك الاجزاء الاخر غير متناهية العدد تتعاقب على موضع محدود واحد وان كانت كل واحدة منها متناهية هذا اذا لم يوجد كلها بالفعل وذلك اذا كانت دورا ولم تكن مستقيمة ولم يكن بعضها اسبابا لبعض وسنبين هذه الاشياء فيما بعد ان شاء الله تعالى ـ تمت المقالة السادسة ٠

المقالة السابعة

ارسطو يستعمل فى اول السابعة فى بيان ان كل متحرك فله محرك وانه ليس يوجد شيء يتحرك من ذاته اعنى ان يكون المتحرك هو المحرك كما يمكن ان يتوهم فى الارض والماء والاجسام التى يتحرك من غير محرك من خارج ثلاث مقدمات، احداهن ان كل

متحرك

متحرك بالذات واولا منقسم ذو اجزاء ·

والثانية ان كل متحرك اول فانه اذا توهم جزء منه ساكنا سكن كله ضرورة ·

والثالثة ان كل ما سكن بسكون جزء منه فهو متحرك عن غيره ضرورة والمحرك فيه غير المتحرك — فاما المقدمة الاولى فانه تستعمل فى بيانها ماتبين فى السادسة من ان كل متحرك فنقسم بما منه وما اليه وماتبين هنالك من ان مالا ينقسم فليس يتحرك ·

واما الثانية وهو ان المتحرك الاول من حيث هو ذو اجزاء واول اذا توهم جزء منه ساكن سكن الباقى ضرورة ولم يمكن فيه الحركة فهى ظاهرة بنفسها اذا فهم مايعنى بالمتحرك الاول وذلك ان المتحرك الاول هو الذى لا يتحرك من قبل جزء فيه هو المتحرك من ذاته وهو فى هذه الاجسام البسائط التى وقع الشك من اجلها هو اصغر عظم يمكن ان يكون للنار المتحركة الى فوق او اصغر عظم يمكن ان يكون للارض المتحرك الى اسفل فان المتحرك من الارض والنار الذى بهذه الصفة هو المتحرك الاول من قبل انه لا توجد هذه الحركة لجزئه فانه لا يلفى للنار جزء اصغر منه وانما كان هذا هكذا لان مقادير الموجودات محدودة واذا كان هذا بينا من امر المتحرك الاول فظاهر انه اذا توهم جزء منه ساكنا ان الباقى يسكن بالطبع لا بالقسر وليس يمكن فيه الحركة لانه لو امكنت فيه الحركة لكان ذلك

الجزء الباقى هو اصغر عظم يوجد لنوع ذلك المتحرك فكان يكون ما فرض انه اصغر عظم يلفى (١) لذلك الموجود غير اصغر وما فرض اولا غير اول كما يقول ارسطو .

واما المقدمة الثالثة وهى ان كل ما سكن بسكون جزء منه فان المتحرك فيه غير المتحرك فظاهرة ايضا بنفسها وذلك ان المتحرك الاول لما عرض له هذا اعنى انه يسكن بسكون جزء منه علم ضرورة ان المحرك فيه قد بطل وان المتحرك باق وانه ليس هو المحرك لانه لو كان المحرك هو المتحرك لماسكن الجزء الباقى من المتحرك الاول وذلك انه لم يفقد المعنى الذى هو به متحرك فان الباقى جسم ومنقسم وانما هو متحرك بما هو جسم ومنقسم فلماسكن الباقى بسكون الجزء علم ان المتحرك الباقى قد فقد معنى غير المعنى الذى هو به متحرك وان هذا المعنى صار المتحرك الاول به غير منقسم لانه لو انقسم به لما كان يسكن بسكون جزء منه ولما كان متحركا اولا ففى المتحرك اذا ضرورة معنيان احدهما هو به منقسم وهو المعنى الذى هو به متحرك والثانى غير منقسم وهو المعنى الذى لما فقده فقد الحركة وذلك هو المحرك ضرورة فاذا امثال هذه الاجسام البسائط المتحرك الاول فيها منقسم من جهة انه متحرك وغير منقسم من جهة المتحرك ولذلك المتحرك ضرورة فيها غير المتحرك والانقسام لاحق لها من قبل مادتها وعدم الانقسام من جهة الصورة والصورة هى المتحركة

(١) ن ــ عنى.

وهى غير المتحرك •

وارسطو يضيف الى المقدمة الثانية مقدمة ثالثةوهى ان كل ما سكن بسكون جزء منه بالطبع فهو ساكن عن غيره بالطبع والى هذه الثالثة رابعة معروفة بنفسها وهى ان كل مايسكن بالطبع بسكون غيره فهو متحرك عن غيره فينتج له ان المتحرك الاول يتحرك عن غيره فقد تبين من هذا القول صحة المقدمات التى استعمل ارسطو فى بيان هذا المطلب وبان ان كل متحرك من جهة ماهو متحرك فله محرك لكن قد يتشكك على هذا القول وهو أن المتحرك انما يمكن فيه ان يسكن بسكون جزء منه فيما السكون فيه ممكن فاما ان نبين ان هاهنا شيئا يمتنع عليه السكون كما يرى ارسطو فى الاجرام السماوية فكيف ليت شعرى يوضع فى هذه ممكنا ما ليس بممكن واذا كان هذا هكذا وكان السكون ممتنعا فى بعض المتحركات كان هذا البيان جزئيا ولم يتضح منه ان كل متحرك فله محرك وكان لأن يكون قيا ساموها احرى منه ان يكون برهانا فنقول ان كان هاهنا جسم متحرك يمتنع عليه السكون فليس امتناع ذلك عليه من حيث هو متحرك بل من حيث هو متحرك بصفة ما كأنك قلت من حيث محركه ازلى او من حيث ليس له ضد واما من حيث هو متحرك فيمكن فيه فاذا الممكن هناك انما وضع ممكنا من جهة ماهو ممكن لا من جهة ماهو ممتنع فلزم عنه البيان المذكور ومثل هذا

كثيرا ما يستعمل فى التعليم و ليس يعرض من استعماله خلل •

والعجب من ابى بكر كيف حل هذا الشك ها هنا بمثل هذا الحل ولم يفعل ذلك فى السادسة حين قال انه ليس وجد لكل متحرك متحرك اسرع منه ولا لكل ابطأ ابطأ منه وعدل فى ذلك عن بيان ارسطو الى بيان آخر لكن ليس هذا مما نحن بسبيله فلنرجع حيث كنا •

فنقول انه لما تبين ان كل متحرك له محرك وكان ظاهرا ان المحرك اذا كان من خارج فهو يحرك بأن يتحرك اذا كان جسما فان التى ها هنا محركات متحركات اكثر من واحد يحرك بعضها بعضا فباضطرار ما تنتهى الى متحرك اول من ذاته لا من شىء خارج عنه فلنفرض محركا هو (ب) و (ب) يحرك بان يتحرك عن (ت) و (ت) يحرك بان يتحرك عن (ث) و (ث) عن (ج) و (ج) ايضا يحرك بان يتحرك عن (د) وكذلك الى غير نهاية لكنه متى انزلنا هذا لزم ان توجد حركة غير متناهية فى زمان متناه فاما كيف يلزم هذا فلأن المحرك فى المكان اذا كان من خارج فانما يحرك بأن يماس المتحرك وان يكون هذا ايضا يتحرك والمتحرك عنه انما يتحرك ايضا مادام المحرك يحركه — واذا وضع هذا هكذا وكانت المحركات المتحركات التى من خارج ضرورة هكذا حالها فبين انها تكون عظما واحدا بالتماس وان حركتها تكون معا كما تكون حركة اجزاء العظم

الواحد

الواحد المتصل — ولما كانت الحركة الواحدة انما تكون بمتحرك واحد فبين ان هذه الحركة هى واحدة اذ كانت لمتحرك واحد بالتماس فان انزلنا هذه المتحركات المحركات غير متناهية لزم ضرورة ان يكون العظم المجتمع منها غير متناه فان فرضنا هذا العظم من جهة ما هو واحد قد تحرك مسافة محدودة فى زمان محدود وجب ان توجد حركة غير متناهية فى زمان متناه من قبل انها فى عظم غير متناه واذا كان هذا ممتنعا فباضطرار ما ينتهى المتحرك الى متحرك اول بالطبع كما هو المشاهد من امر الحيوانات فان الثقيل مثلا انما يتحرك من اليد واليد عن العصب والعصب عن الحار الغريزى والحار الغريزى هو المتحرك الاول المحرك للكل الا ان مثل هذا المتحرك الاول لم يتبين(١) بعد هل هو من جنس المتحرك من تلقائه وهو الحيوان ام من جنس المتحرك بالطبع مثل تحرك الحجر الى اسفل ام من جنس ثالث لكن الى هذا المقدار من الوجود انتهى النظر هاهنا من امر المتحرك الاول وسنبين فى الثامنة كيف الامر فى ذلك وان هذا المتحرك هو معدود فى جنس المتحرك من تلقائه .

وقد ظن كثير من المفسرين ان المقدار الذى بين هاهنا من امر المتحرك الاول هو المقدار الذى يتبين فى اول الثامنة فلذلك ظنوا ان ما تبين هاهنا امره انه فضل وتكرير وتقلوا هذا البيان الى

(١) صف — لم يبين .

ذلك الموضع وسنبين هذا اذا وصلنا اليه •

و قد ينبغى ان نصير الى بيان المقدمات المأخوذة فى هذا البرهان مقدمة مقدمة ونحل الشكوك الواقعة فيه فانه يحق علينا ان كان يلحقنا توان فى غير هذا البحث من البحوث ألا يلحقنا فى هذا الشرف(١) هذا المطلوب وعظم منفعته للانسان فى سعادتيه العلمية والعملية •

فنقول ان اول ما وضع ههنا هو أن المحرك اذا كان جسما فلا يحرك دون ان يتحرك وهذا ظاهر بنفسه — لكن قد يتشكك على هذا بحجر المقناطيس(٢) وغيره من الاجسام التى تحرك ولا تتحرك لكن هذا الشك ينحل من ان هذه الاجسام تتحرك على وجه غير الوجه الذى يلزم عنه ان يتحرك الجسم اذا حرك وذلك ان هذه اعنى حجر المقناطيس(٢) وما اشبهه تحرك على جهة الغاية مثل ما يحرك محيط الماء للارض وتلك تحركه على جهة الفاعل ولذلك يلزم ضرورة ان يتحرك •

وبالجملة فالحديد فى هذه الحركة هو متحرك من ذاته وليس كذلك المتحرك عن جسم آخر من خارج اذا حركه على انه محرك له الى غاية ما والذى يظهر فى حجر المفناطيس(٢) والحجر اليحاوى(٣) وما اشبههما انها تحرك مجذوبها بتوسط الهواء بضرب من

---

(١) كذا ولعله — لشرف (٢) صف — المقنيطس (٣) كذا فى الاصلين — والصواب البجاذى — كما فى الجماهر للبيرونى . الاستحالة

الاستحالة فاذا حصلت للمجذوب تلك الصورة بما فيه من الاستعداد لقبولها تحرك من ذاته اليها — والدليل على ذلك ما نشاهد فى الحجر اليحاوى انه لايجذب التبنة حتى يحك فيسخن وانها لاتجذب الاعلى مقدار محدود وبعظم محدود من الجاذب والمجذوب واظهر ما هو هذا المعنى فى النار ويشبه ان يكون كل واحد من هذه انما يجذب بالجوهر النارى الذى فيه مع المناسبة التى بينه وبين مجذوبه وليس من العجب ان يتحرك الشئ الذى هو بمنزلة المادة الى الشئ الذى هو بمنزلة الصورة للتناسب الذى بينهما اذ قد نرى الشئ الذى بمنزلة الصورة كأنه يتحرك الى المادة الملائمة له صندما فى طباعه كما يعرض فى الشهب وفى الفتيل اذا وضع تحت المصباح وحوذى به ان يلقى الدخان الصاعد منه الى المصباح فانك ترى النار تتحرك سفلا على ذلك الدخان الى الفتيل ان لم يكن ذلك تكونا ومما وضع ايضا فى البيان المتقدم ان المحرك القريب اذا كان من خارج وكان جسما انه مع المتحرك ومما ساله وارسطو يصحح ذلك بالاستقراء فان كل حركة انما هى جذب او دفع او حمل او تدوير وجميع الحركات الجزئية داخلة تحت هذه اما الحمل فالمتحرك فيه متحرك بالعرض واما التدوير فانه مؤلف من جذب ودفع واما الجذب والدفع فظاهر أن المحرك القريب فيه يلزم ضرورة ان يلى المتحرك عند ما يحركه وقد يتشكك على هذا ايضا بحجر

المغناطيس وما اشبهه ولكن ينحل بالقول المتقدم ومما يتشكك فيه ايضا ما اخذها هنا من ان المحرك اذا كان جسما فانه يلى المحرك الى المتحرك (١) ومتى كف هو كف المتحرك فانه يظهر أن الامر بخلاف ذلك فى الرمى وذلك ان الحجر يتحرك واليد ساكنة لكن ينحل هذا بان المدة التى كانت تلى اليد فيها الحجر باضطرار ماينتهى التحريك فيها الى محرك اول والا وجدت حركة غير متناهية فى ذلك الزمان المتناهى والحجر اذا تحرك بعد مفارقة الرامى هو متحرك ضرورة عن متحرك بذاته واول وهو الهواء وإلا لم يمكن ان يتحرك اصلا وهذا يعرض متى تعاقبت على المتحركات متحركات اول اكثر من واحد فان الاول فى الرمى هو الانسان ثم يخلفه الهواء — وسنبين فى كتاب السماء والعالم كيف تكون هذه الحركة فى الهواء وظاهر أن مثل هذا الذى لزم فى الحركة المكانية يلزم فى النمو فان المحرك فيه ضرورة يلى المتحرك وكذلك الامر فى الاستحالة اما الاستحالة التى فى الكيفيات التى هى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وما يتبعها فالامر فى ذلك بين واما الاستحالة التى فى الحواس عن المحسوسات فالامر فى ذلك ايضا فى حين اللمس وحين الذوق بين واما سائرها فسنبين ان المحيل القريب منها (٢) هو الهواء وان بتوسطه تدرك الالوان والمسموعات والمشمومات لكن مثل هذه

---

(١) كذا فى د — وفى صف — فانه يلى المتحرك الى آخر الحركة (٢) د — ههنا انما

انما يقال عليها استحالة بتشبيه — و لذلك ينبغى ان نلخص انما هى الاستحالة بالحقيقة و قد كنا وضعنا ان الاستحالة انما هى فى الكيف وانواع الكيفيات اربعة، الهيئات التى فى النفس وفى المتنفس بما هو متنفس، والاستعدادات الطبيعية، والكيفية الانفعالية وهى التى فى المحسوسات، والاشكال التى فى الكميات بما هى كمية كالتثليث والتربيع — اما الاشكال التى فى الكمية بما هى كمية فظاهر أن حصولها وزوالها ليس استحالة بل ذلك تابع الاستحالة لانها تجرى مجرى التمامات والصورة كما ان الكائن والفاسد لسنا نقول فيه انه استحال اذ كانت الاستحالة هى التى يبقى فيها الموضوع من اولها الى آخرها واحدا ومشارا اليه كذلك لسنا نقول فى مثل هذه انها استحالة وذلك ان الموضوع فيها ليس يبقى واحدا ومشارا اليه ولذلك لسنا نسميه باسم المادة الموضوعة لها فنقول فى التمثال انه نحاس بل نحاسى اومن نحاس ونقول فى الحار والبارد واليابس والرطب انه حجر وكذلك نبين ايضا ان الامر فى الهيئات التى فى المتنفس بما هو متنفس اعنى ان هذه ايضا تمامات وكمالات وايضا فان الهيئات التى فى النفس هى اما ادراكات واما فضائل — اما الفضائل فانما توجد فى الاعتدال والنقائص فى غير المعتدل وهما من المضاف وليس فى المضافين حركة واما الادراكات فان فيها جزئية وكلية اما الجزئية فتحت الكلية واما الكلية فهى فعل العقل وكل واحدة

من هذه ليس حصوله فى زمان واحرى ما كان منها ادراكه ليس فى زمان هو العقل وكذلك الهيئات التى فى المتنفس بما هو متنفس انما هى صحة اومرض والصحة اما فى الاعضاء المتشابهة الاجزاء فاعتدال مزاجها واما فى الاعضاء الآلية فاعتدال تركيبها والمرض بضد ذلك وكذلك يشبه ان يكون الامر فى الاستعدادات الطبيعية اعنى انها تابعة للأمزجة والامزجة تابعة للاستحالة الانفعالية واذا كان هذا هكذا فاذا الاستحالة انما توجد من انواع الكيفية فى الثالثة وهى المحسوسات الأثرية - ونقول انه ليس كل حركة يقال فيها الاسرع والابطأ بمعنى واحد وانما يقال ذلك بضرب من اشتراك الاسم لان السريع هو كما قيل الذى يتحرك فى زمان واحد قدرا اعظم وليس بين الاستحالة والنقلة قدر مشترك ولذلك لايكون استحالة مساوية لنقلة - نعم ولا الحركة المستقيمة والحركة المستديرة يقال فيهما الاسرع والابطأ بمعنى واحد لانه لوقيل ذلك فيهما لكانت حركة مستقيمة مساوية لحركة دورية ولو كان ذلك كذلك لكان خط مستقيم مساويا لخط مستدير وليس كذلك لان الخط المستقيم لاينطبق على الخط المستدير ولا اجزاؤه على اجزائه لان المساواة مهما وجدت للحركة فانما توجد من اجل العظم فاما ما يقال فى الهندسة ان الدائرة مساوية لمربع كذا وان خطا مستقيما مساو لخط مستدير فانما يقال ذلك فيهما من جهة الاحاطة مثل ما تقول ان ما يحيط

به

به هذه الدائرة او الخط المقوس مساو لما يحيط به هذا المربع وعلى هذا فانه ان لم تكن السرعة والبطوء والاكثر والاقل يقال عليها (١) بتواطؤ فليس يقال باشتراك محض بل بنوع من المشككة اسماؤها ولما كان كل متحرك فله محرك وكان المحرك انما يحرك مسافة ما وفى زمان ما فانه متى فرضنا محركا ما يحرك شيئا ما قدرا ما بعينه — وفى زمان وضاعفنا المحرك امكن ان يحرك ذلك الشىء فى ذلك الزمان بعينه ضعف تلك المسافة وان تلك المسافة فى نصف ذلك الزمان .

وبالجملة فان هذا شىء يعرض متى ضاعفنا المحرك وقد يعرض ذلك ايضا متى قسمنا المتحرك الا انه ليس يعرض ذلك دائما على نسبة وذلك انه ان كان رجل واحد يحرك قنطارا واحدا بعينه فى زمان ما مقدارا ما فانه ليس يلزم ان يحرك الاوقية فى ذلك الزمان مسافة تكون نسبتها الى المسافة المتقدمة نسبة الاوقية الى القنطار وانما يلزم ذلك متى كان المحرك يتحرك بوجه ما عن المتحرك فان المتحرك اذا قاوم الحركة تحرك لذلك المحرك فتكون النسبة هاهنا بحسب المقاومة ولذلك يلزم ان يحرك الانسان نصف ذلك القنطار فى ذلك الزمان ضعف تلك المسافة وفى نصف ذلك الزمان تلك المسافة بعينها وكذلك ايضا متى كان محرك ما يحرك متحركا ما مسافة ما وفى زمان ما فان نصفه يحرك نصف ذلك المتحرك فى ذلك الزمان بعينه مسافة

---

(١) صف — عليها .

سواء - فاما هل اذا حرك متحرك ما بقوة فيه متحركا ما مسافة ما وفى زمان ما فليس يلزم اذا جزينا المحرك مثلا بنصفين او اكثر من ذلك ان يحرك ذلك المتحرك فى ذلك الزمان نصف تلك المسافة او تلك المسافة فى ضعف ذلك الزمان لانه قد يمكن اذا جزينا المحرك الا يحرك اصلا اذ كان ليس اى شىء اتفق يحرك اى شىء اتفق بل انما يحرك شيئا ما محدودا محرك محدود وبقوة محدودة والا امكن مثلا فى السفينة اذا حركها ثلاثون رجلا فى يوم واحد ثلاث غلوات ان يحركها واحد من الثلاثين فى ذلك اليوم ثلث عشر غلوة وذلك ممتنع ولهذا تجد القوى المحركة تقاومها الاشياء المتحركة(١) عنها والسبب فى ذلك ان المتحرك لما كان جسما وكان المحرك له من خارج يحرك خلاف ما فى طباعه كانت هنالك مقاومة بين المتحرك والمحرك ولم يمكن ان يحرك اى شىء اتفق اى شىء اتفق ولذلك يلحق(٢) الكلال بخلاف ما عليه الامر فى الاجسام البسيطة التى لا تتحرك خلاف ما فى طباعها لا ان هذه ايضا من جهة ما لها مقاوم وهو الشىء الذى فيه يتحرك ولذلك ليس يتحرك منها اى جزء فرضناه كالهباء مثلا فانه لا يمكن ان يرسب ولا يصعد وهذا هو احد اسباب السرعة والبطوء العارضة لهذه المتحركات البسيطة فان السرعة والبطوء يكونان من جهات احداها نسبة المحرك الى المتحرك والثانية مقاومة المتحرك للمحرك والثالثة

---

(١) صف - المحركة (٢) كذا .

مقاومة مافيه التحرك كأنك قلت الهواء مثلا او الماء وبالوجه الاول تجد الاجرام السماوية بعضها اسرع من بعض اذ ليس هناك مقاومة بين المحرك والمتحرك على ماسنبين بعد ولا من جهة ما فيه الحركة والامر فى الاستحالة وفى النموء كالامر فى التحركات فى المكان عن اشياء من خارج وفى المكون المفسد اعنى انه ليس ينمى اى شيء اتفق اى شيء اتفق ولا يحيل اى شيء اتفق اى شيء اتفق وكذلك لا يكون ولا يفسد اى شيء اتفق اى شيء اتفق بل الفعل والانفعال انما يكونان بين متناسبين من جهة ما تناسبا .

المقالة الثامنة

ارسطو يبتدئ اولا فى هذه المقالة فيفحص هل يمكن ان تكون جميع الحركات حادثة حتى تكون ها هنا حركة حادثة واحدة او اكثر من واحدة لم تتقدمها حركة اصلا ام ها هنا حركة اولى لم تزل ولا تزال اما واحدة واما اكثر من واحدة هى السبب فى جميع ما يتحرك منها (١) تارة ويسكن تارة وهو يقدم لذلك مقدمات قد سلفت له .

احداها ان من حد الحركة يظهر انه لا يوجد الا فى متحرك وذلك لما قيل من انها كمال المتحرك بما هو متحرك .

والمقدمة الثانية ان ها هنا حركة اولى مشتملة على كل العالم اما واحدة واما اكثر من واحدة .

---

(١) صف — ههنا

والثالثة انه ان امكن ان يكون هاهنا حركة اولى ازلية فواجب ان تكون حركة نقلة وواجب ان تكون دورا فابتدأ فقال ان مما قيل فى حد الحركة انها كمال المتحرك يظهر انها لا توجد الا فى متحرك كما يظهر منه انه لا يكون شىء من لا شىء لان الكون اما ان يكون حركة واما ان يكون نهاية حركة فالمتكون جسم ضرورة فلما تقرر له هذا الاصل كان من البين انه ان كانت هاهنا حركة اولى متقدمة على جميع الحركات اما بالزمان واما بالطبع فاما ان تكون فى متحرك كائن فاسد واما ان تكون فى متحرك ازلى ثم قال فان كانت فى متحرك كائن فليست هى الاولى لا بالطبع ولا بالزمان لانه لا يقدر احد ان يضع ان الحركة الاولى هى هيئة فى متحرك متكون ولو كانت المتحركات الاول التى فى هذا العالم حادثة متكونة لكان لها حركة اولى متقدمة عليها اما بالزمان واما بالطبع والا لم يوجد مبدأ اول للحركة واذا لم يوجد الاول كما يقول ارسطو لم يوجد الاخير فلما تقرر له ان المتحرك بالحركة الاولى يجب ان يكون ازليا اخذ يطلب هل يمكن ان توجد هذه الحركة الاولى متقدمة بالزمان على جميع الحركات من غير ان تتقدمها حركة زمانية اصلا ام انما هى متقدمة بالطبع فقط فاما تقدمها بالزمان على جميع الحركات فذلك انما يتصور بان يكون المتحرك بها لم يزل ساكنا ثم تحرك بعد ان لم يكن متحركا الا انه اذا وضع هذا الزم

ان

ان تكون قبل الحركة الاولى المفروضة حركة اخرى متقدمة عليها فلا تكون اولى بالزمان فضلا عن ان يكون اولى بالطبع وذلك انه اذا كان المحرك موجودا لم يزل والمتحرك كذلك فاما ان تكون الحركة لم تزل ولا تزال واما ان يكون السكون لم يزل ولا يزال واما ان يكون هاهنا سبب آخر حادث اقدم منهما هو الذى اوجب للمحرك ان يحرك و للمتحرك ان يتحرك بعد ان لم تكن عنهما حركة وكل حادث فاما ان يكون حركة واما ان يكون تابعا لحركة واذا كان ذلك كذلك فليس هاهنا حركة اولى لا بالطبع ولا بالزمان وذلك مستحيل واذا امتنع ان يوجد للمتحرك الاول الازلى حركة اولى بالزمان فبين ان حركته الاولى لم تزل ولا تزال وبمثل هذا تبين انه ليس يوجد للمتحرك الاول حركة اخيرة وذلك انه ان كان المتحرك فاسدا فليس يمكن ان يتوهم له حركة اخيرة وان كان ازليا فليس يمكن ان يتوهم عليه سكون لان السكون الحادث يكون من قبل حركة متقدمة على حركته ومحرك اقدم من محركه كما لزم ذلك(١) فى وضع حركة حادثة •

فهذا هو الذى ينبغى ان يفسر به كلام ارسطو فى اول هذه المقالة لا ما ظنه قوم من ان قصده انما كان ان يبين ان الحركة لا تخلو بالجنس فان نظره انما كان فى جملة العالم والحركة التى لا تخلو بالجنس هى فى جزء من العالم وكون كل حركة مما دون الحركات الاول

---

(١) د ــ لزم من ذلك .

قبلها حركة هو امر موجود بالعرض و تابع للحركات الاول فانه لا يمكن ان يكون قبل الحركة الحادثة حركة حادثة بالذات لانه لو كان كذلك لم توجد حركة حادثة الابعد انقضاء حركات لا نهاية لها وانقضاء ما لا نهاية له مستحيل — و هذا شيء قد بينه ارسطو فى الخامسة من هذا الكتاب حين بين انه ليس يجب ان يكون حدوث الحركة بحركة ولا حدوث الكون بكون (١) لانه لو كان ذلك كذلك لم يوجد الكائن الاخير — و افلاطون ومن تبعه من المتكلمين من اهل ملتنا و ملة النصارى وكل من قال بحدوث العالم انما توهموا فيما بالعرض انه بالذات فمنعوا ان توجد ههنا حركة قبل حركة الى غير نهاية فقالوا بوجود حركة اولى فى الزمان فلزمهم ان يكون قبلها حركة فراموا ان يجدوا انفصالا عن هذا الشك فلم يجدوه واكثر من اوجب الشك على ارسطو من قال ان قصده فى هذا الموضع انما هو ان يبين ان قبل كل حركة حركة وانما اتى بحد الحركة لمكان هذا كما توهم ابو نصر عليه فى كتابه فى الموجودات المتغيرة وغيره ممن اتى بعده كابن سينا و ابى بكر بن الصائغ وقد كان توهم عليه ذلك قبله (٢) يحيى النحوى فاخذ يرد على ارسطو من قبل انه وضع ان قبل كل حركة حركة بالذات فعرض للمتفلسفين من اهل ملتنا فى ذلك شك، وهو الذى اضطر ابا نصر ان يضع فى ذلك مقالته الموسومة بالموجودات

---

(١) كذا والظاهر السكون بسكون (٢) صف — قبلهم .

المتغيرة فانه رام هنالك ان يفحص على اى نحو يمكن ان يكون قبل الحركة حركة و بين الممتنع من ذلك من الواجب و ذلك انه زعم انه لم يكن(١)هاهنا صنف واجب كان ما اخذ فى حد الحركة باطلا لانه ظن ان حد الحركة انما اتى به ارسطو ليبين ان قبل كل حركة حركة و ذلك كله ظن غير صحيح فعلى هذا فليعتمد فى هذا الموضع و هو الذى وقفت عليه بأخرة لان التفسير الاول يعترض فيه شك من قال بحدوث العالم و يظن ايضا من ارسطو انه تناقض وهو يستعمل بعد هذا بيانين احدهما من قبل الزمان والآخر من قبل المتحرك من تلقائه، اما التى (١) من قبل الزمان فهكذا يظهر كل زمان محدود فطرفه آنان وكل آن فهو نهاية للماضى ومبدأ للمستقبل فمتى فرض زمان حادث امكن ان يوجد ان يشار اليه لا يكون آخر زمان ماض وكيف يكون ذلك كذلك ومن ضرورة الحاضر تقدم الماضى قبله وكذلك يلزم متى فرضنا آنا ليس بعده زمان •

و بالجملة فمتى رفعنا الزمان لزم وجوده وهذا بين بنفسه وهذه القضية من امر الزمان فيما زعم ارسطو كان قدماء الطبيعيين قد اجمعوا عليها الا افلاطون فانه كان يكون الزمن و يعتقد فيه انه يبقى ازليا واذا ظهر ان الزمان ازلى وقد كان تبين انه واحد متصل وانه عدد الحركة السماوية فبين ان هذه الحركة ازلية واحدة متصلة وان محركها ازلى •

---

(١) كذا

فاما البيان الآخر الذى هو اخص فهكذا يترتب الفحص عنه لما كان بعض الاجسام الهيولانية تحس مرة ساكنة ومرة متحركة وكان بعضها لم تحس ساكنة قط بل انما احست متحركة فقط كالاجرام السماوية وبعضها احست ساكنة بكليتها متحركة باجزائها كالارض فليت شعرى هل يمكن فى مثل هذه الاجسام المتحركة التى لم تحس قط ساكنة ان تسكن ام لا فان الحس ليس بكاف فى ذلك وان تبين فى مثل هذه انها دائمة الحركة فباضطرار ان يكون هاهنا ايضا شئ دائم السكون عليه تكون هذه الحركة الا انه ليس يكون عادما للحركة اصلا والا لم يكن جسما طبيعيا بل يكون متحركا بجهة اخرى كأنك قلت باجزائه مثل ما يظهر من امر الارض ومبدأ الوقوف على هذا المطلب يكون من هذه الجهة لما كان المتحرك منه بالذات ومنه بالعرض ومنه بجزئه كما تقدم وكان الكلام انما هو فى المتحرك بالذات وكان هذا منه ما يتحرك بالطبع كالحيوان والاجسام البسيطة ومنه ماهو متحرك قسرا وخارج عن طبعه اما المتحرك قسرا فكالحجر يرمى (١) به الى فوق واما الخارج عن طبعه فكحركة حجر الرحى فان هذه الحركة له ليست طبيعية اذ ليست من ذاته ولا قسرية اذ كانت ليست ضدا للطبيعية وكان اما المتحرك قسرا فظاهر انه انما يتحرك عن محرك هو شىء من خارج وكذلك الامر فيما يتحرك خارجا عن طبعه واما المتحرك بالطبع فمنه

---

(١) د ـ المرى ما يظهر

مايظهر فيه انه يتحرك من تلقائه كالحيوان وقد كان تبين فى السابعة ان تلك (١) التى محركها من خارج بالضرورة تنتهى الى متحرك من ذاته وذلك كالحيوان او الاجسام البسيطة فلذلك بقى ان يفحص هاهنا عن امر الاجسام البسيطة فى اى جنس من اجناس المتحركات تدخل أفى التى تتحرك عن شىء من خارج ام فى التى تتحرك من تلقائها فلما فحص هاهنا عنها تبين له انها ليست معدودة فى جنس المتحركات من ذواتها الا بالعرض — فاما كيف يظهر ذلك من امرها من هذه الجهة وذلك ان هذه الاجسام لوكانت متحركة من تلقائها اعنى ان يكون لها ان تتحرك عن ذاتها من غير محرك من خارج لكان لها ان تسكن بذاتها كالحال فى الحيوان وايضا فلوكانت تتحرك بحركات كثيرة ولم تكن تتحرك حركة واحدة كالمضطر فمن هاهنا يظهر ان هذه الاجسام ليس مبدأ حركاتها فى ذاتها فقط وانما (٢) تحتاج الى شىء من خارج وقد يظهر ذلك اكثر من هذه الجهة لما كان المتحرك بالقوة يلزم ضرورة ان يكون المحرك له هو الذى يخرجه من القوة الى الفعل ويجعله بعد ان كان متحركا بالقوة متحركا بالفعل وذلك ظاهر بنفسه فان المسخن هو ماصير ما كان بالقوة مسخنا بالفعل وكذلك فى سائر التغايير واذا كان ذلك كذلك فالمصير للهواء من كونه ثقيلا بالقوة الى ان يكون ثقيلا بالفعل ومطرا هو السبب فى حركته الى اسفل وذلك هو المكون لان المكون عند مايعطى الهواء

---

(١) صف — ان تكون تلك (٢) د — وانها .

مثلا صورة الماء فقد اعطاه الحركة الى اسفل مالم يعقه عائق فاما ان عاقه عائق فكما ان القوة له حينئذ على الحركة قوة بالعرض كذلك زوال العائق له محرك بالعرض كالاسطوانة تجذب من تحت البناء والحجر يرفع من على الزق المنفوخ فى الماء فلما تبين له ان المحرك بالقوة هو المزيل العائق تبين له انها ليست معدودة فى المتحرك من تلقائها بالذات ولا ايضا متحركة عما من خارج فى المكان بالذات ولذلك عاد هاهنا فقسم المتحرك بالذات الى متحرك من تلقائه والى متحرك من خارج على ان هذه ليست معدودة فى واحد من الصنفين وحينئذ امكنه على التحصيل ان يبين ان اول المتحركات بالذات فى المكان هو المتحرك من تلقائه فابتدأ فقال اذا كان كل متحرك فانما يتحرك عن محرك على ما تبين فى السابعة فواجب ان يكون كل ما يتحرك اما ان يتحرك عن محرك غير متحرك واما ان يتحرك عن محرك متحرك فان تحرك عن محرك غير متحرك (١) وكان كل محرك متحرك فاما ان يتحرك من تلقائه واما ان يتحرك عن محرك من خارج وكان المتحرك من تلقائه يظهر من امره انه أول المحركات المتحركة فى المكان وانه ليس يحتاج الى محرك من خارج فان المحرك المتحرك عن شىء من خارج هو يتوسط (٢) بين المتحرك من تلقائه والمتحرك الاخير الذى لا يحرك دون المتحرك من تلقائه •

(١) صف ـ عن محرك متحرك (٢) صف ـ وسط .

مثال

مثال ذلك ان العكاز لا يحرك الحجر دون الانسان اذ كان العكاز متحركا عما من خارج والانسان يمكنه ان يحرك الحجر بمتوسط وهو العكاز وبغير متوسط فان كانت ها هنا محركات متحركات عما من خارج فليس يمكن فيها ان تمر الى غير نهاية من جهة ماهى اوساط لانه ان مرت الاوساط الى غير نهاية لم يكن(١) لها اول واذا لم يكن لها اول فليس هنالك (ايضا - ٢) اخير لكن الاخير موجود فالاول موجود وهو المتحرك من تلقائه وذلك واجب لان الاوساط لا تتحرك دون الاول فباضطرار ان ينتهى الامر فى الاشياء التى محركها من خارج الى متحرك بمبدأ فيه وهو المتحرك بالطبع ومن تلقائه والا مر الامر الى غير نهاية وذلك ممتنع فيما بالذات فقد ظهر من هذا لم عاد ارسطو مرة ثانية الى بيان ان ها هنا متحركا اول ولم يكتف بالبيان المستعمل فى السابعة وكذلك يظهر ايضا انه يستعمل ها هنا بالقوة كالمبدأ ما تبين فيها من ان كل متحرك فله محرك اذ كان ماظهر ههنا من ان هذه البسائط تتحرك عما من خارج وهى التى شك فيها - هل المحرك فيها هو المتحرك ليس بكاف فى بيان ان كل متحرك له محرك اذ كان المحرك لها من خارج فى المكان هو محرك بالعرض وان ما استعمل من ذلك فى هذه المقالة انما هو على جهة الارداف والشهادة على عادته لا على انه بيان كاف بنفسه - فثامسطيوس اذا غلط فى مواضع منها انه ظن ان البيان بالاستقراء

---

(١) صف - لامكن (٦) من د

الواقع ههنا كاف فى بيان ان كل متحرك فله محرك ومنها انه ظن ان ما تبين ههنا من امر المتحرك الاول هو ما تبين فى اول السابعة فنقل البيان المستعمل هناك الى هذا الموضع على ان الوقوف ها هنا على غرض ارسطو مما يحتاج الى فحص كثير ليس يليق بهذا المختصر لكن كيف كان الامر فهذا النحو من البيان صحيح فى نفسه وهو احد ما ظنت بارسطو فى هذا الموضع وقد خرجنا عما قصدنا من الايجاز فلنرجع الى حيث كنا •

فنقول انه قد تبين من القول المتقدم ان ها هنا متحركا اول بالطبع محركا للكل اليه ينتهى سائر الحركات التى محركها من خارج وان الحال فى ذلك فى العالم الكبير كالحال فى العالم الصغير الذى هو الانسان او الحيوان وان المحرك لهذا المتحرك غير متحرك اصلا بالذات اذ لو كان متحركا لكان جسما ولكان له محرك ومر الامر الى غير نهاية فلذلك يلزم ضرورة ان يكون المحرك للمتحرك من تلقائه غير جسم وغير متحرك اصلا بالذات فاما هل يمكن فيه ان يتحرك بالعرض على جهة ما تتحرك المحركات التى فى المتحركات من تلقائها مثل حركة النفس عن البدن فسنفحص عنه فيما بعد وقد يمكن ايضا ان تبين بجهة اخرى غير هذه الجهة انه ليس ها هنا محرك ذاته على ما كان يرى افلاطون وهذا انما كان يمكن تصوره فى المتحرك فى المكان فاما القول بشىء يحيل ذاته او ينمى ذاته فخارج من المعقول فلذلك الاولى ان

نجعل

نجعل فحصنا فى ذلك عن المتحرك فى المكان .

فنقول انه ان كان شيء يحرك ذاته فلا يخلو اما ان يكون كلــه يحرك ويتحرك معا من جهة واحدة اويكون جزء منه يحرك الكل وهو يحرك ذاته اويكون الكل يحرك جزأ منه وهو يحرك ذاته اويكون جزء منه يحرك جزأ وهو يحرك ذاته واى هذه الاقسام انزلنا لزم ان يكون الشيء محركا متحركا معا من جهة واحدة وذلك محال فان المحرك انما هو محرك من جهة ما هو بالفعل والمتحرك هو متحرك من جهة ما هو بالقوة كما تبين من حد الحركة فان كان الشيء محركا متحركا من جهة واحدة امكن ان يكون بالقوة والفعل معا من جهة واحدة وذلك محال فاما كيف يلزم فى واحد واحد من تلك الاقسام ان يكون الشيء محركا متحركا معا فبين وذلك انا ان انزلنا ان الجزء يحرك الكل بان يتحرك عن ذاته كان متحركا محركا معا وكذلك متى انزلنا الكل تحرك جزؤه ويتحرك عن ذاته فاما ان انزلنا ان جزءا منه تحرك جزأ آخر والآخر ثالثا فاما ان لا يرجع التحريك دورا فيكون الجزء الاول متحركا محركا معا واما ان يرجع التحريك دورا فيكون الثالث مثلا يحرك الاول ويلزم هذا عنه ان يحرك الشيء نفسه (١) فانــه لا فرق بين ان يحرك الشيء نفسه بذاته بلا متوسط او بمتوسط اكثر من واحد هذا اذا اخذ الاخير يحرك الاول بالذات واما بالعرض فذلك

---

(١) د ــ بنفسه

ممكن كالملاح يحرك السفينة وهى تحركه •

وقد يمكن ان نبين ايضا من وجه آخر ان المحرك الاول يجب ان يكون غير متحرك وذلك انه لما كان ها هنا محرك اول ومتحرك اخير ومحرك اوسط وكان الاخير غير محرك اصلا والمتوسط محرك ومتحرك فقد يجب ان يكون الاول غير متحرك وذلك انه لوكان كل محرك متحركا لما امكن ان يفارق احدهما الآخر حتى يوجد محرك غير متحرك وقد نجد ذلك وهو الآخر فبا ضطرار ان يوجد المحرك الاول ايضا خلوا من المتحرك اذ كان المحرك المتحرك وهو الاوسط مؤلفا من شيئين وكل مؤلف من شيئين اذا امكن فى احدهما ان يفارق صاحبه بالوجود امكن فى الآخر كالسكنجبين المؤلف من خل وعسل فانه اذا امكن ان يوجد الخل بذاته مفردا أمكن ان يوجد العسل فقد تبين من هذا ان ها هنا محركا اول نسبته الى هذا الكل نسبة المحرك الاول فى الحيوان الى الحيوان وانه غير متغير بالذات اصلا ولا يمكن فيه التغير فاما انه ليس يتغير اصلا ولا بالعرض وانه ازلى فذلك بين على هذه الجهة اذا قسمنا على كم وجه يمكن ان يقال فى هذه المحركات التى لدينا انها تتحرك بالعرض •

وذلك يقال فيها على وجهين احدهما بان يتغير موضوعه المتحرك عنه اولا باى ضرب كان من ضروب التغير التى من خارج

مثل

مثل ان يتكون او ينمى او يستحيل والوجه الثانى مثل ما يعرض للمتحركات من تلقائها لدينا اعنى انها تتحرك بعد السكون و تنتقل بكليتها فيعرض من ذلك للمحرك لها ان يتحرك بالعرض فى المكان او ينتقل بانتقال موضوعه •

اما الوجه الاول فمتى انزلنا متغيرا بضرب من تلك الضروب التى من خارج وذلك بان يتكون الموضوع له او يفسد او ينمى او ينقص او يستحيل لزم ايضا فى هذه الحركات ان تترقى الى الحركة فى المكان على ما تبين بعد والحركة فى المكان قد ظهر من امرها انه ليس بواجب ان يكون فيها محرك اول فيكون ما وضع محركا اولا غير اول فلذلك ما يلزم ان يكون الاول بالطبع غير متحرك بالعرض بهذه الجهة فيكون هو وموضوعه ازليا ولو لا ان ها هنا محركا ازليا هو السبب فى وجود هذه الحركات الكائنة الفاسدة لم توجد بعد فان وجود بعضها عن بعض الى غير نهاية هو بالعرض وما بالعرض فانما هو لاحق لما بالذات •

وكذلك يظهر انه لا يمكن فى مثل هذا المتحرك الاول عن هذا المحرك الاول ان يسكن ثم يتحرك بكليته لانا مهما انزلناه متحركا بعد سكون او ساكنا بعد تحرك لزم ضرورة ان يتغير بضرب من الضروب التى من خارج والا لم يمكن ان يتحرك بعد السكون لانه اذا كان المتحرك والمحرك موجودين والنسبة التى بها

يلتئم التحريك فما باله يحرك فى هذا الوقت ولم يحرك قبل فهنالك ضرورة تغير وذلك بان يستحيل ضربا من الاستحالة كالحيوان اذا كمل له الهضم انتبه وتحرك واذا أكل نام •

وبالجملة فمن الظاهر انه انما يتحرك المتحرك من هذه بعد السكون عند ما يتغير عن شيء من خارج والا فليت شعرى اذا كان المحرك موجودا والمتحرك موجودا والنسبة التى يكون بها التحريك موجودة ايضا ولم يكن هناك تغير من خارج فكيف يقدر احد ان يعطى السبب فى حركته الآن وكذلك يظهر ان الامر فى سكونه بعد الحركة وكل ما يمكن ان يقال فى معاندة هذا فهى كلها اقاويل خطبية او سوفسطائية •

وبالجملة فالغالب عليها أنها مأخوذة من بادى الرأى واذا كان هناك تغير فثم نقلة ومحرك اول ومتحرك من تلقائه فليس ما وضع اولا هو اول ولا يمكن ان تكون الاوائل بغير نهاية فهذا المحرك ضرورة ازلى التحريك والمتحرك عنه ازلى ضرورة فاما هل يمكن فى مثل هذا المحرك ان يتحرك بالعرض اعنى يتحرك موضوعه من جهة أن قوامه بالموضوع كالحال فى الحيوان الساعى فى حين سعيه فنحن ننظر فيه •

فنقول انا متى فرضنا الموضوع متحركا بكليته فحركته ضرورة متناهية كالحال فى الحيوان واذا كان ذلك كذلك فانما يتحرك بعد

سكون وقد تبين امتناع هـذا واما ان فرضناه متحركا باجزائه ثابتا بكليته كالحال فى الجرم المستدير وهى الجهة التى تبين بعد انه لايوجد متحرك ازلى الا بها فهل يمكن ان يقال فيه ايضا أنه متحرك على هذه الجهة بالعرض اعنى من قبل تحريك اجزاء موضوعه فنقول ايضا اذا تبين انه لا قوام له بالموضوع اصلا وذلك بخلاف ما عليه الامر فى انفس الحيوان وان الموضوع قوامه به لاقوامه بالموضوع يتبين ايضا انه ولايوجد متحركا بالعرض بهذه الجهة •

فاما كيف يظهر ذلك فمن هذه الجهة كل متحرك هيولانى اما ان يكون جسما واما ان يكون قوة فى جسم فاما ان هذا المحرك ليس جسما فذلك بين مما تقدم وايضا فاذا تبين انه ليس قوة جسمانية كان احرى ان لايكون جسما فلذلك ينبغى ان نفحص من امره هاهنا عن هـــذا المعنى اعنى هل يمكن ان يكون له تعلق بالهيولى على جهة ما توجد عليه الصور الهيولانية سواء كان تعلقا قريبا او بعيدا فنقول انه قد تبين من امر هذا المحرك بالأقاويل الضرورية انه يحرك زمانا لانهاية له اذ كان ليس يمكن ان يوجد لمحرك فعل لانهاية له الا على هذا الوجه لانه لا يمكن ان يحرك عظما غير متناه ولا مسافة غير متناهية اذ كان كل هذين ممتنع وجودهما على نحو ما تقدم ــ فان القى بقوة هيولانية فعل بغير نهاية وعلى هذا الوجه امكن ان يكون هذا المحرك هيولانيا وان لم يكن ذلك كان ضرورة مفارقا وفى غير

مادة اصلافأ ما انه لا يمكن ان يكون لقوة جسمية فعل بغير نهاية فذلك يظهر على هذا الوجه لما كانت كل قوة جسمية منقسمة ضرورة بانقسام الجرم ومعنى ذلك انه يوجد ابدا للجسم الاكبر اذا كان من نوع واحد قوة اكبر وللأصغر قوة اصغر وكان قد تبين ان القوة العظمى تحرك المتحرك الواحد بعينه المسافة الواحدة بعينها فى زمان اقصر من الزمان الذى يحرك فيه بالقوة الصغرى ذلك المتحرك بعينه تلك المسافة بعينها اذ كان تحريك القوة العظمى اسرع بل يلزم ضرورة اذا كان متحرك واحد يتحرك عن قوتين مختلفتين مسافة واحدة بعينها ان تكون نسبة الزمان الى الزمان نسبة القوة المحركة الى القوة المحركة واذا كان هذا هكذا وانزلنا انه توجد قوة غير متناهية فى جسم متناه فبين انه قد يمكن ان يحرك هذا الجسم ايضا من جهة ما هو متناه قوة متناهية فاذا انزلنا هذا الجسم بعينه تحرك عن هاتين القوتين اعنى المتناهية وغير المتناهية مسافة واحدة فبين انه يلزم ان تكون نسبة زمان الحركة الى زمان الحركة نسبة القوة الى القوة لكن لما كان ليس لما لا يتناهى الى ما يتناهى نسبة الانسبة النقطة من الخط والآن من الزمان وجب ان تكون حركة هذا الجسم عن القوة غير المتناهية فى الآن وذلك خلف لا يمكن لانه قد تبين ان كل حركة فى زمان وبين ان هذا المحال انما لزم عن وضعنا قوة غير متناهية فى جسم متناه ومالزم عنه

المحال

المحال فهو محال لأن مافرضناه عن القول هو كاذب ممكن والكذب الممكن لايلزم عنه محال وانما يلزم عن الكذب الممتنع على ماتبين فى كتاب القياس وقد تقدم القول فى جنس هذا القياس انه ليس فيه خلل وكذلك يظهر من قريب انه ليس يمكن ان يوجد فعل غير متناه لقوة متناهية فقد تبين من هذا ان القوة المحركة لمثل هذا الجسم غير هيولانية وقد يظهر ذلك ايضا من هذه الجهة وذلك انا متى وضعنا قوة هذا الجسم منقسمة بانقسامه وهى متناهية كما كان هذا الوضع مما يناقض نفسه لان قوة الجزء مثلا تكون اصغر من قوة الكل واذا جزينا الكل مثلا على قدر ذلك الجزء اجتمع من الكل قوة متناهية وتحريك متناه وقد كنا فرضناها غير متناهية هذا خلف ٠

وايضا فكان يمكن ان نفرض جسما اعظم منه فتكون قوته اعظم منه فيكون مالا نهاية اعظم مما له نهاية وكيف يمكن مثلا ان نتصور مثل هذه القوى هيولانية ومنقسمة بانقسام الجسم وقد يظهر أن قوة الجسم الاكبر كأنك قلت فلك الكواكب والجسم الاصغر كأنك قلت فلك القمر يجتمعان فى ان كليهما محركان الى غير نهاية وان كانا يختلفان بالسرعة والبطوء لكن مثل هذا الاختلاف يوجد لهذه القوى من قبل ان بعضها اشرف من بعض وسنبين هذه الاشياء فيما بعدالطبيعة فقد ظهر أن هذه القوى المحركة الازلية كانت واحدة اوا كثر من واحدة انها ليست هيولانية

---

(١) د ــ لحق ٠

اصلا ولا لها تعلق بالهيولى لا قريب ولا بعيد والا كف التحريك ولحق التناهى ضرورة بل هى السبب فى ان يوجد فى الجسم المتحرك عنها فعل غير متناه مع انه جسم لكن قد كان لعمرى فيه تهيؤ واستعداد لقبول هذه القوة •

ومن هاهنا يظهر أن المادة والصورة وبالجملة الجسم يقال فى مثل هذه الاجرام السماوية وفى الكائنة الفاسدة باشتراك وسيظهر هذا اكثر فى كتاب السماء والعالم •

فأما هل مثل هذا المحرك واحدا وكثير وأى موجود وجوده وعلى اى جهة تحرك فقد تبين فيما بعد الطبيعة •

وقد بقى علينا من هذا الفحص ان نبين اى حركة هى هذه الحركة التى لها مثل هذا المحرك فنقول انه يظهر فيما تبين انها حركة النقلة اذ كانت هى المتقدمة بالطبع على سائر الحركات فانه لا يمكن ان توجد حركة من سائر الحركات الاول النقلة متقدمة عليها فان المكون يلزم ضرورة ان يقرب من المتكون حتى يماسه وذلك بان ينتقل المكون او المكون او كلاهما وكذلك الامر فى سائر الحركات وايضا فان المتحرك بهذه الحركة هو متحرك من تلقائـــه وذلك لا يكون الا فى المكان ومن هذه الدورية فقط اذ كان لا يمكن أن توجد حركة واحدة ومتصلة سرمدية الا هذه لأن سائر الحركات على ما تبين فى السادسة متناهية •

وايضا

وايضا فليس يمكن ان تكون الحركة المؤلفة من اثنين من هذه المستقيمة واحدة ومتصلة كأنك قلت الحركة من اسفل الى فوق وهى بعينها من فوق الى اسفل وهذا بين بنفسه والا كان مصير الشئ الى فوق هو بعينه مصيره الى اسفل وكان يوجد الضدان معا وايضا فانه يوجد سكون بين كل حركتين متضادتين من هذه الحركات والحركة الواحدة كما قيل من شرطها مع ان يكون الموضوع واحدا وما اليه الحركة واحدا ان يكون الزمان واحدا اما وجوب هذا السكون المتخلل بين الحركتين المتضادتين فى الاستحالة والنمو والنقص فبين وكذلك الامر فى الكون والفساد وان سمى هذا سكونا واما فى الحركة على العظم المستقيم فذلك يظهر على هذه الجهة فلنفرض المتحرك (ا) على عظم طرفاه (ب ج) و(ا) يتحرك من (ب) الى (ج) ثم يعود من (ج) الى (ب) فاقول انه يسكن ضرورة فى (ج) لانه ترسم عليها نقطة بالفعل والمتحرك اذا رسم على العظم نقطة بالفعل فقد سكن ضرورة اذ لا يرسم على العظم ما يتحرك نقطة بالفعل وكذلك هو العظم كما قيل فى الآن وكل ساكن فى زمان يسكن على ما تبين فاذا ليس حركة المتحرك على عظم مستقيم اذا تكرر واحدة اذ كان يتخللها سكون وايضا فليس يمكن فى المتحرك ان يكون فى آن واحد صاعدا هابطا معا — فاذا كان فى آنين اعنى كونه صاعدا وهابطا وبين

كل آنين زمان فضرورة هو ساكن فيه فاما الحركة على الدائرة اذا كانت الى جهة واحدة فهى واحدة ضرورة وان تكررت الى غير نهاية لان المتحرك ليس يرسم نقطة بالفعل لانه ليس لها مبدأ ومنتهى بالطبع كالحال فى الخط المستقيم ولذلك اى نقطة فرضت عليها فهى مبدأ و نهاية ووسط وهذا من امر الدائرة بين بنفسه فقدظهر من هذا القول انهاهنا حركة دورية ازلية محركها ازلى وفى غير مادة اصلا وكان ماوجد بالقول هاهنا من امرها مطابقا لما يظهر حسامن حركة الجرم السماوى فاذا هذه الحركة التى لم تحس قط ساكنة ازلية ضرورة وهو المطلب الذى كان عنه الفحص من اول الامر ولقرب هذا الجسم ممالدينا وبعده واختلاف اوضاعه تحدث الحركات الكائنة الفاسدة والا لم يمكن ان يوجد عن محرك ازلى ومتحرك ازلى حركة حادثة كما لا يمكن ان توجد حركة حادثة ان لم يوجد محرك ازلى ــ انتهت جوامع كلام ارسطو فى السماع الطبيعى ٠

والحمد لله رب العالمين والصلاة

على محمد وآله المعصومين

تمت الرسالة

بعونه تعالى

استدراك الخطأ والصواب من كتاب السماع الطبيعى لابن رشد

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١	١٠	بصورة ما ومالم	بصورة ما ولم
١٧	٤	ذلك الطبيعة	ذلك والطبيعة
١٩	١٤	لا	الا
٢٢	٢	تبين	يتبين
٢٨	١٦	آنه	أنه
٣١	١٧	ليس الماضى يضع	ليس يضع
٣٣	١	اسباب	اسبابه
٤٢	٥	الحركة يلزم ضرورة المكان	الحركة المكان
«	٦	لقد كان ان يكون	لقد كان يلزم ضرورة ان يكون
«	«	جسم الآخر	جسم آخر
٤٧	١٤	معاو انواع	معاد الانواع
٥٣	١٧	مخصومة	مخصوصة
«	«	حركة	صفة حركة
٦٩	١	اسفلا اوفوقا	اسفلا و(ا) فوقا
٧٠	١٩	يتسلم ذلك	وانما يتسلم ذلك
٧١	٤	الجسم مؤلفا	الجسم مثلا مؤلفا
٧٤	١	(ا ج ج)(ب)	(ا ج ـ ا ب)
٨٦	٥	ليشبه	يشبه
٨٧	١٢	فى الأن	فى الآن

استدراك الخطأ والصواب من كتاب السماع الطبيعي لابن رشد

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨٨	١٥	متحركا او متحركا	متحركا معا او متحركا
٨٩	٥	فتغير	يتغير
٩١	٨	وكذلك	ولذلك
٩٣	١٨	لاما	واما
٩٦	٥	المتحرك فيه	المحرك فيه
»	١٨	لما	لهما
»	١٩	مادتها	مادتهما
»	»	المتحركة	المحركة
١٠٧	٥	المفسد	والمفسد
١١٦	٦	ظنت	ظننت
»	١٤	تلقائها	تلقائها
١٢٣	٩	على	الى
١٢٣	١٢	اعظم مما له نهاية	اعظم مما لا نهاية

تمت الاغلاط الواقعة في كتاب السماع الطبيعي

كتاب السماء والعالم

للفقيه القاضي العلامة ابي الوليد
محمد بن احمد بن محمد بن رشد
رضى الله عنه المتوفى
سنة ٥٩٥هـ

طبع

بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بعاصمة الدولة
الاسلامية الآصفية حيدرآباد الدكن لازالت
شموس افاداتها بازغة وبدور
افاضاتها طالعة الى
آخر الزمن
سنة ١٣٦٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

غرضه فى هذا الكتاب المترجم بكتاب السماء والعالم التكلم فى الاجسام البسيطة الاولى التى هى اجزاء العالم اولا واليها ينقسم وفى اللواحق والاعراض التى توجد لها وللعالم باسره مثل انه واحدا وكثير ومكون اوغير مكون وذلك انه لما تكلم فى الكتاب الذى قبل هذا فى الامور العامة للموجودات الطبيعية على ما يقتضيه التعليم المنتظم ابتدأ بالتكلم فى الامور الجزئية وابتدأ من هذه بابسطها وهى اجزاء العالم الاول وما يلحق ذلك .

ولما كان هذا الكتاب ايضا هو اول جزء فشرع ان يتكلم فيه فى شىء شىء من الامور المحسوسة ابتدأ فيه اولا يعرف ما هو موضوع هذه الصناعة فقال ان اكثر المعرفة فى هذه الصناعة تكون فى الاجسام وفى الاعظام وفى الآثار اللاحقة لها وفى حركاتها وفى مبادىء هذه الاشياء وذلك ان الامور المحسوسة كلها اما ان تكون اجساما كالماء والهواء والارض واما ان تكون ذوات اجسام كالنبات والحيوان اعنى اما ان تكون بسائط واما مركبة عن البسائط والمعرفة بهذه انما تكون باعطاء اسبابها واسباب لواحقها فموضوع هذا العلم اذن على الاطلاق هو الجسم لكن من حيث هو فى مادة فلذلك ابتدأ اولا يحدد الجسم ولما كان المتصل كالجنس

له شرع اولا فى تعريفه فقال ان المتصل هو الذى ينقسم الى ماينقسم دائما والجسم من انواع المتصل هو المنقسم الى كل الابعاد يعنى الطول والعرض والعمق ولما لم يكن هاهنا بعد رابع قال كل الابعاد لان الكل والجميع هو الذى لا يوجد شيء خارج عنه وذلك يبين من ان الخط يمكن فيه ان ينتقل الى عظم آخر وهو السطح والسطح الى الجسم واما الجسم فليس يمكن فيه الانتقال الى عظم آخر ولذلك كان تاما بذاته وكان الخط والسطح ناقصين وذلك بين من حدودهما واذ قد ظهر من حد الجسم التمام فمن البين ان العالم من حيث هو جسم تام وليس من هذه الجهة فقط بل ومن جهة ما هو حاو وانه ليس خارجه شيء واما اجزاؤه فان كان يوجد لها التمام من حيث هى اجسام فهى ناقصة من جهة انها محاط بها والكل ليس كذلك اذ كان ليس خارجه شيء سواء كان ذلك من اجل انه متناه اومن اجل انه غير متناه واذ قد ظهر من امر العالم انه تام وانه ليس يمكن فيه انتقال الى جنس آخر من جهة ما هو جسم فينبغى ان نبتدئ بالفحص عن اجزائه البسيطة ومن هذه باشرفها وهو الجرم السماوى •

فنقول انه قد تبين فيما تقدم ان الطبيعة هى مبدأ الحركة فى الاشياء المتحركة واذا كان ذلك كذلك كانت الحركة ضرورة تابعة لجوهر الشيء المتحرك وجارية منه مجرى الخاصة وكذلك يلزم ان يكون عدد الاشياء المتنقلة فى المكان بعدد اصناف الحركات

المكانية والحركات المكانية الطبيعية منها مبسوطة وهى التى لجسم مبسوط ومنها مركبة وهى التى لجسم مركب لكن اذا تحرك بها الجسم المركب تحرك بحسب الغالب على اجزائه والا لم يتحرك او تشذبت اجزاؤه وهذا كله بين بنفسه والحركات المبسوطة الطبيعية ثلاثة اصناف حركة من الوسط وحركة الى الوسط وهما صنفا الحركة المستقيمة وحركة حول الوسط وهى المستديرة وانما انقسمت الحركة الى هذه الاقسام بحسب انقسام الابعاد اعنى المستدير والمستقيم واذا كان الامر هكذا فعدد اصناف الاجسام البسيطة بعدد اصناف هذه الحركات لكن اما الحركة الى الوسط ومن الوسط فان الاجسام المتحركة بها محسوسة واما ان ها هنا جسما متحركا دورا كريا فليس بمحسوس والذى يظهر فى صناعة النجوم التعاليمية من ذلك هو أن هذه الكواكب المحسوسة تتحرك على دائرة فعسا ها منتقلة بذاتها وليست جزءا من منتقل كما يظن كثير من الناس وان كان قد يظهر فى تلك الصناعة من امر الكواكب التى توجد لها حركة اكثر من واحدة انه يلزم ضرورة ان تكون جزءا من منتقل لكن ليس هذا بكاف فى هذا الطلب ولا هو بيان خاص فلذلك اولى المواضع بالفحص عن هذا الجسم السماوى هو هذا الموضع .

فنقول ان الفى ها هنا حركة مستديرة طبيعية مبسوطة فهى

لجسم

لجسم مستدير ضرورة اما وجود هذا المتقدم مع سائر ما اشترط فيه فذلك بين مما تقدم فى السماع الطبيعى وذلك انه قد كان تبين هنالك ان هاهنا حركة مستديرة وانها طبيعية ومبسوطة والا لم تكن ازلية مع موافقة ما يظهر من ذلك بالحس لما ظهر بالقول واما صحة لزوم هذا التالى للمقدم وهو أن يكون هاهنا جرم مستدير اذ كانت هاهنا حركة مستديرة طبيعية فهو يظهر من هـــذه الجهة لما كان المتحرك على الاستقامة يلزم ضرورة ان يتحرك عـــلى بعد مستقيم ومن جهة ما هو ذو ابعاد مستقيمة لزم ضرورة ان يكون المتحرك على استدارة ليتحرك على بعد مستدير ومن جهة ما هو ذو بعد مستدير والا كانت الاستدارة له بالعرض مثل ان نتوهم الكواكب تتحرك بذاتها على دوائر وايضا فان المتحرك على استدارة الطبيعى اللازم بحركته نظاما واحدا يلزم ان يكون له مركز يكون بعده عنه من جميع الجهات بعدا واحدا وقطبان ثابتان بها يكون وضعه من المركز محـــدودا والا امكن ان يختلف وضعه والقطبان هما نقطتان وهاتان ليس يمكن ان تكونا مفارقتين ولا ان تكونا فى جسم آخر غير المتحرك دورا ولو كان ذلك كذلك لكانت الاقطاب للجسم المتحرك بالعرض فكان يمكن ان تختلف اوضاعه من المركز الا ان يكون هنالك قاسر يقسره .

وقد تبين من امر هذه الحركة انها طبيعية وانه ليس فى الجسم

المتحرك بها مبدأ مضاد للمحرك كالحال فى الحيوان واذا كان هذا هكذا فظاهر انه يلزم ان يكون للحركة المستديرة بما هى مستديرة مركز واقطاب وما هو بهذه الصفة فهو كرة ضرورة فاما الأكر المحروقة الاقطاب التى يضعها (١) بطلميوس فى كتابه فى الاقتصاص فشئ لا يصح على هذا المتحركات ذوراحركة طبيعية وايضا لوكانت الكواكب تتحرك بذاتها دورا كما يظن ذلك قوم لم تكن حركتها طبيعية اصلا والا فما بالها كانت تكون فى مكان و يتحرك اليه بعينه ولكانت حركتها عبثا فلذلك الحركة دورا للجسم الكرى بما هو كرى اذ كان ليس منتقلا بكله وانما هو متحرك باجزائه فهذه هى الامور التى استعمل ارسطو فى بيان ان هاهنا جسما كريا مباينا لطبيعة الاجسام المتحركة حركة استقامة ذو (٢) طبيعة خامسة الا ان بعض هذه المقدمات استعملها هاهنا بالقوة اتكالا منه على ما تقدم وجريا على عادته فى الايجاز وبعضها صرح بها ولذلك اشكل هذا البيان حتى يقول ثامسطيوس ان الذى اتى به هاهنا من البرهان غير محدود ولا محصل •

وايضا فقد يمكن ان نبين ان هذه الحركة الدورية الموجودة بالحس والقياس طبيعية لهذا الجسم السماوى من وجوه وانها ان وجدت لغيره فعرضية احدها انها انما توجد للنار والماء والهواء من قبل جسم آخر من خارج لا بمبدأ فيها وما هذا شأنه فهو غير

(١) د ـ يصفها (٢) كذا .

طبيعي واذا كانت غير طبيعية لهذه الاجسام فهي ضرورة طبيعية لجسم آخر لان ما يوجد غير طبيعي لشئ فهو ضرورة طبيعي لغيره والا كان ما بالعرض متقدما على ما بالذات وهذه المقدمة هي لعمري بينة بنفسها ولا معنى لانكار ابن سينا لها واذا كان هذا هكذا فليس هاهنا جسم آخر خارج عن هذه الاربعة بسيط الا الجرم السماوي فباضطرار ان تكون له هذه الحركة طبيعية وايضا فكما يقول ارسطو لو كانت هذه الحركة الدورية طبيعية للنار او الهواء لكان يكون للشئ المبسوط حركتان طبيعيتان وكان يلزم ان يكون للضد اكثر من ضد واحد اذ كانت الحركة خارجة عن الطبع تضادها الطبيعة وايضا فان الجسم السماوي بما هو جسم طبيعي لا بد له من حركة طبيعية بسيطة وكل حركة طبيعية كما تقدم يلزم ضرورة ان تكون من الوسط او الى الوسط او حول الوسط وهذا الجسم ليس له الحركتان التي من الوسط والتي الى الوسط فله ضرورة الحركة التي حول الوسط .

وليس لاحد أن يقول ان له احد هذه الحركات المستقيمة اعني الى الوسط الا انه محمول على الكل فان ما هو هكذا فهو قسري ولو كان ذلك كذلك لكان يمكن في اجزائه في هذا الدهر الطويل ان تنحدر الى اسفل ولذلك ليس يمكن ان نضع فيه مبدأ مضادا اصلا للمحرك وايضا فان الجسم المستدير اتم من الجسم المستقيم الابعاد اذ كان متناهيا بذاته بمنزلة صورة من الصور لا يمكن فيها

الزيادة ولا النقصان وليس كذلك الجسم المستقيم لانه انما يقبل التناهى من غيره ومن هاهنا يظهر ايضا ضرورة وضع جسم مستدير ينهى الشكل والا لزم وضع ما لا نهاية له اوكان التناهى بالعرض واذا كان الجسم المستدير اتم من سائر الاجسام فهو متقدم عليها وحركته متقدمة ضرورة على حركاتها والحركة المتقدمة على الحركات الطبيعية البسيطة هى ضرورة طبيعية بسيطة ولجسم طبيعى بسيط متقدم على الاجسام البسائط وايضا كما يقول ارسطو أنه من الشنيع ان تكون مثل هذه الحركة التى لم تحس قط فى الازمنة الطويلة ساكنة قسرية وهذا البيان يشبه ان يكون مادون اليقين الذى حد فى كتاب البرهان فقد استبان الآن ان ههنا جرما خامسا غير الاربعة الاجسام التى هى الماء والهواء والنار والارض ومما تقدم يظهر انه ليس بثقيل ولا خفيف ومن حدهما ايضا وذلك ان الثقيل هو الهابط الى الوسط والخفيف هو الصاعد من الوسط وقد يرسم ايضا الثقيل بانه الشئ الراسب تحت جميع الاجسام والخفيف الشئ الطافى فوق الاجسام كلها وسيظهر هذا على وجه اتم فيما بعد اذا فحصن عن طبائعها واذا كان هذا هكذا فكل جرم متحرك الى الوسط او من الوسط فهو ضرورة ثقيل او خفيف فهذا الجسم ليس بثقيل ولا خفيف ولا يظن ان المقدمة الصغرى التى استعملناها هاهنا سالبة اذ كان لا ينتج فى الشكل الاول ما صغراه سالبة ولكنها عدمية قوتها

قوة الموجبة على ما تبين فى كتاب العبارة •

وقد يظهر ايضا من امر هذا الجرم الكريم انه غير متكون ولافاسد ولايقبل النماء ولا النقصان ولا الاستحالة الاثرية •

وبالجملة فهو مرتفع عن التغاير التى تلحق الكائنات الفاسدات من جهة ماهى كائنة فاسدة وذلك ان كل فاسد فاما ان يكون بسيطا اومركبا اما المركب ففساده يكون بانحلاله الى ما تركب منه وكونه يكون منها واما البسيط ففساده انما يكون الى الضد وكذلك كونه انما يكون من الضد كالحال فى الارض والهواء والماء والنار وهذا الجرم البسيط الكريم تبين من امره انه ليس له ضد وذلك انه لو كان له ضد لكانت هاهنا ضرورة حركة مضادة لحركته والتضاد انما يوجد للاجسام من جهة ماهى متحركة حركة استقامة اذ كان المتضاد ان فى الاين هما اللذان البعد بينهما غاية البعد حتى لايوجد بعد ابعد منه وهذا كما تقدم من قولنا انما يوجد للخط المستقيم من جهة ماهو مستقيم وليس يمكن ان يوجد ابعد بعد للخط المستدير وذلك انه يمكن ان يخرج من كل نقطتين تفرضان متضادتين خطوط منحنية لانهاية لها وليس يوجد فيهما بعد ابعد •

ومثال ذلك ان نفرض نقطتى (ب ج) ونفرضهما متضادتين ونخرج من (ب) الى (ج) خطوطا منحنية لانهاية لها فان كان تضاد (ج ب) من جهة الخطوط المنحنية التى بينهما كان

الضد له اكثر من ضد واحد ضرورة بل تكون له اضداد لانهاية لها وهذا قد ظهر امتناعه واذا كان ذلك كذلك فان كان (ب و ج) متضادين فانهما يتضادان من جهة ما هما طرفا بعد مستقيم كأنك قلت الفوق والاسفل وهذا بين بنفسه وسواء فرضت الخط المنحنى من (ب و ج) قوسا من دائرة او نصف دائرة وان كان لا يمكن ان يخرج بين (ب و ج) اكثر من قوس واحدة هى نصف دائرة ٠

وبالجملة ليت شعرى اى جرم هو المضاد لهذا الجرم المستدير أهو الجرم المتحرك حركة استقامة أم الاجرام المستديرة تضاد بعضها بعضا اما الاجسام المتحركة حركة استقامة فليست بمضادة له اذ كان التضاد لهذه يلزمه ضرورة ان تتضاد حركاتها والحركات المتضادة انما توجد كما قلنا من قبل المكان المتضاد الذى هو الفوق والاسفل وليس بين مكان الكرة والفوق والاسفل تضاد بل الكرة هى الفاعلة للفوق والاسفل وايضا فلو ضادت الحركة المستديرة الحركة المستقيمة مع ان المستقيمة تضادها المستقيمة لكان الضد له اكثر من ضد واحد ويدل على امتناع ذلك حدهما وذلك انه قد اخذ فى حدهما انهما اللذان البعد بينهما غاية البعد ولا يمكن ان يكون الذى فى الغاية اكثر من واحد وسنبين هذا عند البحث عن الموجود بما هو موجود وذلك فى الفلسفة الاولى لكن استعمالنا اياه ها هنا انما هو على جهة المصادرة على ما تبين فى كتاب البرهان ٠

واما ان نزلنا ان الجرم المستدير يضاد الجرم المستدير اذا كان احدهما يتحرك الى خلاف الجهة التى يتحرك اليها الآخر كأنك قلت الحركة اليومية تتضاد الحركة الخاصة التى لكوكب كوكب من الكواكب السيارة فذلك ايضا ممتنع لان المتضادين ينبغى ان يكونا مع انهما متغايران بالماهية والصورة ان يكونا فى نهاية التغاير وليس يوجد بين المتحركين على استدارة الى خلاف تغاير فى الصورة والماهية من جهة ما كل واحد منهما مستدير فضلا عن ان يوجد بينهما التغاير الذى فى النهاية ولــذلك ما يقول ارسطو انه لو كانت الحركة المستديرة تضاد الحركة المستديرة لكانت الطبيعة قد فعلت باطلا لان الشيء لا يفسد نفسه كما ان الخف لو صنع وليس له لابس لكانت الصناعة قد فعلت باطلا واذا ظهر من هذه البيانات ان هذا الجرم المستدير ليس له ضد وظهر بالاستقراء المفيــد لليقين ان الاجرام البسيطة الكائنة الفاسدة انما تكون من الضد وتفسد الى الضد فمن البين ان اللازم عن هذه الاقاويل ان هذا الجرم ليس بكائن ولا فاسد وقد وفقت الطبيعة اذ باعدته عن الآفات بان صيرت له هــذا الشكل الذى هو ابعد شيء عن الفساد ولذلك ما نرى الامور الكائنة الفاسدة اذا اتفق لها بالعرض الاستدارة عسر فسادها فما احسن اصابة الحق فانه شاهد لنفسه كما يقول ارسطو من كل جهة وفى كل موضع ٠

واذا ظهر من امر هذا الجرم الكريم انه ليس له ضد ولا هو

مكون ولا فاسد وكان ذلك مطابقا لما وجد من شكله وحركته وصورته فظاهر انه ايضا لا ينمو ولا ينقص ولا يقبل الاستحالة الاثرية ولا ما يتبعها كأنك قلت الصحة والمرض والهيآت النفسانية وسائر الكيفيات الاخر اما انه لا ينمو فذلك بين لان النامى هو الغاذى بجهة ما و الغاذى كما تبين فى غير هذا الموضع بعد من جهة مضاد ومن جهة شبيه والشبيه انما يوجد فيما المادة لها مشتركة وفيما يمكن ان يفسد كل واحد منهما الى صاحبه وان يتكون منه ولا مادة هاهنا مشتركة بين هذا الجسم الكريم وبين الاجسام الفاسدة اذ كان غير كائن ولا فاسد بل المادة فيه والصورة تقالان عليه وعلى مواد هذه التى لدينا وصورها باشتراك .

واما الاستحالة الاثرية وهى التى يقال لها بالحقيقة استحالة وفيها توجد الحركة فى الكيف على ما تبين فى السابعة فانها ليست ايضا بجائزة عليه لان الاستحالة انما تكون من الضد الى الضد وايضا فلو استحال لامكنت فيه الزيادة والنقصان كالحال فى المستحيلات التى لدينا كالنبات والحيوان وغير ذلك فقد تبين من هذا القول ان هاهنا جرما ذا طبيعة خامسة وانه لا ثقيل ولا خفيف وانه لا يلحقه الكون والفساد ولا سائر الاشياء اللاحقة من جهة الكون والفساد .

فاما عدد هذه الاجسام البسيطة فمن هنا يظهر وذلك انه

لما

لما تبين من امر الحركات البسيطة انها اثنان مستقيمة ومستديرة وان المستديرة لجرم مستدير فقد بقى علينا ان نفحص عن عدد الاجسام المتحركة حركة استقامة •

فانه اذا تبين عددها تبين عدد اجزاء العالم اذ كان لايوجد نوع من الحركة خارجا عن هذه الانواع ولا يمكن وجوده والحركة المستقيمة كما قلنا قسمان حركة من الوسط وهى الحركة من اسفلَ الى فوق كحركة النار وحركة الى الوسط وهى الحركة من فوق الى اسفل كحركة الارض وكل واحدة من هذه توصف بذلك اما باطلاق واما باضافة وذلك مشاهد من امر هذه الاجسام البسيطة فان الارض تتحرك الى اسفل باطلاق اذلايوجد متحرك اسفل منها والماء يتحرك الى اسفل بالاضافة الى الهواء وكذلك الامر فى الهواء والنارفاما النار فانها وان كان وجودها فى الموضع الفوق الذى ترى اليه متحركة غير بين بنفسه لانها غير محسوسة هنالك فمن هذه الجهة يمكن ان يوقف على وجودها هنالك اعنى فى مقعر فلك القمر وذلك انا نحس النار التى تتكون لدينا تتحرك بسرعة على الهواء فموضعها الطبيعى لاشك هو فوق موضع الهواء فان لم يكن هنالك نار بالفعل فاما ان يكون ذلك الموضع خلاء او يكون فيه الهواء اما الخلاء فقد تبين بطلانه واما الهواء فليس له بالطبع المسير الى ذلك المكان والا كان نارا •

وبالجملة فحركة النار فى موضع الهواء بسرعة تدل على ان هنالك موضعا غير موضع الهواء والموضع يدل على نار فيه ضرورة واذا كان ذلك كذلك فباضطرار ما يكون فى مقعر فلك القمر نار موجودة بالفعل اليها تتحرك النار المتكونة فى غير موضعها كما تتحرك قطرة المطر الى البحر المحيط فانه مما يظهر ان البحر ايضا معظم الاسطقس المائى اذ كان لا يلفى ماء اعظم منه ولذلك كان ابدا ازليا بالنوع وايضا ان لم يكن ها هنا نار موجودة بالفعل لم تحصل المقاومة بين الاسطقسات على ما يتبين بعد. وايضا فلما كان هاهنا جسم متحرك على استدارة وكان يلزم فيما كان عنه فى النهاية من البعد ان يكون فى النهاية من الثقل والرسوب وجب ضرورة ان يوجد ما كان منه فى النهاية من القرب فى النهاية من اللطافة والخفة اذ كانت الحركة من شأنها ان تفعل ذلك وما هو بهذه الصفة فهو نار فلذلك ما يلزم ضرورة عن وجود هذا الجرم المتحرك على استدارة وجود نار بالفعل فى مقعره وهذا برهان سبب ووجود وهو مما يقل وجود مثله فى هذا العلم اعنى ان تبرهن على وجود نوع ما برهان سبب ووجود كما تقدم فيه قولنا فاما العلة فى كون هذه النار غير مرئية فى موضعها ومرئية فيما لدينا فيشبه ان يكون السبب فى ذلك تشبثها بالمواد ولذلك ما نراها اذا لطفت المادة الحاملة لها ذهب لونها كما تشاهد ذلك فى صناعة التخليص وغيرها من الصنائع وهذا ان انزلنا التى فى مقعر القمر والنار

التى

التى هاهنا مقولة بتواطؤ واما ان انزلناها مقولة باشتراك على مايراه الاسكندر ويصحح انه مذهب ارسطو وذلك انه يزعم ان النار التى هنالك ليست محرقة كهذه النار التى لدينا وانما فيها من معنى النارية انها حارة يابسة فقط وان الهواء له (١) طبقتان طبقة حارة رطبة وهى المخصوصة باسم الهواء وطبقة حارة يابسة وهى التى يطلق عليها ارسطو اسم النار ويستدل على هذا من ان ارسطو صرح فى كتاب الكون بان النار الحقيقية هى ضد الجليد فانه قال لما كان الجليد افراط جمود البرد والرطوبة لزم ان تكون النار المحرقة افراط غليان اليبوسة والحرارة فاذن هذه (٢) النار ليست هى الاسطقس البسيط اعنى كما ان الجليد ليس هو الاسطقس المائى وانما كلاهما امران عارضان للاسطقس اذا افرطا وخرجا عن الطبع اعنى ان يكون احدهما نارا والآخر جليدا والنار الطبيعية عنده هى ملائمة للكون كالماء سواء وهذان الافراطان غير ملائمين اعنى النار والجليد وكيفما كان الامر فهاهنا اسطقس رابع غير الارض والماء والهواء فقد تبين ان الاجسام البسيطة التى هى اجسام العالم خمسة اما الاثنان منها فبالقول اذ كان انما يحس منها اجزاؤها فقط واما الثلاثة فبالحس.

ولما كان قصده ان يفحص عن العالم هل هو متناه فى العظم او غير متناه فان كان متناهيا فى العظم فهل هو واحد او كثير وكان يلزم ضرورة فى العالم متى وضع انه غير متناه ان يكون ذلك اما من

(١) صف ــ الهواء طبقتان (٢) د ــ عنده .

قبل ان الاجسام البسيطة التى هى اجزاؤه غير متناهية الصور والانواع واما من قبل ان واحدا منها او اكثر من واحد غير متناه فى العظم وكان يتبين من اجزائه البسيطة انها متناهية فى النوع وانها خمسة فقط فشرع هاهنا ان يفحص عن واحد واحد منها هل هو متناه فى العظم اولا وابتدأ اولا باشرفها وهو الجرم المستدير ٠

فنقول نحن ان كان الجرم المستدير غير متناه فانما يمكن ان يتوهم غير متناه من جهة محدبه بان يرفع عنه واما توهمه غير متناه من جهة مقعره فذلك ما لا يمكن اذ لا يمكن ان نتوهم دائرة غير متناهية فضلا ان نتصورها لان هذا الوضع يناقض نفسه واذا كان هذا هكذا وكان الجسم المستدير معا تتحرك جميع اجزائه وتتم دوراتها فى زمان واحد الا ان ما كان من اجزائه على دائرة اعظم فهو اسرع حتى تكون نسبة السرعة الى السرعة نسبة عظم الدائرة الى الدائرة فكيف يمكن ان يتوهم غير متناه من جهة محدبه لان جميع الدوائر الواقعة فيه لها بعضها الى بعض نسبة محدودة ولسرعة الاجزاء المتحركة على الدوائر نسبة محدودة وما هو بهذه الصفة فهو ضرورة متناه لانا متى فرضناه غير متناه من خارج لم تلف نسبة بين اجزائه فى السرعة والبطوء ولا بين اعظم الدوائر بل يلزم ان يكون بعض اجزائه يقطع مسافة متناهية وبعضها غير متناهية وذلك فى زمان واحد وهو ممتنع وايضا كما يقول ارسطو ان امكن ان يوجد جسم مستدير لا نهاية له تكون ضرورة

الخطوط الخارجة من مركزه غير متناهية واذا كان ذلك كذلك فالابعاد التى بينها تكون غير متناهية فتى توهمنا اذن احد هذه الخطوط يتحرك حتى يعود الى الموضع الذى بدأ منه كما هو ظاهر من امر الجسم الكرى فمن البين انه يقطع مسافة غير متناهية فى زمان متناه وذلك يمتنع على ما تبين وايضا ان وجد جسم كرى غير متناه فلنخرج من مركزه خطا غير متناه الى خارج ومتناه من جهة المركز ثم نخرج خطا غير متناه من طرفيه فوق المركز يجوز قطعة من الكرة ونتوهمه فى الجانب المقابل لذلك الخط الذى اخرجناه من المركز ثم نتوهم احدهما متحركا او كليهما فهما ضرورة ليس يلتقيان بنقطة من جهة ماهما غير متناهيين لانهما اذا التقيا فانما يلتقيان من اطرافهما اولا فيكون التقاؤهما من جهة ماهما متناهيان والا لم يلتقيا بعد وان سلمنا انهما يلتقيان من جهة ماهما غير متناهيين لزم ضرورة ان لا ينفعل احدهما عن صاحبه اذ كان يلزم ان يقطع الخط الخارج من المركز الخط الآخر طولا وهو غير متناه فهذا محال •

وبالجملة فقولنا كرى مستدير وغير متناه يناقض نفسه وذلك لان عدم التناهى انما يوجد للشئ من جهة العظم والمادة والتناهى والتمام من جهة الصورة ولذلك امكن فى الخط ان يتوهم انه غير متناه اذ كان ليس تاما بذاته واما الكرى فانه تام بذاته وصورته ولذلك ليس يمكن فيه اصلا ان نتوهمه فضلا عن ان نتصوره غير

متناه من جهة ما هو كرى و هذا بين بنفسه و سائر البيانات التى يستعمل فى ذلك ارسطو ليس يعسر على من تأملها و هى كلها واحدة بالقوة وانما دعاه الى تكثيرها احد امرين اما شهرة هذا الرأى فى زمانه اعنى القول بغير التناهى و اما غموضه •

واما الاجسام الاربعة البسيطة فمما تبين ها هنا من تناهى الجسم الكرى يظهر انها ايضا متناهية لكونها محصورة فيه فقد يمكن ان نبين ذلك ايضا ببيانات خاصة وذلك على وجوه •

احدها انه لما كانت حركات هذه الاجسام متضادة لمسيرها الى اماكن متضادة وهما الفوق والاسفل وكان احد الضدين وهو الاسفل محدودا كان الضد الآخر وهو الفوق محدودا فاما ان الاسفل محدود فهو يظهر من ان جميع الاشياء الراسبة تتحرك فى جميع نواحى الفلك على حالة واحدة ولا تتعدى الوسط و تسكن فيه وما هو بهذه الصفة فهو متناه فاما كيف يلزم اذا كان المكان الاسفل متناهيا ان يكون المكان المضاد له وهو الفوق متناهيا فان الضد يجب ضرورة ان يكون كضده فى جميع احواله لكن فى الجهة المقابلة فان احدهما محدود الاسفل فيكون الآخر محدود الفوق وهذا بين وايضا فان غير المتناهى ليس له نهاية فليس له طرف والضدان كما قيل هما طرفا البعد المستقيم وايضا فمما تبين فى السادسة من السماع بين (١) ان اماكن هذه محددوة وذلك انه قد تبين

(١) كذا .

هنالك

هنالك امتناع حركة مستقيمة غير متناهية ولو كانت اماكن هذه غير متناهية لكانت حركاتها غير متناهية واذا كانت هذه الاماكن محدودة فالاجسام التى فيها محدودة ضرورة وكذلك يلزم ضرورة ان تكون الاماكن التى بين هذه محدودة وهى الفوق والاسفل بالاضافة لان ما بين المحدود محدود ولو فرضناها غير متناهية والطرفان موجودان لما امكن فى شئ من الارض والنار ان تصل الى موضعها •

وبالجملة فوضع بعد متناهى الطرفين غير متناهى الوسط بين بنفسه امتناعه وقد يظهر هذا المعنى لهذه الاجسام من جهة الثقل والخفة الموجودين فيها وذلك لان هذه الاجسام ان كانت غير متناهية فان الثقل والخفة الموجودين فيها يلزم ضرورة ان يكونا غير متناهيين •

وبيان ذلك ان هذا ان لم يكن صادقا وهو انه يوجد للجسم غير المتناهى ثقل او خفة غير متناهية فنقيضه صادق وهو انه يوجد للجسم غير المتناهى ثقل او خفة متناهية لكن متى انزلنا جسما غير متناه ثقله متناه امكن ان نفرض قطعة منه تكون نسبة ثقلها الى ثقل الجسم غير المتناهى مثل نسبة تلك القطعة الى جسم آخر متناه فيكون ثقله مثل ثقل غير المتناهى واذا كان هذا هكذا لزم ان يكون ثقل واحد لجسم متناه وغير متناه وذلك محال •

والعلة فى ذلك ان هذه القوى منقسمة بانقسام الجسم وذلك من امرها بين و بمثل هذا ايضا تبين انه لا توجد خفة متناهية لجسم غير متناه واذ قد ظهر انه لا يوجد ثقل ولا خفة متناهية لغير متناه وكان ايضا لا يمكن وجود ثقل ولا خفة غير متناهية لزم باضطرار ان تكون هذه الاجسام ذوات الثقل والخفة متناهية فاما كيف يلزم ذلك فمن هذه الجهة لنزل ان هاهنا جسما ثقله غير متناه يتحرك بعدا ما محدودا فى زمان محدود ثم نفرض جسما له ثقل متناه فمن البين انه يقطع ذلك البعد فى زمان اطول من الزمان الذى قطعه فيه غير المتناهى اذ كان الاقل ثقلا اقل سرعة فانه يلزم ان تكون نسبة الزمان الى الزمان هى نسبة القوة الى القوة لان القوة العظمى تحرك ابدا اسرع واذا كان ذلك (١) لزم ان يتحرك الجسم الذى ثقله غير متناه ذلك البعد الذى تحرك فيه المتناهى فى الآن اذ كان لا نسبة بين القوة غير المتناهية والمتناهية وذلك قد تبين امتناعه او يكون فى زمان واحد يتحرك مسافة واحدة ثقل متناه وغير متناه وذلك خلف لا يمكن .

واذ قد تقرر هذا فلنضع ما اجتمع من هذا فنقول ان كان يوجد جسم غير متناه فيوجد ثقل وخفة غير متناهين ثم نستثنى مقابل التالى وهو لكن ليس يوجد خفة ولا ثقل غير متناهيين فيلزم عنه مقابل المقدم وهو انه لا يوجد جسم غير متناه والاتصال فى هذا

---

(١) كذا القياس

القياس الشرطى بان برهان الخلف الاول والمستثنى بالبرهان الثانى فقد تبين من هذا القول انه لا يوجد واحد من الاجسام المتحركة حركة استقامة غير متناهية •

وقد يمكن ان نبين ذلك ببيان عام اعنى انه لا يوجد جسم من هذه الاجسام الخمسة غير متناه وذلك لان كل واحد منها اما فاعل فقط كالاجرام السماوية واما فاعل ومنفعل كالهواء والارض والنار والماء وليس يمكن فى غير المتناهى ان يفعل فى المتناهى ولا ان ينفعل عن المتناهى وهذه الاجسام يوجد لها الفعل فى المتناهى والانفعال عنه فهذه الاجسام اذن متناهية فاما كيف يظهر انه لا يوجد بغير المتناهى فعل فى المتناهى وانفعال عنه فعلى هذا الوجه لننزل ان ها هنا جسما غير متناه يسخن جسما متناهيا فى مقدار ساعة ونتوهم قطعة منه تسخن فى ذلك الزمان بعينه قطعة من ذلك الجسم المتناهى ويمكن ان نجد جسما آخر فاعلا متناهيا تكون نسبة القطعة الفاعلة من الجسم غير المتناهى اليه هى نسبة القطعة من ذلك المنفعل المتناهى الى الجسم باسره واذا بدلنا النسبة على ما تبين فى كتاب الاسطقسات كانت نسبة القطعة الفاعلة عن الجسم غير المتناهى الى تلك القطعة من الجسم المنفعل المتناهى هى نسبة ذلك الجسم الذى فرضناه فاعلا متناهيا الى ذلك الجسم المتناهى المنفعل فيكون فعلهما فى زمان واحد وهو الزمان الذى فعل فيه غير المتناهى فيكون جسم واحد منفعلا من غير متناه ومتناه معا فى

زمان واحد وذلك محال لان القوة الاشد تفعل فى زمان اقصر وكذلك يظهر انه لا يمكن ان ينفعل غير المتناهى من متناه فلننزل جسما غير متناه هو هواء مثلا يتسخن عن نار متناهية فى ساعة من الزمان ثم نتوهم قطعة من ذلك الهواء يتسخن عن قطعة من تلك النار فى ذلك الزمان بعينه ويمكن ان نجد جسما آخر متناهيا منفعلا تكون نسبته الى تلك القطعة من الجسم غير المتناهى المنفعل هى نسبة النار المنفعلة الى القطعة فيها الفاعلة فاذا بدلنا النسبة كانت نسبة القطعة من النار الى تلك القطعة من الهواء نسبة النار بعينها الى ذلك الجسم المتناهى المنفعل فيكون فى زمان واحد تفعل قوة واحدة فعلا واحدا فى مفعولين احدهما متناه والآخر غير متناه هذا خلف لا يمكن •

والعلة كما قلنا غير مرة فى ذلك ان هذه القوى منقسمة بانقسام الجسم ومن هذه الجهة امكن ان يوصف بالتناهى وغير التناهى واما الجسم السماوى فانما وجدت له الحركة فى المكان من اجل قوة غير هيولانية ولا منقسمة بانقسامه ولذلك امكن عنها وجود ما لا نهاية له فقد استبان انه لا واحد من الاجرام البسيطة غير متناه فى العظم واذا كانت متناهية فى العظم والعدد فالعالم المؤلف عنها متناه ضرورة وذلك ما قصدنا بيانه •

وقد يمكن ان ننقل هذه البيانات بعينها الى امتناع وجود جسم على الاطلاق لا نهاية له كان خارج العالم او داخله كما فعل

ارسطو

ارسطو هاهنا لان ذلك الجسم اما ان يكون مركبا او بسيطا فان كان بسيطا كان احد هذه البسائط ضرورة وان كان مركبا كان تركيبه عن هذه .

واما نحن فلما كان قصدنا الايجاز والاقتصار على الضرورى فلنخل عنه لمن تفرغ للنظر فى كتب ارسطو وايضا فان ذلك شىء قد فحص عنه فى الكتاب الذى سلف فلنأخذ فى بيان هل العالم واحد او اكثر من واحد ما بقى علينا من مطالب هذه المقالة وهو انه اذا كان قد تبين من امر العالم انه متناه فى العظم فهل هو واحد او كثير فان كان كثيرا فهل هو متناه فى العدد اوغير متناه والوقوف على ذلك يكون من هذه الجهة وهو انه ان كان هاهنا عالم آخر وكان فيما مضى او سيكون فى المستقبل واحدا كان او اكثر من واحد فمن البين انه مواطىء لهذا العالم فى الاسم والحد وانه واحد بالماهية والصورة لانه ليس هاهنا اجسام مبسوطة عنها يتركب ذلك العالم الا هذه الاجسام اذ كان ليس هاهنا حركات بسيطة غير هذه الحركات اعنى الحركة التى من الوسط والى الوسط وحول الوسط وايضا فقد تبين انه يلزم ضرورة ان توجد هاهنا حركة ازلية دورية واذا وجدت هذه لزم وجود الاسطقسات على ما تقدم فمتى انزلنا عالما آخر لزم ضرورة ان توجد فيه هذه الحركة الدورية الازلية بعينها وسائر الاسطقسات وتكون الاجسام البسائط الموجودة

فى هذا العالم وفى ذلك العالم واحدة بالماهية والنوع كثيرة بالعدد كالحال فى اشخاص الحيوان والنبات فلذلك ينبغى ان نجعل فحصنا من هذا المطلب عن هذا المعنى اعنى هل يوجد من كلية هذه الاجسام البسائط المحسوسة اكثر من شخص واحد كأنك قلت ارض اخرى غير هذه الارض المحسوسة ونار اخرى غير هذه النار التى تبين وجودها القول (١) وكذلك فى سائر البسائط .

فنقول انه مما يظهر فى هذه الاجسام البسيطة المتحركة حركة استقامة ان لكل واحد منها كما قيل غير مرة حركة طبيعية ووقوفا طبيعيا وحركة قسرية ووقوفا قسريا وذلك ظاهر بالحس فان حركة الارض الى اسفل هى لها طبيعية ، ووقوفها ايضا فى الاسفل هو لها طبيعى وبالعكس اعنى ان حركتها الى فوق قسرية ووقوفها فيه قسرى وكذلك الامر فى النار فان حركتها الى فوق طبيعية ووقوفها ثم طبيعى وان كانت توجد فى موضعها الطبيعى ايضا متحركة دورا لكن هذه الحركة هى لها خارجة عن طبعها وليست قسرية وكان وجودها متوسطا بين الحركة الطبيعية والخارجة عن الطبيعة ولذلك امكن فيه الدوام . اما شبهها للطبيعية فمن حيث تتحرك لا عن دفع هنالك ولا جذب بل استتباعا لنفس حركة الجرم الآلاى (٢) وللمناسبة التى بين نهايتيهما اذ كان ليس يمكن ان توجد فى هذا الجرم صلابة ولا غيرها من الكيفيات التى يتم بها الدفع ـ واما من حيث يتحرك

---

(١) كذا (٢) كذا

عن

عن شيء من خارج فتشبه الحركة الخارجة عن الطبع وقد جنح بنا القول عما كنا فيه فلنرجع الى حيث كنا •

فنقول انه اذا كان ظاهرا ان لكل واحد من هذه الاجسام حركة طبيعية ووقوفا طبيعيا وان مكان الاجزاء والكل من هذه الاجسام مكان واحد بالعدد وهو مكان الكل وان هذه الاماكن التى اليها تتحرك واحدة بالعدد والعالم واحد بالعدد وذلك انه محدودة (١) فليت شعرى ان توهمنا ان هاهنا عالما آخر غير هذا العالم فالى اين تتحرك النار الموجودة فيه مثلا حركته الطبيعية او اين يكون سكونها الطبيعى فانه يلزم ضرورة اذ كانت هى وهذه النار التى لدينا واحدة بالصورة اثنين بالعدد وان يكون مكانهما واحدا بالعدد على جهة ما توجد مكان الاجزاء واذا كان هذا هكذا فان انزلنا ان النار التى فى ذلك العالم تتحرك بالطبع الى افق هذا العالم لزم ضرورة ان تكون حركتها الى اسفل ايضا طبيعية وذلك خلف لا يمكن فاما كيف يلزم ذلك فهو ظاهر من ان ذلك العالم يلزم ضرورة ان يكون من ذا العالم ذا وضع اما عن يمينه او عن شماله او فوق او اسفل وكيف ما فرضناه اذا توهمت النار متحركة من افقها الى افق هذا العالم كانت حركتها الى الوسط ولم تكن نارا بل ارضا وكذلك يلزم فى امر الارض وان فرضنا ايضا ان الحركات الطبيعية لتلك الاجسام البسيطة هى من هذا العالم الى ذلك العالم لزم ذلك المحال بعينه •

---

(١) كذا .

وبالجملة متى انزلنا المكان الطبيعى لاجزاء الاجسام البسيطة اكثر من مكان واحد لم يمكن فيها ان تتحرك على المجرى الطبيعى ولا ان تسكن اذ كانت ليس الحركة لها او السكون فى موضع آخر ولم يكن هنالك فوق ولا اسفل الا بالاضافة ولا كان مكان الاجزاء واحدا بعينه اعنى النيران الكثيرة بالعدد وهذا كله بين بنفسه وان كان ظاهرا من امر هذه الاجسام المتحركة حركة استقامة انه لا يمكن ان يوجد منها غير هذه المحسوسة التى فى هذا العالم تكون اما كنها واحدة بالعدد فظاهر أن الجسم المستدير لا يمكن ان يوجد منه غير هذا المحسوس اذ لو كان هاهنا جسم آخر مستدير فى عالم آخر لوجب ان يكون هنالك جسم ساكن عليه يدور هو ارض وكان يلزم عن ذلك الاسطقسات على ما تبين وقد يظهر هذا المعنى مما تبين فى العلم الالهى، وذلك انه تبين هنالك ان المحرك لهذا الجرم الاقصى واحد بالعدد والصورة اذ كانت الهيولى لا تشوبه وان ماهو بهذه الصفة فليس يصدر عنه الا واحد ولا يوجد منه اكثر من واحد اذ كان غير هيولانى فان وجد هنالك عالم آخر لزم ان يكون المحرك اثنين بالشخص واحدا بالنوع وذلك مستحيل اذ قد تبين ان المحرك غير هيولانى او يكون المحرك الواحد بعينه يصدر منه فعلان اثنان بالعدد وهذا كله محال .

وايضا فقد يظهر من ان هذه الاماكن توجد على عدد

الاجسام

الاجسام البسائط وا تفق لمكان مكان منها مع انه واحد بالنوع انه واحد بالعدد اذ لوكان كثيرا لما كان مكان الاجزاء واحدا بالعدد واذا كان هذا هكذا فتى توهمنا وجود عالم آخر لزم ضرورة ان يوجد باجزائه فى هذه المواضع وذلك خلف لايمكن فاما انما هو مكان جسم جسم من هذه الاجسام البسائط فسيظهر فيما بعد على التخصيص والاستقصاء وكانت المادة الحاملة لصور العالم كما يقول ارسطو محصورة فيه ولذلك لم يمكن ان يوجد منه اكثر من شخص واحد كما ان المادة التى يتكون منها الانسان مثلا لو تكون من جميعها انسان واحد لما امكن ان يوجد منه اثنان بالعدد فهذا هو السبب فى ان العالم واحد بالشخص فاما ان المادة الحاملة لصور العالم محصورة فهو ظاهر من انه ليس يوجد خارجا عنه جسم لانه لوكان هنالك جسم لكان هنالك موضع ضرورة ولوكان موضع لكان ضرورة هنالك محيط والمحيط هو احد هذه الاجسام وايضا لوكان فى مكان لكان فيه اما بالطبع واما بالقسر اما وجود جسم خارج العالم فى مكان بالطبع فانما يكون احد هذه الاجسام البسيطة كان يكون جزءا من عالم آخر وقد تبين امتناع ذلك .

واما ان وجد فيه قسرا عرضيا فيلزم ضرورة ان يكون ذلك المكان طبيعيا لجسم آخر كالحال فيما يظهر لدينا فان النار انما تكون قسرا فى موضع الارض الطبيعى اوفى سائر مواضع الاسطقسات

وماعدا موضعها •

واذا كان هذا هكذا فبين ان العالم واحد بالشخص وانه ليس وراءه لا خلاء ولا ملاء ولا زمان الا عدم محض وان كان التوهم يرفع ذلك لانا لم نحس جسما الا محاطا به لكن مثل هذا التغليط هو داخل فى المواضع المغلطة التى عددت فى كتاب سوفسطيقى فى موضوع النقلة •

واما امتناع وجود الخلاء فقد تبين مما تقدم وايضا فلوكان موجودا لكان ممتنعا ان يكون خارج العالم اذ كان الخلاء عند من يقول بوجوده مكان لا جسم فيه ولا مكان هناك فلا خلاء هناك وكذلك يظهر ايضا انه لا زمان هناك اذ كان الزمان عدد حركة ازلية على ما تبين ولذلك اتفقت الآراء على ان الاشياء الموجودة هنالك ليست فى زمان ولا مكان •

وقد بقى علينا من مطالب هذه المقالة ان نبين ان العالم باسره ازلى وانه مع ذلك ليس فيه قوة على الفساد فاما انه ازلى فذلك يظهر من قرب عما تقدم وذلك انه قد تبين ازلية الحركة الموجودة لهذا الجرم المستدير وانها واحدة بالعدد والحركة الواحدة انما توجد لموضوع واحد باضطرار فبالواجب اذن ما يكون هذا الجرم ازليا •

وايضا فقد تبين فى اول هذا الكتاب من نفس طبيعة هذا الجرم انه غير مكون ولا فاسد اذ كان لاضدله واذا كان هذا هكذا

وكان

وكان من ضرورة وجود هذا الجرم المستدير وجود سائر الاسطقسات اذ كان لابد من شيء ساكن عليه يدور وعلى ما تبين لزم ضرورة ان يكون العالم باسره ازليا لكن هذه الاجسام المتحركة حركة استقامة انما يوجد لها البقاء فى كليتها لا فى اجزائها فهى حافظة لصورها النوعية وفاسدة باجزائها اذ لم يمكن فيها غير ذلك من جهة ما هى اضداد وانما اتفق لها البقاء بالنوع وحفظ صورها عن حركة الجرم السماوى وسيظهر هذا على وجه اتم فى كتاب الكون والفساد .

وايضا قد يظهر ان هذه الاسطقسات ليس يمكن فيها ان تفسد بكليتها وذلك انه قد تبين فى السماع الطبيعى ازلية المادة وانها ليس تخلو اصلا عن صورة واذا كان ذلك كذلك لم يمكن فساد جميعها وانما كان يمكن ان توجد المادة خلوا من صورة لو كانت موجودة بالفعل وايضا فانما كان يسوغ كون جميعها لو كان الخلاء مما يمكن وجوده اذلابد ها هنا من ان يتقدم المتكون الاين الذى فيه يتكون وكذلك يظهر انه لا يمكن فيه فساد اسطقس واحد منها باسره وذلك ان بقاءها انما هو بالتعادل الذى بينها من جهة ما هى متضادة فلو فسد واحد منها لغلبت صورة احد الاضداد فكان يلزم عن ذلك امر شنيع اما ان تستحيل الاسطقسات كلها نارا كما يرى ذلك ايرقليطس فلا يكون ها هنا ارض ولا شيء ساكن عليه تكون الحركة وذلك محال وخلاف ما يلزم عن طباع هذه الحركة لانا قد قلنا فيما تقدم انه يلزم

ان يوجد عنها جسمان احدهما فى نهاية الخفة وهو الذى يليها والآخر فى نهاية الثقل وهو الذى فى غاية البعد منها على جهة ما يتبع اللاحق الخاص ملحوقه وكذلك ايضا لا يمكن ان تعود كلها ارضا لهذا المعنى بعينه ولا ماء اولا هواء وايضا فلو عادت كلها ارضا او ماء وارضا لكان فيما بينهما وبين مقعر الجسم السماوى خلاء ضرورة اذ كان يمكن فى الماء والارض ان يكونا هنالك وان يملأ مواضعهما ومواضع غيرهما وهذا كله خلاف ما يعطيه النظر الطبيعى. فاما هل يمكن ان يستولى أحدهما على جميع المكان الذى فيه كون الاجسام المركبة كأنك قلت الماء او النار حتى يكون زمان لا يوجد فيه الكون الذى يكون بالامتزاج فسنفحص عنه فى كتاب الكون والفساد •

وقد يسئل سائل فى هذا الموضع هل يمكن ان توجد اجزاء من هذه الاسطقسات لا تفسد من جهة ما لا تصل اليها تاثيرات الاجسام السماوية كأنك قلت مركز الارض لكن اذا تبين فيما بعد انه لا يوجد ازلى فيه قوة على الفساد تبين امتناع هذا وان تصور عسر امكان ذلك من جهة تعذر وصول تأثير الاجسام السماوية الى ذلك الموضع فان ذلك غير ممتنع فى الزمان الذى لا يتناهى •

واذ قد تبين ان العالم باسره واحد وازلى فقد ينبغى ان نفحص هل فيه مع انه ازلى قوة على الفساد وايضا فان قوما يقولون

انه

انه قد يكون ازلى ما يفسد و مكون غير فاسد كما كان يرى ذلك افلاطون فى العالم فانه كان يكونه و يقضى له بالازلية ولذلك الاولى ان نجعل الفحص عن هذا المعنى على العموم كما فعل ارسطو اعنى هل يمكن فيما هو ازلى ان يفسد وفيماهو مكون ان لا يفسد فانه اذا تبين هذا تبين كيف الامر فى العالم وايضا فان هذا المطلب نافع فى اشياء كثيرة •

فنقول انه ينبغى ان نجعل مبدأ الفحص عن ذلك كما فعل ارسطو بأن نقسم على كم وجه يقال الكائن وغير الكائن والفاسد وغير الفاسد فان عدة المطالب تكون على عدة المعانى التى يدل عليها الاسم اذا كان الاسم مشتركا ثم ننظر ما يتلازم من هذه وما لا يتلازم اعنى الفاسد والمكون وغير الفاسد وغير المكون •

فنقول ان غير الكائن يكون على وجوه احدها على العسير الكون كادارة سور على الف ميل والثانى على ما كونه بغير اسباب الكون كحدوث الحس والثالث على ما شأنه ان يتكون فيمابعد مما لم يتكون والرابع هو المعنى الذى عنه الفحص هاهنا وهو ما ليس فيه قوة على الكون و لا يكون اصلا كما يقال فى البارى تعالى انه غير كائن •

وكذلك الكائن يقال على وجوه احدها على الذى وجد بعد أن لم يوجد وهذا على ضربين اما ان يكون حدوثه بغير اسباب

الكون كحدوث الحس واما ان يكون حدوثه كونا وباسبابه كالبيت يحدث عن الصناعة وهذا المعنى اولى ماقيل عليــــه كائن .

وقد يقال الكائن ايضا على ما شأنه ان يكون اما ضروريا مثل طلوع الشمس غدا واما على الاكثر وهذا ايضا فى معنى ما قبله وكذلك غير الفاسد يقال على ما فساده متعسر وعلى ما فساده بغير طريق الفساد ويقال على ما شأنه ان يفسد الا انه لم يفسد بعد ويقال على ما شأنه الا يفسد بعد اصلا ولا فيه قوة على الفساد وهذا هو المعنى الحقيقى وكذلك الفاسد يقال على ما عدم بعد أن كان .

وهذا على ضربين اما ان يكون فساده باسباب من ضروب اسباب الفساد واما ان يكون بغير اسباب الفساد كما تقدم فى غـير الفاسد ويقال على ما فيه قوة على الفساد وشأنه ان يفسد باضطرار واذ قد تبين على كم وجه يقال الكائن وغير الكائن والفاسد وغير الفاسد — فلننظر ما معنى قولنا ان فى الشىء قوة وامكانا ان يكون كذا او لا يكون وان يفعل كذا او لا يفعله وهل هذه القوى محدودة متناهية او غير متناهية فان هذا ضرورى فى الفحص الذى نحن بسبيله وهو احد اجزاء المحمول فى هذا المطلوب اعنى قولنا هل فى الازلى قوة وامكان فنقول انه من الظاهر انه انما نجد القوى من غاياتها ومن اكثر ما يظن فيها ان يفعله ونجد عدمها من اقل ما لا يمكن فيه ان يفعله .

مثال ذلك انا تقول ان فى زيد قوة ان يحمل اربعة قناطير وليس فيه قوة ان يحمل خمسة قناطير فنجد قوته بغاية ما يمكن ان يحمله لا لما دون ذلك وان كان اقدر عليه وكذلك نجد عدم قدرته باقل ما يعجز عنه وان كانت فوق ذلك اعجز واذا كان ذا هكذا . فظاهر ان هذه القوى محدودة فى انفسها متناهية فمتى انزلنا ان شيئا ما مشارا اليه له قوة ان يوجد حيوانا اوكما ما او كيفا ما بالفعل وبالجملة نوعا من انواع المقولات العشر وليس له قوة اعنى على وجوده بالفعل بل فيه قوة الا يوجد فظاهر ان زمان القوتين محدود اذ كان الزمان الذى يظهر فيه فعل احدى القوتين غير الزمان الذى يظهر فيه فعل مقابلها والسبب فى ذلك هو تناهى القوى فان انزلنا شيئا مشارا اليه فيه قوى غير متناهية يمكن بها ان يكون كذا اولا يكون كذا لزم ان تكون ازمنتها غير متناهية ولا محدودة فمتى وضعنا فعل القوة الواحدة موجودا دائما على ما يلزم من كونها غير متناهية لم يوجد ضرورة مثل القوة الاخرى .

وارسطو يبرهن بطريق الخلف بانه يعرض عن هذا محال وذلك بعدان وضع لذلك اصلين احدهما ان الكاذب يقال على وجهين احدهما اذا وضع كان غير الممكن موجودا وهو الكاذب المستحيل والثانى الكاذب الممكن وهو اذا وضع ماليس بموجود موجودا الا انه ممكن مثل ان تقول ان زيدا فى السوق اذا لم يكن فيه فان

هذا وان كان كاذبا فانه ممكن وكذلك الصادق يقال على وجهين مقابلين لصنفى الكاذب واذا كان هذا هكذا فطبيعة الكاذب الممتنع غير طبيعة الكاذب الممكن وما يلزم عن هذا غير ما يلزم عن الآخر ضرورة فهذا هو احد الاصلين اللذين وضعهما ارسطو لبيان هذا المطلب •

والاصل الثانى ما تبين فى كتاب القياس من ان الكاذب الممكن لا يلزم عنه الكاذب الممتنع بل متى لزم وجود الكاذب الممتنع عن شىء فهو كاذب ممتنع •

واذ قد تقرر هذا فنقول ان الازلى ان كان ممكنا ان يعدم فانزاله بالفعل معدوما يكون كذبا ممكنا واذا كان كذبا ممكنا لم يلزم عنه محال لكنه اذا وضع معدوما لزم عنه محال وهو ان يكون الازلى معدوما اى ليس بازلى لانه يأتلف القياس فى الشكل الثالث هكذا العالم ازلى والعالم معدوم فيلزم ان يكون بعض الازلى معدوما وذلك يستحيل فاذن وضعه معدوما مستحيل لا ممكن لانه لا يلزم عن الممكن مستحيل على ما تبين فى كتاب القياس لانه ازلى ولانا وضعناه معدوما فيكون موجودا معدوما معا فانزاله بالفعل معدوما كذب ممتنع واذا كان العدم عليه ممتنعا فليس يمكن واذ قد تبين انه لا يوجد ازلى فيه امكان العدم فظاهر انه لا يمكن ان يوجد ازلى يفسد بأخرة لا متكون يبقى ازليا على ما كان

ما كان يراه افلاطون فى العالم وذلك ان هذين المعنيين يلزمان هذه النتيجة المتقدمة لزوم التالى المقدم فانه ان كان الازلى لا يمكن ان توجد فيه قوة العدم فليس بممكن ان يفسد لانه ليس فيه امكان الفساد ولا يمكن ايضا ان يكون لانه لم يمكن فيه قوة العدم فضلاعن ان يعدم ولزوم التالى المقدم فى هذا القياس الشرطى ظاهر بنفسه وتصحيح استثناء المقدم بعينه ظاهر من القول المتقدم فهذا هو البرهان الذى يعتمده ارسطو فى بيان هذا المطلب وسائر البيانات التى يأتى بها فى هذا المعنى فى كتاب السماء والعالم اما قوتها قوة هذا البرهان او يشدها ويرفدها بهذا البرهان او بما قوتها قوة هذا البرهان وانت فلا يخفى عليك ذلك اذا وقفت على كلام ارسطو فى هذا الموضع ٠

واما ما يعتذر به ثامسطيوس عن افلاطون بانه انما يريد بقوله ان العالم مكون وانه يبقى ازليا ليس الكون الذى من مبدأ زمانى بل على غير ذلك مما يقال عليه اسم الكون مما ليس فى زمان فان الكون الحقيقى ان كان لم يرده افلاطون فنحن وهو متفقون الا انه اساء العبارة حين استعمل فى التعليم البرهانى اسما مستعارا فان استعمال امثال هذه الاسماء فى التعليم هو اقرب الى التغليط منه الى التعليم وان كان اراد المعنى الحقيقى فبين ان ذلك القول لازم له وكذلك اعتراضه ايضا على المقدمة التى قيل فيها ان الازلى ان كان ممكن العدم فانزاله بالفعل

كاذب ممكن لا معنى له وذلك انه يقول ان الذى يضع ان الازلى فيه قوة العدم انزال ذلك العدم موجودا بالفعل عنده كذب ممتنع لا كذب ممكن كما يضعه ارسطو فان هذا لا معنى له لانه اذا كان كذبا ممتنعا فانه ليس بممكن وتسمية ما ليس بممكن ممكنا صفرا لا معنى له •

وبالجملة انما يمكن فى المتكون ان يبقى ازليا لو انقلبت طبيعة الممكن الى الضرورى او فى الازلى ان يفسد لو انقلبت طبيعة الضرورى الى الممكن •

ومما ينبغى ان يعتمد عليه فى هذا المطلب انه لو كان فى الازلى امكان عدم لكان ذلك عبثا وباطلا والطبيعة تأبى ذلك فانه كما لا توجد صورة لا فعل لها كذلك لا يوجد امكان لا يخرج الى الفعل فان الامكان والقوة انما يقالان بالاضافة الى الفعل وكذلك لا توجد فيما كان ممكنا قوة ازلية بهذا السبب بعينه وهذا كله بين بنفسه •

واذ قد تقرر هذا فنقول انه يظهر ايضا ان كل ما هو غير كائن انه غير فاسد وان هذا ايضا ينعكس اعنى ان كل ما هو غير فاسد فانه غير كائن فاما من اين يظهر هذا فلان الموجود دائما يقابله المعدوم دائما مقابلة تضاد وبينهما متوسط وهو الموجود فى بعض الاوقات المعدوم فى بعضها وهذا يصدق عليه كل واحد من هذين

المحمولين

المحمولين صدق انعكاس اعنى ان كل كائن موجود فى بعض الاوقات معدوم فى بعضها وكل محمولين ينعكسان على شىء واحد بعينه فكل واحد منهما ينعكس على صاحبه على ما تبين واذا كان ذلك كذلك فكل كائن فاسد وكل فاسد كائن واذا تقرر انعكاس هذين المحمولين ظهر من ذلك ان غير الكائن وغير الفاسد ينعكس كل واحد منهما على صاحبه •

وذلك انه اذا كان محمولان يقتسمان الصدق والكذب ايضا على شىء واحد بعينه اى شىء كان ومحمولان آخران يقتسمان الصدق والكذب ايضا على شىء واحد بعينه اى شىء كان واتفق فى احد المحمولين انعكاس كل واحد منهما على صاحبه فانه يلزم فى المحمولين الآخرين مثل ذلك الانعكاس •

مثال ذلك انه لما تقرر ها هنا ان كل كائن فاسد وكل فاسد كائن فنقول انه يلزم ضرورة ان يكون غير الفاسد غير كائن وذلك انه ان لم يكن غير كائن فهو كائن وان كان كائنا فهو فاسد على ما تقدم وقد كنا وضعناه غير فاسد هذا خلف لا يمكن

وبهذا البيان تبين عكس هذا وهو ان كل غير كائن غير فاسد لانه ان لم يكن غير فاسد كان فاسدا واذا كان فاسدا كان مكونا وذلك نقيض ما وضع فقد تبين من هذا انه لا يوجد ازلى فيه قوة العدم ولا متكون لا يفسد ولا ازلى يفسد بأخرة وان كل متكون

فاسد وبالعكس وكل غير متكون غير فاسد وبالعكس وذلك ما قصدنا بيانه وايضا فان الاستقراء كما يقول ارسطو كاف فى ذلك واذا ظهر ان الازلى غير فاسد وغير كائن وانه ليس فيه قوة على الفساد فبين ان العالم بهذه الصفة واما الجرم السماوى فليس فيه قوة اصلا على الفساد لا فى جزئه ولا فى كله وبذلك تباين مادته مادة الاجسام المتحركة حركة استقامة اعنى الماء والنار والهواء والارض.

واما هذه الاجسام البسيطة فانها وان كان فيها قوة على الفساد فذلك فى اجزائها لا فى كلها لان المادة الموضوعة لها على ما تبين ليس يمكن فيها ان تتعرى عن جميع الصور فليس فيها امكان فساد الكل

المقالة الثانية

جل ما فى هذه المقالة هو الفحص عن الاعراض والخواص التى توجد لهذا الجرم ولاجزائه اعنى الكواكب واعطاء اسباب كل ما يمكن من ذلك اعطاؤه بحسب الطاقة الانسانية وهو اولا يشرع فى ان يبين انه توجد للسماء الجهات الست فمتميزة بالطبع كالحال فى الحيوان اعنى الفوق والاسفل واليمين واليسار والامام والخلف وانها وان لم تكن فى الجسم الكرى متميزة بالشكل فهى متميزة بالقوى التى فيها.

فنقول اما ان الجسم بما هو جسم وتام توجد له جهات ست فذلك بين بنفسه لان الجسم كما قيل هو المنقسم الى ثلاثة ابعاد ولكل

بعد

بعد من هذه جهتان جهتا الطول وجهتا العرض وجهتا العمق لكن هذه الجهات الست توجد متميزة بالطبع الا فى النبات والحيوان اما فى النبات فيوجد له الفوق والاسفل فقط واما الحيوان فيوجد له مع الفوق والاسفل اليمين واليسار والخلف والامام وهى اتم ما توجد محصلة فى الانسان .

ويظهر اختلاف هذه الجهات بالطبع من افعالها الصادرة عن قواها وان كان قد اتفق فى بعضها مع انها اختلفت بالقوة ان اختلفت بالشكل كالفوق والاسفل والخلف والامام فى الحيوان واما اختلافها من جهة قواها فالفوق هو الجزء الذى فيه يكون مبدء حركة الطول وهو اول جزء ينمو والاسفل مقابل هذا واليمين هذا هو طرف العرض الذى منه يبتدىء الحيوان الساعى يتحرك فى المكان فان الحيوان انما ينقل اولا رجله اليمنى يعتمد على يساره ليعود حركة اليمنى كما سيقال ذلك فى كتاب حركات الحيوان المكانية واليسار هو مقابل هذا واما الامام فهو الجزء الذى الى ما يليه يتحرك الحيوان وايضا فانه الجزء الذى فيه الحواس والخلف هو المقابل لهذا واذا كان هذا ظاهرا من امر الحيوان فينبغى ان ننظر كيف الامر فى ذلك فى السماء .

فنقول ان ارسطو يوجب ان يكون هذا الجسم له هذه الجهات الست لكونه متنفسا ويرى ان جهة اليمين هى المشرق

للوضع المسكون وجهة اليسار المغرب للوضع المسكون باسره وجهة الفوق القطب الجنوبى وجهة الاسفل القطب الشمالى ويرى ان ذلك هو السبب فى ان كانت حركته من المشرق الى المغرب ولم تكن بخلاف ذلك وتقول ان المثال فى ذلك لو توهمت رجلا قدادار على نفسه فلكا ويمينه فى المشرق وشماله فى المغرب ووجهه فوق الارض ورأسه فى القطب الجنوبى وساقاه فى القطب الشمالى وابتدأ يحرك الفلك من غير ان يتغير وضعه لكان فى هذا المثال مبدء التحريك للفلك هو فى جهة المشرق الى ما فوق الارض واذا كان هذا هكذا فانما ذهب الى ان له يمينا ويسارا واماما وخلفا من جهة ان له جهة مخصوصة يتحرك منها واليها واذا كان له جهة مخصوصة فمبدأ التحريك فى تلك الجهة ضرورة لا على ان مبدأ التحريك فى تلك الجهة منتقل ومتبدل بتبدل اجزاء الجرم السماوى فى تلك الجهة المخصوصة لانه لو كان ذلك كذلك لعاد اليمين يسارا واليسار يمينا بل على ان مبدأ التحريك ثابت وان تبدلت فيه اجزاء الكرة وذلك واجب من قبل ان المحرك هناك ليس فى موضوع .

وهذا هو الفرق بين مبدأ الحركة الذى فى الحيوان والذى فى هذا الجرم اعنى ان مبدأ الحركة فى الحيوان هو فى موضوع مخصوص وهو جزؤه اليمين فاما هذا الجرم فان له من اليمين موضع مبدأ التحريك وظهوره لان ذلك المبدأ فى جزء منه مخصوص كالحال

فى الحيوان •

ولما اعتقد قوم انه يريد باليمين واليسار مواضع محصوصة من هذا الجسم لامواضع فى الجهات اشكل عليهم هذا وقالوا كيف نفهم هذا واليمين يعود منه يسارا وارسطو لم يرد هذا وانما اراد ان له جهة فيما يظهر مبدأ التحريك كما قال فى المحيط فان المحرك هنالك يريد فى الموضع الذى يظهر فيه سرعة الحركة كذلك اراد ههنا باليمين الموضع الذى يظهر ابتداء الحركة ولذلك مثل ذلك بالانسان الذى ابتدأ يدير فلكا من المشرق الى المغرب، فهذا هو الذى تأدى الى فهمنا من تفسير كلام الحكيم فى هذا الموضع، وانما آنسه بالقول بهذه الاشياء هاهنا ما تبين قبل من امر هذا الجرم السماوى انه متنفس وذلك موجود بالقوة فيما تقدم اذ كان قد تبين انه متحرك من تلقائه وقد يظهر ايضا انه متنفس كما يقول الاسكندر من انه ازلى والازلى افضل من ذى النفس الذى ليس بازلى والافضل من ذى النفس ذو نفس ضرورة من جهة ما هو افضل فاما اى جزء يوجد له من اجزاء النفس فسيظهر ذلك اذا تبين كم هى اجزاء النفس ولماذا اعد جزء جزء منها فى الحيوان الذى له جزء جزء نفس وقد يمكن ايضا ان نبين انه متصور بالعقل مما تبين فى العلم الالهى وذلك انه قيل هنالك ان حركته انما هى بجهة الشوق الى محرك هو عقل وما هو بهذه الصفة فهو عن تصور عقلى ضرورة •

و بالجملة فينبغى كما يقول ارسطو أن نقول فى كل شىء بحسب الطاقة و بحسب ما بايدينا فى ذلك الشىء من المقدمات اذ كان تجوهر الانسان على ما تبين فى علم النفس انما هو بأن تعلم الاشياء باقصى ما فى طباعها ان يعلمها الانسان و الاشياء التى منها تكتسب المقدمات التى ينظر بها فى كثير من امور هذا الجرم السماوى و يروم اعطاء اسباب ذلك هى مأخوذة من اقرب الاشياء شبها به و هى الاجرام المتنفسة و بخاصة الانسان اذ كان قد تبين ايضا من امر هذا الجرم انه متنفس و ان كان يظهر ان ذلك يقال فيها بتشكيك و تقديم و تأخير و لذلك ضعف هذا النوع من التصور و التصديق و بعد هذا يروم ان يعطى السبب فى ان كان لهذا الجرم حركات كثيرة فيقول انه يظهر ها هنا ان الضرورة الداعية الى ذلك الكون فانه لو لا كثرة الحركات لم يتم ها هنا الكون كالحال فى حركة الشمس و القمر و كذلك يشبه ان يكون الامر فى سائر الكواكب و سنفحص عما يمكن الفحص عنه من هذه الاشياء فى كتاب الكون و الفساد لكن هل ذلك على القصد الاول ام على القصد الثانى ليس مما يظهر ها هنا فاما لم كان الكون فانه لازم من الاضطرار و ذلك انه لما كان ها هنا محرك ازلى كان ها هنا ضرورة متحرك ازلى و لما كان ها هنا متحرك ازلى لزم ضرورة ان يكون جسم ساكن عليه يدور و ذلك هو الارض و لما وجدت الارض لزم ضرورة وجود النار و سائر الاجسام البسطية

البسيطة على ما تقدم بل النار هى العلة فى وجود الارض اذ كانت النار تجرى مجرى الملكة من جهة ماهى ضد للارض فالارض تجرى مجرى العدم كالحال فى الابيض والاسود وسائر المتضادات فان النار جوهر خفيف والارض ثقيلة والثقل عدم الخفة بوجه ما كما ان السواد عدم البياض وكذلك الحر والبرد وسائر الاعراض التى تتقابل فاذ كان هذا هكذا ووجدت هذه الاجسام المتضادة فمن الاضطرار لزم ضرورة اذ كانت اضدادا ان تكون وتفسد واذا كان هاهنا كون وفساد حافظ لنظام لزم ان تكون حركة اكثر من واحدة فقد تبين من هذا القول لم سارت هذه الحركات كثيرة بحسب ما امكن هاهنا فاما اى شكل هو شكل هذا الجرم فقد تبين فيما تقدم انه مستدير وذلك انا قد قلنا فيما سلف ان الحركة المستديرة انما تكون لجسم مستدير ضرورة وقد يظهر ذلك ايضا من وجوه غير هذه •

منها ان هذا الشكل المستدير هو اتم الاشكال اذ كان لا يمكن ان يزاد فيه ولا ينقص منه كما تقدم والتام قبل الناقص ومتقدم عليه والشكل المتقدم انما يكون للجرم المتقدم وايضا فان هذا الشكل هو ابسط الاشكال اذ كان هو الذى يحيط به سطح واحد فقط والأبسط فى كل جنس هو المتقدم تقديم الواحد للكثير فهذا الشكل ضرورة للجرم الابسط الاقدم وايضا فان هذا

الشكل هو اعظم احاطة من كل جسم مستقيم السطوح يكون بسيطه مساويا لبسيطه قد بين ذلك المهندسون فى كتبهم اعنى فى كل جسم كثير السطوح تكون الاعمدة الخارجة من مركزه الى سطوحه متساوية وايضا فتى وضعنا للسماء شكلا غير مستدير لزم ضرورة ان يكون خارج السماء خلاء او مكان اما متى وضعنا شكلا كثير الزوايا فذلك بين فيه لانه يلزم عندما يتحرك مستديرا ان يملأ بزواياه مكانا ويفرغ اماما متى وضعناه شكلا عدسيا او بيضيا او ما اشبهه من الاشكال التى ليست لها زوايا ولاهى تامة الاستدارة لم يكن له من الضرورة ان يتحرك مستديرا فقط اذ كان المستدير يلزم ان يكون له مركز واقطاب تكون الخطوط التى تخرج من المركز الى الاقطاب والى اى نقطة توهمنا فى سطح الكرة متساوية وليس يوجد للاجزاء المتحركة دورا فى الشكل البيضى والعدسى اقطاب بهذه الصفة واذا كان ذلك كذلك كانت حركته على مثل هذه الاقطاب قسرا وامكن فيه ان يتغير وضعه فيلزم ان يكون هنالك ايضا خلاء الى ما يلزم هذا الوضع من المحال وهو أن تكون الحركة قسرية او يمكن فيها التغير وايضا فان حركة السماء هى اسرع الحركات اذ كانت هى المقدرة لجميعها على ما تقدم والشئ السريع جدا يجب ضرورة ان يكون له شكل هو اكثر الاشكال مواتاة للسرعة وذلك هو المستدير لان الاستدارة اقرب مسافة عليها

تتحرك

تتحرك الاجسام المتساوية الاحاطة فان الشكل المستدير احد ما تتقوم به السرعة اما فى المتحرك قسرا فذلك بين واما طبعا فمن جهة ما يتحرك فيه اذا كان مستقيما اومن جهة ما يتحرك حوله اذا كان مستديرا وايضا فاذا تبين من امر الارض والماء وسائر الاجسام المتحركة انها مستديرة فباضطرار ما يكون الجرم الكرى مستدير المقعر واستدارة المقعر انما توجد طبعا وبالذات للكرى فاما اذا كانت الاجسام التى فى الوسط مستديرة فباضطرار ما يكون الجرم المحيط بها مستديرا وايضا فقد تبين انا متى لم نضع جرما مستديرا لم يكن التناهى فى الكل لان المستقيم الابعاد هو ضرورة فى محيط مطيف به من جهة ما هو فى مكان فخارجه اذن شىء وايضا فان الخط المستقيم كما قيل غير ما مرة ناقص وانما يوجد له التمام من اجل المستدير فباضطرار ما يكون خارج هذه الاجسام المستقيمة الحركة جسم كرى ولانه يظهر فى علم النجوم فى بعض حركات هذه الاجرام السماوية السرعة والابطاء والاستقامة والرجوع فقد ينبغى ان نفحص هاهنا هل الامر فى نفسه كذلك ام ذلك شىء عرض لتكثر الحركات هنالك ٠

فنقول اما الابطاء الذى يكون من قبل المرض والشيخوخة فانه لا يجوز على هذا الجرم الكريم على ما تقدم وكذلك السرعة التى تكون من قبل الصحة والشباب فاما هل يجوز فيه ان يعود الى

السرعة بعد البطوء كما نشاهد فى الكواكب من السرعة حينا والابطاء حينا حتى يكون ذلك فى ذات الحركة الواحدة ام ذلك يعرض اما بالاضافة الى فلك البروج او بحسب تركيب الحركات.

فنقول انه يظهر مما تقدم من هذا العلم انه ممتنع عليه السرعة حينا والبطوء حينا وذلك ان الاختلاف الموجود فى الحركات اما ان يكون بحسب تغير لحق المحرك او المتحرك او كليهما وذلك ظاهر بالتأمل وقد تبين من امر هذا الجرم انه ازلى بجميع اجزائه واذا كان ازليا فاى حركة الفيت فى جزء من اجزائه فحركها ضرورة ازلى واذا كان ذلك كذلك وكان المحرك والمتحرك ازليا لم يجز عليهما التغير واذا لم يجز عليهما او على احدهما التغير لم يجز على هذه الحركة السرعة والابطاء فاما الابطاء سبب هذا الاختلاف الظاهر ووضع هيأة يلزم عنها هذا الذى يحس من امرها من غير اخلال بما تبين ها هنا فصاحب علم النجوم يفحص عنه وايضا فانه لايجوز كما يقول ارسطو اذ كانت هذه الحركة ازلية ان تشتد زمانا لا نهاية له وتفتر زمانا لانهاية له فانه يلزم عن ذلك ان توجد مشتدة مسترخية معا اذ كان زمان القوة فيها غير متناه على ما تقدم وكذلك لايجوز ان تكون مشتدة فقط الى غير نهاية من غير ان تفتر فان لكل متحرك طبيعى مقدارا اما فى السرعة لا يزيد عليه وذلك بين بالتأمل وكذلك الابطاء مثل السرعة لا يمكن فيه ان يمر الى غير

نهاية

نهاية فاما ما نشاهد من استقامة الكواكب ورجوعها فان ذلك ايضا شيء لا يجوز ان يكون فى نفس حركاتها وذلك انه قد تبين فيما تقدم فى الثامنة من السماع ان كل حركة على خط مستقيم تبتدىء من حيث انتهت الى ان تعود من حيث ابتدأت فانه يتخللها سكون وليس بحركة واحدة ضرورة فهى اذن حادثة وذلك خلاف ماوضع من حركات هذا الجسم ولم يكن ظهر مثل هذه الاستقامة والرجوع للمتقدمين من اليونانين الا فى الكواكب المتحيرة وكذلك لم يكن ظهر للبابليين كثير من الحركات التى اثبتها بطلميوس مثل حركة اقطار افلاك التداوير الى الشمال والجنوب وكحركة الفلكين الخارجى المركز اللذين لعطارد والزهرة مرة الى الجنوب ومرة الى الشمال •

واما المتأخرون من اهل زماننا فزعموا ان ذلك قد وقفوا عليه فى فلك الكواكب غير المتحيرة وان الحركة القريبة التى اثبتها بطلميوس لهذا الفلك هى هذه وليست بحركة تامة وهى المرسومة بحركة الإقبال والادبار والكلام فى اثبات هذه الحركة ووضع هيأة يلزم عنها هذا الاختلاف من غير اخلال بما تبين هاهنا انه ليس من هذا العلم الذى نحن بسبيله فلنرجع الى حيث كنا •

فنقول انه قد بقى علينا ان نبين من امر الكواكب ثلاثة مطالب اولها من اى جوهر هى والثانى فى جهة حركاتها والثالث

فى اشكالها فاقول اما جوهرها فهو من طبيعة الجرم الخامس لانه قد تبين انها جزء منه فلو كانت من غير طبيعتـــه لـكانت هنالك مقسورة وامكن فيها ان تفسد ولم تكن الحركة دورا طبيعية وكان هذا كما يقول ارسطو اى مجتمع عليه اعنى ان كل من يضع لهذا الجسم طبيعة ما كأنك قلت نارا اوغير ذلك من الاجسام يضع الـكواكب من تلك الطبيعة بعينها لـكن اذا كان ذلك كذلك فقد يسأل سائل لم صارت الشمس وليست نارا تسخن و تضئ وكذلك يشبه ان يكون الامر فى جميع الـكواكب .

فنقول ان الشمس يوجد لها التسخين من جهتين احداهما من قبل الحركة والثانية من قبل الاضاءة اما الحركة بما هى حركة فانها تثير الحرارة وذلك محسوس وارسطو يستشهد عـــلى ذلك بالنشابـة التى يرمى بها فيذوب فيها الرصاص عند ما يسخن الهواء بشدة حركتها لـكن ان كان المحرك فى الهيولى التى لدينا كالحال فى السهم فهو ايضا متسخن مع انه يسخن فان لم يكن كذلك كالحال فى الـكواكب والهواء لم يلزم ان يسخن واذا كان هذا هكذا فاذن احد علتى تسخين الـكواكب وبخاصة الشمس هى الحركة لـكن ان كان ذلك كذلك فقد يسأل سائل لم كانت الشمس فى هذا المعنى اكثر من سائر الـكواكـب ولم اختصت الشمس وغيرها من الـكواكب بالتسخين بهذا الوجه دون اجزاء الفلك وذلك موجود

في جميع اجزاء فلكها اعني الحركة .

فنقول انه يشبه ان الامر في ذلك كما يقول ارسطو لعظم جرم الشمس مع كثافتها ولزرها وا.ا الامر الخاص بتسخين الكواكب والشمس فهي الاضاءة فانه يظهر ان الضوء بما هو ضوء عند ماينعكس يسخن الاجسام التي لدينا بقوة الاهية وبخاصة اذا كانت الخطوط الشعاعية منه واقعة على الجرم المتسخن على زوايا قائمة لانه حينئذ (يكون-١) اكثر مايكون الانعكاس واذا كان الانعكاس اكثر كانت الاضاءة اكثر على مايشاهد في المرايا المحرقة وفي الزجاجة التي يحرق بها القطن وبخاصة اذا كان الجسم الذي ينعكس فيه الضوء صقيلا وسبب هذا مستوفى في غير هذا الموضع وليس تضيء الكواكب بما هي نار كما ظن ذلك قوم فان الضوء ليس بموجود للنار بما هي نار ولذلك لم يكن للنار التي تبين وجودها في مقعر فلك القمر هنالك ضوء وانما يعرض للنار الاضاءة عند ما تتشبث بالمواد التي هاهنا وكذلك ايضا ليس تسخن بما هي نار اذ كان الضوء يسخن مع انه ليس بجسم وقد تقدم هذا واذا كان ذلك كذلك فالضوء اذن مع ان من خاصته ان يسخن مالدينا من الاجسام المحسوسة عندما ينعكس هو ايضا مما يختص بالوجود للجرم السماوي لكن ليس لكله بل لبعض اجزائه وهي الكواكب وانما قلنا ان من خاصته ان يسخن ما لدينا اذا انعكس لانه لا يسخن القمر ولا غيره مما يقع عليه من الاجرام

---

(١) من — د

السماوية اذ كان ليس من شأنها ان تقبل السخونة لكن ما كان منه يسخن بتوسط جرم من الاجرام السماوية فالحال فيه كما يقول الاسكندر كالحال فى السمكة البحرية التى تخدر يد الصائد بتوسط الشبكة من غير ان تخدر الشبكة وفى كثير من الخواص •

وبالجملة فان الامر بين فى ان الفاعل الواحد تختلف افعاله باختلاف الموضوع بل بفعل الشيء وضده فاما ما يمكن ان يتشكك به على هذا من ان كل فعل وانفعال يكون فى الاجسام انما يكون بمماسة ان كان الفاعل القريب وان لم يكن فبتوسط جسم آخر اذ ليس يمكن ان يكون بتوسط الخلاء فعل وانفعال واذا وضع هذا هكذا فكيف يمكن ان تسخن الشمس الهواء بتوسط ما دونها من الافلاك من غير ان ينفعل ذلك المتوسط •

فنقول انما كان يلزم هذا الشك لو وضعنا ان المتوسط يلزم ضرورة ان ينفعل بذلك الضرب من الانفعال الذى ينفعل به القابل وكان يلزم مثلا فيما دون الشمس من الافلاك ان يسخن وليس الامر كذلك فان السمكة كما قلنا ليس تخدر الهواء الذى بينها وبين الصائد ولا الشبكة التى تقع فيها لكن بوجه ما يلزم ضرورة ان ينفعل عنها الهواء والشبكة وكذلك الامر فى الاجرام السماوية فانها تقبل الاضاءة وتؤديها الى الهواء فتفعل فيه تسخينا وان لم تفعله فى الاجرام السماوية •

واما

واما المطلب الثانى من امر حركات الكواكب فهو انه لما كانت هذه الكواكب قد تبين من امرها انها جزء من الفلك جعل يفحص هاهنا هل يمكن فيها ان تكون متحركة مع افلاكها او تكون هى ايضا متحركة والافلاك ساكنة او يكون الامر الذى هو اولى اعنى ان تكون الكواكب ساكنة والافلاك تتحرك بها وهذا المطلب يشمل الكواكب الثابتة والمتحيرة من حيث تتحرك الحركة اليومية .

فنقول نحن انه يظهر مما تقدم انه ليس يمكن ان تكون الكواكب متحركة بذاتها ومن تلقائها سواء فرضنا الافلاك التى هى فيها متحركة اوساكنة اذ لو كانت متحركة بذاتها لما كانت حركتها دورا كما تقدم من قولنا فى ذلك ولانه قد تقدمنا فقلنا فى اول هذا الكتاب انه يلزم ضرورة ان تكون هذه الكواكب جزءا من مستدير متحرك بهنا لكن ارسطو ضرب ها هنا عن هذا البيان واخذ يفحص عن هذا كأنه مطلوب ما يروم بيانه بنفسه فقال ان كانت الكواكب تتحرك مع تحرك أفلاكها من المشرق الى المغرب فانه يلزم ضرورة ان تكون حركة كل كوكب مساوية لحركة فلكه حتى يكون الكوكب الذى هو فى فلك اصغر ابطأ وبالعكس اعنى ان يكون الذى فى فلك اعظم اسرع واذا كان ذلك كذلك لم يخل ذلك من احد امرين اما ان تكون ليست

لها حركة خاصة فى نفسها طبيعية لها قدر محدود من السرعة والابطاء بقدر نسبتها الى محركها بل تكون السرعة والابطاء فيها بحسب عظم الفلك وصغره حتى لو توهمنا الكوكب الذى فى الفلك الاعظم فى فلك اصغر لكان ابطأ وبالعكس واذا وضعنا هذا هكذا لم تكن الكواكب متحركة حركة طبيعية بل تكون حركتها خارجة عن الطبع ويكون الكوكب فى الدائرة كأنه مقصور وذلك محال •

واما ان نضع ان لكل كوكب منها حركة طبيعية لها قدر ما محدود من السرعة والابطاء كما يظهر فى الامور الطبيعية وهى مقدار الحركة المحسوسة لكوكب كوكب لكن اذا انزلنا الامر ايضا هكذا لزم فى كل كوكب ان تكون حركته مساوية لحركة فلكه وليس لذلك جهة الا ان يكون ذلك بالعرض مثل ما يعرض عند ما نتوهم متحركين بذاتهما يقطعان مسافة واحدة فى زمان واحد لكن ما بالعرض ليس يصح وجوده فى هذه الاجسام الازلية ولو صح وجوده لكان ذلك فى واحد منها او اثنين فاما فى كواكب لا يحصى لها عدد فذلك محال وهذا بعينه يلزم فى الكواكب انفسها متى فرضناها متحركة والافلاك ساكنة اعنى انه يكون موافقة بعضها لبعض فى انقضاء الدورة الواحدة مع تباين الدوائر التى تحركها فى العظم والصغر بضرب من العرض فيها فباضطرار ما يظهر من هذا ان الكواكب مركوزة فى افلاكها فان الافلاك هى التى

تديرها

تدبرها فاما من يرى ان الارض هى المتحركة وان الكواكب ساكنة فرأى غريب عن طباع الانسان وهو من الامور البينة بنفسها اعنى ان الارض ساكنة وكيف ليت شعرى كان يمكن ان تتحرك حركة يكون مقدارها من السرعة ان تتم دورة واحدة فى اليوم والليلة وهى غير محسوسة فى ذاتها الا بالاضافة الى الكواكب قلت وان قد ظهر من امر هذه الكواكب انها تدور باجمعها دورة واحدة من حيث هى مركوزة فى افلاكها فقد يظهر من قوة هذا القول انه باضطرار ما يكون هاهنا جسم واحد هو المتحرك بهذه الحركة المشرقية وتكون الكواكب التى ليست تحس لها حركة الا هذه الحركة وهى المعروفة بالثابتة فى سطحه واما ما كان من الكواكب له فلك يختص به من اجل ان له حركة اخرى كالحال فى الشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة فان افلاكها الخاصة بها تدور مع هذا الفلك الاقصى على انها جزء منه والدليل على ان الكواكب الثابتة فى فلك واحد انه لو كان كل كوكب منها فى فلك غير الفلك الذى فيه الآخر للزم احد امرين اما ان يكون كل واحد منها متحركا بذاته وفلكه الذى يتحرك به فاذن يكون انقضاء حركة جميعها فى زمان واحد مع تفاوت الافلاك فى العظم والصغر بالاتفاق والبخت فانه من البين ان مثل هذا الاتفاق انما يوجد بالذات لها من حيث هى اجزاء كرة واحدة

وايضا فلو كان هذا لكانت هذه الحركة التى تبين انها واحدة كثيرة وكانت الوحدة فيها انما توجد بالعرض او يكون كل واحد منها فى فلك غير متحرك بذاته الاعلى جهة الاستباع لاعلى فلك فيها • لكن هذا الوجه يلزمه محال آخر وهو ان يكون هنالك افلاك ليست لها حركة خاصة فكانت تكون باطلاق والطبيعة تأبى ذلك ولولا ما احسسنا للشمس و القمر والكواكب المتحيرة حركة اخرى لم نضع لها فلكا غير الفلك الاعظم واذ قد تبين من امر هذا الفلك انه واحد فكيف يقول ابن سينا انه ليس فى العلم الطبيعى مقدمات يوقف منها على ان الكواكب الثابتة فى فلك واحد غير انه قال ان الاذهب فى الامر الطبيعى ان يكون فى فلك واحد فما معنى هذا الاذهب ليت شعرى وقد نجدا با بكر بن الصائغ قد ساعده على ذلك فى بعض التعاليق المنسوبة اليه ومكانه من المعلم (١) مكانه •

فاما اشكال هذه الكواكب فاكثر ذلك انما يوقف عليها فى علم النجوم لان هنالك يتبين ان القمر كرى لاستنارته ابدا من الشمس وتزيده بشكل هلالى وكذلك يظهر الامر فى الشمس من كسوفها لانها تتشكل بشكل هلالى عندما يتوم القمر بيننا وبينها وقد يمكن ان يظهر هذا فى هذا العلم ايضا من هذا الوجه وذلك انه لما كان هذا الجسم طبعه ان يكون كريا وكانت الكواكب كأنها اجزاء مفردة بذاتها اذ كانت مباينة بالاضاءة لسائر اجزاء الفلك

(١) د – العلم.

بل

بل يظهر انها اشرف جزء فى الفلك وجب ضرورة ان يكون لها الشكل الاشرف الذى يوجد لجميع الفلك وايضا اذا تبين وجود ذلك فى الشمس والقمر وجب ان يوجد ذلك فى جميع الكواكب لكونها من طبيعة واحدة •

فاما ان الافلاك والكواكب ليس لها صوت على ما كان يرى من سلف من قدماء الطبيعيين فبين مما تقدم وذلك انها لا تخرق جسما فيسمع لها دوى ولا هى صلبة فتصلد ولا تمر باجسام صلبة وايضا لو كان لها دوى لعظم اجرامها وسرعة حركتها لسمعناه بل لاصم اهل الارض وليس بعد المسافة التى بيننا وبينها فى ذلك بعائق عن سماعها كما يتوهم ثامسيطوس فانه من المستحيل ان يصل التسخين منها ولا يصل الصوت فلندع هذه الخرافات ونرجع الى ما بقى علينا من مطالب هذه المقالة •

فنقول انه بقى علينا من مطالب هذا الجرم السماوى مطلبان احدهما لم كان بعض الافلاك يتحرك حركة واحدة كالحال فى الفلك المحيط وبعضها يتحرك حركات كثيرة كالحال فى افلاك الكواكب المتحيرة •

والمطلب الثانى لم صار الفلك المحيط فيه كواكب كثيرة وفى غيره من الافلاك الامر بالعكس اعنى ان افلاكها كثيرة وتدير كوكبا واحدا وهو اولا يعتذر من القول فى هذه الاشياء لقلة المقدمات التى بايدينا فى ذلك لكن مع ذلك نرى ان القول

فى ذلك فعل انسانى لا سيا اذ قد تبين من امر هذا الجرم انه متنفس فلنبدأ اولا بالقول فى المسئلة الاولى .

فنقول انه يظهر ان كل ذى نفس له فعل وكل ذى فعل فكماله فى فعله او تابع لفعله الا ان من ذوى النفوس ما ينال الفضيلة والكمال بفعل اقل ومنها ما ينال بفعل اكثر ومنها ما لا يمكن فيه نيل الفضيلة على التمام بفعل اكثر ولا اقل فيكون كماله الناقص فى الفعل الاقل اذ لم يكن فيه غير ذلك .

ومثال ذلك ان بعض الناس يمكن ان يكتسب الصحة برياضة يسيرة وبعضهم برياضة اكثر وبعضهم ليس يمكن ان يكتسب الصحة على الكمال لا بفعل اكثر ولا بفعل اقل لكن يكتسب ما يمكن اكتسابه منها بفعل قليل واذا تؤمل كيف الامر فى الانسان والحيوان والنبات ظهر اكثر هذا الذى قلناه فان الانسان لما كان فاضلا ولم يكن فى النهاية من الفضل كان نيله الفضيلة بافاعيل كثيرة واما الحيوان فلما لم يكن فيه نيل الفضيلة على التمام كانت افاعليه يسيرة واكثر من ذلك النبات واذا كان ذلك كذلك فاذن انما صار الجرم الاول المحيط له فعل واحد لشرفه وقربه فى وجوده من المبدأ الاول الذى كماله فى ذاته لا فى فعله على ما سيبين واما ما دونه من الافلاك فكان نيلها الفضيلة بافاعيل كثيرة لبعدها فى المرتبة عن المبدأ الاول وهى مترتبة بحسب القرب والبعد وكذلك ينبغى ان يعتقد ان الحال (١) فى سرعتها

(١) كذا

 وابطائها

وابطائها واما النار والهواء فلما لم يمكن فيهما نيل الفضيلة على التمام كان كمالها (١) فى ذلك الفعل اليسير اعنى فى استتباعها (١) بحركات تلك واما الارض فهى عادمة للفعل البتة لعوق امكان اليسير من الكمال فيها كالحال فى الجماد بالاضافة للنبات ، وارسطو لما نظر فى هذه الاشياء وجب ان يعطى السبب فى ذلك من جهة ما هى موجودات كما لها فى ذواتها لامن اجل غيرها تكلف هذا القول والا سيظهر ان ذلك انما هو من اجل الكون لاعلى القصد الثانى على ما سيلوح فى غير هذا الموضع .

واما المطلب الثانى وهو لم صار الفلك الاول يحمل كواكب كثيرة ، فالجواب فى ذلك ان هذا الفلك لشرفه وقربه من المبدأ الاول امكن فيه ان يحرك كواكب كثيرة اذ كان يظهر أن الكواكب اشرف اجزاء الفلك واما مادونه من الافلاك فلبعدها فى الشرف كان الامر فيها بالعكس اعنى ان الافلاك الكثيرة منها تدير كوكبا واحدا وكأن الطبيعة فى هذا كما يقول ارسطو عدلت اذ جعلت الفلك الاشرف يحرك بحركة واحدة كواكب كثيرة ومادونه يحرك بحركات كثيرة كوكبا واحدا وايضا فان ارسطو يقول انما صار فى فلك من افلاك الكواكب المتحيرة كوكب واحد لان الفلك يدور جميعها كأنها جزء منه فلو كان فى كل واحد منها كواكب اكثر من واحد لم يمكن ان يحركها الفلك المحيط اذ كانت

---

(١) كذا .

قوته متناهية من جهة ما هو جرم •

وفى هذا القول نظر وذلك انـــه قد تبين فيما قبل ان القوة المحركة لهذا الجسم غير متناهية وايضا فان الفلك المحيط ليس يحرك ما دونه من الافلاك على جهة القسر واذا كان ذلك كذلك فكيف الامر ليت شعرى وما معنى هذا القول •

فنقول انه قد تبين ان فى هذا الجسم قوتين احداهما الصورة التى بها يتحرك وهذه ضرورة غير منقسمة بانقسام الجسم على ما تبين وغير متناهية التحريك، والثانية الميل وهى القوة الطبيعية التى بها قيل فى الجسم لا ثقيل ولا خفيف وهذه القوة هى ضرورة متناهية اذ هى منقسمة بانقسام الجسم البسيط نفسه اعنى الموضوع للصورة المفارقة وذلك ان قوة كل جسم يجب ان تكون متناهية الفعل من قبل ان كل جسم متناه سواء كان بسيطا اومركبا من مادة اوصورة وهذه هى التى عنى بها ارسطو أنها متناهية بتناهى العظم وكما انه ليس يمكن فى اجرام الاجسام السماوية ان تكون اعظم او اصغر مما هى عليه اذ كانت ازلية كذلك ليس يمكن فى قوة جسم جسم منها ان تكون اشد مما هى عليه واذا لم يمكن فيها ان تكون اشد مما هى عليه واقوى لم يمكن فى الكواكب ان تكون اكثر مما هى ولا اكبر واو كانت اكثر او اكبر لما امكن فى هذه القوة ان تحركها هذه الحركة بهذه السرعة الا ان تكون القوة اعظم لكون الجسم اعظم فعلى هذا

ينبغى

ينبغى ان يفهم قوله، لكن قد يسأل سائل هاهنا فى مسئلة عويص .

وذلك انه لما كانت الافلاك التى دون الفلك المحيط ليست تتحرك عند ما يستتبع الفلك المحيط على جهة الدفع والجذب وبالجملة على جهة القسر ولاهى ايضا فى هذه الحركة متحركة بذاتها اذ كانت توجد متحركة بذاتها خلاف هذه الحركة وهى حركتها من المغرب الى المشرق وليس يمكن ان يكون الشىء متحركا من تلقائه من جهتين مختلفتين فى حال واحدة وعلى فلك واحد ولذلك وضع لكوكب من هذه الكواكب فلكان احدهما الفلك الذى به يتحرك من المشرق الى المغرب مستتبعا للفلك المحيط ولا ايضا افلاكها التى تديرها من المغرب الى المشرق مربوطة بالافلاك الأخر التى تستتبعها واذا وضع هذا هكذا فكيف وليت شعرى تكون حركة هذه الكواكب من المشرق الى المغرب اعنى الكواكب السيارة وذلك انها ليست فى هذه الحركة متحركة بذاتها وانما هى متحركة من خارج لكن المحرك من خارج يظهر فيما لدينا انه على جهة القسر وذلك ممتنع على هذه الاجسام من جهة ماهى ازلية .

فنقول ان المبادى التى لدينا فى هذه الامور يسيرة بالاضافة الى هذه المطالب ولكن على كل حال فينبغى ان نحرك فى ذلك جهدنا فنقول انه يظهر أن هذا الجرم واحد من جهة ما يتحرك هذه الحركة الواحدة وان سائر الحركات التى فيه انما هى حركة

جزئية بالاضافة الى هذه الحركة والحال فيه من جهة ما هو ذو نفس كالحال فى الحيوان فان له حركة كلية وهى تنقله فى المكان وحركات جزئية وهى تحريكه بعض اعضائه والحيوان انما صار واحدا بالقوة الواحدة التى توجد فيه مشتركة لجميع جسده وصار له عضو واحد رئيس موضوع لهذه القوة كأنك قلت القلب فصارت اعضاؤه كثيرة ايضا من اجل ان له قوى جزئية كثيرة وصار جسده واحدا بالرباط والاتصال واما الجسم السماوى فهو واحد من جهة القوة الواحدة المشتركة له وكثير من جهة القوى الاخر وبهذه القوة المشتركة امكن ان يتحرك كله معا كأنه عظم واحد متصل وان كانت اجزاؤه منفصلة فانه يظهر أن العلة فى رباط اعضاء الحيوان بعضها ببعض ان اعضاءه ليست متشابهة ولا تحل فيها القوى النفسانية حلولا واحدا ولذلك كان الحار الغريزى فيه متحركا بذاته وكان العضل متحركا بتوسطه واما اليد والرجل فانهما تحتاجان مع العضل الى الرباط والوترا يضا فان فى اعضاء الحيوان مبادى مضادة للقوى النفسانية ولذلك كان تحريكها عن القوى النفسانية قسرا فهذه هى العلة التى احتاجت لها اجسام الحيوان الى الرباط والاتصال وحينئذ تحركت معا ٠

واما الجسم السماوى فهو واحد بالقوة الواحدة التى فيه وان لم يكن واحدا بالرباط والاتصال لبساطة اجزائه ولتشابهها

ولانه

ولانه ليس فيهامبدأ مضاد على ما تبين للقوة المحركة وليس هذا الذى قلنا بمستنكر ونحن نشاهد من الحيوان ما كان قريبا من ان يكون متشابه الاعضاء ولم يكن آليا اذا فصلت اجزاء بعضها من بعض تحركت معا وامكن ان يعيش وقتا ما وهل ذلك الا لتساوى حلول القوة النفسانية فى جميع اعضائه وكذلك الحال فى النبات لبساطة اجزائه ايضا فانه اى جزء فصلت منه كان نباتا وامكن ان يحيى واذا كانت النار والهواء كما يظهر تتحرك استتباعا لحركة هذا الجرم الكريم من غير رفع هنالك ولا ضرب ولا قوة واحدة مشتركة بينهما بل بما تفيض عليها من تلك القوة فكم بالحرى الا ينكر تحرك سائر الافلاك بحركة الجرم المحيط وكلها مشتركة فى مبدأ واحد .

وقد بقى علينا من مطالب هذه المقالة ثلاث مطالب، احدها ان نبين ان الارض فى الوسط ـ والثانى ان شكلها كرى ـ والثالث السبب فى سكونها ـ فنقول انه قد قيل فيما تقدم ان مكان الجزء والكل واحد وانه حيث تتحرك المدرة الواحدة فهنالك تتحرك جميع اجزاء الارض ونحن نرى جميع اجزائها تتحرك من كل نقطة من مقعر الفلك فيقع على السطوح الموزونة على الارض على زوايا قائمة من جميع جهاتها واذا كان ذلك كذلك فكلها تلتقى على نقطة واحدة هى مركز الارض والعالم لان هذه هى خاصة الجسم الكرى على مايبين المهندس فتبين من هذا ثلاثة اشياء ـ احدها ان

المركز الذى تتحرك اليه الاجزاء هو وسط الارض – والثانى انها وسط العالم – والثالث ان شكلها كرى وقد يظهر أن جميع اجزائها واجب ان يتحرك الى نقطة واحدة والا كانت قواها مختلفة واذا تحركت الى نقطة واحدة فهذه النقطة هى ضرورة فى وسط الكل وذلك انها لو لم تكن فى الوسط لكانت تلك الابعاد التى عليها يتحرك مقعر الفلك غير متساوية ولذلك كانت تكون الزوايا التى تحدث عند المركز غير متساوية اعنى التى توترها قسيا متساوية من الفلك فكانت تكون المدرة الواحدة بعينها قوتها مختلفة حتى تكون متى تحركت من جهة البعد الأبعد احدثت زاوية غير مساوية للزاوية التى تحدث اذا تحركت من الجهة الأخرى وذلك كله محال .

ومن هنا قد يظهر ايضا ان شكلها كرى وكذلك شكل الماء والهواء والنار وذلك انا لو توهمناها كما يقول ارسطو متكونة وابتدأت اجزاؤها عندما يتكون نزل على الجهة التى وضعنا من جميع جهات الفلك عندما تحرك الفلك كما يضع الذين يقولون بحدوث العالم لتخلفت فى الوسط تخلفا (١) كريا مهما لم نفرض لجزء منها عائقا وبهذا يتبين ان شكل الهواء والماء والنار كرى .

وقد يظهر ايضا ان شكل الارض كرى من جهات أخر فى علم النجوم منها كسوف القمر وذلك انه حين ينكسف بظلها ينكسف

(١) فى صف – لتخلقت . . تخلقا . هلاليا

هلا ليا ومنها ان الارض عند ما يسارفيها ادنى مسير يظهر فى السماء كواكب لم تكن ظاهرة فاما السبب الفاعل القريب لسيرها الى الوسط وسكونها فيه فليس شئ سوى صورتها وطبيعتها وذلك ان الثقيل بما هو ثقيل له ان يتحرك الى الوسط اذا كان خارجا عنه ويسكن فيه اذا وافاه وذلك بالطبع والا كانت حركته الى غير نهاية ولم يكن لها كمال وهذا بعينه هو السبب فى تحرك النار الى فوق اعنى طبيعتها وماهيتها •

واما الفاعل البعيد لذلك فهو حركة الجسم السماوى فانه لما تحرك لزم ضرورة ان يكون الجسم الذى فى غاية اللطافة واقعا(١) فى مقعره ومتحركا اليه اذا كان خارجا عنه والجسم الذى فى غاية الكثافة واقفا(١) فى ابعد بعد منه وهو الوسط ومتحركا اليه اذ كانت الحركة بما هى حركة فقربها هو الفاعل للجسم اللطيف والحافظ له وبعدها هو الفاعل للجسم الكثيف والحافظ له ــ واما الآن التى كانت للقدماء فى سكون الارض فى الوسط فكلها بينة السقوط بنفسها واقواها فى ذلك اثنتا عا قول افلاطون وبعده انباذقلس واما افلاطون فكان يقول انما تثبت الارض فى الوسط لتشابه المحيط يعنى الفلك وذلك انه زعم لما لم يكن لها ان تنزل الى جهة ما اكثر من نزولها الى الجهة المقابلة بالواجب وقفت وظاهر هذا القول يوجب انه كان شأنها ان تنزل الا انه لما تعارضت الجهات

---

(١) صف ــ واقفا

و تقاوم الميل لم يكن ذلك فيها الا ان هذا اذا تؤمل كان سببا بالعرض لوقوفها وذلك ان ما وقوفه بهـــذه الجهـــة فهو قسر وما يقوله ثامسطيوس فى نصرة هذا القول والاعتراض على قول ارسطو فامر بين السقوط بنفسه فانه ليس هنالك سبب غير الذى اعطاه ارسطو ولا بقى عليه فى ذلك ان يعطى سببا خاصا كما يقول ثامسطيوس فان الامور البسيطة اسبابها بسيطة و اما قول انباذ قلس فيبطله هذا المعنى بعينه اعنى ان وقوفها ايضا يكون قسريا وذلك انه كان يرى ان ثبوتها فى وسط الهواء انما هو من اجل استدارة الهواء بحركة الجرم السماوى كما يعرض للأشياء الارضية التى تلقى فى الرطوبات عند ما تدار الرطوبات بشدة مثل الرصاص الذى يثبت فى وسط الماء المستدير فى القدح .

فاما المسئلة التى حيرت القدماء وكانوا يطلبونها دهرهم وهو لم كانت اجزاء الارض يظهر من امرها اذا كانت اجزاء بالفعل انها تتحرك الى اسفل اعنى انه اذا زحزح الجزء الذى من اسفل تحرك الجزء الفوقانى الى موضعه مع ان الارض ساكنة بكليتها فان السبب فى ذلك ليس شيئا اكثر مما قيل من ان مكان الجزء والكل واحد ولما كان قد تبين ان مكان الارض باسرها هو الوسط الذى تستقر فيه فالذى يطلب الجزء الواحد اذا تميز هو ما كانت تطلبه الارض باسرها لو توهمناها خارجة عن المركز اعنى الوسط وهو أن يكون بعد ذلك الجزء من جميع نواحى الفلك بعدا سواء فاذن ليس يلزم عن سكون

الجزء الخارج المركز قسرا ان تقول ان الارض بجملتها ساكنة قسرا وهو الذى يوجبه بادى الرأى ولذلك كان القدماء يطلبون ان يوفوا فى سكونها سببا قسريا فهذا جملة ما فى هذه المقالة •

المقالة الثالثة

اكثر ما فى هذه المقالة ليست اقاويل تثبيتية وانما هى اقاويل عنادية وما فيها من اقاويل تثبيتية فمن اجل الاقاويل العنادية وهى ايضا مع هذا منطوية فيما سلف وفيما يأتى بعد والذى يظهر من غرض هذه المقالة انها كالمقدمة والتوطئة لكتاب الكون والفساد ولذلك شرع اولا فى ابطال ما قيل فى طيماوس من ان الاجسام مركبة من السطوح وانما اسطقساتها من قبل انها لو كانت كذلك لكانت السطوح التى تتركب منها الاجسام الثقيلة ثقيلة والتى تتركب منها الاجسام الخفيفة خفيفة ولو كانت السطوح ثقيلة وخفيفة لكانت الخطوط التى تتركب منها السطوح كذلك ولو كانت الخطوط منها ثقيلة ومنها خفيفة لكان هذا حال النقط التى تركبت منها الخطوط ولو كان ذلك كذلك لكانت النقط ثقيلة وخفيفة ولو كان ذلك كذلك لكانت النقط منقسمة لان كل ثقيل وخفيف منقسم •

ثم اخذ يبين ان اسطقسات الاجسام الكائنة الفاسدة هى الاجسام البسائط اعنى الاربعة او بعضها وذلك انه لما كان حد الاسطقس انه آخر ما ينحل اليه المركب اولا وبالذات وكان يظهر ان الذى

بهذه الصفة فى المركبات هى هذه الاجسام اى بعضها فانا نرى الخشبة
مثلا اذا احترقت استحالت الى جزئين نارى وترابى فلما تبين له هذا
من امر الاسطقس اخذ يفحص هل هى بكليتها مكونة او ازلية وكان
ظاهرا بالحس انها ليست ازلية اذ كانت تحس كائنة فاسدة باجزائها
واما ان كلها مكونة فقد تبين امتناعه وذلك انها ان كانت مكونة
فاما ان تتكون من لا جرم او من جرم، فان كانت من لا جرم لزم
ضرورة ان يكون خلاء موجودا اذ كان يلزم أن يتقدم المكان
المتكون وان يوجد الهيولى غير ذات صورة وان يكون الكون من
لا شىء على الاطلاق، وان كانت متكونة من جرم فهناك جسم اقدم
منها وقد تبين امتناع ذلك واذا كان ذلك كذلك فهى كائنة فاسدة
باجزائها بعضها من بعض، ولما تبين له انها اسطقسات الاجسام وانها
كائنة فاسدة بهذه الصفة اعنى باجزائها سواء كان جميع الاسطقسات
هذه الاربعة او بعضها او اكثر منها شرع يفحص من امرها هل هى
متناهية او غير متناهية على ما كان يرى كثير ممن سلف من قدماء
الطبيعيين فبين انها ليست بغير متناهية ولما تبين له انها متناهية اخذ
يفحص هل هى واحدة على ما كان يرى ايضا كثير ممن سلف من
الطبيعيين ام كثير فابطل انها واحدة ثم فحص بعد ذلك هل كون
بعضها من بعض على جهة التركيب كما كان يرى ذلك من يقول
بالاجزاء التى لا تتجزى او على جهة النقص والخروج كما يقول اصحاب

الكمون

الكون فبين انه ولا على جهة واحدة هو كونها وارجى كيف الامر فى ذلك الى كتاب الكون والفساد ـ ونحن بحسب غرضنا فلنحذف هذه الاقاويل العنادية وايضا ما فيها من الاقاويل التعليمية هى منطوية بالقوة فيما يأتى بعد من الاقاويل التعليمية فى كتاب الكون والفساد ولنشرع فى التقاط ما فى المقالة الرابعة من الاقاويل التعليمية

المقالة الرابعة

هـذه المقالة قصد فيها ان يتكلم فى صور سائر الاجسام البسائط وحركاتها اذ كان قد فرغ من القول فى الجرم الخامس وبذلك يكمل غرضه فى هذا الكتاب وهو اولا يتبدىء فيخبر عن السبب الذى من اجله تتحرك هـذه الاجسام البسيطة حركتها الطبيعية •

فيقول ان السبب فى ذلك ليس شيئا غير السبب فى سائر الحركات اعنى الحركة فى العظم والكيف وكما ان السبب فى حركات تلك هو مسير الشىء من ضد الى ضد ومن شئ بعينه الى شئ بعينه كذلك الحال فى هذه الحركة وكما انه ليس يتحرك هنالك المتحرك من اى شىء اتفق الى اى شئ اتفق كأنك قلت من البياض الى الطول او الى الحرارة بل من شىء محدود الى شىء محدود ولا المحرك ايضا هو اى شىء اتفق كذلك الامر فى حركات هذه المكانية وكما أن كل واحد من تلك انما يتحرك الى الاستكمال الخاص الذى لها كذلك الامر فى

هذه الا ان الفرق بينهما اما فى تلك فالمحرك لها عن خارج بمنزلة المحيل والمستحيل وان كان قد يمكن فيها ان تتحرك بذاتها اذا اخذت مبدأ يسيرا من خارج كالمتصحح يسير الى المرض بادنى شىء يصيبه واما هذه الاجسام المتحركة حركة استقامة فمبدأ حركاتها فى ذاتها وهى صورها التى بها تتحرك كأنك قلت الثقل والخفة وذلك ان هذه الاجسام تتحرك من حيث هى بالقوة فوق واسفل وتتحرك ذواتها من حيث هى بالفعل ثقيلة او خفيفة ولبساطتها لم يتميز فيها المحرك من المتحرك فظن بها انها محركة ذواتها متحركة من جهة واحدة وانما كان ذلك كذلك لان هيولى هذه الحركة ليس هو المتحرك وانما هى قريبة جدا من جوهر المتحرك فعندما يحصل جزء من صورة المتكون حصل جزء من الحركة ولذلك كانت متأخرة عن سائر الحركات فى الكون •

واما قوى سائر الاعراض الموجودة فى هذه الاجسام والاستعدادات فهى متقدمة على هذه الاجسام اعنى قوة الحركة فى المكان لكن هذه القوة على حل هى فى الشىء الذى هو ثقيل او خفيف بالقوة لا فى الشىء الذى هو بالفعل لانه لو كان فى الشئ الثقيل بالفعل لكانت متحركة بذاتها كالحيوان •

اللهم الا ان تكون للقوة القسرية كما تقدم من قوله(١) ولذلك اى جزء حصل من النارية مثلا حصل له ذلك المقدار من الحركة فاما

---

(١) صف ـ قولنا ان

ان الذى يجرى مجرى الاستكمال لهذه الحركات هو الأين فظاهر من انها انما تتحرك الى ما هو لها بالقوة و يجرى لها مجرى الاستكمال والذى بهذه الصفة هو الاين والاين منه فوق ومنـــه اسفل فاذن الفوق والاسفل هى الكمالات لهذه الحركات واما النار فكمالها الفوق واما الارض فكمالها المكان الاسفل والاجسام التى بين هذه اعنى الماء والهواء كمالاتها ايضا فى الاينات (١) التى بين هذه وقد يظهر هاهنا ايضا من ان المكان كما قيل هو نهاية المحيط والحاوى والمحيط والحاوى بمنزلة الصورة للمحوى والمحاط به والمحوى والمحاط به كالهيولى ومكان الاجزاء كما قيل ومكان الكل واحد واستكمالها هو الشىء الذى به يستكمل الكل وهو الاين الذى يجرى مجرى الصورة واذا كان ذلك كذلك فالاستكمال الذى تتحرك ليه اجزاء هذه الاجسام هو الاين وهو نهاية بعضها المحيطة ببعض واذا كان الامر على هذا فظاهر ان نهايات هذه الاجسام بعضها استكمالات لبعض وشبيهه ولذلك ما قالت القدماء ان الشبيه ينقل الى شبيهه اما نهاية الارض فالشبيه بها نهاية الماء وللماء نهاية الهواء وللهواء نهاية النار وللنار مقعر الفلك وليس يوجد الامر فى هذا على خلاف ذلك اعنى ان تكون نهاية الارض الهواء الا بالعرض وفى جزء من اجزائها كما اتفق فى المكان الذى فيه الكون والفساد للمركبات وكذلك لا يوجد شبه بين الماء و نهاية النار ولا بين الهواء و نهاية الفلك وليس كما ظن قوم ان المدرة من الارض

---

(١) د ــ النهايات.

انما تتحرك الى جملة الارض من جهة ما هى ارض كما يتحرك الى حجر المغناطيس الحديد فان على هذا كان يلزم ان تتحرك المدرة الى الارض لو توهمناها فى مقعر فلك القمر فكان يكون فى طبع المدرة ان تتحرك علوا وذلك خلاف ما يعقل وثامسطيوس يرى ان ما اعطى ها هنا من سبب حركات هذه الاجسام هو سبب بعيد فانه قدكان بقى على ارسطو ان يوفى فى ذلك السبب القريب وكما يقول(١) انه ليس يكفى فى قول القائل لم صار المريض صحيحا ن يقال لانه بالقوة كان صحيحا ولا لان طباعه ان يصح دون ان يوفى ذلك السبب القريب فيقول مثلا وانما كان ذلك لان الخلط العفونى دفعته الطبيعة على جهة البحران وهذا غلط بين منه فانه ليس الامر فى الاشياء البسيطة كالحال فى الاشياء المركبة بل ما يوجد للبسيط يوجد ضرورة للمركب منه بوجه ما اذا كان البسيط متقدما عليه وما يوجد للمركب فليس يلزم ان يوجد للبسيط اذ كان يلزم ان يوجد للمركب شىء زايد واسباب الامور البسيطة بسيطة ولذلك متى سئلنا فى المركب لم هو فاعطينا السبب الذى هو مشترك بينه وبين البسيط لم يكف فى ذلك دون ان يوفى السبب القريب كالحال فى المثال المتقدم واما الموجدات البسائط فاسبابها بسائط فاما المبادىء التى تتحرك بها هذه الاجسام هذه الحركات فهو مقربها انها الثقل والخفة وبالجملة الميل ووضع جسم بسيط متحرك من ذاته من غير ميل فيه محال.

---

(١) وصف ـ تقول كما.

وقد تكلف ارسطون بيان ذلك عند من لم يكن عنده بينا بنفسه فاما نحن فلا حاجة بنا الى بيان ذلك اذ كان هذا من المعلومات الاول واذا كان هذا ظاهرا فالذى عنه البحث هو ما جوهر كل واحد من هذين اعنى الثقيل والخفيف وتوفية السبب فى انقسام كل واحد منهما الى قسمين اعنى الى الخفيف باطلاق والخفيف باضافة وكذلك الى الثقيل باطلاق والثقيل باضافة وتوفية حدودها •

فنقول ان الثقيل باطلاق والخفيف باطلاق يرسم كل واحد منهما برسمين احدهما ان الخفيف هو الذى شأنه ان يطفو فوق جميع الاجسام والثقيل هو الذى شأنه ان يرسب تحت جميع الاجسام والثانى ان الخفيف هو الذى من شأنه ان يتحرك الى فوق اذا يكون فى الموضع الاسفل والثقيل هو الذى من شأنه ان يتحرك الى اسفل اذا يكون فى الموضع الاعلى وبين ان الذى بهاتين الصفتين هو النار والارض من قبل ان الفوق والاسفل محدودان والنار هى الطافيه فوق جميع الاجسام والارض هى الراسبة تحت جميع الاجسام •

وقد كان القدماء لما راموا اعطاء سبب الخفة والثقل مرة يقولون ان سبب الخفة الخلاء وسبب الثقل الملاء فكانوا يجعلون الخلاء سببا للحركة وهذا قد تبين امتناع وجوده اعنى الخلاء ومرة يقولون ان الثقيل هو ما كان من اجزاء اكثر وكان يجب على هذا

الا يكون هاهنا خفيف باطلاق ولا ثقيل باطلاق وهذا كله بين السقوط مما تقدم •

ولا يخلو قولهم من احد امرين اما ان يقولوا ان الخفيف هو الذى فيه خلاء اكثر وملاء اقل والثقيل هو الذى فيه خلاء اقل وملاء اكثر وهذا القول يلزم ان يعود الخفيف ثقيلا اذا ضوعف لانه يكون فيه من الخلاء مثل ما كأن فى الخفيف او اكثر وكذلك يلزم ان يعود الثقيل خفيفا اذا قسم واما ان يقولوا ان الخفيف هو الذى نسبة الخلاء فيه الى الملاء اعظم من نسبة الخلاء الى الملاء من الثقيل وهذا يلزم ان لا يكون للاكبر اثقل وأخف اعنى انه لا تزيد هذه القوة واما الاجسام الاخر اعنى الهواء والماء فخفيفة بالاضافة الى شيء وثقيلة بالاضافة الى آخر وذلك ان كل واحد منهما يطفو فوق جسم ويرسب تحت آخر اما الهواء فيطفو فوق الماء ويرسب تحت النار واما الماء فيطفو فوق الارض ويرسب تحت الهواء فاما السبب فى وجود هذين الجسمين بهذه الصفة فهو ظاهر من انه لما كان هاهنا جسم خفيف على الاطلاق ليس فيه شيء من الثقيل اذ كان ليس يرسب تحت جسم هو اخف منه وجسم ثقيل على الاطلاق ليس فيه ايضا شيء من الخفة اذ كان ليس يرسب تحته جسم آخر كان مكاناهما ضرورة فى الغاية من التباعد وكل واحد منهما فى الطرف الاقصى من صاحبه واذا كان هذا هكذا فباضطرار

ما يكون بينهما مكان وسط واذا كان مكان وسط فباضطرار أن يكون بينهما جسم واحدا واكثر من واحد •

وقد يظهر هذا ايضا من جهة ان الجسم الخفيف لما كان حاويا للجسم الثقيل ونهاية صار منه بمنزلة الصورة والجسم الثقيل بمنزلة الهيولى وكذلك يشبه ان يكون الامر فى مادتيهما اعنى ان مادة الخفيف كالصورة لمادة الثقيل ومادة الثقيل كالهيولى لمادة الخفيف والذى بهذه الصفة هو الارض والنار واذا كان هذان الجسمان حالهما هذه الحال فى تباعد وجودهما فباضطرار ما لزم ان يكون بينهما جسم واحد او اكثر من واحد متوسط الوجود بينهما فيكون كالهيولى للحاوى له وكالصورة لما يحويه •

فاما السبب فى ان الاجسام المتوسطة بين هذين الجسمين يلزم ضرورة ان تكون جسمين فقط فسيظهر ذلك فى كتاب الكون والفساد وليس ينبغى ان تقسم هاهنا من هذه المواد الكثيرة الا من جهة الاستعداد كما ان مادة الصحة والمرض اللتين هما للاعضاء المركبة او البسيطة انما صارت اثنتين من جهة الاستعداد لا من جهة الموضوع كذلك الامر فى المادة الموضوعة لهذه الاجسام هى واحدة ضرورة وبذلك امكن ان يستحيل بعضها الى بعض وبهذا السبب الذى قلنا قبيل كانت حال هذه الاجسام اعنى الماء والهواء حال المتوسط بين المتضادين لانه يوجد فيها الطرفان لكن فى موضوعين مختلفين لا على

جهة ما يوجد الضدان فى الممتزج بل الموضوع ههنا المتصف بالثقل والخفة واحد بعينه وانما يوصف بهما من جهتين مختلفتين وهما الفوق باطلاق والاسفل باطلاق وارسطو يرى ان لكل واحد من هذه البسائط ثقلا ماعند النار وفى كل واحد منها خفة ماعند الارض لكن اما اذا لم تكن فى اماكنها الخاصة بها فالامر فى ذلك بين واما اذا كانت فى اماكنها الخاصة فهل يوجب لها ميلا بوجه ما ام لا فيه نظر، اما ارسطو فانه يقول ان لكل واحد منها ماعدا النار ثقلا فى موضعه وليس يوجب للنار والهواء والماء خفة فى مواضعها ويقول ان هذا هو السبب فى ان كان بعض المركبات اثقل من بعض فى موضع واخف فى آخر .

مثال ذلك الخشبة التى وزنها مائة رطل والرصاص الذى وزنه رطل واحد فان الخشبة فى الهواء اثقل ضرورة واسرع حركة من الرصاص والامر فى الماء فى ذلك بالعكس اعنى ان الرصاص الذى وزنه رطل واحد اثقل من الخشبة التى وزنها مائة رطل ويقول ان السبب فى ذلك هو أن الهواء فى موضعه ثقيل فالخشبة مثلا تكون فى الهواء من ثلاثة ثقال الهواء والماء والارض وهى فى الماء من ثقيلين ويحتج على هذا ايضا بالزق المنفوخ فانه زعم انه اكثر رجحانا اذا نفخ منه اذا لم ينفخ ويقول ايضا ان من الدليل على ذلك ان الماء يندفع الى موضع الارض بسهولة اذا دفع وكذلك الهواء الى موضع الماء

وليس تجد الامر فى ذلك بالعكس اعنى انه لو دفع الماء الى موضع الهواء لم يسر بسهولة بل قسرا ويقول ان الدليل على هذا ايضا ما يظهر من الانبوبة التى يجذب بها الماء بتوسط الهواء عند ما يمص فان الماء انما يندفع فى هذه الحركة الى موضع الهواء قسرا وكذلك يقول يظهر فى الآنية التى تحمى ثم تكب على الماء فتجذبه بحركة الهواء عند ما يستحيل نارا الى فوق ويقول انما اتفق مع هذا فى الماء ان يصعد بجذب الهواء له للملاءمة التى بين سطحيهما والاتحاد ولذلك لم يمكن فى الارض ان تصعد مع الماء فهذا كله قول ارسطو وثامسطيوس ينكر أن يكون لهذه الثلاثة اعنى الهواء والماء والارض ثقل فى مواضعها فانه يقول لو كان لها ثقل فى مواضعها الخاصة لما ثبت فيها الا قسرا وكانت تتحرك اليها قسرا وايضا فكيف يكون للهواء ثقل فى موضعه وهو خفيف فى موضع الماء ولو كان ثقيلا فى موضعه لكان ثقيلا فى موضع الماء وكذلك الحال فى الماء اعنى لو كان ثقيلا فى موضعه لما كان خفيفا فى موضع الارض ويقول ليت شعرى لم اوجب لها الثقل دون الخفة ويروم ان يأتى فى جميع تلك الحجج بما يزيفها وقد ينبغى ان ننظر نحن فى ذلك •

فنقول انه ليس ينبغى ان نفهم من قول ارسطو أن للهواء ثقلا فى موضعه وللماء والارض على الجهة التى يقال فيها ان لها ثقلا فى المواضع التى فوقها كأنك قلت للهواء فى موضع النار وللماء فى

موضع الهواء وللارض فى المواضع الثلاثة اعنى موضع النار والهواء والماء وذلك انه لو وضع هذا هكذا لزمت تلك المحالات المتقدمة التى الزم ثامسطيوس وانما ينبغى أن نفهم من قوله ان لهما ثقلا فى مواضعها اى سرعة تأت وانقياد عند ما يرد عليها محرك من خارج وكأنها عند ما تحرك فى مواضعها الى اسفل تتحرك من ذاتها وذلك محسوس فى الماء والارض فانه متى تحرك فى الماء جسم مايخرقه مثل السفينة اذا جرت رأيت الاجزاء التى فوق تنصب الى موضع ذلك الخرق من غير أن تصعد الاجزاء التى اسفل الى فوق وكذلك يشبه ان يكون الامر فى الارض فانامتى زحزحنا الجزء الاسفل رسب الذى فوقه فاما الهواء فالشهادة على امره هو الزق المنفوخ ان كانت المشاهدة فى ذلك كما يقول ارسطو •

ومن الدليل على هذا انا نجد الماء والهواء اكثر شيء اختلاطا بالارض وذلك لتأتيهما الى المسير الى موضع الارض بحركة الاجرام السماوية ولولا ذلك لم يكن الكون والفساد يوجد للمركبات اذ كان وجود ذلك عسيرا واما الخشبة التى هى اثقل فى الهواء من الرصاص فلقائل ان يقول ان ذلك ليس من ان فى الهواء ثقلا فى موضعه بل انما ثقلها فى الهواء بالجزء الارضى والمائى فقط كالحال فى الرصاص فاذا صارت فى اول سطح الماء مانع الهواء الذى فيها لكثرة ثقل الارضى الذى فيها فوقفت هنالك لأن لها ثقلا فى الهواء عدمته فى

الماء ولذلك ما كان من الخشب قليل الهوائية له ثقل فى الماء كالخشب الآبنوس .

واما الذى يرى ثامسطيوس ان ذلك انما اتفق للخشبة من اجل شكلها اعنى ان تطفو فوق الماء وتكون فيه اخف فهذ يان فانه لوكان الامر كما زعم لكانت الخشبة اذا غيبت بشدة تحت الماء لم تعد الى فوق واما قوله لم اوجب لهذه الثلاثة الثقل فى مواضعها دون ان يوجب ايضا للهواء والماء الخفة فى موضعيهما فان ارسطو يقر بأنه يوجد للهواء وللماء فى موضعيهما هذا المعنى من الخفة ولذلك زعمتم(١) الحركة القسرية ولولم تكن للهواء خفة فى موضعه لسقط السهم اذا رمى به الى فوق عند ما يفارق الوتر لكن الهواء القريب اذا قبل الدفع من الوتر احتمى ودفع السهم بعد مفارقة الوتر له واندفع ذلك الهواء عن الهواء الذى خلفه وهكذا ايضا حتى تكف قوة الحركة لسكن وجود تأتيه للثقل وسرعة انقياده معه فى موصعه اكثر ولذلك اوجب له ها هنا هذا المعنى من الثقل دون الخفة وكذلك الامر فى الماء .

ويحتج على هذا من امر الماء بالانبوبة التى تمتص والاناء الذى يحمى كما تقدم فانه يظهر أن الماء فى هذه انما يصير الى موضع الهواء بهذا الضرب من الجذب قسرا فقد استبان مما قلناه معنى قول ارسطو فى هذه الاجسام الثلاثة ان لها ثقلا فى مواضعها وانه لم يرد

---

(١) صف ــ زعم تم .

بذلك ما فهمه عنه ثامسطيوس و ثامسطيوس يعترض على ارسطو توفية السبب فى جذب الاناء المحمى الماء ويزعم انه ليس العلة فى ذلك ان الهواء الذى فيه عند ما يحمى يصعد الى فوق ونحن نجده يجذب الماء بعد ذلك بمدة ما اذا سد فم الاناء ثم فتح ووضع على الماء ويقول ليت شعرى ما العلة فى جذب الهواء الماء إذا فتح فم الاناء ووضع على سطح الماء وهل حدثت فيه قوة جذب لم تكن قبل او كيف الامر فى ذلك بل السبب الذى يقول ارسطو فى ذلك وهو حركة الهواء الى فوق قد ارتفع وعدم وزعم ان الاسكندر اجاب فى هذا الشك بجوابات ذكرها هو ثم ناقضها وهى لعمرى كما ذكر غير كافية فى حل هذا الشك •

والذى ينبغى ان يقال فى حله ان الهواء الذى فى الاناء اذا سخن صعد الى اعلى الاناء وانضغط هنالك بضرب من الانضغاط والتكاثف القسرى طلبا للحركة الى فوق فيدخل فى الاناء من الهواء من خارج بقدر ما فرغ من المكان الهواء المتحرك الى فوق فاذا سد فم الاناء اول ما يلقى فيه النار لم يمكن للهواء ان يتحرك كله صاعدا الى فوق الا لو امكن ان يوجد خلاء فيبقى هنالك بضرب من القسر فعند ما يزال السد عن فم الاناء و يوضع بسرعة على سطح الماء قبل ان يدخل الهواء من الخارج يتحرك الهواء الذى فيه و يجذب معه الماء كذلك الحال فى المحاجم التى يستعملها الاطباء بالنار

فاما

فاما ان الاشكال مما تعين فى حركة الثقيل والخفيف فذلك بين لا انها اسباب للثقل والخفة بذاتها على ما كان يرى بعض القدماء وذلك ان الشكل العريض يطفو على الماء وعلى الهواء متى كانت قوة اتصال الماء والهواء اعظم من قوة الثقل واما الشكل الذى ليس بعريض فانه يسرع به انقسام الاثقال ولذلك صار المتحرك به يتحرك بسهولة وبادى ميل فيه فقولنا ما هو الثقيل والخفيف باطلاق والثقيل والخفيف باضافة وفى اللواحق الموجودة لهما فاما اعطاء السبب فيما يظهر فى المركبات من الاعراض اللاحقة للثقل والخفة فمما قيل فى البسائط هاهنا توقف عليه •

فامر طست النحاس وكيف اتفق لها ان تقف على الماء فلأن الهواء الذى داخلها يمانعها من ان ترسب لانه يحتاج ان ينزل الى اسفل من سطح الماء وحينئذ ينزل الماء فى الطست فيرسب ولذلك متى القى فيها ثقل يبلغ من شدته ان ينزل بالهواء تحت سطح الماء رسبت وهذا السبب ايضا هو احد ما يحمل به المركب الاثقال وتتفاوت فى ذلك بحسب كبرها وصغرها واشكالها مع انها من خشب ولذلك متى طبقت المراكب على الوجه الذى ذكر اصحاب الحيل لم تغرق •

انقضى القول فى هذا الكتاب وهو المترجم بكتاب السماء والعالم والحمد لله وحده

استدراك الخطأ والصواب فى كتاب السماء والعالم لابن رشد

الصفحه	السطر	الخطأ	الصواب
٦	٥	هذا	هذه
«	٧	ويتحرك	وتتحرك
٧	١٨	لمستقيم	المستقيم
٨	١٥	فخص	فحصنا
١١	٣	تنضاد	تضاد
١٤	٦	لا يلقى	لا يلفى
١٦	٩	فضلا ان	فضلا عن ان
٢٠	٦	لتزل	لنتزل
٢٢	٦	المنفعلة الى القطعةفيها الفاعلة	الفاعلة الى القطعة فيها
٢٤	١٧	الا لاى	الا لاهى
٢٦	٣	فى موضع آخر	فى موضع احرى منه فى موضع آخر
«	٧	تكون	لكون
٣١	١٥	هو المعنى	وهو المعنى
٣٢	١٨	ما لا يمكن	ما يمكن
٣٣	٢	قنا طير	قناطير
٣٤	١٩	لامتكون	ولامتكون
٣٥	٤	ان يكون	ان يتكون
٣٧	٧	والكذب ايضا على شىء	والكذب على شىء
٣٩	١٢	يعتمد	ويعتمد
٤٠	١٢	بتدبل	بتبدل

استدراك الخطأ والصواب من كتاب السماء والعالم لابن رشد

السفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤١	٥	فيما	فيها
٤٣	٩	سارت	صارت
٤٦	٧	بجيع	بجميع
»	١١	فاما الابطاء	فاما اعطاء
٥٦	٧	اذ لم يكن	اذ يمكن
٥٧	٥	موجوددات	موجودات
٦٥	١٠	وانما	وانها
٧٣	٤	ونهاية	ونهاية له

تم الخطأ والصواب فى كتاب السماء والعالم

كتاب الكون والفساد

للفقيه القاضي العلامة ابي الوليد
محمد بن احمد بن محمد بن رشد
رضى الله عنه المتوفى
سنة ٥٩٥ﻫ

طبع
بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بعاصمة الدولة
الاسلامية الآصفية حيدر آباد الدكن لازالت
شموس افاداتها بازغة وبدور
افاضاتها طالعة الى
آخر الزمن
سنة ١٣٦٥ﻫ

بسم الله الرحمن الرحيم

غرضه فى هذا الكتاب التكلم فى التغايير الثلاثة التى هى الكون والفساد والنمو والاضمحلال والاستحالة واعطاء ما به يتم واحد واحد من هذه التغايير وكيف يتم ذلك وذلك ان التغيير فى المكان وهو المسمى نقلة قد تكلم فيه فيما سلف وكان قد بقى عليه التكلم فى هذه الثلاثة، وهو ها هنا انما يعرف من امر هذه التغايير المعنى العام لجميع المتغيرات بها على ما يقتضيه الترتيب المنظم فى التعليم اما كون البسيط فهو ها هنا يعرفه على التمام واما كون المركبات فانه يعرف ههنا من امر جنسه ويعطى مباديه واسطقساته فاما اعطاء جميع ما به يتقوم جميع الكائنات من المتشابهة الاجزاء ففى الرابعة من الآثار العلوية وكذلك ما يعطى ههنا من حركة النمو كماله فى كتاب النفس وكتاب الحيوان وهو ايضا يروم فى اعطاء ما يعطى ها هنا اسبابه ان يعطى فى ذلك الاسباب القصوى كما فعل فيما تقدم فاما مرتبة هذا الكتاب فهو بعد كتاب السماء والعالم وذلك لانه لما تبين هنالك ان الاجسام البسائط التى دون فلك القمر اربعة فقط وانما يستحيل بعضها عن بعض ويتكون بعضها عن بعض شرع ها هنا يفحص عن جهة كون بعضها عن بعض وهل هذه

الاجسام

الاجسام هى اسطقسات المركبات اواحد منها او اكثر من واحد وان كان واحدا منها او اكثر من واحد فهل ايضا بعضها اسطقس لبعض ام هى فى مرتبة واحدة من البساطة ولذلك لقبه بكتاب الكون والفساد لانه وان كان يتكلم ههنا فى حركة النمو والنقص وفى الاستحالة فكان تكلمه فيها انما هو على جهة القصد الثانى وللمشاركة التى بينها واعطاء الفرق بين هاتين الحركتين وبين حركة الكون والفساد فلنبدأ بالالتقاط للاقاويل العلمية من هذه المقالة على عادتنا ٠

فنقول اما ان هذه الحركات الثلاثة موجودة فذلك بين بنفسه وكذلك كونها متباينة ومتغايرة وذلك ان الذى ينبغى ان تتحفظ به فى الكون وبه يتميز من سائر الحركات هو ان الكون يكون فى الجوهر وانه من لا موجود الى موجود ونعنى ها هنا بلا موجود ما ليس هو موجودا بالفعل وهو موجود بالقوة على ما تبين فى الاولى من السماع وانه لا يثبت الموضوع لهذا التغير حتى يكون واحدا مشارا اليه فى طرفيه كالحال فى الاستحالة والنمو ٠

وكان القدماء فى هذا المعنى على مذهبين منهم من كان لا يفرق بين الكون فى الجوهر والاستحالة فى الكيف وهم الذين كانوا يقولون ان الاسطقس واحد وان الكون يكون منه بالتكاثف والتخلخل ومنهم من كان يفرق بين الاستحالة والكون بان يجعل

الكون فى الاجتماع والافتراق مثل اصحاب الجزء الذى لايتجزى الا ان هولاء كانوا يقولون ان الاستحالة شيء يظهر للحس وليس شيئا حقيقيا لان الاسطقسات لم تكن تقبل الانفعال لانها لو قبلت الانفعال لكانت مركبة وارسطو يرى ان الاستحالة ضربان استحالة فى الجوهر وهو المسمى كونا وفسادا واستحالة فى الكيف وهو المسمى كيفية والسبب فى ذلك كله طبيعة المادة الاولى وطبيعة مخالفة الصور للاعراض لان الموضوع فى هذا التغير هى المادة الاولى ولكونها غير متغيرة من الصور وجب ان يكون الكون سرمدا لان كل كائن فهو كائن من فاسد وكل فاسد فهو فاسد الى كائن .

واما الفرق بين الاستحالة والنمو فبين وذلك ان احدهما فى الكيف والآخر فى الكم وايضا فان النامى يتحرك فى المكان باجزائه ويضبط مكانا اعظم مما كان فيه والاستحالة ليست كذلك وهذا يفارق النمو ايضا بالكون والفساد وايضا الموضوع الثابت فى حركة النمو هو الصورة على ما سنبين بعد والموضوع لحركة الاستحالة هو الشيء المشار اليه من حيث هو ذو هيولى وصورة واما موضوع الكون والفساد فالمادة الاولى ولذلك ليس هو شيئا بالفعل واذ قد تبين الفرق بين وجود هذه الحركات فقد ينبغى ان نشرع فى القول فى حركة النمو ونعطى(١) بماذا ينمو النامى وكيف ينمو وذلك بحسب ترتيب ارسطو .

(١) كذا .

فنقول

فنقول انه ينبغي ان نتحفظ عند الفحص عن هذه الحركة بالاشياء الذاتية الموجودة للنامى •

واحدها هو ان النامى انما ينمو فى جميع اجزائه وان كل نقطة منه محسوسة تصير اعظم وان تنقصه يكون ايضا بالعكس اعنى فى جميع اجزائه •

والثانى انه ينمو بورود شئ عليه من خارج وهو الغذاء فان القول بغير هذا شرارة او نقص فى الفطرة الانسانية •

والثالث ان فيه شيئا ثابتا على حاله •

والرابع ان الذى يرد من خارج لا ينمى الا بان يستحيل ويتغير الى جوهر النامى فان الخبز لا ينمى حتى يتغير دما والدم حتى يتغير فى اللحم لحما وفى العظم عظما واذا كان هذا هكذا وكان النامى انما ينمى فى كل جزء منه وكان ليس يمكن فى الذى يرد من خارج ان يتقلقل (١) وينفذ فى جميع اجزاء النامى اذ كان ليس يمكن ان يداخل جسم جسما بكليته فلم يبق وجه تكون له هذه الحركة الا بالاختلاط والامتزاج اولا وتغير الذى يرد من خارج عند ما يختلط الى جوهر الشئ المختلط به الذى فى النامى كالحال مثلا فى الماء فى القدح فانه متى وردت عليه نقطة خمر محسوسة القدر يزيد الماء فى جميع اجزائه حافظا لشكل القدح وتغيرت هى الى جوهر الماء وانما يتزيد الماء فى جميع اجزائه لا بان الجزء الوارد من الخمر داخل جميع

(١) كذا ولعله يتغلغل.

اجزاء الماء بل بانه لما ورد على الماء اندفعت عنه جميع اجزاء الماء على السواء فيتزيد الماء فى جميع اجزائه من حيث هو حافظ للشكل الذى كان له من الحاوى له فالماء اذن متزيد فى جميع اجزائه من جهة وغير متزيد من اخرى اما من حيث هو ذو شكل مافى جميع اجزائه واما من حيث هو ذو كمية فانما يتزيد فى جزء واحد فقط وهو الوارد فلذلك ما يظهر ان النمو انما يكون فى الصورة لا فى المادة ولكن هو فى الصورة من جهة ما هى ذات كمية وتسميتنا المثل هذا اختلاطا تجاور على ما سيقال فى حد المختلط فاما ان الاختلاط ليس يكون بتجاور الاجزاء الصغار بعضها ببعض فسيظهر فيما بعد ان ذلك ليس باختلاط ولهذا الذى قلنا ان النمو انما يكون بالاختلاط اولا بالواجب ما صيرت الطبيعة فى اعضاء الحيوان رطوبة اصلية مبثوثة فيها قد استنقعت بها الاعضاء كما يستنقع الفتيل بالزيت لان الاختلاط انما يكون للاجسام الرطبة السريعة الاتحاد على ما سنقول فى حد المختلط وهذه الرطوبة التى فى اعضاء الحيوان هى آخر ما تختلط بها الاغذية التى ترد من خارج وتنقلب الى جوهرها ثم تفعل فيها الحرارة الغريزية على ما سنبين فتصير لحما فى اللحم وعظما فى العظم وكذلك يشبه ان يكون الامر فى النبات وفى كل نام وليس الذبول للحيوان شيئا غير فناء هذه الرطوبة وبهذا السبب كان النمو انما يوجد اولا للاعضاء البسيطة المتشابهة

الاجزاء

الاجزاء وهى التى حد الجزء والكل منها واحد كاللحم والعظم وسائر الاعضاء البسيطة فانه من الظاهر ان اليد انما تنمو بنمو الاعضاء البسيطة التى هى مركبة منها وكذلك جميع الاعضاء الآلية •

والفرق بين هذه الحركة وبين حركة الكون أن فى حركة الكون الذى يحدث هو شيء مشار اليه لم يكن له وجود قبل الا بالقوة وفى حركة النمو انها تحدث كمية ما فى مشار اليه لم تتبدل صورته •

مثال ذلك ان نعمد الى نار محسوسة فننمى جوهرها بان نضع عليها حطبا فان مثال هذا لا يسمى كونا الى جملة النار بل تزيد فى اجزائها ولهذه الاشياء التى قيلت يظهر ان الشيء الثابت فى النامى هو الصورة وانه فيها ينمى الشيء لا فى مادته فان المادة ليس يمكن ان تنمو بجميع اجزائها من حيث هى مادة اذ كان ليس يمكن ان يداخل جسم جسما بكليته بل انما ينمو الشيء فى جميع اجزائه من حيث هو ذو صورة والمادة هى متبدلة بان تزيد عند النمو وتنقص عند الذبول والصورة ثابتة على حالها كالحال فى ظل الشخص الواقع على النهر فكما انه ثابت فى نفسه وتتبدل اجزاء النهر التى قام عليها الظل كذلك الحال فى صورة النامى مع مايرد عليه من مادة لكن ليس هذا ممكنا فى جميع اجزاء المادة والا امكن فى الصورة الهيولانية ان تفارق بل فى بعض اجزائها والاسكندر يستشهد على ان فى الحيوان اجزاء تثبت فيه

من كونه الى فساده باثر بعض القروح التى تبقى فيه مع طول عمره .

واما الفرق بين النمو وبين التغذى فهو ان الذى يرد من خارج اذا كان بقدر ما يتحلل سمى تغذيا واذا كان اكثر منه سمى نموا واذا كان انقص سمى ذبولا واضمحلالا .

وظاهر مما قيل فى هذه الحركة ان الشىء الذى ينمى يلزم ضرورة ان يكون لجهة ضدا ولجهة شبيها اما كونه ضدا فمن جهة ما يستحيل واما كونه شبيها فمن جهة قبوله صورة النامى وتغيره اليه وسيظهر هذا بوجه اتم عند القول فى الفعل والانفعال فاما ما به تكون هذه الحركة وما السبب الفاعل لها فسيظهر فى كتاب الحيوان وذلك يكون بالحار الغريزى ويظهر فى كتاب النبات ان ذلك ايضا انما يكون فيه بشىء يشبه الحار الغريزى وبحرارة الكواكب وبخاصة الشمس بل يظهر فيهما معا اعنى فى الحيوان والنبات ان المحرك الاقصى فى هذه الحركة هى النفس الغاذية وان الحرارة آلة لها ولانه مزمع ان يقول كيف تتولد المركبات عن البسائط وكان ذلك لا يتم الا بمماسة وفعل وانفعال ومخالطة لانه لا يكون موجود ما عن اكثر من موجود واحد الا بالاختلاط على ما سيظهر كالحال فى السكنجبين المؤلف عن الخل والعسل والاختلاط لا يكون دون فعل وانفعال والفعل والانفعال لا يكون الا بتماس فلذلك هو مضطر اولا عن الفحص عن هذه الاشياء واعطاء ما تدل

عليه اسماؤها وهى الاقاويل الشارحة ولنبدأ من القول فى المتماسين (١) .

فنقول ان المتماسين كما قيل هما اللذان نهايتاهما معا وهذا ضرورة انما هو فى الاشياء التى لها وضع الان هذا النوع من التماس اذا لم يشترط فيه ان يكون احدهما فاعلا فى صاحبه ومنفعلا عن صاحبه كان تماسا تعليميا كما يقال ان الخط يماس محيط الدائرة وليس هذا هو التماس المعنى هاهنا وبمثل هذا الوجه نقول ان فلك القمر يماس فلك عطارد. واما التماس المعنى هاهنا فهو ان يكون كل واحد من المتماسين اللذين حددناهما فاعلا بصاحبه ومنفعلا عنه كما يعرض فى الاجسام الطبيعية المتضادة التى هيولاها القريبة مشتركة وواحدة عند ما تتجاور وتماس بنهاياتها وليس يقال متماسان فيما احدهما فاعل فقط والآخر منفعل كالحال فى فلك القمر والنار الا بتاخير عن هذا المعنى الحقيقى فان التماس تفاعل والتفاعل من المضاف وذلك يقتضى بان يكون كل واحد منهما محركا لصاحبه ومتحركا عنه وبهذا يصح ان يقال فيهما انهما متماسان اى مس كل واحد منهما صاحبه واما على ذلك الوجه فاحدهما مماس (٢) والآخر ممسوس وقد يقال المس بالا - تعارة على وجه ابعد وهو فيما ليس له وضع كما يقال مسنى الضر فهذه جميع المعانى التى يقال عليها التماس وبين ان القول الشارح للمعنى المقصود هاهنا منها هو حد اذ كان بينا بنفسه، واذ قلنا فى التماس

---

(١) صف ـ التماس (٢) كذا والظاهر ماس .

ما هو والمتماسين فلننقل فى الفعل والانفعال •

فنقول ان الفاعل والمنفعل ينبغى ان يكونا من جهة متغايرين وضدين ومن جهة مشبهين اما اضداد فمن جهة ما يفعل كل واحد منهما فى صاحبه فان الشبيه لا يفعل فى شبيهه والا كان الشىء محيلا ذاته وانما يفعل الضد فى ضده واما الجهة التى يلزم عنها ان يكون شبيها فمن جهة قبول كل واحد منهما الفعل عن صاحبه فان الضد لا يقبل ضده ولذلك ليس تصير الحرارة بردا ولا البرد حرا بل الموضوع لهما هو الذى يصير حارا بعد أن كان باردا وباردا بعد ان كان حارا واذا كان هذا هكذا فاذن الانفعال والفعل انما يوجد فى الاضداد فان الاضداد قد اجتمع فيها الامران المشترطان فيهما اعنى انها متغايرة من جهة وشبيهة من جهة اما شبيهة فمن جهة ما الموضوع القريب لها واحد ولذلك ما كان الضدان لهما جنس واحد ولهذه العلة ليس ينفعل الخط عن الحار ولا اى شىء اتفق عن اى شىء اتفق ولا من اى شىء اتفق ولا الى اى شىء اتفق بل انما يوجد الانفعال من ضد محدود الى ضد محدود كأنك قلت من البياض الى السواد ومن الحار الى البارد والى المتوسط بينهما ولا ايضا يوجد الفعل والانفعال فى الاشياء التى موادها مختلفة اعنى انه لا يوجد من كل واحد منهما فى صاحبه فعل وانفعال فان الابدان تنفعل عن صناعة الطب وليس تنفعل صناعة الطب عنها اذ كانت هيولى المريض الاخلاط

وهيولى

وهيولى صناعة الطب النفس ولذلك كان فلك القمر يفعل فى النار ولا ينفعل عن النار ولذلك ما تقول اذن انه ان وجدت هاهنا صورة فاعلة فى غير هيولى فتلك غير منفعلة اصلا وان وجدت صورة غير منفعلة كما يقال فى العقل فتلك فى غير هيولى ضرورة وان هذين المعنيين متلازمان والفاعل اخص من المحرك لان الفاعل هو ما فعل كيفية انفعالية فقط والمحرك ما افاد نوعا من انواع التحريك (١) كان فى المكان او فى غيره ومن هاهنا يظهر أن ليس فى جميع انواع الكيف يكون الانفعال بل فى النوع الثالث كما قيل فى السابعة من السماع الا ان من هذه الانفعالات ما المحرك لها من نوعها كالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ومنها ماهى تابعة لفعل هذه القوى لازمة عنها وليس فاعلها من جنسها على ما سيظهر كالألوان والطعوم والصلب واللين وغير ذلك لكن هذا ليس يخرج لها عن كونها انفعالات فاما كيف يفعل الفاعل ويقبل المنفعل فليس يقال فى ذلك اكثر من ان الشىء اذا كان بالقوة فيه امر ما وورد عليه محرك من خارج وصار الى ما كان له بطباعه من القوة الى الفعل فاما الثقب (٢) التى كان من سلف من القدماء يرون سبب الانفعال فهى لأن تكون سببا بالعرض اولى منها ان تكون سببا بالذات ولكن بوجه هى سهلة ولذلك يلقى بعض اجزاء الشىء اكثر قبولا للانفعال من بعض بمنزلة ما يلقى فى المعدن عروقا ممتدة من الفضة قابلة للتأثير دون باقى ما فيه والعلة

(١) صنف ــ التغير (٢) كذا .

فى ذلك استعداد بعض اجزاء الشيء لقبول الفعل اكثر من بعض واما من يرى ان سبب الانفعال هو تداخل الاجزاء التى تتجزى فى المنفعلين الفاعلين بعضها على بعض فذلك رأى مبنى على القول بوجود اجرام غير منقسمة وقد تبين بطلان ذلك فى السادسة من السماع، واذ قلنا فى التماس والفعل والانفعال فلنقل فى الاختلاط والمزاج •

فنقول ان الاختلاط ليس هو أن يكون كل واحد من المختلطين قائمين بالفعل فان مثل هذا انما يسمى تجاورا او تماسا ولا ايضا ان يكون واحد منهما قد فسد فان قطرة الماء اذا وقعت فى جام الخمر لا يقال انها مازجت الخمر ولا خالطته لانها بالكلية تفسد وتستحيل الى طبيعة الخمر ولهذا لم يجز أن يسمى ورود الغذاء على النامى مخالطة ولا ايضا يكون الاختلاط والامتزاج بأن يفسد كل واحد منهما حتى لا يكون له وجود إلا بالقوة المحضة فان مثل هذا هو كون وفساد واذا لم يكن الاختلاط ولا واحد من هذه فاذن الاختلاط انما هو أن يحصل عن كل واحد من المختلطين عند ما يختلطان شيء آخر بالفعل متحد مغاير بالصورة لكل واحد من المختلطين على ان كل واحد من المختلطين موجود فيه بالقوة القريبة من الفعل لا بالقوة البعيدة على ما يشاهد من امر الاشياء المختلطة الطبيعية (١) منها والصناعية •

ومن الدليل على ان وجود الاشياء المختلطة فى المتولد عنها

---

(١) د ـ بالطبيعة   بالقوه

بالقوة القريبة انفى بعضهاقد يمكن ان تنفصل بعد المزاج والاختلاط وذلك اما بالطبيعة واما بالصناعة كالحال فى الانفحة التى تميز جبنية اللبن من مائيه وليس الاختلاط هو أن ينحل كل واحد من المختلطين الى مافيه من الاجزاء غير المنقسمة ثم تتجاور تلك الاجزاء ويشتبك اى جزء منها اتفق الى جانب اى جزء اتفق كما يقول بذلك اهل القول بالجزء الذى لا يتجزى فان هذا انما يكون لو تناهت قسمة الجسم حتى ينحل الى اجسام غير منقسمة فاما ان كان الاختلاط ان ينحل المختلطان الى اجزاء منقسمة فى انفسها ثم تختلط لكن لصغرها يخفى عن الحس اتصال نهايات بعضها عن بعض كما كان يرى كثير ممن سلف من القدماء فان مثل هذا انما هو تركيب فى الحقيقة وليس يدعى اختلاطا على ان الأمر كذلك فى نفسه بل يكون مثل هذا اختلاطا عند انسان وليس يكون عند آخر اذا كان انفذ بصرا منه حتى لا يكون هاهنا شىء مختلط عند الرجل المضروب به المثل فى حدة البصر وايضا فلو كان الأمر هكذا لما حدث عن الاختلاط شىء مغاير بالصورة والماهية للاشياء التى منها اختلط فكان يكون الدم مثلا فيه ماء وهواء وارض ونار بالفعل بل كان يكون مركبا منها على انها موجودة فيه بالفعل سواء احست فيه تلك الاجزاء او لم تحس وهذا كله بين السقوط بنفسه •

واذ قد تبين من امر الاختلاط هذا فاذن المختلطان يلزم.

ان يكون كل واحد منهما فاعلا فى صاحبه منفعلا والذى بهذه الصفة هما الاضداد التى الهيولى القريبة لها واحدة كما تقدم فى الفعل والانفعال فان اختلاط الشئ بنوعه لا يسمى مزاجا ولا اختلاطا اذ كان ليس يحدث عن ذلك شئ آخر ولا ايضا يقال فى الاشياء التى ليست هيولاها القريبة واحدة انها مختلطة ولا يمكن فيها الاختلاط ولذلك لسنا نقول ان الصابغ مختلط بالمصبوغ عند مماسه والاشياء المختلطة تحتاج مع انها اضداد وسائر ما شرطناه ان تكون سهلة التقسيم الى اجزاء صغار وحينئذ يمكن فيها ان تخلع نهاياتها وتتحد ولذلك يلزم ضرورة ان تكون الاشياء المختلطة رطبة وان كان احدهما يابسا فليس يختلط حتى يرطب وان كانا يابسين جميعا فلا بد ضرورة ان تكون بينهما رطوبة مشتركة كالحال فى اتصال العظام عند ما تنكسر واذا كان هذا هكذا فاذن الاختلاط هو اتحاد المختلطين بالاستحالة والاشياء التى يمكن فيها الاختلاط تتفاضل فى ذلك بحسب قرب المادة المشتركة لها وبعدها حتى ان فى بعضها ليس تزيد كمية المختلط عند الاختلاط بل انما تستفيد من ذلك كيفية فقط كالحال فى مخالطة الرصاص للنحاس — والقول فى تلخيص المزاج على التمام وكيف يكون وبأى شئ يكون هو فى الرابعة من الآثار العلوية — انقضى القول فى المقالة الاولى بحمد الله وعونه •

المقالة

المقالة الثانية

هذه المقالة نبتدىء فيها بالفحص عن الاشياء التى تدعى اسطقسات الاجسام اى هى وكم عددها فنقول ان الاجسام الكائنة الفاسدة صنفان بسائط ومركبات وكل واحد من هذين الصنفين مركب من هيولى وصورة على ما سلف. اما الاجسام البسيطة فالمادة القريبة لها هى المادة الاولى على ما تبين وصورها هى المتضادات الأول الموجودة فيها اعنى الثقل والخفة والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة - واما الاجسام المركبة فالفحص ها هنا من امرها انما هو عن المواد القريبة لها والاسطقسات - وهل هى جميع هذه الاجسام البسائط او اكثر وفى احد منها والسبيل الى ذلك او لا يكون بأن نقف على اصناف المتضادات الاول التى عنها يلزم وجود المتضادة المشتركة لجميع الاجسام الكائنة الفاسدة بأن كانت هذه المتضادة فيها اول وفيها غير اول احصينا الاول منها وان كانت كلها اوائل احصينا جميعها وقلنا ان هذه هى ضرورة صور الاجسام الاول التى منها وجدت جميع اصناف المتضادة فى جميع الاجسام •

مثال ذلك ان المضادة الموجودة فى الاشربة هى فى جنس الطعم والمضادة الاولى فى الطعم هى الحلاوة والمرارة واذا كان ذلك كذلك فبالواجب صارت اسطقسات الاشربة الاشياء الحلوة

والمرة فيجب اذن ان نحصى اصناف المتضادات التى فى الغاية التى فى جميع الاجسام ونتأمل ما منها بسائط وما منها متولد عن البسائط كالصلب واللين الذى هو عن اليبوسة والرطوبة فان الفينا بسائط منها اكثر من واحد اليها تنحل جميع المتضادات وليس بعضها ينحل الى بعض ولا يتركب من بعض قضينا بان الاجسام البسائط التى توجد لها هذه المتضادات فى الغايـة هى اسطقسات المركبات وهذا النحو من البيان هو برهان سبب ووجود وكأنه تحت الضرب الثانى من الصنف الرابع من اصناف البرهان لابى نصر الذى هو (ا) جنس (لب) و (ب) فصل (لج) هذا ان جعلنا الاسطقس جنسا لهذه .

فنقول ان المتضادة التى توجد فى الاجسام المركبة العامة لجميعها هى المتضادات المدركة بحس اللمس اذ كل جسم طبيعى فملموس والمدركة بحاسة اللمس هى الحراراة والبرودة والرطوبة واليبوسة والثقل والخفة والصلابة واللين والتخلخل والكثافة واللطافة والغلظ والقحل واللزوجة والخشونة والملاسة . اما الثقل والخفة فانها وان كانت توجد فى البسائط فانها ليست بما هى اسطقسات اذ كانت ليست قوى فاعلة ولا منفعلة والصور التى بها البسائط اسطقسات يلزم ضرورة ان تكون فاعلة ومنفعلة اذ كان وجود المركب عنها انما يكون بالاختلاط على ما سنبين واما الحرارة والبرودة

والرطوبة واليبوسة فانها قوى فاعلة ومنفعلة وذلك ظاهر من اسمها، اما الحرارة فانها قوة فاعلة وذلك ان من شأنها جمع الاشياء المتجانسة التى من نوع واحد وتصييرها واحدا وذلك ظاهر فى صناعة التخليص وغيرها من المهن ويلزم عن هذا الفعل تفريق الأشياء غير المتجانسة وتمييزها لكن هذا الفعل هو لها لازم عن الاول وكأنه بالقصد الثانى او بالعرض، واما البرودة فانها ايضا قوة فاعلة اذ كان من شأنها جمع المتجانسين وغير المتجانسين وهذا ايضا ظاهر فى الاجسام التى، تجمدها البرودة كاحجار المعادن والثلج وغير ذلك واما الرطوبة واليبوسة فقوتان منفعلتان وذلك ان الرطوبة هى السهلة الانحصار من غيرها عسيرة الانحصار من ذاتها واليبوسة بالعكس اعنى انها عسيرة الانحصار من غيرها سهلة الانحصار من ذاتها، واما سائر الاضداد التى عددنا من الصلابة واللين واللطافة والغلظ فيظهر بايسر تأمل انها منحلة الى تلك القوى الاول وذلك ان الصلابة من اليبس واللين من الرطوبة اذ كان اللين هو الذى يتطامن تحت الغمز والصلب بخلاف ذلك وكذلك اللطافة والغلظ فان اللطافة لما كانت اسرع شىء الى الانحصار من غيرها وكانت مائلة لما تحل فيه كما يقول ارسطو كانت من الرطوبة واذا كان ذلك كذلك فالغلظ من اليبس وكذلك يظهر فى سائرها وايضا كثير من الاشياء يكون رطوبته فى نفس جوهره وهذا هو الذى يدعى

باسم الرطب وكثير منها يوجد فيه الرطوبة عرضية فما كان منها فى ظاهر الشيء سمى المبتل وما كان منها فى باطنه سمى المنتقع وليس لليبوسة الشاملة (١) لصنف صنف من هذا اسم لكن هذه كلها راجعة الى اليبوسة والرطوبة التى حددنا ٠

واما الاربع القوى التى هى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فمع انها قوى فاعلة منفعلة ليست توجد منحلة الى شيء ولا بعضها الى بعض لانه ليس الحار من البارد ولا البارد من الحار ولا الرطب من اليابس ولا اليابس من الرطب وكذلك ايضا ليست الرطوبة من البرد بدليل وجود الهواء حارا رطبا ولا اليبوسة ايضا من الحرارة بدليل وجود الارض باردة يابسة ٠

واذا كان هذا هكذا وتبين ان هذه الاربعة القوى هى ابسط المتضادات الموجودة فى المركب فمن البين ان الاجسام البسائط التى توجد هذه القوى صورا لها وهى فيها فى الغاية فى الفعل وعلى التمام هى اسطقسات المركب لكن لما كان واحد واحد من الاجسام البسائط انما توجد له قوتان من هذه القوى والا لم تكن الاسطقسات متضادة وكان ليس يمكن مزاوجات هذه القوى غير الاربعة الموجودة فى اسطقسات اعنى الحرارة واليبوسة والحرارة والرطوبة والبرودة والرطوبة والبرودة واليبوسة لانه لا تجتمع الاضداد منها فبالواجب ما لزم ان تكون

هذه

(١) صف ــ المائلة كذا .

هذه الأربعة هي صور الاسطقسات وان يكون عددها هذا العدد

واذ قد تبين انه يلزم ان توجد اجسام اربعة بسيطة بهذه الصفة عنها تتركب سائر المركبات وكان ما يظهر بالحس موافقا لما ادى اليه القول وذلك ان النار حارة يابسة اما كونها حارة فظاهر بالحس واما كونها يابسة فلانه كما يقول ارسطو لما كان الجليد مضادا للنار اذ كان الخلاف بينهما في الغاية وكان الجليد جمود بارد رطب فالنار عليا ان حار يابس وذلك لو انهما اختلفا في مضادة واحدة اعني في الحرارة والبرودة فقط لم يكونا متضادين في الغاية والهواء حار رطب اما رطب فبدليل انه سهل الانحصار من غيره عسير الانحصار في نفسه واما حار فبدليل ان البرد يفسده والماء بارد رطب بارد بدليل ان الحار يفسده ورطب بدليل سهولة انحصاره من غيره وعسر انحصاره من نفسه والارض باردة يابسة الا انه يظهر ان النار احق بالحرارة من الهواء والماء احق بالرطوبة من الارض وكذلك ايضا يظهر ان الهواء احق بالرطوبة من الماء اذ كان اسهل انحصارا من ذاته والارض احق باليبوسة من النار اذ كانت اعسر انحصارا من غيرها فبالواجب ما كانت هذه الاجسام الاربعة هي الاسطقسات وذلك ان القياس يأتلف هكذا هذه الاربعة الاجسام هي التي توجد لها المضادة الاولى وعددها العدد الحادث من تركيب المضادة الاولى والاجسام التي توجد لها هذه المضادة الاولى وعددها

عدد المتضادةهى الاسطقسات فينتج عن ذلك ان هذه الاجسام هى الاسطقسات وعددها هوعدد الاسطقسات •

فاما ان هذه الاجسام الاربعة هى اسطقسات جميع المركبات فذلك بين من ان المركبات لما كانت تتكون فى الموضوع الاسفل الذى فيه الارض وذلك امافى ظاهر الارض كالحيوان والنبات واما فى باطنها كالمادن وجب ضرورة ان يكون فيها جزء من الارض فان ما هو فى مكان الارض بالطبع وهو الوسط هو ضرورة اما ارض واما شيء ارضى ولما كانت الارض ليس يمكن بما هى يابسة ان تقبل الانحصار والتشكيل دون ان يخالطها الماء وجب ضرورة ان يكون فى كل مركب ارض وماء واذا وجد الماء والارض فى كل مركب فباضطرار ما يلزم فيها وجود الضدين الآخرين اعنى النار والهواء والا لم يحصل التعادل الموجود فى المركب ولا حصل المتوسط بين الحار والبارد والرطب واليابس •

وبالجملة فالحال فى الاجسام الطبيعية كالحال فيما تعالج المهنة من الاجسام الارضية •

مثال ذلك صناعة الخزف فكما ان الخزف انما يلتئم بالماء والتراب ثم يطبخ بالنار حتى يصير له قوام كذلك الامر فى الاجسام الطبيعية وسيظهر هذا على التمام فى الرابعة من الآثار ويتبين ذلك ايضا من انا نجد جميع المركبات تنحل الى هذه الاربعة

الا

الاسطقسات وذلك انما تنحل بالتصعيد الى الماء وبالتعفين الى الارض وبعضها يستحيل بادنى حركة الى النار كالمرخ والعفار وفى كل ما ينحل الى شيء فهو مركب منه ضرورة وقد يوقف على هذا ايضا من جهة الغذاء فيما شأنه التغذى وابين مايظهر ذلك فى النبات فانه يغتذى بالماء والتراب ولذلك تعمد الاكرة (١) الى خلطهما .

واذ قد تبين من هذا القول اى هى الاسطقسات وكم عددها فهو ايضا مما يلوح من قرب ان المركبات منها انما تحدث عنها بالاختلاط الذى تقدم شرحه لانه لا يمكن وجود شيء ما واحد بالفعل عن اكثر من شيء واحد بالفعل وذلك الشيء مغاير بالصورة والماهية لتلك الاشياء التى تتركب منها الا بالاختلاط ولذلك ليس يمكن ان يوفى السبب فى هذا المعنى القائلون بان اسطقسات الاجسام هى الاجزاء ذوات الكمية وسواء كانت منقسمة لان على هذا الرأى يلزم ان يكون الكون تركيبا فلا تكون هنالك مغايرة بالصورة والماهية بين المركب واسطقساته وليس يكون على هذا كون فى الجوهر بل فى العرض وكذلك لا يمكن ان يوفى السبب على هذا الرأى فى كثرة الاشياء المركبة وتغايرها بالماهية والصورة لان العلة فى ذلك انما هو اختلاف مقادير الاسطقسات فى المركب وتزيدها فى بعض وتنقصها فى بعض آخر فانه ليس السبب فى اختلاف صور الاجسام المتشابهة الاجزاء شيء غير هذا او بهذا يخالف

---

(١) هم الحراثون — ح .

اللحم العظم وجميع الاجسام المتشابهة الاجزاء بعضها بعضا وذلك انه لما كانت الاسطقسات فى المركب بالقوة القريبة من الفعل اختلف وجود واحد واحد منها فى مركب مركب فى القرب والبعد من الفعل ولذلك كان بعض المركب اقرب الى ان يستحيل نارا وبعضها اقرب الى ان يستحيل ماء وارضا وهواء واثنين من هذه او اكثر وعن هذا المقدار من الاختلاط الموجود فى واحد واحد منها توجد الفصول الخاصة بكل واحد منها كالانطراق للذهب وغير ذلك من فصول الاجسام المتشابهة الاجزاء والقول فى تكون الاجسام المتشابهة الاجزاء واعطاء اسباب فصولها العامة هو فى الرابعة من الآثار •

واذ قد تبين هذا المقدار ها هنا من امر كون الاجسام المركبة واعطاء مباديها القريبة المادية فلننظر فى الكون البسيط اعنى كون الاجرام المبسوطة بعضها عن بعض وعلى اى جهة يكون وعلى كم وجه يقع •

فنقول انه من الظاهر للحس تكون بعضها عن بعض وقد يظهر ذلك ايضا من جهة ما هى اضداد وذلك ان الاضداد من شأنها ان يفسد بعضها بعضا عند ما يستولى احدهما على الآخر وانما صار واحد واحد من الاسطقسات غير فاسد بكليته من قبل التكافؤ الذى بينهما والمساواة ولذلك حيث اعطى احدهما الكثافة وعسر الانفعال كالارض جعلت صغيرة وحيث اعطى احدهما السخافة وسرعة

الا

الانفعال جعل له الكبر كالهواء ولولا ذلك لفسد العالم وصار خرابا يبابا واذا كان من الظاهر تكون بعضها عن بعض كما قلنا فهو ايضا من البين بنفسه ان ذلك يقع على ثلاثه انحاء، احدها وهو الاسهل ان يفسد احدهما الى المجاور له الذى يليه كالارض تعود ماء والماء هواء والهواء نارا وبالعكس وانما كان هذا سهلا لانه ليس يحتاج فى تكون بعضها عن بعض على هذه الجهة اكثر من فساد كيفية واحدة وتكون مقابلتها وتزيد فى الكيفية الاخرى وذلك ان كل واحد من الاسطقسين المجاورين انما يتضاد بكيفية واحدة •

ومثال ذلك ان الارض اذا فسد منها اليبوسة فعادت رطوبة وتزيدت البرودة كان ذلك كونا للماء وكذلك حال الماء مع الهواء اذا فسدت منه البرودة وتزيدت الرطوبة كان ذلك كونا للهواء وعلى هذا حال الهواء مع النار وبالعكس اعنى حال النار مع الهواء والهواء مع الماء والماء مع الارض•

واما النحو الثانى من تكونها وهو اعسر فهو ان تتكون الاسطقسات المتضادة فى الكيفيتين جميعا بعضها من بعض وهذا انما يكون فى الاسطقسات التى لا تتجاور كالنار تعود ماء والهواء ارضا وانما صار هذا اعسر لانه يحتاج الفاسد منهما ان يفسد فى الكيفيتين جميعا والمتكون انما يتكون فيهما جميعا •

ومثال ذلك ان النار لا تعود ماء حتى تفسد منها الحرارة

واليبس وتتولد الرطوبة والبرودة وكذلك حال الهواء مع الارض

واما النحو الثالث من تكونها فهو أن يتكون واحد منها عن اثنين وذلك انما يمكن منها فى المتضادة فى الكيفيتين لا فى المتضادة بكيفية واحدة وهى المتجاورة ومثال ذلك النار والماء يتكون منهما الهواء والارض اما الهواء فبفساد يبوسة النار وبرودة الماء واما الارض فبفساد حرارة النار ورطوبة الماء وعلى هذا النحو يحس تولد النار من الارض والهواء وذلك ان اللهيب كما يقول ارسطو هو دخان مشتعل والدخان انما هو من الهواء والارض واما الاسطقسات المتجاورة فليس يمكن ذلك فيها والعلة فى ذلك انها تتضاد بكيفية وتشترك فى أخرى كالنار والهواء والماء والارض فاذا فسد من كل واحد منهما كيفية لم يتولد عنهما شىء آخر •

ومثال ذلك ان تفسد من النار اليبوسة ومن الهواء الرطوبة فتبقى الحرارة مفردة وليس يوجد اسطقس حار فقط وكذلك متى فسدت الحرارة فيهما فبقى الضدين اليبوسة والرطوبة والضدان معا لا يجتمعان فى جسم واحد وهذا الصنف من التكون كأنه اعسر من الاول واسهل من الثانى •

فان الفساد فيهما والتكون انما يكون فى كيفية واحدة وانما عسره فلان هذا الضرب من التكون انما يحصل بفساد شيئين لكن لكل واحد منهما فساده فى كيفية واحدة ولذلك ما قلنا انه اعسر من

الاول ·

واذ قد تبين من امر الكون البسيط وكان قد تبين من امر الكون المركب المقدار الذى تبين فقد ينبغى ان نفحص عن الاسباب العامة لجميع ما يكون و يفسد وهى الاسباب القصوى بجهة ما فان بهذا الوجه يمكن ان يعطى اسباب شىء شىء من الامور الجزئية الكائنة الفاسدة من غير تكرار فى التعليم كما فعل فى السماع فانه هنالك اعطيت الاسباب العامة لجميع ما قوامه بالطبيعة سواء كان ازليا اومكونا ·

فنقول ان تلك الاسباب التى اعطيت هنالك هى باعيانها اسباب الكون و الفساد فانه قيل هنالك ان الاسباب اربعة مادة الشىء وصورته وفاعله وغايته اما المادة الاولى التى تبين هنالك وجودها فهى المادة الاولى بعينها لجميع ما يكون و يفسد والاجسام الازلية وان قيل فيها انها ذوات مواد فبضرب من التشكيك لان تلك ليس فيها امكان لان تخلع صورها و لان تفسد ايضا على ما تبين فى السماء و العالم بل انما يوجد لها من معنى المادة انها موضوعة فقط اذ كان المحرك منها مغاير للمتحرك وكانت انما تقبل الحركة من جهة الموضوع لا من جهة الصورة. واما الصورة الكائنة الفاسدة فليس يوجد قول يعمها بل هى فى واحد واحد من الموجودات الجزئية ما به يتجوهر ولذلك تلخيصها بما يخصها انما يكون عند

النظر فى واحد واحد منها واذا كان هذا هكذا فالذى عنه الفحص ها هنا هو السبب الفاعل الاقصى للكون والفساد وهو الذى ذهب اعطاؤه على جميع القدماء فيما زعم ارسطو وينبغى ان ننظر ها هنا من امره هل هو بعينه السبب الاقصى الذى تبين وجوده فى السماع وان كان فهل هو محرك قريب للتكون(١) ام ذلك بمتوسط وهو الجسم السماوى لان المحرك اعم من الفأعل وذلك ان الفاعل هو ما من شأنه ان يفعل اثرا وكيفية فى المتحرك عنه ولذلك ليس يطلق ارسطو اسم الفاعل على المحرك الاول.

فنقول اما فى الكون البسيط وهو تكون الاسطقسات بعضها عن بعض فانه من الظاهر ان الفاعل لذلك حركة الاجزاء المنتقلة دورا ولولا ذلك لم يكن فيها كون ولا فساد يجرى على نظام وترتيب محدود بل كان ليس يمكن لاجزاء الاسطقسات فساد البتة اذ كانت متعادلة بكليتها وكل واحد منها فى مكانه الطبيعى وليس ها هنا شىء يحركها حتى يلقى بعضها بعضا على غير تعادل فى قواها وذلك ايضا يظهر الامر فى كون المركبات من البسائط فانه ليس فى الاسطقسات كفاية فى ان تختلط وتمتزج حتى يأتى منها موجود آخر وذلك دائما وبالذات كما انه ليس فى النار بما هى نار كفاية فى ان يكون عنها جسم صناعى حتى يستعملها الصانع ويقدرها ولذلك ما يظهر ها هنا ان فى حركات الاجرام السماوية كفاية فى ان يعطى

(١) د ــ السكون صور

صور الاجسام المعدنيات مع الاسطقسات فاما النبات والحيوان فقد يظهر انه يحتاج فيه الى ادخال محرك آخر فى هذا العلم على ماسيبين بعد

واذ قد تبين هذا من امر حركة النقلة دورا فبالواجب ما قيل انها متقدمة بسائر التغاير الا انه ليس فى الحركة الاولى الواحدة كفاية فى ان تكون سببا للكون والفساد اذ الامور المتضادة اسبابها متضادة ولذلك بالواجب كانت الحركات كثيرة ومختلفة وبخاصة حركة الشمس فى فلكها المائل فان هذه الحركة هى السبب اولا فى كون ما يكون وفساد ما يفسد وذلك انها اذا دنت كانت سببا لوجود اكثر المتكونات واذا بعدت كانت سببا لفساد اكثر الموجودات والفاعلة للفصول الاربعة التى هى الربيع والصيف والخريف والشتاء هى هذه الحركة فالفاعل عند ارسطو لاتصال الكون والفساد هى الحركة الاولى المتصلة والفاعل للكون والفساد هى حركة الشمس فى الفلك المائل وليس توجد هذه الحركة للشمس وحدها بل للقمر وجميع الكواكب المتحيرة وان كانت الشمس فى ذلك اظهر فعلا وذلك ان الذى تفعله الشمس فى مسيرها فى فلكها المائل من اختلاف الفصول الاربعة يفعله كوكب كوكب فى مسيره فى فلكه الخاص الا انه وان كان يخفى عنا التأثير الذى يخص كوكبا كوكبا منها فيما لدينا من الموجودات فانه يظهر بالقول الكلى

ان لها مدخلا فى الكون والفساد حتى لو توهمنا رفع حركة منها او كوكب لكان اما انلايتم كون اصلا اوكانلا يتم كون بعض الموجودات فانه ايضا مما يظهران لبعض الموجودات اختصاصا بفعل كوكب كوكب ولذلك نجد الذين رصدوها على قديم الدهر قسموا الموجود بجنسها فجعلوا موجود كذا من طبيعة كوكب كذا وموجود كذا من طبيعة كوكب كذا ٠

وبالجملة فالذى يظهر من امر هذه الكواكب انها كالمتقبلة لحركة الشمس وان معظم اختلافها فى تأثيرها انما يكون بحسب قربها وبعدها من الشمس واظهر ما يوجد هذا للقمر وعطارد والزهرة ويشبه هذا ان يكون هو العلة فى وجود الاختلاف لها بحسب قربها من الشمس وبعدها اعنى انها تفعل ضروب مسيرها من السرعة والبطوء والسير الوسط فى ابعاد محدودة من الشمس، واذ قد ظهر هذا من امر الشمس والكواكب فبالواجب اذن ما كان لنشأ الموجودات وهرمها وبالجملة لمدة بقائها ادوارا محدودة من مسير الشمس والكواكب فى بعدها وقربها وذلك انها هى التى تعطى لموجود موجود مزاجه الخاص به ثم يكون نشؤه وهرمه بحسب ما فى طباعه ان يقبل هذين التغييرين عن قربها وبعدها ولذلك ما نجد نشأ الموجودات يكون بادوار محدودة من ادوار هذه الكواكب وكذلك هرمه فبعض يتقدر بحركة الشمس وبعض

بحركة

بحركة القمر كالحال فى مدة بقاء الانسان فى الرحم وفى كثير من من الحيوانات وليس يبعد أن يكون هاهنا موجودات تتقدر اعمارها بدورات كوكب كوكب من سائر الكواكب ولذلك ما قيل من ان الاعمار محدودة وان الآجال تقدر وهذا انما يكون مالم يطرأ على الموجود شيء بالعرض مثل الفساد الذى يحدث فى الهواء والتدبير الرديء وسائر الامور التى ليست اسبابا طبيعية للفساد ولما كانت هذه الحركات ازلية على ما تبين يكون المحركين لها ازليين فبالواجب ما يكون الكون والفساد ايضا ازليا وذلك اما تكون الاسطقسات بعضها عن بعض فضرورة ان كانت هذه الاجرام السماوية تحركها الحركات المتضادة عند القرب والبعد من غير وسط بينهما كالحال فى الشمس فانها اذا بعدت عنا كان ذلك سببا لتكون الامطار لغلبة كيفية الماء واذا دنت كان ذلك تكونا للهواء الحال عليه ولذلك لسنا نقدر أن نتصور اخلال الكون على هذه الجهة اذ كانت هذه الاجرام السماوية ازلية بالشخص والاسطقسات بالنوع على ما تبين وكذلك يشبه ان يكون الامر فى المعادن وفى كثير من الحيوان والنبات الذى لا يتولد عن بزر.

وبالجملة كل ما ليس يحتاج فى وجوده الى محرك اكثر من الشمس وسائر الكواكب لان هذه وان كانت مضطرة فى

وجودها الى مكان خاص تتكون فيه وهو وجه الارض اومايليه فانه من الظاهر أن الاجرام العالية هى التى تلى حفظ هذا المكان بالنوع وإلاغلب عليه الماء اذكان الموجود الطبيعى للارض بما هى ثقيلة انما هو أن تكون بجميع اجزائها تحت الماء اذكان قد تبين انه النهاية الملائمة لها وذلك ظاهر أن هذا من فعل الكواكب وبخاصة الشمس فعلاذا تيا فاما هل هو ضرورى اوا كثرى ففيه موضع فحص يوقف عليه من النظر فى امر الانواع التى تتولد عن بزر وهى الاشياء التى تحتاج من تحريك الاجسام السماوية الى محرك آخر قريب فان الانسان كما يقول ارسطو يولده انسان آخر والشمس واذا وضع هذا كما هو بين من امر هذه الانواع المتناسلة اعنى انها ازلية فيما مضى فهو ايضا من البين انها ليست يمكن ان تخل فيما يستقبل وذلك بطروء آفة عليها من الآفات الاسطقسية كأنك قلت فساد الهواء اوطمو الماء على جميع الارض لانها لو اختلت اوكان منها امكان لأن تخل وكان قد خرج ماكان ممكنا من ذلك الى الفعل فى الزمان الماضى غير المتناهى وذلك مرات لا نهاية لها وكانت لا توجد الآن اصلا.

وبالجملة فقد تبين انه لا يمكن ان يكون شىء ازليا فيما مضى ويفسد فى المستقبل وبالعكس اعنى شىء كائن ويبقى ازليا واذا كان هذا هكذا وتبين ان الكون والفساد ازليان وكانت الازلية فى هذا

التغيرو

التغير وفى سائر التغاير الكائنة الفاسدة انما توجد بالتتابع والتشافع فقد ينبغى ان تبين على اى وجه يوجد ذلك فيها •

فنقول ان هذه الامور الممكنة الوجود اما اذا وجد المتقدم منها فليس يلزم ضرورة عنه وجود المتأخر ومثال ذلك انه اذا وجد الاساس لم يلزم وجود البيت واما اذا وجد المتأخر منها فانه يلزم ضرورة وجود المتقدم •

ومثال ذلك اذا وجدت انت فقد وجد ابوك ضرورة وكذلك اذا وجد بيت فقد كانت اساسات وحجارة بالضرورة واما فى الامور الازلية فان المتقدم فيها يلزم المتأخر والمتأخر المتقدم ومثال ذلك اذا وجد المنقلب الشتوى وجد ضرورة المنقلب الصيفى واذا كان هذا هكذا فعلى اى جهة ليت شعرى يوجد الدوام فى الامور الممكنة والتتابع أذلك على جهة الدوران ام ذلك على جهة الاستقامة •

فنقول اما وجود الدوام لها على جهة الاستقامة فذلك ممتنع فى الحاشيتين جميعا اعنى فيما مضى وفيما يأتى وذلك ان فيما مضى وان كان يلزم عن وجود المتأخر وجود المتقدم فلسنا نقدر أن نجعل ذلك مارا على استقامة بالذات الى غير نهاية فى الماضى لانه كان يحتاج المتأخر فى وجوده الى اسباب متقدمة بغير نهاية وذلك محال وجوده بالذات بل ان وجدت الاستقامة فى الموجودات المتناسلة فبالعرض ومعنى بالعرض هاهنا متصور بما يتبين فى ما يستقبل ان المعطى صور

هذه الموجودات المتناسلة التى هى بها ماهى هو محرك من خارج غير البزور وانا البزر له آلة واذا كان ذلك كذلك وتبين ان هذا المحرك فعله لا نهاية له لم يمتنع ان يفعل بآلات لا نهاية لها افعالا لا نهاية لها فان وضعت تلك الآلات بعضها اسبابا لبعض كان ذلك بالعرض وكذلك ايضا لا يمكن ان يفرض لها البقاء الازلى على جهة الاستقامة فيما يستقبل لا بالذات ولا بالعرض وذلك انه ليس يلزم عن وجود المتقدم وجود المتأخر على ما قلنا ٠

واذا كان هذا ممتنعا فالبقاء لهذه الأنواع ضرورة انما يوجد دورا وذلك من قبل المحرك الازلى المتحرك دورا فانه متى كان غيم فقد كان مطر ومتى كان مطر فغيم وكذلك متى وجد انسان فقد وجد انسان آخر قبله وقد يوجد آخر بعده الا ان ما كان منها ليس يحتاج فى وجوده الى اكثر من الاسطقسات والاجرام السماوية فالاجرام السماوية كافية فى بقائه على هذه الجهة واما ما كان يحتاج فى وجوده الى ادخال مبدأ آخر كالحيوان والنبات على ما يراه قوم او الانسان فقط على ظاهر كلام ارسطو فانه يرى ان فى الاجرام السماوية كفاية فى اعطاء ما دون العقل فذلك حاصل لها من قبلهما معا اعنى الاجرام السماوية وذلك المبدأ الا ان مثل هذا الكون الدائر ما دوراته بالنوع فضرورى واما دوراته بالشخص فغير ممكن وذلك انه ليس يمكن ان يوجد زيد بعينه بعد أن وجد حتى يكون يعود دورا ولا يمكن عن وجود هذا الغيم وجوده مرة ثانية دورا وذلك ان

الواحد يلزم ان يكون الموضوع له واحدا واذا فسد الموضوع ثم كان فهو ضرورة ثانيا بالعدد وسواء فرضت الفاعل لها واحدا بالعدد ولم تفرضه على ما يدعيه اصحاب الدورات فان هؤلاء يقولون انه اذا عادت النصبة التى كانت لجميع اجزاء الفلك حين وجد زيد عاد زيد بعينه وهذا محال مما بيناه والاسكندر يرى فى النصب والهيئات التى توجد للفلك فى وقت ما انها لا تعود بالشخص ابدا ويقول انا لو فرضنا الكواكب كلها فى نقطة واحدة من فلك البروج كأنك قلت فى الحمل ثم ابتدأت كلها بتحرك السريع منها والبطئ لم يلزم ضرورة ان تعود كلها الى تلك النقطة بعينها التى منها ابتدأت تتحرك الا ان تكون ادوارا بعضها يقدر ادوار بعض حتى يكون مثلا متى تمت الشمس دورة واحدة تم القمر اثنا عشرة دورة وكذلك يلزم ان تكون نسبة دورات الشمس من واحد واحد من الكواكب وحينئذ كان يمكن ان تعود كلها لموضع واحد ولاى وضع فرضته وقد نجد الامر بخلاف ذلك فان الشمس تقطع دائرتها فى ثلاث مائه وخمسة وستين يوما وربع يوم والقمر يقطع دائرته فى سبعة وعشرين يوما ونصف وسبعة وعشرين يوما ونصفا اذا ضوعفت ليست تفى ثلاث مائة وخمسة وستين يوما وربع واذا كان هذا هكذا وكان الفاعل ليس يعود واحدا بالعدد ولا الهيولى يمكن ذلك فيها فقد تبين امتناع عودة الشخص من كل جهة وذلك

ما اردنا ان نبين .

وهذا القول فيه تسامح وذلك انه ليس يلزم اذا لم تكن دورة القمر تقدر دورة الشمس بايامها ان لا يقدر احدهما الآخر اصلا اذ قد يمكن ان يكون المقدار المشترك زمانا صغيرا بل ان كان الامر هكذا فالمشترك لها ربع يوم ضرورة لكن الوقوف على هذه الادوار التي للكواكب هل هي مشتركة ام لا مما يعسر ولا يمكن فان ذلك مبني على معرفة زمان الدورة الواحدة منها لكوكب كوكب على التحقيق وذلك غير ممكن للتقريب الداخل في الرصد والذي يمكن ان يوقف عليه من ذلك هو انها يقدر بعضها بعضا بتقريب كما يرى ذلك اصحاب النجوم وكيف ما كان الامر فليس يمكن ان يعود الشخص .

انقضى القول في هذا الكتاب بحمد الله وعونه .

استدراك الخطأ والصواب فى الكون والفساد

الصفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢	٧	لمعنى	المعنى
»	٨	اما كون	اما الكون
٣	١	او واحد	او واحد
٧	١١	يمكن ان تنمو	يمكن فيها ان لا تنمو
٢٣	٩	فسد	فسدت
»	١٨	الكيفيتن	الكيفيتين
»	١٦	فان الفساد	اما كونه اسهل من الثانى فان الفساد
٣٣	١٦	وسبعة وعشرين	وسبعة وعشرون يوما ونصف
»	١٧	وربع	وربعا

تم الخطأ والصواب فى كتاب الكون والفساد

كتاب الآثار العلوية

للفقيه القاضي العلامة ابي الوليد

محمد بن احمد بن محمد بن رشد

رضي الله عنه المتوفى

سنة ٥٩٥ هـ

طبع

بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بعاصمة الدولة

الاسلامية الآصفية حيدرآباد الدكن لازالت

شموس افاداتها بازغة وبدور

افاضاتها طالعة الى

آخر الزمن

سنة ١٣٦٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ابتدأ اولا فى هذا الكتاب بذكر غرض كتاب، كتاب من الكتب التى سلفت ويشير الى موضعه فى المرتبة ثم يعرف غرض هذا الكتاب وما بقى عليه بعده من هذا القول فى هذه الحكمة الطبيعية، فنقول انه لما كان قد تكلم فى المبادئ الاولى لجميع ما قوامه بالطبيعة وتكلم مع ذلك فى اللواحق العامة للموجودات الطبيعية كالزمان والمكان وفى كل ما يحتاج اليه فى الفحص عن تلك المبادئ وهذا كله فى الكتاب المترجم بالسماع الطبيعى وكان بالواجب ما فعل من ذلك اعنى تقديم هذا الكتاب فى التعليم على سائر الكتب لعمومه على ما تبين وتكلم بعد ذلك ايضا فى اجزاء العالم البسائط وفى صورها واللواحق العامة لها وذلك فى كتاب السماء والعالم - وكان ايضا بالواجب ان يتلو هذا الكتاب فى التعليم للسماع الطبيعى ويتقدم على ما بعده لانه اول كتاب يفحص عنه فيه عن شيء شيء من الامور المحسوسة ولذلك ابتدأ فيها اولا ببسطها فعرف صورها والاعراض الموجودة لها ولما فرغ من هذا النظر وكان هاهنا ايضا امور عامة لشئ شيئ من الامور الجزئية الكائنة الفاسدة وهى حركة الكون والفساد على الاطلاق البسيط منه

والمركب

والمركب وحركة الاستحالة والنمو شرع بعد ذلك ايضا بالنظر فى هذه الاشياء واعطى ما به تتقوم هذه الحركات على العموم وذلك فى الكتاب الملقب بالكون والفساد وكان ايضا بالواجب تلو هذا الكتاب لكتاب السماء والعالم وتقدمه على ما بعده من الكتب وذلك انه لما كان غرضه الادنى التكلم فى موجود موجود من الامور الجزئية الكائنة الفاسدة ابتدأ اولا فى هذا الكتاب يعرف الامور العامة لها كما فعل فى السماع حيث عرف الامور العامة لجميع ما قوامه بالطبيعة ازليا كان اوفاسدا او بسيطا ولما تم له هذا النظر شرع فى هذا الكتاب يفحص عن الاشياء التى توجد فى الاسطقسات كالاعراض واللواحق وذلك فى الاسطقسين(١) منها اعنى الهواء والماء والارض كالشهب والامطار والزلازل والرواجف ولذلك لقب بكتاب الآثار العلوية وكان ايضا بالواجب الابتداء بهذه من بين الامور الجزئية لانها ابسط ما يوجد من المركبات اذ كانت ليس توجد عن المزاج الذى فاعله الطبخ وانما السبب فى حدوثها احد البخارين اعنى الحار اليابس الدخانى او البارد الرطب على ما سيبين وهذا كله فى الثلاث المقالات من هذا الكتاب .

واما المقالة الرابعة منه فهو يفحص فيها عن كون الاجسام المتشابهة الاجزاء ويعطى فصولها العامة لان الذى اعطى من امر

---

(١) كذا

السكون المركب في كتاب الكون والفساد ليس بكاف في ذلك وانما اعطى هنالك منه جنسه العام وههنا تم غرضه في هذا الكتاب ثم يفحص بعد ذلك عن جنس جنس من الموجودات الجزئية الكائنة الفاسدة ويبتدىء اولا باقربها الى الاسطقسات وابسطها وهي المعادن فيعطي بماذا يتم جنس جنس منها ويوقف على اسباب اللواحق والاعراض الموجودة لها ثم يفحص بعد ذلك عن النبات في كتاب ايضا مفرد فاذا فرغ من هذا شرع في النظر في الحيوان على الاطلاق وفي جميع الاشياء الموجودة فيه من نفس وبدن وعرض اما الفحص عن اعضائه البسيطة منها والمركبة وعن اسبابها الفاعلة لها والغائية اعنى منافعها ففي الكتاب الملقب بكتاب الحيوان وذلك منه في العشر المقالات الاخيرة واما الفحص عن النفس واجزائها ففي كتاب النفس ويتكلم ايضا في المحسوسات والحواس وفصولها الاخيرة وذلك في كتاب سماه الحاس والمحسوس لان الذي تبين في كتاب النفس من ذلك هو امور عامة وكذلك يتكلم في سائر القوى الجزئية التي توجد للنفس كالرؤيا والذكر في مقالة مفردة ويتكلم ايضا في مقالة مفردة في حركة الحيوان المكانية ويعطى ما به تتم هذه الحركة اذ كان قد تبين في كتاب النفس القوة التي تكون بها هذه الحركة ٠

وبالجملة فيفحص عن الاعراض التي توجد للحيوان من جهة

ما هو

ما هو حيوان كالنوم واليقظة والشباب والهرم والتنفس والموت والحياة والصحة والمرض ، فاما مراتب هذه الكتب فهو من البين ان الكتاب الذى يتكلم فيه فى اعضاء الحيوان ومنافعها يتقدم كتاب النفس اذ كانت هذه هى هيولى النفس واما سائر ما عددنا فهى بعد كتاب النفس لكن هذا الترتيب فى النظر فى الحيوان بعضه ضرورى وبعضه على جهة الافضل وبعض هذه الكتب التى عددناها موجودة لارسطو وبعضها غير موجودة وسنقول فى واحد واحد منها ان شاء الله ان ساعد العمر ووقع لنا مع ذلك فراغ — فلنرجع الى حيث كنا من النظر فى هذا الكتاب وارسطو يبتدئ ههنا اولا بوضع امور قد تبينت تجرى مجرى الاصول الموضوعة والمبادئ لما يريد ان يتكلم به فى هذا الكتاب •

فنقول انه قد تبين فى كتاب السماء والعالم ان الاجسام البسيطة خمسة الجسم السماوى والاسطقسات الاربعة وتبين هنالك ان الاربعة متضادة بالثقل والخفة والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وان منها خفيفا باطلاق وهى النار وثقيلا باطلاق وهى الارض وخفيفا وثقيلا معا ثقيل بالقياس الى ما فوقه وخفيف بالقياس الى ما تحته كالماء والهواء وتبين هنالك ان الارض فى مقعر الماء والماء فى مقعر الهواء والهواء فى مقعر النار والنار فى مقعر الفلك وظهر ايضا فى كتاب الكون والفساد انها توجد بعضها فى بعض على جهة الاختلاط وعلى

جهة التجاور وبخاصة الارض فانه يظهر للحس وجود الاسطقسات
الثلاثة فيها اعنى النار والهواء والماء وذلك بفعل الاجرام السماوية فيها
واما النار فيشبه ان تكون فى موضعها اكثر بساطة لان ماعداها من
الاسطقسات لها ثقل ما فى مواضعها كما تبين فى السماء والعالم فلذلك
يختلط بعضها ببعض وليس لها خفة فيعسر اختلاطها بالنار وتبين ايضا
هنالك انها متكونة بعضها من بعض من جهة ما هى اضداد وان ذلك
انما يوجد لها من اجل الكيفيات الاربع التى هى الحرارة والبرودة
والرطوبة واليبوسة وتبين ايضا هنالك على كم جهة يوجد لها
الكون وقيل ايضا هنالك ان السبب الفاعل لكونها وفسادها
على الدوام والتعادل والدور هو حركة الاجرام السماوية وبخاصة
حركة الشمس فى فلكها المائل فانه يظهر ان الشمس اذا انحدرت
الى الجنوب قل تسخينها فى الشمال فغلبت طبيعة الاسطقس المائى لغلبة
البرودة فاستحال الهواء ماء وكانت الامطار واذا صعدت من
الجنوب اشتدت تسخينها فى الشمال فتتأيد طبيعة النار والهواء
ويكون فعلها هذا دورا ويتعادل اعنى اذا كان البرد فى جهة الشمال
استحرت جهة الجنوب وبالعكس اى اذا برد الجنوب استحر الشمال
ولذلك يكون شتاؤنا وصيفنا فى جهة الجنوب اعنى فى الاقاليم التى
بعدها من الشمس من تلك الجهة بعد اقاليمنا والصيف بعكس ذلك
ههنا ويكون عنها فى هاتين الحركتين جنسان من البخار احدهما

دخانى

دخانى وهو حار يابس والآخر حار رطب او بارد رطب وتبين ايضا فى كتاب السماء والعالم السبب فى تسخين الشمس وسائر الكواكب وان ذلك يكون بجهتين احداهما الحركة والاخرى انعكاس الضوء لكن يظهر ان السبب فى تسخين الشمس حتى تصير صاعدة فى فلكها المائل الى سمت رؤسنا ليس يكون الا من قبل الانعكاس فقط لان الخطوط الشعاعية تقرب من ان تحدث زوايا قائمة او تحدثها فى البلدان التى تمر الشمس على سمت رؤسهم لها .

واما التسخين الذى يكون من قبل نفس الحركة فليس يظهر له فى الصعود والهبوط تأثير محسوس .

وذلك ان الامر فى ذلك لا يخلو من احد وجهين اما ان يكون مركز فلك الشمس مركز فلك البروج فيكون بعدها من سمت الرأس فى الشمال والجنوب بعدا واحدا هذا متى لم يعتد بمقدار الارض عند فلك الشمس على ما يضعه جل اصحاب التعاليم فلا يكون تاثير زائد عند الصعود اذ ليس هنالك قرب زائد فى المسافة واما ان تكون الشمس فى فلك خارج المركز او فلك تدوير على ما يلزم ضرورة عن سرعة حركتها وبطئها بالاضافة الى فلك البروج واى هذين كان فيكون الامر فى ذلك بالضد اعنى انها فى حال صعودها الى سمت رؤسنا تكون ابعد وفى حال هبوطها اقرب لان الاوج

وجد فى النصف الشمالى من فلك البروج، واذا كان ذلك كذلك فاما ان يكون التأثير للانعكاس فقط ان لم نضع لهذا البعد اثرا محسوسا وامّا ان يكون الغالب اثر الانعكاس هذا اذا وضعنا لهذا البعد اثرا محسوسا وهذا ليس يبعد لانه على هذا يكون لخروج المركز تأثير فى الكون ويشبه ان تكون الطبيعة عدلت فى ذلك فحيث قل التسخين الذى يكون بالانعكاس جعل القرب ليقع الاعتدال بالتسخين الذى يكون عن قبل الحركة وحيث وجد التسخين الذى يكون بالانعكاس كان البعد ليقل التسخين الذى بالحركة وهذا مقنع فان خروج المركز لا يكون عبثا واذا انزلنا هذه الامور على ما تبين وكان باضطرار ما يلزم عن هذه الحركة تولد هذين البخارين فى الارض اعنى الدخانى الحار اليابس والحار الرطب والبارد (١) الرطب فلنضع الاشياء كالاصول لما نريد ان نتكلم فيه هاهنا ولنشرع فى شىء شىء مما قيل فى هذا الكتاب •

فنقول ان الامور التى يطلب هاهنا علم اسبابها ومباديها القريبة انما طريق احصاء انواعها بالحس والذى شوهد فى الموضع العالى من الهواء من هذه الآثار الذى نبتدىء اولا بالفحص عنها هى خمسة انواع فقط، احدها الكواكب المنقضة وهى المعروفة بالشهب، والثانى الاثر المعروف باللهيب، والثالث المصابيح، والرابع الاعنز، والخامس ذوات الذوائب وهذه كلها تشترك فى الهيولى

(٢) كذا (١) وفى

وفى السبب الفاعل وانما تختلف باختلاف اشكالها الذى انما يكون من قبل اختلاف كمية الهيولى فاما الوقوف على اسباب هذه الاشياء فمن هنا يظهر وذلك انه لما كانت هذه الاشياء ليس يمكن ان تكون من جوهر الاثير اذ كانت فاسدة كائنة وكان ليس لقائل ان يقول انها احد الكواكب الثابتة او السيارة لان الكواكب التى شوهدت فى قديم الدهر هى باعيانها الكواكب الموجودة الى الآن لم ينخرم منها شىء وايضا فان الكواكب السيارة محدودة العدد وقد كان تبين ان الشمس اذا اسخنت الارض صعد منها جنسان من البخار احدهما البخار اليابس الحار الدخانى والآخر البارد الرطب او الحار الرطب فاما الدخانى فيصعد علو القرب طبيعته من طبيعة النار واما الحار الرطب فدونه فى الموضع واما البارد الرطب فدون الحار الرطب وكان البخار الدخانى من اكثر شىء استعداد الان يلتهب لادنى محرك يرد عليه فبالواجب ما تكون هذه الآثار المتقدمة عن هذا البخار اذا التهب عن حركة الجرم السماوى ومن الدليل على ذلك ان هذه انما تكثر فى زمان كثرة هذا البخار الدخانى وذلك زمان الصيف ومتى كثرت فى الشتاء دلت على قحط وبالجملة متى كثرت دلت على غلبة هذا الجوهر الدخانى كما حكى ارسطو انه طلع فى بلاد الروم كوكب عظيم من الكواكب ذوات الاذناب فى زمان الشتوة فكانت رجفة شديدة وصعد

موج البحر لشدة الريح حتى اهلك مدنا كثيرة •

واذا كان هذا هكذا وتبين ان هيولى جميع هذه الآثار هو الجوهر الدخانى فاذن انما تختلف اشكالها من قبل كمية هذا الدخان — اما الكواكب المنقضة فانما تكون على جهتين احداهما اذا كان البخار الذى يشتعل ممتدا غير مستوى الاجزاء فيتحرك الالتهاب من جزء منه الى جزء فيخيل الى الناظر ان كوكبا منقضا بذاته وهذه الاجزاء ربما كان التهابها بطفور النار من بعضها الى بعض وربما كان ذلك من حركة الفلك اذا اتفق الا يكون الالتهاب فيها كلها معا وبهذا السبب ترى لبعضها عند ما تنقض ذؤابة لكن حركة هذه الشهب اذا كانت من قبل طفور النار الى تلك الاجزاء الممتدة وكان امتدادها الى فوق فبين — اذا كانت (١) النار لها من طبعها الحركة الى فوق واما اذا كانت تلك الاجزاء ممتدة الى اسفل او اخذ (٢) يمينا او شمالا فان السبب فى تحرك النار هذه الحركة على تلك الاجزاء ان وضعنا النار فيها متحركة بذاتها فليس هو الا طلبها المادة الملائمة اذ كان ليس فى طباعها ان يتحرك الى اسفل او الى اليمين او الشمال واما ان وضعنا ذلك كونا متصلا فليس يكون هاهنا حركة فى الحقيقة لمتحرك واحد وهو الاولى — فاما ان مثل هذه الحال مشاهدة من امر النار فذلك يظهر حسا فى الفتيل ساعة ما يطفى بان يوضع تحت الفتيل المسرج فانه اذا وضع تحته وحوذى بالدخان

---

(١) كذا ولعله اذ كانت (٢) كذا . الصاعد

الصاعد منه التهب من الفتيل المسرج بان تحرك اللهيب على ذلك الدخان حتى يستسرج الفتيل الاسفل •

واما الجهة الثانية من كون هذه الكواكب فهى اذا كان ذلك الجزء الدخانى الملتهب محصورا فى الهواء البارد الرطب وذلك انما يتفق له اذا كان فى غير موضعه فعندما يتقد ذلك البخار ويصير نارا تندفع تلك النار بشدة وبسرعة كالسهم المرمى به وذلك للمضادة التى بينها وبين الهواء البارد الذى كانت محصورة فيه كما نحس الاشياء الحارة تفر من الاشياء الباردة وتكون خروج تلك النار على ارق جوانب ذلك الهواء واقلها بردا فربما كان ذلك الى اسفل وربما كان الى فوق وربما كان يمنة ويسرة الا ان التى تكون الى اسفل هى قسرية محضة والتى تكون الى فوق يجتمع فيها الامران اعنى الاندفاع عن الضد والسلوك الى فوق واما التى تكون يمنة ويسرة فانها حركة من الحركتين اعنى القسريـــة والطبيعية اذا تقاومت فتندفع على جهة مشتركة بينهما •

ومن الدليل على وجود هذا النوع من الحركة انها تبلغ فى بعض الاحيان من شدة الاندفاع ان تقع على الارض او فى البحر ولذلك ما نرى هذه الكواكب كدرة وكأنها قد انطفت من البرودة التى سقتها ـــ واما الاثر المعروف باللهيب فانه يكون متى كان الدخان البخارى المجتمع له طول وعرض واتقد مشتعلا بكليته بمنزلة القصب

والحلفاء فى المستوقد واما المصابيح فانها تحدث متى كان ذلك البخار المتقدله طول اكثر مماله عرض واما التى تعرف بالاعنز فانها تحدث متى كان الالتهاب له السن نارية ولذلك شبهت بشعر الماعز ٠

واما ذوات الاذناب فانها تحدث اذا كان البخار المتدله ثبات على حالة واحدة عند ما يشتعل اما لكثافة واما لان هناك مادة تصعد اليه فتمده على قدر ما يتحلل منه واما من كليهما جميعا ولاسيما فيما ثبت منها اياما عديدة ولهذا ما قيل فى ذوات الاذناب انها شهب ثابتة فانه لافرق بينهما الا فى هذا المعنى وذوات الاذناب ايضا تختلف باختلاف اشكالها وذلك من قبل المادة وذلك ان منها ما ذنبه مستدير وهذا يعرض له فى بعض الاوقات ان يرى مستديرا حول الكواكب السيارة فيعرض له ان يتحرك بحركة الكوكب وقد يكون ايضا فى المواضع التى ليس فوقها كوكب فتكون حينئذ حركته بحركة الكل وهذا يدل على انه ليس هو رؤية تعرض من ضياء الكواكب التى تستدير حوله كالهالة للقمر وربما كان امتداده فى استقامة وربما كان طوله وعرضه متساويين فيما ذكروا وربما كان طوله اكثر من عرضه وربما كان ذا خمسة اضلاع ٠

وبالجملة فالبخار الذى يحدث عنه على ما يقول ارسطو ليس بمحدود بل مختلف كثير الاشكال والاطراف ثم يعرض له الذنب وانما صارت هذه الكواكب متحركة بحركة الفلك لكونها تقرب

منه

منه وكثيرا ما تضمحل هذه الكواكب الى الكواكب المنقضة وكثيرا تتولد عن الكواكب المنقضة اذا صادف الكوكب المادة الملائمة له وهذا مما يدل على انها ليست احد الكواكب المتحيرة ولا ذلك شيء يعرض عن اجتماعها كما كان يرى فيها كثير من القدماء ومن هذه الآثار التى تعرض فى الهواء ما تكون رؤية فقط كالالوان الدموية الظاهرة ليلا فى الهواء والاخاديد التى تظهر والحفر والهالة وقوس قزح والمجرة •

والعلة المشتركة لجميع هذه الآثار ان كل المبصرات يعرض لها باختلاف الجسم المتوسط الذى يرى به اختلاف منظر من القرب والبعد والعظم والصغر واللون والخفاء والظهور وذلك مما يدرك حسا فان الاشياء التى تبصر بتوسط الماء تظهر مخالفة لما تبصر بتوسط الهواء ولذلك ايضا تختلف الاشياء المبصرة فى الهواء لاختلاف اجزائه •

واما اعطاء اسباب هذا الاختلاف ففى علم المناظر والذى يتكلم فيه ارسطو فى هذه المقالة من هذه الآثار هى الالوان الدموية والاخاديد والمجرة وبالجملة جميع الآثار التى تظهر ليلا ونحن نجرى فى ذلك على ترتيبه •

فنقول اما الالوان الدموية التى تظهر ليلا فان السبب فى ظهورها اشراق الضوء فى الغيم الكثيف الاسود وذلك ان من

شأن الضوء اذا لاقى جسما كثيفا مشفا ذا لون ان يشبع(١) فيه فيحدث من ذلك المنظر لون متوسط بين بياض الضوء وسواد الغمام وهو الاحمر والاشقر لان البصر حينئذ لا يقدر ان يفرق بينهما فيظهر ذلك اللون كالممتزج والدليل على ذلك ان الشمس وسائر الكواكب متى طلعت فى هواء كثيف رؤيت حمراء وكذلك تظهر النار حمراء بتوسط الدخان ويشبه ان تكون العلة فى لونها ما يتشبث بها من المواد الارضية وكذلك ليس لها لون فى موضعها ومن هذا الجنس الحمرة التى تظهر عند غروب الشمس وهى المعروفة بالشفق — فاما السبب فى اختلاف هذه الالوان فى شدة الحمرة وضعفها فهو من قبل اختلاف الغيم فى قلة السواد وكثرته ورقته ايضا وغلظه ومن قبل كثرة الضوء ايضا وقلته والقرب والبعد وضعف الابصار وقوتها ولهذا يظهر بعض هذه الالوان حمراء قانية وبعضها شقراء وبعضها صفراء وبالجملة فانما تكون الرؤية بحسب نسبة الفاعل الى القابل واما الاخاديد التى تظهر ليلا والحفر فان سبب هذه الرؤية ايضا هو انه متى قام دون الضوء غمام شديد الكثافة والسواد حتى لا يمكن الضوء ان ينفذ فى جميع اجزاء ذلك الغمام ظهرت الاجزاء السود من الغمام ابعد والاجزاء المنيرة اقرب وهى فى سطح واحد فيخيل للناظر ان تلك المواضع السود حفر فاما ان مثل هذه الدموية يعرض للون الاسود مع الابيض اذا كان فى سطح واحد فذلك ظاهر مما يصنعه المصورون

(١) كذا والظاهر يشع

المصورون فانهم يعمدون الى الاعضاء الناتية كالثدى ويصورونها باللون الابيض والى الاعضاء الغائرة فيصورونها باللون الاسود وهذا الاثر يختلف فى العظم والصغر بحسب اختلاف الفاعل والقابل وانما لم يمكن فى هذه الآثار ان تظهر نهارا لشدة ضوء الشمس وانما الضوء الفاعل لها هو ما ليس بشديد كالاضواء التى تكون عن الآثار التى تقدم ذكرها اعنى الاعنز والمصابيح وغير ذلك فهذا هو مقدار ما يعطى من اسباب هذه الاشياء فى هذا العلم وهى الاسباب التى تجرى من هذه الموجودات مجرى الاجناس ٭

واما الاسباب التى تجرى منها مجرى الفصول ففى علم المناظر وذلك انه تبين هنالك ان اسباب هذه المرئيات هو انعكاس الشعاع او انعطافه ٭

واذ قلنا فى هذه فلنقل فى المجرة وهو الاثر الظاهر فى السماء وانما الشك اولا فى أمره هل هو رؤية فقط او جنسه جنس ذوات الاذناب اما الاسكندر فالظاهر من قوله انه جنسها وجنس ذوات الاذناب واحد وذلك انه زعم ان المجرة هى ذؤابة الفلك لانه لما كان كثير من ذوات الاذناب شأنه ان يحدث تحت بعض الكواكب لشدة الهاب الكواكب ما تحته من البخار الدخانى كان ممكنا فى هذا الجزء من الفلك اذ كان ذا كواكب كثيرة متقارنة (١) ان يعرض له فى جميعه مثل هذا العرض وينبغى ان نتأمل

(١) كذا وسيأتى متقاربة .

اجزاء هـذا القياس وهل اخذ فيه شيء انطوى فيه كذب ام لا .

فنقول اما المقدمة الصغرى وهى ان هذا الموضع من السماء فيه كواكب كثيرة متقاربة واكثر مما فى سائر اجزاء الفلك فينبغى ان يصحح من الحس، واما المقدمة الكبرى وهى ان الكواكب بما هى كواكب من شأنها ان تلهب ماتحتها من البخار الدخانى وتجذبه اليها وان مهما كانت الكواكب اكثر واعظم كان فعلها ذلك اعظم فهو لعمرى حق وظاهر بالتصفح والاستقراء من الالتهاب والابعاد الذى كثيرا ما يرى تحت كوكب كوكب الا ان الذى يلزم عن هذا القول ان ذلك الموضع من السماء يكون حدوث هذه الآثار فيه اكثر فاما ان هذه الكواكب يبلغ من كثرتها الى ان تلهب الهواء الذى تحتها دائما من غير ان يخل بذلك فشئ لم يظهر بعد من القول المتقدم ولاهو لازم عنه اللهم الا لو وضع من اول الامر انها دخان ملتهب على ان ذلك بين الوجود بنفسه او مما قد تبين فحينئذ كان يمكن اعطاء سبب ذلك على هذه الجهة واما ان يكون ذلك برهانا مطلقا ينتج السبب والوجود معا على ظاهر قول الاسكندر فذلك مالم يبين بعد واذا كان هذا هكذا فلننظر هل يلزم عن وضع هذه النتيجة محال ام لا وهى ان المجرة دخان ملتهب باستطالة الفلك، فاقول انه متى وضعنا الامر هكذا لزم ضرورة ان يعرض للكواكب التى يرى فيها اختلاف، كذلك

منظر فى اقليم اقليم وموضع موضع من الارض وذلك انها انما كانت ترى تتوسط هذا الجسم الملتهب الذى هو فى هيئة الحلقة ويظهر فى سطحه فيعرض من ذلك ان تكون الخطوط التى تخرج من ابصارنا فى اقليم اقليم وموضع موضع من الارض الى كوكب واحد بعينه فيها يلقى سطح ذلك الجسم عند نفوذها فيه فى مواضع مختلفة منه فيرى الكوكب الواحد بعينه مختلف الموضع من ذلك الاثر اعنى المجرة •

ومثال ذلك انا نحس النسر الطائر فى بلدنا فى حافة هذا الاثر من جهة المشرق فيلزم اذن على هذا اذا انتقلنا الى الجهة المقابلة فى الطول لبلدنا اعنى الى ما هو اقل عرضا من بلدنا ان نحسه فى تلك الحافة وذلك شىء لم يعرض بعد يقف على ذلك من عنى برصدها فى مواضع شتى وهذا قول ضرورى الالزام من جهة ان الاشياء الحادثة تحت فلك القمر يعرض لها اختلاف نظر على ما تبين فى التعاليم وايضا كما قيل لو كان هذا الاثر دخانا ملتهبا للزم ان يقل فى الشتاء ويكثر فى الصيف ويزيد سنين وينقص اخر وذلك شىء لم يحس بعد بل هو فى جميع الازمان على حالة واحدة ويشبه انه لو كان مثل هذا الالتهاب الدائم فى الهواء على عظم هذا الموضع لفسد الهواء باسره واستحال نارا وايضا فلو كان ذلك كان يوجد لها فيما يسامتها من الارض اثر محسوس فى قلة تكون الامطار •

و بالجملة فى شدة الحر وما يلزم عن ذلك، واذ قد تبين من هذه الاقاويل ان المجرة ليست دخانا ملتهبا فقد يظن انه واجب ان تكون رؤية فقط وذلك انه اذا كان لا يمكن ان يضع ذلك الاثر المحسوس فى جرم الفلك لان الذى يظهر من اجزائه هو الكواكب فقط وهى ابدا تظهر مستديرة على ما تبين من شكلها وهذا الاثر يظهر ابدا مستطيلا فقد بقى ان يكون ذلك عارض يعرض لتلك الكواكب المنضمة المتقاربة فى سطح الجسم الملتهب التى تظهر تلك الكواكب بتوسطه وهى النار التى تبين وجودها وذلك انها لتقاربها يعرض لها ان تنعكس اضواؤها فى سطح النار والجسم الدخانى اللطيف الذى هو كالنجوم بين النار والهواء فعندما تنعكس تختلط اضواؤها مثل انا لو قدرنا ان فى الهالة التى تحت القمر اقمارا اكثر من واحد حتى تداخل الهالات بعضها على بعض يعرض لها فى الرؤية شكل مستطيل وانما الفرق بين المجرة والهالة ان المرآة التى ترى الهالة بتوسطها كائنة فاسدة والمرآة التى ترى هذا العارض لكواكب بتوسطها ازلية فلذلك يشبه ان يكون هذا لازما عن طبيعة الجسم الذى ترى هذه الكواكب بتوسطه، ويشبه ان يكون للكواكب فى ذلك الجسم فعل ما واعداد ما لقبول هذه الرؤية لكون هذا الجزء من الفلك مخالفا لسائر اجزائه •

ومن هنا يظهر ان القول فى هذا الاثر انما يتم بهاتين الجهتين

وكذلك

وكذلك نجد ارسطو فعل وهذا الظاهر من كلامه فى النسخة التى وقعت الينا وان كان الاسكندر اراد هذا المعنى فهو صحيح الا انه لا يقتضيه ظاهر لفظه مع هذا فكان يكون قد بقى عليه جزء من القول ليس بالدون ولعله تركه على جهة الايجاز وذلك من اجل خلل وقع عند الترجمة فان كثيرا ما تنقلب مفهومات المعانى عند المترجمين فيلزم عن ذلك تغيير فى العبارة والاسكندر اعظم مكانا من ان يظن به القول المتقدم مع ما نجد فى كتب ارسطو خلافه •

واذ قد قلنا فى الكائنات التى تتكون اكثر ذلك فى الموضع الاعلى فلنقل فى التى تتكون فى الموضع الاسفل فانه مما يظهر ان فى الهواء موضعين احدهما الموضع الاعلى وهو الذى تتكون فيه ذوات الاذناب والشهب والثانى الذى تتكون فيه الامطار والثلج والجليد والبرد وهذه مترتبة ايضا فى هذا المكان اما الاعلى منه فللمطر والثلج والبرد واما الاسفل فللندى والجليد وسيظهر ترتيب هذه المواضع عند اعطاء اسباب هذه الكائنات هنا فلنبدأ من القول فى المطر •

فنقول اما جنسه فهو معلوم وهو انه ما يتكون من الهواء فانه ليس هناك ماء بالفعل اذا كان ذلك الموضع غير طبيعى للماء ولا هناك ايضا شىء يتصرع على الوقوف هنالك وانما الفحص هاهنا من امره على اسباب لكونه وكون ذلك جاريا على نظام وترتيب

محددو ذلك ايضا تبين من الامور التى تقدمنا فوضعناها فانه قد كنا قلنا ان الشمس تثير جنسين من البخار احدهما الحار اليابس والآخر الحار الرطب وهى انما تفعل هذا اكثر ذلك فى الجهة التى تصعد اليها

ومثال ذلك انها اذا صعدت الى جهة الشمال اثارت هذين الجنسين من البخار وكذلك تفعل فى جهة الجنوب اذا كانت هابطة اليها فاذا انحدرت عن الجهة التى تصعد اليها لزم ضرورة ان يبرد ذلك البخار الحار الرطب لاسيما ما كان منه فى الموضع الذى لا يصل اليه انعكاس الشعاع فانه من الظاهر مما تبين ان هذا الموضع ابرد موضع فى الهواء وذلك انه قد تبين ان تسخين الشمس والكواكب انما يكون بالحركة او بالانعكاس اما الانعكاس فانما يكون فى الارض وما يليها لتكاثف جرمها واصلا بتها وبين ان هذا الانعكاس متناه وانه حيث يتناهى لا يكون تسخين وانه اقصر ما يكون حيث لا يكون الشعاع الواقع على الارض على زوايا قائمة او قريبا من القائمة وذلك انما يكون فى الجهة التى تنحدر عنها الشمس مع ان هذا الموضع ايضا ناء عن الاجرام السماوية فهو ايضا لا يناله التسخين الذى يكون بالحركة .

والــــدليل على ذلك ان الهواء الذى فيه لا يرى متحركا بحركة الكل واذا كان هذا هكذا وكان هذا الموضع اشد ما يوجد بردا عند انحدار الشمس عنه فمن الواجب ان يكون البرد فى ذلك

الوقت

الوقت يغلب على الهواء الذى فى ذلك الموضع كثيرا ولان الهواء
الذى هناك حار رطب لقربه هذا الموضع وثقل الهواء الرطب
يعرض له ان يتكاثف من البرد فيكون منه السحاب فاذا اشتد
تكاثفه استحال قطرا ونزل وذلك انه لتساوى اجزائه لقبول
التكوين يستحيل كثير منها معا(١) فكلما حصل منه جزء له مقدار
ما يحفظ صورته فى الهواء انحدر حتى يفنى ذلك الغيم او يبقى منه
ما لا يمكن فيه ان يستحيل ماء وهو الضباب ولذلك كان علامة صحو
وهذه هى العلة فى كون نزوله متشتتا فاما ان الهواء الحار الرطب
يلقى مثل هذا العرض اذا برد فهو بين مما يشاهد من ذلك فى
الحمامات وفى الصنائع التى تستعمل التقطير فقد ظهر من هذا القول
علة كون المطر وهى الاسباب التى تجرى من هذه مجرى الفصول
وتبين ايضا مع هذا السبب فى كونه جاريا دورا وعلى نظام
وهو كون حركة الشمس فى الفلك المائل جارية على نظام اذ كان
معظم جميع هذا الازماعن حركة الشمس وان كان يظهر ايضا للقمر
فى ذلك تأثير ليس بالدون عند محاقه ولهذا تكثر الامطار على
الاكثر فى ذلك الوقت اعنى فى اواخر الشهور وذلك انه لامحاق
ضوئه يعرض للهواء ايضا فى ذلك الوقت بردا كثر مع ان هذا
البرد ملائم لان تتكون عنه الامطار ولذلك ما قيل فى طبيعة القمر
انه بارد رطب وكذلك يشبه ان يكون يعرض للشمس فى وضعها

---

(١) كذا ولعله ماء

من كوكب كوكب اعنى انها تكون هناك نصب يلزم عنها كثرة الامطار و بالعكس كما يقال فى احتراق الزهرة وغيرها •

واما السبب فى اختلاف المطر حتى يكون منه الوبل والرش وغير ذلك من اصنافه فهو اختلاف إستعداد الموضوع وقوة الفاعل وضعفه وذلك ان الهواء اذا كان حارا رطبا قبل الانفعال اكثر واستحال دفعة الى نقط كبار فكان منه الوبل وبخاصة اذا كان فى المادة تضاد اعنى حرا وبردا معا واذا لم يكن بهذه الصفة وكان فى الطرف المقابل (١) كان منه الرش والرذاذ وما كان بين هذين الطرفين فهو متوسط ،

فاما ان الهواء الحار الرطب اسرع قبولا لصورة الماء عن البرد فذلك يظهر من ان الماء المسخن اسرع قبولا للبرد والهواء فى قياسه وسيأتى هذا عند ذكر البرد ولهذا ليس تتكون الامطار فى الزمان البارد جدا وعند هبوب الشمال كما انها لا تتكون عند شدة الحر ويبس الهواء فان مادتها تنقطع فى هذين الوقتين وربما اتت سنون كثيرة موافقة لتولد هذا البخار الرطب فكانت مطيرة وذلك اما من قبل الاستعداد الذى فى الهيولى واما من قبل مايعرض للاسطقسات من هيآت الاجرام السماوية واما من كليهما وبالعكس اعنى انها تأتى ايضا سنون يابسة لارتفاع هذه العلل باعيانها، واما السبب فى ان كانت تنشأ السحاب اكثر ذلك من البخار الصاعد منها

(١) صف ـ الطرق القابل .

منها لتكون الامطار وذلك لرطوبته وحرارته •

واما الندى فانه مطر يسير ينزل بالليل ولذلك كان ينزل فى الصحو والسبب الفاعل له الذى هو فى نسبة السبب الفاعل للمطر هى حركة الشمس تحت الارض و فوقها وذلك انها اذا كانت فوق الارض اصعدت البخار الملائم لذلك فاذا غابت تحت الارض برد ذلك البخار واستحال ندى وموضع الندى يلزم ضرورة ان يكون تحت موضع المطر وذلك لقلة الحرارة الموجودة فى مادته ولذلك كان تكونه ضعيفا •

ومن الدليل على هذا ما يقوله ارسطو من ان رؤس الجبال العالية لا ينزل فيها الندى وليس فى كل فصل ينزل بل فى الاوقات الملائمة له وخاصة عند هبوب الرياح اللاقحة فى بلد بلد وهى فى اكثر البلاد ريح الجنوب و قد يكون فى بعض البلاد الريح التى تهب من اقرب جهات البحار اليها اى ريح اتفقت فاما عند هبوب الشمال او الرياح الماحية للسحاب فينقطع نزوله •

واما الثلج والجليد فمادتهما ايضا واحدة والسبب الفاعل لهما واحد وانما يختلف بالكثرة والقلة والموضع فموضع الثلج والمطر واحد وكذلك مادتهما وانما يختلفان من قبل اختلاف الفاعل الاقرب اعنى البرد فى الشدة والضعف وذلك انه متى لم يكن البرد فى الغاية كان مطر ومتى كان البرد فى الغاية جمد ذلك الهواء المستعد لقبول

المطر قبل ان يكمل بجميع اجزائه طبيعة الماء فينتقل بالجمود ويرسب ولذلك يوجد فى الاوقات الباردة والمواضع الباردة •

واما الجليد فمادته ايضا ومادة الندى واحدة وموضعهما واحد والفاعل لهما ايضا واحد الا انهما يختلفان بشدة الفاعل وضعفه فمتى كان البرد ضعيفا كان ندى ومتى كان شديدا اجمد ذلك البخار قبل ان يستحيل ماء فيكان منه الجليد واما البرد فظاهر ايضا من امره انه ماء منعقد فى السحاب ولكنما المطلب من امره لم كان يوجد فى الخريف والربيع وبالجملة الامر فيه بخلاف الثلج •

فنقول اما ان علة البرد شدة البرد الذى يجمده قبل ان ينزل قطرا فذلك ظاهر واما ان وجود مثل هذا البرد فى هذين الزمانين فى الهواء بالذات فذلك غير ممكن بل ان كان ولا بد فبالعرض وذلك انه عندما يسخن الهواء بعد ان كان باردا او يبرد بعد ان كان سخنا وبالجملة فمتى كان السحاب فى الحر والبرد متشتت الاجزاء عرض للبرودة ان تجتمع الى ذاتها هربا من الحرارة وتغور فى اعماق السحاب تارة والحرارة ايضا تارة على ما يشاهد ذلك عن امرها فى الارض فمتى عرض ذلك للحرارة كان عنه جنس آخر من الموجودات كالصواعق والرعود ومتى عرض ذلك للبرودة كان البرد وذلك ان من شأن الضد ان يقوى عند حضور ضده مخافة الفساد مع ان من شأن الماء انه يكون اقبل لفعل البرد اذا سخن ولذلك

متى

متى اراد الاطباء تبريد الماء سريعا سخنوه، قيل فاذا كان هذا هكذا وعرض للغمام ان يبرد مع السخونة المتقدمة فيه كان للاستحالة الى المطر أقبل ولذلك تكون النقط فى الامطار ذوات البرد كبارا فان كان البرد اشد جمده قبل ان ينزل ولذلك كثيرا ما يكون البرد والمطر معا لتشتت اجزاء ذلك السحاب فى قلة البرد وكثرته، فاما سبب اختلافه فى الصغر والكبر فذلك يكون من شيئين احدهما ضعف الاستعداد وقوته وقوة الفاعل وضعفه، والثانى بعد المكان الذى يتكون فيه وقربه فانه متى كان بعيدا أكله الهواء فلم يصل الى الارض الاصغيرا ولهذا السبب بعينه ما كان منه فى المكان الأبعد يهبط مستديرا لان الهواء يكسر زواياه عند هبوطه وما كان منه فى المكان القريب يهبط ذا زوايا فهذه هى جملة القول فى الامطار والندى والثلج والبرد والجليد، ثم انه بعد هذا يشرع فى القول فى الانهار والبحر والرياح الا انه انما يتكلم هاهنا من هذه المطالب على التمام فى الانهار فقط ويرجى تمام القول فى ذينك المطلبين الى المقالة الثانية ولنجر فى ذلك على ترتيبه •

فنقول ان المياه التى توجد فى الارض صنفان احدهما تحت الارض والصنف الآخر فوق الارض وكل واحد من هذين الصنفين اما سائل واما واقف اما المياه الواقفة فانها تكون كثيرا عن مياه الامطار وعند ما يتفق لتلك الاماكن ان تحفظ المياه الواقفة فيها

لصلابة جرمها كالحال فى الصهاريج وقد يوجد هذا الصنف من المياه على جهة التكون والحدوث من الهواء الذى فى داخل الارض اذا وافق موضعا ملائما لذلك كالحال فيه فوق الارض وانما يتفق لمثل هذا الماء ان لا يسيل لضعف اندفاعه ولتطأ من موضع تكونه ولكن لابد أن يكون موضعه الذى يتكون فيه اعلى من الموضع الذى يخرج منه ٠

واما المياه السائلة فانها انما تكون اكثر ذلك عن التولد الدائم والتكون المتصل ولا سيما الانهار العظام ولهذا اتفق لها ان يبقى سيلانها مدة من الدهر عظيمة تفوق التواريخ والاعمار الانسانية فانه من الممتنع ان يكون فى الارض ماء بالفعل يسيل منه جميع هذه الانهار مثل هذه المدد العظيمة ولا من شتوة الى شتوة لاسيما فى السنين القحطة فلان تلك المواضع كان يلزم فيها ان تكون اكبر من الظاهر من الارض كثيرا وايضا لو لم تكن اكبر لكانت الارض سيصيبها الخسف كثيرا لكن غير ممتنع ان تكون فى الارض مواضع تعين لكبرها على دوام السيلان وكثرته لاسيما فى زمان الشتاء وما يقرب منه والمواضع الموافقة لمثل هذا التكون الدائم هى الجبال ولذلك تنفجر الانهار العظام من الجبال والسبب فى ذلك ان الجبل تجتمع فيه اشياء كثيرة تعين على ذلك منها ان الجبال اكثر المواضع ندى ورطوبة وبردا لارتفاعها وقربها من الموضع البارد الذى فيه تتكون الامطار

وايضا

وايضا لكثافتها لا يتحلل ما فيها من النداوة والرطوبة والبرد الذى يوجد فيها ابدا من خارج يعرض ان تكون اجوافها ابدا سخنة كما يعرض فى ابدان الحيوان فى زمان البرد فتحلل الحرارة التى من داخل ما هنالك من الرطوبة والانداء وتحيلها الى هواء حار يتصعد الى اعلاها فاذا صعد استحال ماء لكثافة الاعلى وبرده كما يعرض ذلك فى الحمامات وذلك انما يكون فى كهوف من تلك الجبال ومواضع معدة لان يلتقى مثل هذا الغرض على مثال ما عليه الامر فى القرعة والانبيق فى صناعة التقطير واذا كثرت هذه المياه ورفعت بعضها بعضا تفجرت منها الانهار وقد تكون هذه المياه السائلة من مادة الامطار وهى الانهار التى تسيل فى زمن الشتاء وبقرب ذلك ثم تنقطع وقد يجتمع لبعض هذه الانهار السببان من هذه الاسباب •

المقالة الثانية (١)

هذه المقالة نفحص فيها عن البحر ماذا هو ويعطى السبب فى ملوحته وبين انه ازلى بالنوع كائن فاسد بالجزء ثم نفحص فيها عن الرياح وعن الاجزاء المغمورة من الارض اى ما هى وعن الزلازل والبروق والرعود والصواعق ونوفى اسباب جميع هذا وعلله وان كان انما يتم القول فى هذه المطالب الثلاثة الاخيرة فى المقالة الثالثة لكن نجعل الفحص نحن ها هنا عن جميع هذه المطالب فى هذه المقالة •

---

(١) كذا — ولم يتقدم للاولى ذكر .

فنقول انه من البين أن البحر هو الاسطقس المائى وذلك انه لما وجب ان يكون لكل واحد من الاسطقسات كل ما اليه يصير جميع اجزائه وليس ها هنا كل للماء محسوس الا البحر فقط فالبحر اذن هو الاسطقس المائى ويكون جميع الانهار من جهة ماهو اسطقس بالضرورة منه تمد بتوسط الامطار واليه تنصرف وهو بحالة واحدة لا يزيد ولا ينقص، ولو كان كما قيل ان العيون هى الفاعلة له للزم ضرورة احد امرين اما ان يغلب (الماء - ١) على جميع اجزاء الارض او أن يقف سيلان الانهار لتساوى مواضع ينابيعها مع ماء البحر - وكان ايضا لعمرى يلزم على هذا غرق اكثر او جميع اجزاء الارض وهذا كله مخالف لما يوجد ولما اوقف عليه القول فيما تقدم فان الامر فى نسبة ما يرد عليه الى ما يتحلل منه انما يتصور بما يقول ارسطو مثل الماء اليسير الذى ينصب دائما فى اناء عريض والحرارة مع هذا تفشه وتحيله فانه ليس يمكن ان يظهر للماء الذى فى القدح تزيد بما ينصب فيه من ذلك الماء وكذلك الامر فى البحر مع ما ينصب فيه من الانهار وتصعد منه الشمس ومن انه اسطقس يظهر ايضا انه ازلى بالنوع كائن فاسد بالجزء على ما تبين من امر الاسطقسات وسنوفى سبب هذا بعد ان نتكلم فى ملوحته ٠

فنقول ان الملوحة ضرورة عارضة له لا بما هو اسطقس اذ كانت متطعمة والطعم انما يوجد للممتزج من جهة ما هو ممتزج كما

---

(١) من - د سيقال

سيقال بعد •

ومن الدليل على ذلك ان التصعيد يصيره عذبا ولذلك كانت الامطار وهى التى تتولد اكثر ذلك عن البخار الصاعد من البحار عذبة •

ومن الدليل ايضا على ذلك انه اذا صنعت كرة مجوفة من قير والقيت فى البحر خلص الى جوفها الماء العذب وهذا كله يدل على ان الملوحة عارضة له من قبل المزاج واذا كان ذلك كذلك فنقول انه من الظاهر أن سبب وجود الملوحة على الاطلاق هو مخالطة الجزء المحترق للرطوبة وذلك يتصور على وجوه منها ان يكون ذلك الجزء مغمورا بالرطوبة العذبة فاذا فعلت الحرارة فى ذلك الممتزج واذابت الرطوبة اذ كانت هى اسرع الى التحلل بقيت تلك الفضلة المحترقة مالحة كالحال فيما يرد اجواف الحيوان من الغذاء والماء ثم يخرج باقيه عنه مثل الفضلة التى توجد فى المثانة وذلك لاغتذاء الاعضاء بالجزء العذب من ذلك، ومنها ان يكون الجزء المر قد اختلط من اول الامر بالرطوبة اختلاطا يوجب ملوحتها وهذا الجزء المر ربما كان ارضيا على ما يشاهد فى المياه التى تسيل على الارض المحترقة الرمادية وعلى ما يشاهد ايضا فى الماء المصفى بالرماد وربما كان ذلك الجزء المر دخانيا على ما يشاهد فى الامطار التى تكون فى اول الخريف فانا قد نحس تلك الامطار الى

الملوحة ماهى ولاسيما فى السنين اليابسة ولكل نحو من انحاء هذا الوجود قد تصور قوم السبب فى ملوحة البحر •

وقد ينبغى ان ننظر فى ذلك فنقول اما ان يكون السبب فى ملوحته ان الشمس تحلل الجزء العذب منه حتى يبقى ذلك الجزء الارضى مخالطاً للرطوبة مخالطة يلزم عنها هذا الطعم فذلك لعمرى ممتنع فان يقدر ما تحلل منه الشمس يعود اليه فلذلك الأولى ان نظن بالشمس انها الحافظة لذلك لا فاعلة ولو كانت الشمس هى الفاعلة الموجبة لافرط ذلك من فعلها حتى ينعقد وينبغى ان نروم فى ذلك اعطاء سبب آخر ولم يبق الا ان يكون بمخالطة الجزء الارضى له المحترق او البخار الدخانى او كليهما •

فنقول انه يشبه ان يكون املك الاسباب بملوحة البحر هو الجزء الدخانى المحترق وذلك ان الملوحة لما كانت عارضة لجميع البحار وكانت البحار على اكثر اجزاء الارض وجب ان يكون هذا العرض الذى يعرض لها من قبل الارض مشتركا لجميع اجزاء الارض كلها والذى يظهر انه مشترك لجميع اجزاء الارض هو صعود هذا الجزء الدخانى من جميع اجزائها لنفوذ فعل الاجرام السماوية فيها على ما تبين واختلاطه بمائه حتى يتولد عنه مثل هذا الطعم لمنع الماء اياه ان يرقى صاعدا •

واما الاحتراق الذى يعرض للارض والترمد فانما يلفى ذلك

فى

فى بعض اجزائها لا فى كلها واذا كان ذلك انما يعرض فى بعض اجزائها التى ليس عليها ماء فكم بالحرى الا يعرض ذلك فى اجزائها المغمورة بالماء ولست امنع ان يعرض ذلك فى بعض اجزائها المغمورة بالماء لكن فى الاقل ويشبه ان يكون السبب فى تزيد بعض البخار على بعض فى الملوحة قرب بعض الارض من الاحتراق والاستعداد لأن يتولد عنها ذلك البخار الدخانى اكثر ويكون من اجتماع السببين كليهما كما يقال فى البحيرة المنتنة التى بفلسطين فان هذه البحيرة لا يمكن ان يعيش فيها حيوان لشدة المرارة الموجودة فيها — وايضا فانهم يزعمون انهذه البحيرة اذا التى فيها الحيوان المكتوف لم يغرق لكثرة مخالطة الاجزاء الارضية لمائها •

ومن الدليل على ان الاجزاء المحترقة التى تملح ماء البحر هوائية على الاكثر لا ارضية الصفاء الموجودة فى مائه فان الاجزاء الارضية مكدوة ضرورة •

فاما السبب فى ان كانت بعض اجزاء الارض تصير بحرا بعد أن كانت برا وبرا بعد ان كانت بحرا فنحن نوفى سبب ذلك فنقول انه من اللازم عن القول انها ها هنا مواضع صارت برا بعد ان كانت بحرا وبحرا بعد أن كانت برا اذ كان قد تبين فساد الاسطقسات بالاجزاء فانه ليس يمكن ان يكون فيها جزء غير

فاسد وايضا فقد يظهر ذلك بالحس مما يوجد فى قيعان الارض والغيطان من الصدف وغير ذلك من الاشياء التى لا توجد الا فى البحار كما يقال ان ذلك موجود كثير فى ارض مصر وهو يوجد كثيرا فى بلدنا هذا .

واما السبب فى ان لا تؤرخ مثل هذه الحوادث حتى يصل الينا فهو كما يقول ارسطو طول الدهر والاعصار وان مثل هذه الحوادث لا يظهر الا فى آلاف من السنين يعرض لذلك ان تختلف الالسنة والخطوط فيدرس ما يكتب من ذلك وان بقى فليس يوجد من يقرأه كالخط الذى يوجد اليوم فى هرمى مصر وايضا فقد يهلك جميع القوم الذين عاينوا ذلك واتصل بهم ذلك الحادث وذلك اما من الطوفانات التى تحدث فى العالم اومن الهواء الوبائى اومن الحروب وبالجملة مما يرد من خارج .

واذا كان هذا هكذا وتبين وجود هذا فنقول ان الاسباب القريبة لكون بعض اجزاء الارض تصير برا بعد أن كان بحرا وبحرا بعد أن كان برا هى كون الانهار والعيون فانه متى ترطبت جهة ما من الارض تولدت فيها الانهار فانصبت الى المواضع المتطامنة من تلك الارض حتى يغمر الماء تلك الجهة فيحدث البحر وبالعكس اعنى انه متى يبست جهة ما جفت الانهار والعيون التى فيها فتجف لذلك البحار التى تنصب اليها تلك العيون والانهار ضرورة وقد لا يمتنع ان يكون

السبب

السبب فى بعض ذلك ان البحار ترتدم بما تنصب اليها من الانهار فتتولد الارض من الجهة التى تنصب اليها تلك الانهار ويفيض البحر من الجهة الاخرى على ما يرى يحدث ذلك فى الانهار العظام اعنى انها تنتقل مجاريها فهذه هى الاسباب القريبة لذلك •

واما الاسباب البعيدة فهى حركة الشمس فى فلكها المائل وحركات سائر الكواكب كما هى الاسباب القصوى فى نشىء جميع الكائنات وفسادها فانه لما كان بعدها كما قيل هو السبب فى فساد اكثر الموجودات وقربها السبب فى نشئها كذلك الامر فى فساد اجزاء الارض والبحار وتولدها وكما يوجد لجميع الكائنات مدة ما يكون ما يكون فيها لتاثير السبب المنشئ اشد قبولا منها لتأثير السبب المفسد منها وهى زمان الشباب لذلك الموجود ومدة ما يكون فيها لتأثير السبب المفسد اشد قبولا منها لتأثير السبب المنشىء والمولد وهو زمان الهرم وكذلك الامر فى اجزاء الارض والبحار ولذلك ما يقول ارسطو ان ارض مصر الآن صائرة الى الفساد فانها كانت بحرا فيما حكى اومبرس وغيره ثم جفت بعد وهى الآن صائرة الى الجفوف حتى تخرب ولذلك لسنا نجدها الآن تمطر وانما عيش اهلها من النيل الذى يفيض هنالك •

واذ قد تبين من امر البحر ما هو وما هو السبب فى ملوحته وتبين مع هذا السبب فى كون بعض البحار يعود برا وبعض البرارى

يعود بحرا فلنقل فى الرياح والرياح المشهورة اربع، الصبا وهى التى تهب من جهة المشرق، والدبور وهى التى تهب من جهة المغرب على مقابلة الشرقية، والشمال وهى التى تهب من تحت القطب الشمالى والجنوب وهى التى تهب مقابلتها وتهب بين هذه الرياح رياح اخرى يسميها العرب جميعا النكباء لتنكبها المهاب المشهورة وعدد هذه الرياح على ما نجده فى النسخة المنسوبة من هذا الكتاب الى ارسطو ثمانية رياح اثنتان منها بين الصبا والجنوب احداهما اقرب الى الصبا والثانية اقرب الى الجنوب واثنتان بين الدبور والجنوب احداهما ايضا اقرب الى الدبور والاخرى اقرب الى الجنوب واثنتان ايضا بين الصبا والشمال احداهما اقرب الى الشمال والاخرى الى الصبا واثنتان بين الدبور والشمال احداهما اقرب الى الدبور والثانية اقرب الى الشمال فيكون على هذا عدد الرياح اثنتا عشر ريحا واما على ما نجد الاسكندر يحكى عنه فاحدى عشرة ريحا ثمان منها تهب من طرفى قطر واحد وهى الصبا الحقيقية والدبور المقابلة لها وعن جنبتى الدبور والصبا ريحان تقابل كل واحدة منهما نظيرتها واما ما عدا هذه الثمانية فليست تتقابل والوقوف على صحة احد هذين القولين سبيله تعمد الاحساس لذلك مع طول الرصد ويشبه ان كان الامر على ما ذكروه ان يكون السبب فى وجود هذه الرياح بهذا العدد اختلاف نواحى الفلك فى القوة مع قرب

الشمس

الشمس وبعدها ٠

فاما ماهى الرياح فانها ابخرة دخانية مستديرة حول الارض وذلك انه قد تبين ان البخار الصاعد من الارض صنفان احدهما البخار الرطب والآخر الدخانى فاما البخار الرطب فتكون عنه الامطار واما البخار الدخانى فتكون عنه الرياح اذ كانت مواد الموجودات المتضادة متضادة فاما ان الامطار تضاد الرياح فذلك ظاهر من ان الرياح تسكن اذا غلبت الامطار وكذلك تكف الامطار وتنقضى اذا غلبت الرياح والسبب فى ذلك ان مادتيهما مختلفتان ولذلك تكثر الرياح فى السنين القحطة وتقل فى السنين المطرة وانما يوجد كل واحد منهما ينشىء صاحبه فى بعض الاوقات بالعرض فان الارض يعرض لها عند ما تترطب بالامطار ثم تسطع عليها الشمس ان يصعد منها بخار دخانى كثير كالحال فى الحطب الاخضر اذا وضع على النار وكذلك يعرض ايضا للرياح ان تحرك الابخرة الرطبة من مواضع شتى وتجمعها الى موضع واحد وبخاصة الجنوب لتكاثف الابخرة هنالك ويكون عنها المطر كما يقال ان ذلك يعترى كثيرا فى بلاد الحبشان ٠

ومن الدليل على ان الريح تتولد عن البخار سرعة حركتها فان السرعة والحدة فى الحركة انما يوجد للبخار الحار اليابس وقد يظهر ذلك ايضا من فعلها وذلك ان فعلها ابدا التجفيف والتيبيس

بخلاف فعل المطر .

واذ قد قلنا فى جنس الرياح ما هو فلنقل فى السبب الذى له تستدير حول الارض والبخار الدخانى من شأنه ان يصعد علوا فاما ان الرياح تستدير حول الارض فهو ظاهر من سير السحاب بها على استدارة فانها لو مرت على خط مستقيم لم ينتقل السحاب من موضع الى موضع على استدارة وكان يكون بعدها فى حين انتقالها من جميع المواضع بعدا واحدا، واما السبب فى ذلك فهو ان البخار الحار اذا صعد علوا وصادف هنالك الموضع البارد الرطب عرض له ان يترطب ويبرد بعض البرد فيحدث فيه ميل الى اسفل فيمانع الميلان الموجودان فيه اعنى الثقل والخفة فيلزم ضرورة ان يتحرك عن ذلك حركة مستديرة وذلك انه لما كانت الحركة المستديرة ليست متباعدة عن الحركة الطبيعية التى لكل واحد من ذينك البخارين المتقاومين اعنى الخفيف والثقيل كتباعد احدى الحركتين المستقيمتين عن صاحبتها ومضادتها لها تحرك الى جهة الاسفل ويشهد لذلك ما يوجد لكل واحد من الاسطقسات ما عدا الارض من قبول هذه الحركة وسهولة تأتيها لها وكانت هذه الحركة الدورية ليست لاسطقسات قسرية محضة ولا طبيعية محضة وقد قيل فى وجودها فى السماء والعالم فكان ذلك الجزء الخفيف الدخانى لما لم يقو ان ينزل به الجزء الرطب على خط مستقيم صار به على خط مستدير اذ كان

ذلك

ذلك الجزء الدخانى اسهل قبولا لذلك وهذه هى العلة المالكة فى الاغلب لاستدارة الرياح •

ومن الدليل على ذلك ان الرياح انما تنزل من العلو ولذلك ما يتقدم حدوث الرياح سحاب اوبخار وبالجملة تغير فى الهواء يعرف ذلك الملاحون الذين يعنون بتقدمة المعرفة فى حدوث الرياح •

واما من ظن انه قد يكون سبب استدارة هذا البخار انه اذا صعد علوا فلاقى الهواء المتحرك دورا بحركة الكل انصرف عنه راجعا الى استدارة فهو عندى غير ممكن وذلك ان مالاقى من الابخرة الصاعدة ذلك الهواء المتحرك دورا تحرك بحركته وانخرط فى سلكه اذكان مثل هذا البخار اكثر شئ قبولا لحركة الكل فظن باطل فانه بين ان ما هو بهذه الصفة ليس ريحا اذ كان الفلك الاعظم متحركا من المشرق الى المغرب فقط وايضا فلم تكن حركة الرياح بالشدة التى تشاهد فان سبب الشدة والسرعة هو وجود التضاد فى جوهرها كالحال فى الرياح التى هى اسباب الرعد والبرق الناشئة من السحاب وقد يكون ذلك من صعود بخار آخر عند هبوط ذلك الذى يرطب ويبرد فيحدث عن ذلك التمانع هذا الضرب من الحركة اعنى الاستدارة فهذا هو القول فى اعطاء حدود الرياح على الاطلاق وماهيتها •

واما السبب فى نشأ الرياح اوقاتا تاما من السنة وسكونها وقتا آخر واعطاء الفصول التى تختص بها ريح ريح من الرياح الاربعة المشهورة اعنى الصبا والدبور والجنوب والشمال فنحن نوفى القول فى ذلك ٠

فنقول ان الرياح ليست تكون على الاكثر فى زمان الحر الشديد ولا البرد الشديد وذلك ان البرد الشديد من شأنه ان يكثف وجه الارض فيمانع صعود البخار الدخانى ٠

وبالجملة فليس من شأنه ان يولده واما الحر الشديد فانه يفعل فى وجه الارض شبيها بالاحتراق فيفنى لذلك جوهر البخار الدخانى واما فى غير هذين الوقتين فيكثر هبوب الرياح ولهذه العلة بعينها كانت اكثر الرياح هبوبا الشمالية والجنوبية لانها تنشأ من المواضع التى عن جنبتى مدارى الشمس الصيفى والشتوى، واما الرياح الشرقية او الغربية فيقل هبوبها ولا سيما ما كان منها ناشئا من تحت احدى المدارات وذلك لشدة التسخين الذى هنالك ٠

واما السبب فى هبوب الرياح الجنوبية فبين ان العلة فى ذلك حركة الشمس فى فلكها المائل واما لم كانت الريح الجنوبية تهب بعد انصراف الشمس من المنقلب الشتوى بعد ستين يوما وتهب الشمالية بعد انصرافها من المنقلب الصيفى بعد عشرين يوما فان السبب فى ذلك ان الشمس اذا كانت فى اقرب قربها من الجهة الشمالية اذابت

الثلوج والندى وبالجملة الرطوبات التى فى هذه الجهة فتولد الرياح الشمالية الا ان فعل الشمس هذا الفعل لا يظهر فى اقل من عشرين يوما او نحوها على الاكثر •

والدليل على ذلك انا نرى الهواء اشد سخونة بعد انصراف الشمس من اقرب قربها منه فى حين كونها فى اقرب قربها مع ان التسخين اذ ذاك يكون اشد لكثرة الانعكاس وليس السبب فى ذلك شىء سوى استعداد الهواء فان الفعل الاعظم ليس يكون من قبل الفاعل الاقوى فقط بل ومن قبل القابل فلذلك لا يمتنع ان يكون الفاعل الاضعف يفعل فى موضوع واحد بعينه فعلا اعظم من فعل الفاعل الاقوى وذلك لاختلاف الموضوع فى الاستعداد وإذا كان هذا هكذا فقد يقول قائل لم كانت الريح الشمالية تهب بعد انصراف الشمس من مدارها الصيفى بعشرين يوما والجنوبية بعد انصرافها من المدار الشتوى بستين يوما والعلة فى ذلك واحدة ونسبة الشمس الى الشمال والجنوب نسبة واحدة فى القرب والبعد •

فنقول انه يشبه ان يكون السبب فى ذلك ان الريح الجنوبية التى تنشأ هنالك فى الموضع الشبيه بالموضع الذى تنشأ فيه الريح الشمالية ليس تصل الينا اول ما تنشأ لبعد المسافة وذلك انها فى ذلك الوقت ضعيفة واما بعد ذلك فتقوى لان فعل الحر يكون هنالك اشد ولذلك كان ظهورها بعد انصراف الشمس من المدار الشتوى فى

زمان اكثر من زمان ظهور الشمال لان الموضع الذى تنشأ منه هذه الريح قريب منا او نقول ان السبب فى ذلك هو ان الموضع الذى تنشأ منه الريح الجنوبية ليست نسبته الى المدار الشتوى فى البعد نسبة الموضع الذى منه تنشأ الشمالية الى الزوال الصيفى اعنى ان يكون موضع هبوب الجنوب من الزوال الشتوى ابعد من موضع هبوب الشمال من الزوال الصيفى فيكون الزمان الذى يسخن فيه ذلك الموضع بعد حلول الشمس بالمنقلب الشتوى اطول من الزمان الذى يسخن فيه موضع هبوب الشمال لكون الشمس فى المنقلب الصيفى واعنى ها هنا بالسخونة الموافقة لهبوب الرياح لانه ليس باى حرارة اتفقت تنشأ الريح وهذا السبب هو الذى كان فى بعض النسخ المنسوبة الى ارسطو والسبب الذى ذكرناه اولا يوجد فى بعض النسخ المنسوبة لبعض المفسرين ويشبه ان يكون السبب فى ذلك مجموع الشيئين معا الا ان هذا القول يلحقه شك ليس باليسير •

وذلك ان ارسطو يرى ان ما تحت معدل النهار غير مسكون لافراط الحر هنالك وهو حق يقين على ما سيظهر من قولنا بعد واذا كان ذلك كذلك فليس يمكن ان تهب ريح من الجهة الجنوبية الشبيهة بالجهة الشمالية التى تهب منها عندنا ريح الشمال اعنى الموضع الذى بين المدار الشتوى والقطب الجنوبى وذلك لافراط الحر تحت معدل النهار لان الريح التى تهب من تلك الناحية تهلك ضرورة قبل

ان

ان تصل الينا واذا كان هذا لازما فلم يبق الا ان يكون موضع هبوب الجنوب عندنا من تحت المدار الصيفي وذلك ان الشمس اذا كانت في المدار الشتوى برد هذا الموضع ورطب فاذا دنت منه الشمس راجعة اذابت تلك الرطوبة فاذا صارت في المدار الصيفي انقطعت لشدة الحر وهذا القول يوجد في بعض النسخ المنسوبة للاسكندر وهو الصحيح •

واما الفصول التي تنفصل بها الرياح الاربع من قبل الجهات فان الجنوب حارة رطبة والشمال باردة يابسة والصبا كالمعتدلة بالاضافة الى هاتين الريحين والغربية ايضا كذلك لكنها اميل الى الرطوبة فاما توفية سبب هذا فان الريح الجنوبية كما يقول ارسطو تأتي من الجهة المرتفعة من الارض فتنصب من الهواء علينا انصبابا فتنحدر الابخرة والا فقد كان ينبغي ان تكون هذه الريح يابسة لمكان حرارة الموضع اللهم الا ان تكون هنالك مياه كثيرة واما برد ريح الشمال ويبسها فبين لانها تهب من برارى باردة ومن موضع منخفض واما الرياح الشرقية فانها يظن بها انها اسخن من الرياح الغربية لكون الجهة الشرقية اسخن من الجهة الغربية •

وقد اعتاص على قوم اعطاء سبب ذلك لانهم زعموا ان نسبة الشمس الى الارض في مشارقها ومغاربها نسبة واحدة ونحن ننظر في ذلك فنقول ان الشمس اذا كانت في الجهة الشرقية كان ما يتع

من الخطوط الشعاعية على تلك الجهة من الارض على زوايا قائمة او ما هو اقرب الى القائمة وذلك لازم ضرورة عن كرية الارض ولكون وقوعها فى الجهة الغربية ما دامت الشمس فى الجهة الشرقية على زوايا منفرجة حتى تنصف الشمس قوسها فى وسط النهار فتكون نسبتها الى الجهتين نسبة واحدة ثم تكون نسبتها الى الجهة الغربية فى النصف الآخر من النهار نسبتها فى النصف الاول من الجهة الشرقية، ولما نظر قوم تشابه هذا السبب لم يقدروا ان يعطوا فى ذلك سببا فيعطوا الوجود والذين يثبتون وجود هذا يزعمون ان الجهات الشرقية من الافق اسخن ويشبه انه ان كان الامر كذلك ان يكون السبب فى ذلك ان الشمس لما كانت تظهر دفعة على الجهة الشرقية وتلقى تلك الجهة منها اشد ما تلقى من تسخينها اولا للسبب الذى قلناه فتنفعل لذلك تلك الجهة انفعالا كثيرا ويكون قبولها للتسخين اشد ولما كانت الجهة الغربية يلقى ذلك شيئا شيئا وقليلا قليلا حتى يلقى اشده حدث فيها استعداد ما لان تنفعل ذلك الانفعال الذى انفعلته الجهة الشرقية ولا تسخن سخونتها فاما ان مثل هذا يعرض للاشياء المتضادة فذلك بين ولذلك ما لم يكن الصيف يتلوه الشتاء حتى يتوسط بينهما الربيع لان الموجودات حينئذ كانت تلقى من الحر ما يفسدها، ويشهد لذلك ما يعترى فى بعض السنين من هجوم الحر والبرد بمرة من الاسقام والعلل — فهذا

هو

هو السبب فى هذا الوجود ان صحت المشاهدة وهو سبب ممكن فاما ان هذا القول يبلغ من قوته ان يعطى السبب والوجود معا فذلك عسر ٠

وايضا فقد يمكن ان يوفى سبب هذا بجهة اخرى وذلك انه قد تبين ان للسماء تميزا وان الجزء من الفلك الذى فيه الشمس اقوى فعلا من الجزء الآخر واذا كان ذلك كذلك فيكون التسخين فيما يحاذى ذلك الجزء بالحركة اشد فتلتقى ذلك اولا ايضا الجهة الشرقية فيجتمع لها هذان النحوان من التسخين اولا اعنى الذى يكون بالانكسار والحركة وهما جهتا تسخين الكواكب على ما تبين ٠

واما ما يقال ان البلد الاطول طولا اسخن من البلد الاقصر طولا فلعل السبب فى ذلك ان كانت المشاهدة صحيحة ان تلك الجهات هى فيما يسامت يمين الفلك ويقرب منه وكما نقول ان الجزء الايمن منه اقوى فعلا كذلك تقول ان الجزء الذى يسامته من الارض اكثر انفعالا فانه ان لم تقل هذا فلست ادرى ما يقال فى ذلك ويشبه ان يكون هذا السبب هو امثل لكون الريح الشرقية سخنة ، هذا الذى قلته هنا قلته ولم يظهر لى بعد السبب الابين فى ذلك وهو ان الشمس تمكث على النصف الشرقى ست ساعات كما تمكث على النصف الغربى لكن يكون طلوعها على النصف الشرقى بعد تسخينها اياه بساعة اوساعتين وذلك عند قربها فى الطلوع فتكون قد سخنته

سبع ساعات او ثمانى ست ساعات فوق الارض وواحدة او ثنتان تحت الارض واذا غربت عن الافق الغربى لم ينفع ذلك الافق بالتسخين الذى يكون منها بعد الغيبوبة بساعة او بساعتين لان هذا التسخين يكون وقد برد الافق الغربى بغيبوبة الشمس عنه والتسخين الذى يكون قبل الطلوع بعكس هذا اعنى انه يزيد به التسخين الاعظم الذى يكون بالطلوع واما التسخين الذى يكون بعد الغروب فليس يقاوم البرد الذى يكون عن الغروب فضلا عن ان يزيد فى التسخين •

واذ قد تبين هذا فلنقل فى المواضع المسكونة من الارض فنقول ان مقدار ما ادرك بالحس او القياس التعليمى من العمارة فى هذه الجهة الشمالية فذلك ما هو اقل من سدس الارض وذلك نحو سبعها وذلك انهم استخرجوا طول هذا الموضع بان رصدوا كسوفات قمرية فى اقصى البلاد الشرقية والغربية فلم يجدوها تتقدم فى البلاد الشرقية وتتأخر فى الغربية باكثر من اثنتى عشرة ساعة وذلك فى الطول مائة وثمانون جزءا من الاجزاء التى بها الفلك ثلاث مائة وستون جزءا، واما عرضها فانهم الفوا اقصى البلاد التى امكنهم اليها المسير فى جهة الجنوب هو ما بعده عن معدل النهار ثلاثة عشر جزءا وكسرا واقصى البلاد فى جهة الشمال هو ما بعد عن معدل النهار ستين جزءا لان البحار زعموا عاقتهم عن المسير الى هاتين الجهتين فهذا هو

القدر

القدر الذى الفى من امر العمارة بالحس وينبغى ان ننظر فيما يمكن من ذلك بالقول مما ليس يمكن •

فنقول ان ارسطو وجملة المشائين يزعمون ان المواضع الممكنة عمارتها من الارض من جهة الشمس هى ماعن جنبتى مداراتها من الجهتين الشمالية والجنوبية وان ماتحت معدل النهار وما يقرب منه لا يسكن لافراط الحر هنالك وكذلك ايضا يرون ان مابعد جدا عن مدارات الشمس الى الجهتين الجنوبية والشمالية لا يسكن لافراط البرد واما بطلميوس ومن تبعه من اصحاب التعاليم فانهم يرون ان العمارة ممكنة تحت معدل النهار الى مايجاوزه من جهة الجنوب بقدر مالا يمر به حضيض الشمس وهو الموضع الذى يسمونه بالطريقة المحترقة واما ابن سينا فقد تبعهم على هذا الراى ويرى ان ذلك الموضع اعنى ماتحت معدل النهار اعدل الاقاليم وزعم ان قول المشائين مخالف لما يوجد حسا وقياسا ونحن ننظر فى ذلك بحسب ما يمكننا من جهة الامر المنظور فيه وذلك بحسب مافى ايدينا فى ذلك من المقدمات •

فنقول انه قد تبين ان سبب الحر هو قرب الشمس من سمت الرؤس وان السبب القريب فى ذلك هو وقوع الخطوط الشعاعية على زوايا قائمة او ما قرب الى القائمة لانه حينئذ يكون الانعكاس اشد وان تفاضل الاقاليم فى شدة الحر وضعفه هو من قبل تفاضلها فى هذه الزوايا وذلك ان ما كان من البلاد اقرب الى جهة الجنوب

كانت الزوايا التى تحدث فيها للخطوط الشعاعية حين تكون الشمس فى الزوال الصيفى اقرب بما تكون الى الغاية حتى يكون فى البلاد التى تمر الشمس بسمت رؤسهم تلك الزوايا قائمة وهذه هى آخر البلاد من هذه الجهة اعنى جهة الانعكاس واذا كان هذا هكذا فقد يظن انه يمكن ان تكون عمارة تحت معدل النهار وذلك انا نرى بلادا كثيرة معمورة تمر الشمس على سمت رؤسهم لكن هذا استقراء غير مفيد لليقين .

ونحن نقول انه اذا كان الامر على ما قلنا من سبب شدة الحر وضعفه فى اقليم اقليم وكان يظهر للحس ان اعدل الاقاليم للانسان ولكثير من الحيوان والنبات الاقليم الرابع والخامس وذلك من جهة التسخين الذى سببه الانعكاس والانعطاف واما ما عدا هذين الاقليمين اما الى جهة الجنوب فمفرط الحر واما الى جهة الشمال فمفرط البرد فان كان ليس يوجد ههنا سبب لشدة الحر وضعفه فى اقليم اقليم سوى الزاويا التى تحدثها الخطوط الشعاعية فمن البين ان ما تحت معدل النهار يمكن ان يسكن لكن لا على الاعتدال الذى يقوله ابن سينا بل على جهة ما يسكن الاقاليم التى تمر الشمس بسمت رؤس اهلها ـ فان سكان هذه البلاد معائشهم ضرورة فى الاكثر هى غير طبيعية واما ان كان هاهنا سبب آخر من قبل الهيولى يتزيد به الحر فيما تحت معدل النهار تزيدا مفرطا فليس يمكن ان

يسكن

يسكن وهو السبب الذى ذهب على جميع من رأى ان العمارة فى ذلك الموضع ممكنة ونحن ننظر فى ذلك .

فنقول انه يظهر ان معظم الحر انما يكون فى بلد بلد من البلاد المختلفة الاقاليم فى زمان الصيف بعد انصراف الشمس من المنقلب الصيفى وذلك من قبل القابل لا من قبل الفاعل على ما تبين قبل وان دوام هذا الحر فى البلاد المعتدلة او القريبة من الاعتدال يكون زمانه بعد انصراف الشمس نحوا من ثلاثه اشهر وذلك فى بلادنا هذه اعنى جزيرة الاندلس وما قاربها فى العرض وان ما عدا هذه البلاد اما الى جهة الجنوب فيوجد زمان الحر فيها اطول من هذه المدة التى هى نحو الثلاثة اشهر وذلك ان بحسب شدة تسخين الشمس فى بلد بلد يكون قبول الهواء الحرارة عن الشمس اكثر وتمسكه بصورتها دهرا اطول واذا كان هذا هكذا فانه يلزم ضرورة فى البلاد التى عرضها قريبا من ان يكون على النصف من عروض هذه البلاد المعتدلة وهى البلاد التى تمر الشمس على سمت رؤسهم فى مدارها الصيفى ان يوجد الحر فيها فى زمان الصيف قريبا من ضعف الحر الموجود فى هذه البلاد ويكون بقاؤه بعد انصراف الشمس قريبا من ضعف تلك المدة الستة الاشهر او الخمسة الاشهر وذلك يوقف عليه بالحس عند من شاهدها .

واما انا فقد شاهدت بلادا عروضها نحو الثلاثين فكان بقاء الحر فيها بعد انصراف الشمس نحوا من اربعة اشهر وليس هذا مما

يدرك بالحس فقط بل يمكن ان يوقف عليه بالقول فاذا قدرنا على هذا بلادا تقع ظلالهم جنوبية لزم ضرورة ان يكون زمان الحر عندهم نحوا من تلك الاربعة الاشهر وهو الزمان الذى تقع فيه ظلال مقايستهم جنوبية وحرهم ضرورة أشد وكذلك يلزم اذا وقعت ظلال مقايستهم شمالية واذا كان هذا هكذا يكون الحر ضرورة تحت معدل النهار منطبقا على السمت او قريبا من منطبق ولا يوجد هنالك غير فصل واحد فى غاية ما يكون من الحر وذلك ان عند الوقت الذى شأن الهواء ان يخلع فيه سورة الحر يرد عليه المحرك الذى افاده اياها فتنحفظ لذلك سورة الحر هنالك لان الشمس لا تبعد عن سمت رؤسهم اكثر من ثلاثة اشهر وبين ان مثل هذا الموضع لا يمكن ان يبقى فيه نبات ولا حيوان لان قوام النبات والحيوان انما هو بالفصول الاربعة وهذه المواضع ان قدرنا فيها فصولا موجودة كانت ثمانية وهذا كله خلاف الامر الطبيعى فقد تبين من هذا صحة ما ذهب اليه ارسطو من انه كما يوجد فى جهة الشمال مواضع غير معمورة من البرد كذلك يلزم ان يكون الامر فى جهة الجنوب من الحر وذلك لازم بالقول الكلى فانه اذا وجد احد الضدين فى غاية وجب ان يوجد الضد الآخر فى تلك الغاية ولما كان ههنا طرف لا يسكن من البرد ووسط معتدل فواجب ان يكون هنالك آخر من الحر لا يسكن والا لم يوجد الاعتدال فى الوسط فاذا وجدنا الطرف الواحد

والوسط فواجب ان نجد الطرف الآخر والا لم يكن هنالك متوسط ووجب ان يفسد احد الضدين صاحبه فان كانت هاهنا بلاد جمد وجليد فواجب ان تكون بلاد غليان ولهيب، ويشبه ان يكون هذا البرهان هو الذى يعتمده ارسطون هذا الموضع ولذلك تقول ان سبب حدوث الجليد عندنا هو غلبة طبيعة هذا الموضع على موضعنا لمكان بعد الشمس عنه كما ان حدوث سبب الرمد ولهيب الحر انما هو طبيعة الموضع الحار مع قرب الشمس فقرب الشمس عندنا وبعدها انما هو فى هذه البلاد بما هو حافظ ومعدل لافراط تلك الغلبتين لانه اذا كان سبب الجمد عندنا طبيعة الموضع البارد مع بعد الشمس فواجب ان يكون سبب الحر وشدة اللهيب قرب الشمس وطبيعة الموضع الحار فان قرب الشمس وبعدها انما يظهر من امره انه سبب فى ظهور احد الضدين وفى تساويهما مع التعادل الموجود فى اصل الاضداد وفى تساويها وهذا البرهان هو حق وقد استعمل هذا الموضع ارسطو فى امكنة شتى فاما مايقوله غيره فى ذلك فانما هو عن توهم مطلق .

واما اعتدال الليل والنهار الذى يوجد هنالك دائما فيشبه ان لا يكون له قدر محسوس فى نقصان الحر بالاضافة الى الاسباب التى عددناها ويشهد لذلك ان البلاد الاطول نهارا ابرد وكذلك الامر فى البطيىء الذى يعرض للشمس فى رأس المنقلبين ويشبه ان يكون السبب فى سكنى كثير من المواضع التى عددت فى الاقليم الاول

ما يعرض لها من البرد من قبل ارتفاعها او وضعها ٠

وبالجملة من قبل الهيولى لا من قبل السبب الفاعلى الا انا متى انزلنا الامر هكذا على ما تبين من امر الشمس لزم ان المواضع الممكنة العمارة من هذه الجهة ما عن جنبتى مدارات الشمس وذلك من الجهتين الشمالية والجنوبية وهذا شيء قد صرح به ارسطو اعنى انه يلزم ان تكون عمارة اخرى فى الربع الجنوبى الشبيه بالربع الشمالى المسكون وان كان لخروج مركز الشمس تأثير محسوس كان عرض المعمورة من جهة الجنوب اقرب الى القطب الجنوبى وابعد عن مدارات الشمس بخلاف ماهو عليه فى الجهة الشمالية الا انه يلزم على هذا ان توجد العمارة فى ما بين الجهتين فى الجوانب الاربع تحت الارض وفوقها وذلك ان جفوف هذه المواضع قد يظهر اولا من قبل الشمس ونسبتها توجد الى هذه الجهات نسبة واحدة لكن متى انزلنا الامر هكذا كان احرى ان يوجد الجفوف وغلبة الاسطقس الارضى فيما تحت مدارات الشمس لشدة الحر هنالك واذا انزلنا هذا هكذا لزم ان توجد اكثر اجزاء الارض مكشوفة فلا يكون الماء قطره اكبر من قطر الارض بل يكون اصغر منه او مساويا له وذلك خلاف الحس والقياس — اما الحس فانه يظهر أن جزأ من الماء اذا تكون ارضا صار اقل كمية بخلاف حال الهواء مع الماء واما القياس فانه قد تبين ان الاسطقسات متعادلة بالكلية وبذلك صح لها البقاء والدوام والتعادل

والتعادل انما يمكن ان يكون بين الاسطقسين المتخلخل السهل الانفعال والكثيف العسر الانفعال بأن يكون المتخلخل اكبر كمية واعظم جرما فلذلك يلزم ضرورة ان يكون قطر الماء اعظم بكثير من قطر الارض اذا توهمنا الماء كرة مصمتة واذا كان الامر كذلك فيجب ان يكون طافيا على اكثرها اذ هي الحال الطبيعية لها ويشبه على هذا ان لا يكون المعمور من ارباع الارض غير هذه الجهة وان يكون المكان للكائنات الفاسدات التي شأنها ان تكون على وجه الارض هو هذا المكان ويكون ليس السبب على هذا فى وجود الجفوف فى هذه الجهة هو الشمس فقط بل مع ما يقترن اليها من حرارة كثرة الكواكب الثابتة فى هذه الجهة اذ كانت اكثرها كواكب فيما يظهر وتكون الجهة الجنوبية غالبا عليها الماء وكذلك ما تحت المدارات وان كانت الحرارة هنالك اشد بل يكون تجفيف الشمس لهذه الجهة الشمالية فعل خاص لحرارتها حين امتزجت بحرارة هذه الكواكب لا بما هي شمس فقط كأنك قلت لما اشتد يبسها كالحال فى حرارة القلب فانها لما تعدلت ببرودة الدماغ افادت الحس وهذا هو السبب فى ان كان هذا المكان ازليا بالنوع على ما تبين فهذا هو القول فى المواضع الممكنة العمارة من الارض بحسب ما ادى اليه القول، فلننقل فيما بقى علينا من هذه المقالة وهو القول فى الزلازل والرعود والبروق والصواعق •

فنقول اما سبب الزلازل فهو ظاهر مما تقدم وذلك انه قد تبين ان البخار المتولد في الارض صنفان – احدهما الرطب والآخر اليابس الدخاني – اما الرطب فيكون منه اذا علا فوق الارض الامطار وسائر ما عددنا – واما الدخاني فانه ايضا اذا علا فوق الارض كانت الرياح وسائر الآثار التي عددنا واما اذا بطن مثل هذا البخار الذي يكون عند الرياح في جوف الارض وتحرك هناك فباضطرار ألا يكون سبب الزلزلة شيء سواه كما انه ليس سبب اختلاج أبدان الحيوان شيء غير البخار المتحرك فيها ويشبه ان يكون من المعلومات الأول ضرورة نسبة هذا السبب الى هذا الوجود في هذا وفي كثير من هذه الآثار .

وقد يمكن ان يوقف على ذلك بدلائل – منها ان مثل هذه الحركة الشديدة المزعزعة انما توجد للريح اذ كانت هي التي يصير بكل واحد من الاسطقسات الى الحركة السريعة كالغليان والالتهاب في النار والتموج في الماء وفي قياس هذا الارض – ومنها انها توجد على الاكثر في الاوقات التي تتولد منها الرياح وذلك في زمان الخريف والربيع وتعدم في الاوقات التي تقدم فيها الرياح وذلك في زمان الحر الشديد والبرد الشديد وهذا كله يدل على ان السبب الفاعل لها وللرياح واحد – ومنها ايضا ان الدوي يسمع كثيرا ما يتقدم الزلزلة ، وقد حكى ارسطو أنه عرض في بعض البلاد

وفي

وفى بعض الجزائر أن ربوة من تلك الجزائر لم تزل تعلو حتى تصعدت وخرج منها ريح شديدة واخرجت معها رمادا كثيرا وذلك انه عرض لتلك الارض انها احترقت ومن شاهد الزلزلة الحادثة بقرطبة وجهاتها عام ستة وستين وخمسمائة للهجرة وقع له اليقين بذلك لكثرة ماعرض هنالك من الاصوات والدوى ولم اكن حاضرا حينئذ بقرطبة ولكنى وصلت اليها بعد فسمعت اصواتا تتقدم حدوث الزلزلة وشعر الناس ان ذلك الصوت يأتى من جهة الغرب ورأيت الزلزلة تتولد عند نشوء الريح الغربى كثيرا وتمادت هذه الزلازل بقرطبة نحو العام شدادا ولم تنقطع الابعد ثلاثة اعوام او نحوها وقتلت الزلزلة الاولى فيها ناسا كثيرا بالهدم وزعموا ان الارض انشقت بقرب من قرطبة بموضع يعرف بأندوجز فخرج منها شبه رماد اورمل ومن شاهدها وقع له اليقين بها وكانت عامة فى الجهة الغربية من هذه الجزيرة الا انها بقرطبة ونواحيها اشد وكانت شرقا من قرطبة اشد مما كانت بقرطبة وماكان غربا من قرطبة اخف مما كانت بقرطبة ٭

وقد يدل ايضا على سببها مايرى فى الهواء من الآثار المنذرة بحدوثها كالضباب ولسحابة التى ذكروا انها تظهر مستطيلة فى الجو وهى بالجملة تكثر تولدها بجهتين احداهما بذاتها والاخرى بالعرض اما الذى بذاتها فعندما تكثر المادة المتولدة عنها وتتوا

فى الاسباب الفاعلة لذلك واما التى بالعرض فعند ما يعرض للاجسام التى فى وجه الارض ان تنسد وذلك اما من يبس او رطوبة ولذلك تكثر عند توالى الامطار .

واما اصنافها فتابعة لاصناف حركة الريح وذلك ان فيها ما يمتد طولا فيكون تحريكها بحسب ذلك ومنها ما يمتد طولا وعرضا وربما بلغ من شدة هذه الريح ان تقلب(١) الارض وتفيض ماء البحر كما حكى ارسطو والاراضى تختلف فى كثرة الزلازل فيها وقلتها بحسب استعدادها لان يتولد فيها مثل هذا البخار وبحسب انسداد مسامها ايضا ولذلك اى ارض اجتمع لها الامران جميعا كانت فى تزلزل دائم كالجزائر التى يتفق لها مع استعدادها لتولد هذا البخار الريحى ان يكون بقرب البحر حتى يمنع ماء البحر تلك الرياح من الخروج كما يقال انه يعرض فى الموضع الذى بالاندلس المعروف بكنيسة الغراب فانه يسمع فيها دائما شبه الدوى الذى يتقدم الزلزلة على ما ذكر، وقد قلنا ما هى الزلازل ووفينا سببها فلننقل فى الرعود والبروق والصواعق .

فنقول ان هذه الثلاثة جنسها واحد وانما تختلف بفصول تلحقها وذلك انه اذا كان الرعد انما هو صوت يسمع فى السحاب وكان هذا من امره بين الوجود وكان ممكنا ان يعرض للبخار الدخانى عند ما يتكاثف السحاب ان يجتمع فى عمق السحاب ثم يخرج بشدة

---

(١) صف ــ تغلب . وحمية

وحمية فيندفع الى اسفل اوالى فوق او احد الجوانب حتى يسمع له صوت مثل ما يعرض للخشب الرطب اذا القى على النار وتولد فيه مثل هذا البخار فبا ضطرار ان لا يكون سبب الرعد شىء غير هذا ولما كان يرى فى السحاب نار ملتهبة وهو المسمى برقا وكان ممكنا اذا اشتدت حمية تلك الريح مع استعدادها للالتهاب ان تلتهب فبالواجب الا يكون ايضا البرق شيئا غير هذا وكذلك لما كانت ترى هذه النار كثيرا ما تنزل الى اسفل حتى تبلغ الى الارض وهى المسماة صاعقة وكان ممكنا ان تبلغ هذه الريح الملتهبة من جهة التضاد الموجود فيها ان تنزل الى اسفل فالصاعقة هى الريح الملتهبة التى بهذه الصفة والصواعق تختلف باختلاف هيولى هذه الريح . فما كان منها عن الجوهر اللطيف الهوائى لم تفسد الاجسام المتخلخلة التى تمر بها كما يحكى عن بعض الصواعق انها تذيب النحاس ولا تحرق الخشب الذى يكون معه وتهلك الحيوان من غير ان يظهر عليه اثر احتراق .

واما ما كان منها عن الدخانى الارضى فانه يحرق كلما مر به حتى حكى المشاءون ان الصاعقة التى اصابت الهيكل بقى موضع نزولها مدة ما يصعد منه دخان كثير، وحكى ابن سينا انه يبلغ من ارضية هذا الدخان فى بلاد خراسان و بلاد الترك انه يوجد فى المواضع التى تقع فيها الصواعق اجساما شبيهة بالحديد والنحاس وانه تكلف

اذابة نصل منها فلم يمكنه بل كان يتحلل ويستحيل دخانا حتى فنى
وهذا شيء لم نشاهده فى هذه البلاد ولا ذكره احد من المشائين
ولكن حكى ابن حيان ان حجرا عظيما وقع فى الكنبانية بقرطبة
ملتهبا نارا فى وقت صحو وانه رأى ذلك الحجر وهو كبريتى الرائحة
فى طبيعة النشاذر وهو غير بعيد •

ومما ينبغى ان نفحص عنه هاهنا وهو امر مشترك لكثير
من الكائنات المعطى اسبابها فى هذا الكتاب هو ما بال الريح
الملتهبة من حيث هى حارة وملتهبة تنزل الى اسفل بسرعة شديدة
حتى انها قد تنزل على خط مستقيم من غير أن تكون لها ذلك فى
طباعها وقد يظن ان ذلك لها من جهة المضادة فان من شأن الضد كما
يقال ان يفرض ضده الى اسهل جهة يتهيأ له القرار منها سواء كان
فوقا اواسفل او يمينا او يسارا كالحال فى الماء والنار لكن هذا
النحو من التصور فى امر هذه الحركة هو تصور شعرى وينبغى
ان ننظر فى ذلك •

فنقول ان هذه الحركة لهذا الجزء الدخانى لايخلو أن تكون
فيه من حيث هو جسم طبيعى طبيعية اوقسرية ومحال ان تكون
طبيعية اذ كان ليس من شأنه ان ينزل الى اسفل واما ان انزلناها قسرية
فضرورة سيكون هنالك دافع وقاسر وذلك القاسر يلزم فيه من
حيث هو جسم على ما تبين ان يتحرك عند مايحرك فان انزلنا ايضا

حركته قسرا لزم فيه ما لزم فى الاول وكذلك الى غير النهاية واذا كان هذا هكذا فهنالك ضرورة محرك متحرك بهذه الحركة بالطبع وهو الجزء الدخانى ويكون هذا الجزء الدخانى ضرورة مؤلفا من جزء ثقيل وخفيف ويكون هذا الجزء الثقيل هو الذى يتحرك بـه الى اسفل وذلك عند ما يعرض لهذا الجوهر الدخانى ان يبرد وليس يمكن ان يتميز فيه الخفيف من الثقيل الا ان هذه الحركة يظن بها انها تلى لهذا الجزء الثقيل عند ما هو مركب مع الجزء الحار اسرع منها اذا الفيت له وهو بسيط ويشبه ان يكون السبب فى ذلك ما يظهر من قوة فعل الضد عند مجاورة ضده فان احد ما تتخلص به الاضداد بعضها عن بعض ويحفظ به وجودها هو المكان ولذلك عند ما يتولد فى هذا الجزء الدخانى اجزاء ثقال تتحرك بسرعة شديدة الى مكانها الذى لها بالطبع لان لا تفسد فان كل طبيعى كما قيل محب لبقائه والمكان هو الحافظ له ولان الجزء النارى ليس يمكن ان ينفصل منه بسرعة لمكان الاختلاط فيتحرك معه على جهة القسر وهذه هى العلة بعينها فى ظهور الماء عن النار من جهة ما يحدث فيه من اجزاء هوائية فان الماء ليس فى طباعه ان يتحرك بمثل هذه الحركة ولا يمكن ايضا ان تتصور أن النار هى المحركة له قسرا على جهة ما يحرك الجسم جسما آخر فلم يبق الا ان يكون ما قلناه وقد يحدث لهذه الرياح الهابطة الى اسفل ان تهبط مستديرة لوجود

هذا التضاد فيها و تمانع الحركتين فيها و كذلك يعرض لبعض الرياح الهابطة الى اسفل رياح صاعدة فتتمانع و تتحرك باستدارة اذ كان ذلك اسهل عليها على ما قلنا قبل ذلك و ذلك اما الى العلو و اما الى السفل اما حركتها الى العلو فاذا غلبت الصاعدة و اما الى اسفل فاذا غلبت الهابطة وجميع هذه الرياح الملتوية تسمى الزوابع وهى رياح قوية تبلغ من شدتها ان تدفع (١) المراكب والحيوان و ترمى به الى موضع آخر فهذه هى اسباب الرعد والبرق و الصواعق •

وقد يمكن ان يستظهر على وجود هذه الاسباب لهذه الآثار بدلائل منها ان الرعد تهب معه ريح و لذلك ما يتأذى به كثير من الحيوان و تنشق الارض فيخرج عند ذلك النبات المعروف بنبات الرعد و ايضا فان مثل هذه الحركة الشديدة انما توجد للريح و كذلك ايضا يستدل على ان الصواعق رياح ملتهبة من سرعة حركتها فى تلهبها و انها كثيرا ما تتقد معها ريح و لذلك يرى البحر يتحرك عند البروق و قبل الصاعقة حركة شديدة؛ و اما ما يتشكك به على ان سبب البرق و الرعد واحد من ان البرق يرى قبل الرعد ثم يسمع الرعد فذلك شئ يعرض للسمع مع البصر و ذلك انا نبصر القرع اذا كان على بعد قبل ان يصل الينا الصوت الحادث عنه كالذى يعترى الذين يكونون فى حاشية النهر مع الذين يقرعون بعض الاجسام فى

---

(١) كذا و لعله ترفع .

الحاشية الاخرى

انقضت المقالة الثانية بحمد الله .

المقالة الثالثة

لنقل الآن فى الهالة التى تظهر حول القمر والشمس وفى قوس قزح والشموس والعصى وهو مما يظهر أن جنس جميع هذه الآثار هو رؤية فقط وتخيل وذلك انها تعرض بحضور الاجسام المنيرة وان يكون الناظر منها على وضع مخصوص .

وبالجملة فيلحقها جميع الاعراض التى تلحق الاشياء والتى هى رؤية فقط من انتقالها بانتقال المبصر وقربها وبعدها بقربه وبعده ولما كان الموضوع لهذه الآثار الاجسام الطبيعية وكانت مع هذا انما يعرض بوضع محدود وباشكال محدودة وجب ان يكون النظر فيها من جهة طبيعيا ومن جهة تعليميا ونحن انما ننظر هاهنا من امرها فيما شأنه ان ينظر فيه الرجل الطبيعى ونستعمل تلك الامور التى تبينت فى التعاليم من امرها على جهة المصادرة والاصل الموضوع وبخاصة ما كان منها شأنه ان يؤخذ هاهنا مبدأ برهان .

فنقول انه مما يظهر فى هذا العلم ان الاجسام المنظور اليها يلحقها باختلاف الاشياء التى ينظر بتوسطها اختلاف منظر فى اللون والعظم والصغر والقرب والبعد وان ذلك لقيام الاجسام المتكاثفة المشفة بينها وبين المبصرات وان هذه الاجسام المتكاثفة المشفة

مع انها ترى المنظور اليه بهذه الحال اذا قامت بينها وبينه وقد يفعل ذلك ايضا اذا كانت فى مقابلة المبصرات ونحن فيما بينهما كالحال فى الماء الذى ترى فيه اشباح الكواكب وسائر الاجسام فهذا المقدار هو الذى يظهر ها هنا من سبب هذه الرؤية وكذلك يظهر ها هنا ايضا ان سبب هذه الرؤية ليس يكون من قبل الاجسام التى تقوم بيننا وبين المبصرات فقط بل ومن قبل ضعف البصر ايضا او من كليهما فان نسبة البصر الضعيف الى الهواء الرقيق نسبة البصر القوى الى الهواء المتكاثف ولذلك يعرض لمن ضعفت معدته او اختل بصره تخاييل و اشياء ليست على كنهها •

و قد حكى ارسطو ان رجلا اصابه ضعف بصر فكان يرى بين يديه شبحه فى الهواء دائما لان الهواء كان بالاضافة الى بصره بمنزلة المرآة الى الابصار السليمة •

واما السبب فى لقاء البصر مثل هذه الاعراض بتوسط الاجسام الكثيفة المشفة فهو مما يظهر فى علم المناظر وذلك انه تبين هنالك ان سبب هذا كله هو انعكاس الشعاع او انعطافه وان النظر الحقيقى انما يكون بشعاع مستقيم وان مثل هذه التخاييل انما تعرض بانكسار الشعاع او انعطافه وان الشعاع انما ينعكس او ينعطف من الاجسام المشفة الكثيفة كالماء والهواء الرطب المائى وهى التى تنفذ الاضواء فيها وليس لها لون خاص لكن لما كان وجود

الشعاع

الشعاع انما يتسلمه صاحب علم المناظر من صاحب هذا العلم وكان الاقدمون من الطبيعيين يرون ان الأبصار انما يكون بأشعة تخرج من العينين جرت عادة اصحاب علم المناظر ان يعطوا اسباب مايعرض من اختلاف الرؤية من جهة هذا الشعاع الخارج من العين - والحق فى ذلك ان نوفى هذه الاسباب من جهة الشعاع الخارج من الجسم المنظور اليه هذا اذا كان الجسم مضيئا واما ذوات الالوان التى ليس لها اشعة فانها انما تحرك الابصار على سمت خطوط بهذه الصفة وذلك انه اذا كان لا فرق بين اى هذين الوصفين تسلم صاحب علم المناظر اذ كان من كليهما يمكن ان يوفى اسباب ما يعرض فى موضعه وكان قد تبين فى علم النفس ان البصر ليس يكون بشعاع يخرج من العين فالاولى إن نعمل فى علم المناظر على هذا الرأى ٠

واذ قد تبين من هذا القول على جهة الوضع ان سبب جميع هذه الرؤية هو الانعكاس او الانعطاف فقد ينبغى بعد ذلك ان نصير الى مايخص واحدا واحدا منها، فنقول اما الهالة فانه اثر مستدير يرى حول القمر او بعض الكواكب وفى الاقل حول الشمس ولما كان هذا الاثر يعرض اذا قام السحاب بيننا وبين المنير وجب ضرورة ان يكون سببه انعكاس الشعاع الخارج من المنير فى السحاب الى ابصارنا او انعطافه ويكون اللون الذى يرى لذلك الاثر كالممتزج من لون الغمام ومن ضوء المنير لضعف البصر عن ان يفرق بينهما كالحال

فى سائر التخاييل التى تعرض هنالك لكن لما كان شكل هذا الاثر انما يكون ابدا مستديرا او قطعة من دائرة وجب ان يكون الغمام بصفة يتأتى عنها هذا الشكل و يكون وضع الغمام من المنير وابصارنا وضعا يتأتى به هذا الانعكاس المحدث لهذه الرؤية، اما الصفة التى يمكن ظهور هذا الشكل منها فى السحاب اعنى المستدير فهو ان يكون تلك الاجزاء المتكاثفة المشفة من الغمام الذى شأنه ان تنعكس منه الاشعة متصلة وفى سطح واحد املس سواء كان هذا السطح مستويا او مقعرا او محدبا الا ان الاليق بالامر الطبيعى ان يكون مقعرا اذ كانت الاجسام البسيطة انما تتشكل على الاكثر بالشكل الذى طباعها اكثر مواتاة له من غيره وهو المستدير، واما الوضع الذى يمكن ان يتأتى به هذا الانعكاس فى السحاب مع وجود السحاب بتلك الصفة فهو ان يكون الخط الشعاعى الذى يمر بابصارنا و بالمنير و بمركز هذه القطعة المقعرة من السحاب خط واحد مستقيم يكون طرفه الواحد المنير والثانى مركز القطعة الكرية من الغمام و نقطة ابصارنا فى ما بينهما و يكون الشعاع فى هذا الوضع يمكن ان ينكسر من السطح الذى على استقامة قطر الغمامة الخارج من مركز الغمامة الى موضع الانعكاس على استقامة حتى يلقى سطح الغمامة المحدب منه وهذا انما يمكن اذا تألف السحاب على استقامة ذلك القطر تألفا يمكن فيه الانعكاس فانه مما يظهر هنالك ان مثل هذه الرؤية لا يتم بشعاع منعطف بل بشعاع منكسر

ولما

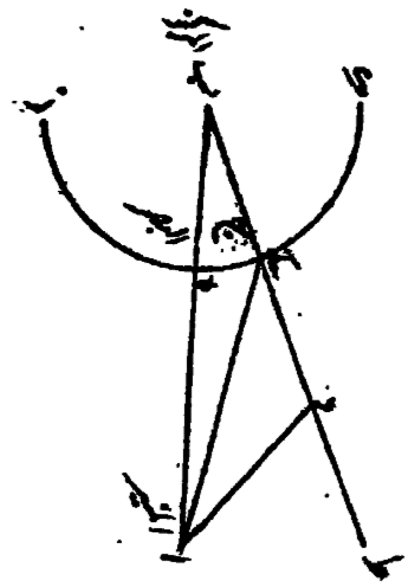
ولما كانت خاصة الشعاع المنكسر ان يكون زوايا الانكسار منه من جميع الجهات متساوية وجب ان لا يكون بعد نقطة الابصار من مركز الغمامة والسحاب اى بعد اتفق بل بعدا محدودا وذلك بحسب بعد المنير من السحاب والسحاب من ابصارنا وتبين هناك ان ذلك يتم بان تكون نقطة ابصارنا اقرب الى السحاب منها الى مركزه .

ونحن نضع ذلك هاهنا وضعا على جهة التصور، لنفرض الخط الذى يمر بمركز السحاب والمنير خط ـ اب ـ وليكن ـ ا ـ منه المنير ـ وب ـ المركز ونفرض نقطة البصر فيما بين ـ اب ـ نقطة ـ ج ـ ونخرج فى مقعر السحاب قوسا يقسمها خط ـ اب ـ وهى قوس ـ ك ه ز ـ وهى تلقاه على نقطة ـ ه ـ ونفرض هذه القوس من السحاب بحيث تقع عليها نقطة الانعكاس ونخرج من ـ ب ـ التى هى المركز خط ـ ب ط ـ الذى هو عمود على الدائرة وننفذه الى محدب السحاب وليلق محيط الدائرة فى نقطة منها يتأتى ان يكون الشعاع الخارج من المنير ينكسر من السطح الممتد على استقامة قطر ـ ب ط ـ الى ابصارنا وذلك بان تكون الزاوية التى يحيط بها الخط الخارج الى نقطة الانعكاس مع الخط الذى ينكسر منه وهو القطر مساوية للزاوية التى يحيط بها الخط المنكسر من نقطة الانعكاس الى ابصارنا مع ذلك الخط ايضا فلنفرض هذه النقطة نقطة ـ ح ـ فيكون

خط ـ ا ح ـ هو الذى يخرج من المنير الى نقطة الانعكاس وخط ـ ح ج ـ هو الذى يخرج من نقط الانعكاس الى ابصارنا وتكون زاوية ـ ا ح ط ـ وهى زاوية الشعاع مساوية لزاوية ـ ج ح ب ـ الاخرى فاذا ادرنا ـ ا ح ج ـ على محور ـ ا ج ـ حتى يعود الى نقطة ـ ح ـ حدث عن ذلك ضرورة شكل مستدير وهو شكل الهالة (١) وهذا من وجود هذه النقطة بهذه الصفة بين اعنى نقطة الانعكاس اذ كان الانكسار انما يكون بزوايا متساوية فاما استخراج موضعها فيوقف عليه بطريق هندسى كما قلنا وانما قلنا ان خيال ـ ا ـ يظهر منه نقطة ـ ح ـ مستديرا على جهة التقريب والا فقد تبين فى المناظر ان خيال ـ ا ـ انما يظهر من خط ـ ب ط ـ على النقطة التى يقع عليها العمود الخارج من نقطة ـ ا ـ الى خط ـ ب ط ـ مثل ان يخرج فى الشكل المتقدم عمود ـ ا د ـ فتكون نقطة ـ د ـ هى خيال ـ ا ـ المرئى وجميع ما قلنا هاهنا سبيله ان نتكلم فيه فى التعاليم سواء كان بينا بنفسه اولم يكن هو مما ينبغى ان يوضع فى هذا العلم وضعا وقد يظهر من هذه الهالة اكثر من واحد لكن يلزم ضرورة ان يكون فى سطوح مختلفة الاوضاع اذ لا يمكن الانعكاس من سطح واحد من اكثر من نقطة واحدة •

قالوا وتكون الفوقية اصغر من السفلية وذلك لبعدها واما المنير فانه يرى فى وسط هذه الدائرة على كنهه بخطوط مستقيمة اما

(١) الشكل الاول



الآثار العلوية ص ٦٣
شكل (١)

لان الخطوط الشعاعية كما يقول اصحاب التعاليم اذا وقعت على السطح على زوايا قائمة نفذته واما لان القمر بشدة ضوء هنالك يبرد السحاب والمعنى فى هذين يرجع الى واحد بل احدهما سبب الآخر ولهذا المعنى بعينه اعنى قوة الشعاع لا يقبل حدوث الدائرة حول الشمس ٠

فى قوس قزح

فاما هذه القوس فهى ترى ابدا قبالة الشمس اذا كانت الشمس قريبا من آفاق الطلوع والغروب وكان هنالك سحاب مشف متكاثف وبخاصة فى الايام الطوال ٠

واما فى الايام القصار فقد ترى النهار كله وشكلها ابدا انما يرى مستديرا لكن لادائرة تامة بل اما نصف دائرة واما اصغر من نصف دائرة وترى ابدا فى هذه القوس ثلاثة الوان لون احمر الى الشقرة ماهو وهو الاعظم واخضر كراثى وهو الاوسط واحمر مسكى وهو الاصغر وقد يرى فى بعض الاحيان بين الاعظم والاوسط لون اصغر خفى وهذه القوس لم يشاهد قط منها فى وقت واحد اكثر من الاثنين اما الداخلة وهى الاقرب فتترتب الالوان فيها على ماذكرت وهذه هى التى ترى فى الاكثر مفردة واما الخارجة فتترتب الالوان فيها على عكس ذلك اعنى اللون الاعظم فيها هو المسكى والاصغر هو الاحمر وهذه القوس الثانية هى فى الرؤية

ضعيفة ابدا فهذه هي الامور المشاهدة من امر هذه القوس وينبغى ان نشير الى اعطاء الاسباب فى واحد واحد منها بحسب ما يمكننا.

فنقول اما كون هذه القوس لا ترى أبدا الا فى مقابلة الشمس اذا كان هنالك سحاب كثيف مشف فذلك مما يدل فى علم التعاليم ان فاعلها انعكاس شعاع الشمس من ذلك الغمام الى الابصار لكن هذا انما يتم بوضع محدود بين الشمس والناظر والسحاب وان يكون مع ذلك السحاب بشكل ما وصفة ما — اما الشكل الذى ينبغى ان يكون عليه فى هذه الرؤية على ما تبين هنالك فهو أن يكون مقعر كرة وذلك انه تبين فى التعاليم انه لا يمكن ان ينعكس الشعاع من محيط دائرة الى موضع واحد بعينه الا ان تكون تلك الدائرة فى مقعر جسم كرى لان الشعاع انما ينعكس ابدا على زوايا متساوية من جميع الجهات واذا امكن ان ينعكس من نقطة من الناظر الى نقطة اكثر من شعاع واحد كالحال فى الجسم المقعر عرض من ذلك ان يرى للشيء الواحد خيالات كثيرة فاما فى السطح البسيط فليس يمكن ذلك فيه قد بينه اصحاب التعاليم وايضا فان هذا الشكل هو اللائق بالسحاب، واما الصفة التى يجب ان يكون عليها وحينئذ يمكن فيه هذه الرؤية فهو ان يكون مستدير (١) الاجزاء ثقيلا متكاثف الباطن كالحال فى المرآة التى لا يبصر فيها شيء حتى يكون بها تين الحالتين جميعا وهذه الصقالة انما يمكن فى السحاب متى كان قريب

---

(١) بهامش صف. الاستداد

الاستعداد الى ان يستحيل ماء ولذلك ما ترى هذه القوس اذا بدا الرش اليسير، واما ابن سينا فيزعم ان مرآة هذه الرؤية ليست هى جزء من السحاب بل هى هواء مائى يتشكل بالشكل الذى يمكن ان يتأدى منه هذه الرؤية وان مدخل السحاب فى هذه الرؤية ليس على جهة الموضوع بل منزلته فى هذه المرآة منزلة الجسم الملون الذى يوضع فى ظهر البلورة وحينئذ يكون مرآة ويستشهد على ذلك بانه ابصر هذا الاثر فى البلاد الجبلية من غير سحاب وذلك لمقام الجبل خلف هذه المرآة مقام السحاب الكثيف .

وهذا ان كان على ما قال فغير ممتنع ان تكون هذه المرآة توجد بهاتين الحالتين جميعا حتى يكون مرة جزء من السحاب كالحال فى مرآة الحديد ومرة اخرى غير جزء من السحاب كالحال فى مرآة البلور ويشهد لامكان هذه الرؤية فى الهواء المشف سواء كان جزء غمام او لم يكن بل كان الغمام خلفه انك اذا وقفت حذاء الشمس فى اول الظل ثم رششت بالماء ظهر فيه مثل هذا الاثر وكذلك يظهر فى الماء الذى ينتشر من المجاذيف بالليل فى البحر والهواء الرطب فى هذا كله فى قياس الماء وقد رأيته مرارا فى سطح منخفض من الارض عن البصر وقد رأيته فى سطح مستور(١) كان بينى وبينه مقدار غلوتين وكان المرئى منه فى الارض متصلا بالمرئى بالسحاب لكنه اضعف قليلا وقد رأيته مقاطعا بخط نصف

---

(١) ن ـ مستو .

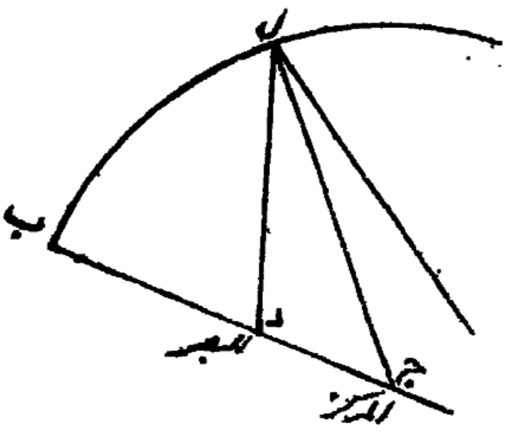
النهار فى السحاب ملاصقا له شرقيا منه والشمس فى الافق الشرقى اوتحته وبخاصة اذا قرب من طباع الماء ، وقد حكى ابن سينا انه رأى هذا الاثر فى حمام كان يقع الشعاع فيه بهيئة ممكن ذلك فيها وذلك كان لاشك لرطوبة هواء الحمام وقربه من طبيعة الماء وقد رأيت انا وجملة من اصحابى هذه القوس فى رهج عظيم الا انها ظهرت كدرة الالوان خفيتها وذلك شىء عرض لى فى البلاد الحارة وكان هذا الرهج انما اثاره الجيش الذى كنت فيه بحركته فهذا هو القول فى الصفة التى يمكن ان يكون (١) بها الهواء وحينئذ يمكن فيه هذه الرؤية •

واما الوضع الذى ينبغى ان يكون عليه الغمام والشمس والناظر فلنضعه هنا على جهة المصادرة فنقول انه مما تبين فى علم المناظر أن الوضع الذى يمكن فيه هذه الرؤية هو أن يكون مركز الغمامة وابصارنا على الخط الشعاعى الخارج من المضئ الى الغمام وان يكون مع ذلك ابصارنا فيما بين مركز الغمامة والغمامة وتكون مع ذلك ابصارنا اقرب الى الغمام منها الى مركزه لان بهذا الوضع يمكن ان تكون زوايا الانعكاس متساوية •

مثال ذلك انا نضع خط ــ اب ــ الخط الشعاعى ونجعل نقطة ــ ا المنير ونقطة ــ ب ــ النقطة التى اليها ينتهى الخط من السحاب ونجعل المركز نقطة ــ ج ــ وموضع ابصارنا نقطة ــ ه ــ ما بين ــ ج ب ــ

(١) صف ــ يطوق

ونخرج



الآثار العلوية ص٦٩

شكل (٢)

ونخرج من ـ ب ـ قوسا فى مقعر كرة السحاب وهى قوس ـ ب ك ـ ويكون الخط الخارج من المنير ينكسر من قوس ـ ب ك ـ من نقطة يمكن ان يكون الخط المنكسر منه يصل الى ابصارنا وذلك اذا كان ابصارنا فى الموضع الذى يمكن فيه الانكسار وهو الموضع الذي تكون فيه زوايا الانعكاس متساوية فنضع تلك النقطة نقطة ـ ل ـ وذلك الخط الخارج من المنير خط ـ ال ـ وينعكس الشعاع من ـ ل ـ الى ـ ه ـ التى هى نقطة ابصارنا اذا كان وضع هذه النقطة من خط ـ اب ـ فى موضع يمكن ان يكون لذلك زاوية ـ ك ل ـ مساوية لزاوية ـ ب ل ه ـ وهى زاوية الانعكاس وبين انه ليس فى كل نقطة من خط ـ اب ـ يتفق ذلك بل تبين من علم المناظر أن هذه النقطة انما تكون ضرورة بين مركز الغمام والغمام وتكون مع ذلك اقرب الى الغمام واذا اثبتنا خط ـ ال (فى خط ـ اب ـ ١) وادرنا ـ اب ـ كالمحور فان خط ـ ال ـ يحدث ضرورة قطعة من دائرة اما نصف دائرة واما اكبر واما اصغر وان اعدناه الى موضعه حدثت دائرة لكن القوس انما ترى ابدا اما نصف دائرة واما اصغر من نصف دائرة (٢) وقد ينبغى ان ننظر هاهنا فى سبب ذلك فان اصحاب علم المناظر يرون انه غير ممتنع من جهة ما تعطيهم صناعتهم ان تظهر هذه الدائرة تامة واكبر من نصف دائرة •

فنقول اما اذا كانت الشمس على الافق فانه يرى ابدا منها

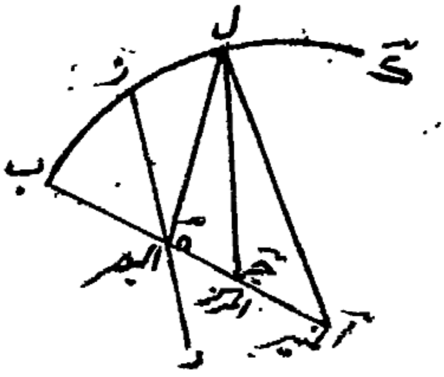
---

(١) ليس فى صف (٢) الشكل الثانى .

نصف دائرة اذا كان السحاب متصلا بالافق وذلك ان مركز دائرة الانعكاس يكون ضرورة فى سطح الافق لان الخط المشترك لسطحها وسطح الافق يمر بمركزها فيكون قطرا لها يقسمها بنصفين النصف الواحد منهما فوق الافق والآخر تحته وذلك على جميع الاوضاع التى تعرض بين مركز دائرة الانعكاس من نقطة مركز القطعة من الغمام ومن نقطة الابصار فانه ممكن ان يقع مركز هذه الدائرة فيما بين نقطتى مركز الغمامة ونقطة البصر او فيما بين نقطة البصر وطرف القطر المار بالمركز من الغمام ونقطة الابصار حتى ينتهى الى السحاب وممكن ان يكون مركز هذه الدائرة هو نقطة البصر نفسها على ما سيظهر فيما بعد — وهذا الوضع توفية سببه على جهة النظر التعليمى مطابق للمشاهدة ٠

واما اذا كانت الشمس مرتفعة على الافق او تحته فانه ظاهر من جهة ما تعطيه الاصول التعاليمية انه ممكن ان يظهر دائرة الانعكاس احيانا تامة واحيانا نصف دائرة واحيانا اكبر من نصف دائرة واحيانا اصغر من نصف دائرة وذلك انا اذا اعدنا الشكل الاول وجعلنا الخط الذى يمر بالمنير ويمر بمركز الغمامة والبصر ومركز دائرة الانعكاس خط — ا ج — ه ب — وكان المنير نقطة — ا — وتوهمناه مرتفعا على الافق ونقطة — ج — مركز الغمامة ونقطة — ه — البصر ونقطة — ب — طرف هذا القطر الذى يلقى كرة

السحاب



الآثار العلوية م ٢
شكل (٣)

السحاب ثم اخرجنا من نقطة ــ ب ــ قوسا فى مقعر كرة السحاب
يمر سطحها بمركز الكرة وهى قوس ــ ب ل ك ــ ونقطة ــ ل ــ
هى نقطة الانكسار والشعاع المنكسر خط ــ ا ل ه ــ وليكن خط
ــ ه د ــ الفصل المشترك لسطح مثلث ــ ا ل ه ــ ولسطح الافق اذا
توهمناه قد قاطعه ولننفذ هذا الخط حتى يلقى دائرة ــ ك ب ــ على نقطة
ــ ز ــ ولنخرج ــ ج ل ــ وهو العمود الواقع على كرة السحاب الذى
قسم زاوية الشعاع بنصفين على مالاح فى غير هذا الموضع فتبين ان
خط ــ ه ج ــ اذا كان المنير على هذا الموضع انه يكون فوق الافق
وان خط ــ ه ب يكون تحت الافق ولما كان سطح دائرة الانعكاس
قائما على خط ــ ا ب ــ الذى هو محورها امكن ان يكون مركز
هذه الدائرة فى هذا الوضع نقطة البصر وذلك انه اذا كان خط الشعاع
المنكسر واقعا على ــ ا ب ــ على زاوية قائمة اعنى خط ــ ل ه ــ وان
كانت زاوية ــ ا ه ل ــ حادة كان مركز الدائرة على خط ــ ه ج ــ
وذلك بين من علم الهندسة فاذا اثبت خط ــ ا ب ــ وادير مثلث
ــ ا ل ه ــ ظهر من دائرة الانعكاس اكثر من نصف دائرة وعلى
هذا فليس يبعد أن يرتفع المنير على الافق جدا ان يظهر قريبا من دائرة
تامة او تامة واما ان كانت زاوية ــ ا ه ل ــ منفرجة فان مركز
الدائرة يقع ضرورة على خط ــ ه ب ــ تحت الافق فيظهر اصغر
من نصف دائرة فهذا هو الذى ادت اليه الاصول التعاليمية (١)

---

(١) الشكل الثالث

وارسطو يخبر آن المشاهدة خلاف ذلك وقد ينبغى ان ننظر فى ذلك ٠

فنقول انما يمكن ان يتصور هذا الذى يقوله ارسطو متى كانت مراكز دوائر الانعكاس انما تقع ابدا بين نقطة الابصار وطرف المحور الملاقى لكرة السحاب وهو فى هذا الشكل خط ـ ه ب ـ فمتى ارتفع المنير عن الافق كان خط ـ ه ب ـ تحت الافق فيظهر القوس أقل من نصف دائرة وهذا قريب التصور ـ فاما السبب فى ان لا يعرض فى السحاب انعكاس الا على هذا الوضع فقط فيشبه ان يكون السبب فى ذلك ان اكثر الغمام متشابهة او قريبة من متشابهة اعنى ان مراكزها واحدة فى الحس وذلك لتشابهها فى طبيعتها وكذلك ايضا نقطة الابصار وهى واحدة فى الحس واذا كان بعد ما بين نقطة الابصار ومركز الغمام واحدا فانه لا يتأتى فى كرة الغمام من الانعكاس الا وضع واحد من تلك الاوضاع وذلك بين من علم المناظر فاما لم اختصت هذه الرؤية بذلك الوضع من الثلاثة فلانه قد تبين فى علم المناظر انه الوضع الذى يكون فيه نسبة الخط الذى بين المنير ومركز الغمام الى الخط الذى بين المركز والبصر اعظم نسبة منها فى الموضعين الآخرين وحق ذلك لبعد المنير وقلة بعد ما بين نقطة البصر ومركز الغمامة فقد تبين من هذا صحة ما تعطيه المشاهدة وذلك غير مخالف لما تبين فى المناظر وذلك ان هناك انما تكلم فى تلك الاوضاع من جهة ما الموضوع لذلك الأثر جسم مشف متشكل بذلك الشكل

المستديراى جسم اتفق من حيث ذلك جزء للسحاب شأنه ان تكون تلك الاشكال المستديرة فيه متشابهة وهما وان اشتركا فى الموضوع فنظرهما فى ذلك بجهتين مختلفتين وتبين من هذا عن قرب السبب فى كون قوس قزح لا يرى فى انصاف النهار فى الايام الطوال وهى ترى فى تلك الوقت فى الايام القصار وذلك ان الايام الطوال تكون فيها قوس نصف النهار مرتفعة فاذا دنت الشمس منها تكون الدائرة التى يمكن منها الانعكاس تحت الارض واما فى الايام القصار فلقرب دائرة نصف النهار ليس يعرض فيها ذلك ويمكن ان تبصر هذه القوس حينئذ فى جميع اوقات النهار، فقد تبين من هذا القول بأى وضع يكون شكل هذا الاثر واعطينا السبب فيما يعرض له من الكبر والصغر بحسب ما انتهى اليه نظرنا .

وقد بقى علينا من امره التكلم فى الالوان المرئية فيه والذى ينبغى ان لا يصادر(١) عليه هاهنا هو ان المرايا الصغار ليس تؤدى خيال الشيء وتؤدى لونه ولذلك يظهر(٢) خيال الشمس فى ذلك السحاب الذى فيه الرؤية وايضا لو ظهر فيه خيالها لظهر متصلا باستدارة القوس لان الانعكاس فى الجسم المقعر يكون من مرئى واحد الى ناظر واحد من اكثر من نقطة واحدة ولذلك يرى الواحد للجسم الواحد فى امثال هذه المرايا خيالات كثيرة متصلة وهذا كله قد تبين فى علم المناظر ــ ومما يظهر ايضا هنالك ان

(١) صف ــ ان يصادر (٢) د ــ ليس يظهر .

المرايا الصافية الالوان تؤدى لون الشئ على كنهه وان التى
هى غير صافية تؤدى لون الشئ وقد اختلط بلونها ضربا من الاختلاط
فيظهر له لون متوسط كالحال فى اللون الممتزج بالحقيقة وان هذا
ليس يعرض اذا كانت المرايا غير صقيلة فقط بل واذا كانت على
بعد كثير وكان الذى ينظر اليها ضعيف البصر فان ضعف الادراك
يخيل فى المنظور اليه كدرة وظلاما وان لم يكن فى نفسه كذلك
وهذا كله مما يظهر للحس واذا وضع هذا هكذا فشعاع الشمس
اذا انعكس من ذلك الغمام واحدث تلك الرؤية فمن البين ان تلك
الالوان انما تتولد عن اختلاط شعاع الشمس مع لون تلك المرآة
سواء كان للمرآة فى نفسها لون او ذلك شئ يظهر فيها لبعدها عن
الابصار او كان الامران جميعا واذا تقرر هذا وكان يظهر أن الشعاع
اذا سطع فى المرايا الكدرة واختلط لونه بلونها ولم تقدر الابصار
تفرق بينهما ان ذلك يحدث فى الحس ضروبا من الالوان بقدر ذلك
الاختلاط فمنها الاشقر ومنها الارجوانى ومنها الاصفر والاخضر
وغير ذلك . اما الاشقر والارجوانى فهما من نوع واحد وانما يختلفان
بالأزيد والانقص وذلك ان الارجوانى السواد فيه اكثر منه
فى الاشقر واما الاصفر فيتولد عن مخالطة البياض بيسير سواد
والاخضر عن مخالطة الاصفر للاسود وهذا كله ظاهر للحس .

واذا بان هذا فظاهر أن الالوان المرئية فى هذه القوس

هى

هى من هذا الجنس لكن ينبغى مع هذا ان نوفى السبب فى ترتيب
هذه الالوان فى القوس وهو مما يظهر ان اللون الاشقر من القوس
الداخلة اقرب الى المنير من الاخضر والاخضر من الارجوانى اذ
كان المنير خارجا عن كرة السحاب وهذا ظاهر مما تبين فى الثالثة
من كتاب اقليدس فان كانت هذه الالوان انما تختلف بزيادة
السواد وكثرته وقلة النورية فقط ظهر السبب فى ذلك فيكون
الاعظم لانه اقرب الى المنير يظهر اشقر ولان ما يقع ايضا من
الشعاع على القوس الاعظم اعظم ويكون الاوسط اخضر لانه
ابعد من الاعظم والشعاع الواقع عليه ايضا اقل وتكون القوس
الصغرى لانها ايضا ابعد منها اشد سوادا منها فيظهر ارجوانيا وايضا
لان الشعاع الواقع عليه يكون اقل وهذا هو الظاهر من اقاويل
المفسرين الذين تأدت الينا كتبهم، وقد عذلهم ابن سينا على هذا
وقال اما اخواننا المشاؤن فلم يأتوا فى امر ترتيب الالوان بشىء
وذلك انه زعم ان الاخضر ليس انما يخالف الاشقر والارجوانى
بالزيادة والنقصان بل هذه المخالفة انما هى فقط بين الاشقر و
الارجوانى ولم يقل هذا الرجل فى ذلك شيئا بل تشكك عليهم فقط
وارسطو لاشك احق من انصرف اليه هذا العذل اذ كان هو رأس
المشائين ونحن ننظر فى ذلك على عادتنا •

فنقول ان ارسطو يصرح ان هذا اللون الاخضر متوسط بين

الاشقر والارجوانى والمتوسط يقال على ضربين احدهما بتقديم وتحقيق وهو المتوسط بين الضدين اعنى الذى وجوده بامتزاج الطرفين وهو بالماهية مغاير للطرفين والثانى يقال بتشبيه وتأخير فهو المتوسط (١) فى الكمية فقط وانما يخالف الطرفين بالاقل والاكثر واولى ما يحمل عليه لفظ ارسطو هو الاول مع اللون الاخضر هو من هذا النوع الاول الذى يقال عليه المتوسط بتقديم واذا كان هذا هكذا فاللون الاخضر الذى يرى فى قوس قزح هو ضرورة متولد بين صفرة الاشقر وسواد الارجوانى .

والدليل على وجود الصفرة فى الاشقر هو انه قد يظهر فى بعض الاحيان هذا اللون فى القوس متوسطا بين الاشقر والاصفر (٢) فقد ظهر من هذا القول ان هذا المعنى هو الذى يعطيه ظاهر لفظ ارسطو والذى يعطه الوجود فى نفسه ولذلك ما يقول ارسطو انه مركب منهما وان الصباغين لا يقدرون ان يأتوا بمثله لتقصير الصناعة عن الطبيعة فان كان ما تأدت الينا كتبهم من المفسرين ارادوا هذا المعنى فقصرت عبارتهم عن ذلك ، اما بسبب الترجمة او غير ذلك فهو صحيح وان كانوا ارادوا المعنى الآخر فقد اخطأ واغرض ارسطو فى التفسير وكيف ما كان فقد كان ينبغى لابن سينا ان يستثنى ارسطو من جملة المشائين ولا يطلق القول اطلاقا ، فاما لم كانت الالوان فى القوس

(١) هنا خرم فى صف بقدر كلمة (٢) فى صف — الاخضر .

الخارجة

الخارجة مخالفة لترتيب الالوان فى القوس الداخلة اعنى التى فى الاطراف منها فلأن الدائرة الصغيرة من هذه القوس اقرب الينا من الكبيرة، وكان ظهور الالوان فى هذه القوس انما هو بسبب القرب والبعد من البصر لا بسبب قرب الشمس و بعدها كما كان فى القوس الاولى و ذلك ان نقطة الانعكاس يلحقها امران متضادان وهو ان الاقرب منها الى الشمس ابعد من البصر وبالعكس اعنى الاقرب منها الى البصر ابعد من المنير ففى القوس الداخلة لقربها من الانعكاس يكون التأثير لقرب البصر اكثر من التأثير لبعد المنير وفى الخارجة لعظمها يكون الامر بالعكس •

واما لم لا يرى منها ابدا اكثر من اثنين فذلك لاحد امرين اذ كان قد تبين فى علم المناظر انه لا يمكن ان يكون فى سطح واحد من هذه القوس اثنان اما لان السحاب لا ينتهى عمقه ان يحدث فيه قوس ثالثة واما ان تولدت فليس تظهر فانه ليس عن كل انعكاس تحدث رؤية ولا عن كل قرب و بعد بل بزوايا محدودة و ببعد محدود وذلك بالاضافة الى قوة المنير وضعفه وكثافة الجسم المنعكس منه الشعاع ورقته و بعد الناظر من ذلك وقربه فقد قلنا فى الهالة وقوس قزح واعطينا اسباب الاحوال المشاهدة فيها بحسب ما امكننا •

واما الشموس التى ترى عن جنبى الشمس فى شكل الشمس وهيآتها فهى ايضا متولدة عن انعكاس شعاع الشمس عن مرايا

سحابية تكون بصفة ووضع يمكن فيها لذلك هذه الرؤية وذلك مما يظهر عن قرب عند من شاهدها وعرف القدر الذى كتبناه ها هنا .

وكذلك العصى التى تظهر ايضا قرب الشمس ، والسبب فى الالوان التى ترى فيها هو بعينه السبب فى الوان قوس قزح .

واما هذان الاثران فلم اشاهدهما انا بعد ولا اذكرهما بحسب ما اقتضاه سنى اعنى الشموس والعصى ــ انقضت المقالة الثالثة بحمد الله تعالى .

المقالة الرابعة

لما كان غرضه الادنى ان يتكلم فيما يعرض عن البخارين اليابس والرطب اذا بطنا فى جوف الارض من الكائنات ثم يتكلم بعد ذلك فى النبات والحيوان ، وبالجملة لما كان قصده ان يتكلم فى الاجسام المتشابهة الاجزاء التى تركبت عن الاسطقسات تركيبا اوليا ويخبر بالفصول العامة لها وكان قد تبين من امر هذه الاجسام فى كتاب الكون والفساد انها مركبة عن الاربعة الاسطقسات المشهورة وان هذه الاربعة انما هى اسطقسات بالقوى الفاعلة التى لها والمنفعلة وبين ايضا هنالك ان القوى الفاعلة هى الحرارة والبرودة والمنفعلة هى الرطوبة واليبوسة وان الكون لهذه الاجسام المتشابهة الاجزاء انما هو باختلاط تلك الاسطقسات فهو الآن يريد ان يذكر اصناف افعال

هذه

هذه القوى الفاعلة فى هذه الاجسام المتشابهة واصناف القوى المنفعلة التى هى لها بمنزلة الفصول والصور ويخبر كيف نسبتها فى السكون الى القوى الفاعلة اعنى كيف ينسب الجمود مثلا او الذوبان للحر والبرد واى الاجسام هى التى يلقى واحد واحد منها واحدا واحدا من اصناف هذه القوى المنفعلة فابتدأ اولا بذكر ما تبين فى كتاب الكون الفساد من ان القوى التى بها الاسطقسات اسطقسات هى تلك القوى الاربع اعنى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وان سائر الاشياء الحادثة فى الامور الكائنة الفاسدة انما تنسب الى هذه القوى فقط وذلك اولا وبالذات ويستشهد على ان الحرارة والبرودة قوى فاعلة فى المركبات بما يظهر من فعلها فيها من الحصر والجمع والتفريق والتحديد والتشكيل وغير ذلك من افعالها ويستشهد ايضا على ان الرطوبة واليبوسة قوى منفعلة بما يظهر من قبولها لهذه الانفعالات عن الحر والبرد ويقول ان الحرارة يخصها ان تجمع الملائم وتحصره والبرودة يخصها ان تجمع غير الملائم وتحصره كما ان الرطوبة يخصها ايضا انها سهلة الانحصار من غيرها ومتأتية لقبول الانفعال من غير ان تتمسك بالصورة التى قبلتها او يكون لها انحصار من نفسها وتخص اليبوسة انها عسرة الانحصار من غيرها منحصرة من ذاتها متمسكة بالصورة التى فيها لكن اما وجود هذه الاجسام المركبة من جهة الرطوبة واليبوسة فبين وذلك

انه ظاهر من امرها انها انما تقبل الحد والتشكيل من جهة الرطوبة وتتمسك بـه من جهة اليبوسة واما كيف تنسب هذه القوى المنفعلة الى البسائط من جهة ماهى بسائط وما معنى عسر الانفعال فيها وسهولته حتى يطابق وجود ما اخذ فى حدها فى جميع الاجسام البسائط منها والمركبة فهو مما يحتاج الى تأمل فان النار يابسة وليست عسرة الانحصار من غيرها بل تراها كثيرا تتشكل بشكل الحاوى •

وبالجملة ليس يوجد للاسطقسات البسائط عسر قبول الانحصار والتشكل عن الحار والبارد من جهة اليبوسة ولا سهولة قبول من جهة الرطوبة اذ كان ليس شأنها ان تنحصر بعضها من بعض وهى بسائط ولا ان يكون لها شكل وقوام وانما يوجد لها مثل هذا الانفعال عن القوى الفاعلة فى المركبات من جهة ما تتركب وتختلط وتكون وتفسد •

فنقول ان معنى سهولة الانفعال فى الاجسام الرطبة منها انما هو تأتيها لقبول الزيادة فى الكمية والنقصان فان الماء والهواء يظهر من امرهما انهما تتكاثفان وتتخلخلان من قبل الحار والبارد وليس التخلخل والتكاثف شئ غير زيادة الكمية ونقصانها والتخلخل ابدا تتبعه الرقة والتكاثف يتبعه الغلظ ومعنى الرقة والغلظ هو سهولة انفصال الصورة عن المادة وعسرها وذلك ان

الاجسام الرقيقة سهلة الفساد والاجسام الغليظة ضد ذلك، اما تكاثف الهواء فاذا (١) قرب من طبيعة الماء كالحال فى ابخرة السحاب واما تكاثف الماء فانه اذا قرب من طبيعة الارض كالحال فى الثلج، واما تخلخلهما فبضد ذلك فتكون الارض على هذا لانها فى الغاية من الكثافة والغلظ لا يمكن فيها ان تقبل كمية اصغر ولان النار ايضا فى غاية التخلخل والرقة ليس تقبل كمية اعظم، فيشبه ان يقال ان هذا هو معنى عسر الانفعال فى هذه البسائط وسهولته الذى هو السبب فى سهولة قبول المركبات التشكل والحد وعسره على جهة ما تكون الفصول الموجودة فيها سببا لما يوجد منها فى المركبات على ما تبين فى كتاب الكون والفساد.

وقد جمح بنا القول عما كنا بسبيله فان هذا النظر فى امر الاسطقسات الاشبه به ان يكون فى ذلك الكتاب فلنرجع الى حيث كنا.

فنقول انه اذا وضعنا ان الكون انما يكون بفعل القوى الفاعلة وانفعال المنفعلة فمن البين انه انما يوجد الكون ويتم اذا غلبت القوى الفاعلة المنفعلة وساقتها الى الصورة وان الفساد بخلاف ذلك اعنى اذا غلبت القوى المنفعلة القوى الفاعلة الحافظة وذهبت صورة الكون وهذا ظاهر بالتصفح وذلك ان هذه القوى الفاعلة انما تسوق القوى المنفعلة الى ان تجعلها بحال يمكن فيها

(١) كذا ولعله فانه اذا كما فى ما بعد

ان تقبل الصورة التي هي مخالفة لها بالنوع او بالجنس فما دامت تلك الصورة حافظة لتلك القوى المنفعلة بالحال التي شأنها ان تتمسك بالصورة يعني المكون واذا ضعفت الصورة عن حفظ تلك الحال التي في الهيولى استعدت الهيولى الى قبول صورة اخرى ففسدت الصورة الاولى واستعداد الهيولى انما يكون ضرورة لتغير غير ملائم يعرض للصورة التي في الهيولى والصورة التي في الهيولى من جهة ماهي صورة مزاجية حاصلة عن القوى الفاعلة هي ضرورة حرارة او برودة او كلاهما لكن يلوح عن قرب انها حرارة اذ كان وجود المكون انما هو عن الحرارة فانه لا يمكن المزاج الا بها والمكون لا يكون الا بالمزاج والاختلاط على ما لاح قبل وان كان للبرودة مدخل في المكون فبوجه ما •

واذا كان ذلك كذلك فالصورة المغيرة للهيولى الى ان تقبل صورة اخرى وتخلع الاولى هي ضرورة حرارة لكن اما بالاضافة الى الجسم الفاسد فغريبة وعفونية واما بالاضافة الى المتكون عنها فطبيعية فقد تبين من هذا ان الحرارة قسمان طبيعية وغريبة وان المكون انما يكون بالحرارة الطبيعيه والفساد بالغريبة فاما سبب حدوث هذه الحرارة العفونية في الشيء فهو احد امرين اما احدهما وهو الذي بالذات فهو الحار الذي من خارج اذ كان غير ملائم للحرارة الغريزية وذلك بان يبردها ويحللها ولذلك ما ترى العفونه تكثر في

الصيف

الصيف واما الفاعل لها بالقصد الثانى فهو برد الحرارة الغريزية وجمودها فانها اذا ضعفت عن حصر الهيولى والاستيلاء عليها تعفنت الهيولى كما نرى ذلك يعرض فى اجسام الاموات والشيوخ •

وبالجملة فى الاشياء غير المتنفسة التى تبرد واكثر ما يعرض هذا للهيولى من قبل الرطوبة لسهولة انفصالها عما من خارج وضعفها عن ان تتمسك بالصورة ولهذا يقول ابقراط وسائر الاطباء ان سبب العفونة الحرارة والرطوبة وذلك لما لم ينفصل لهم ما بالذات مما بالعرض، واذ قد تبين ان الكون انما يكون بالحرارة الطبيعية والفساد بالغريبة وبالبرد وتبين كيف تولد الحرارة الغريبة فلننظر ما فعل كل واحدة من هذه الثلاثة اعنى الحرارة الطبيعية والغريبة والبرد •

فنقول ان الحرارة الطبيعية فعلها فى الاشياء المنفعلة التى شأنها ان تصير الى التمام هذا الطبخ اولاً ثم النضج ثم الهضم وذلك انه ظاهر ان الهضم هو التمام الكائن لفعل الحرارة الغريزية فى الهيولى الملائمة وهذا التمام هو الصورة والطبيعة وهذا كله ظاهر بالتصفح والاستقراء فى الاشياء الطبيعية والصناعية فانه من الظاهر فيما قيل ان الكون لا يكون الا بالاختلاط والمزاج وان الاختلاط والمزاج انما يكون بالطبخ والطبخ انما يكون بالحرارة الغريزية وان حصول الصورة المزاجية فى الهيولى هو كما فعل

الحرارة وهو المسمى هضما وان هذا لابد ان يتقدمه النضج وهذا كله ظاهر فى تكون الحيوان والنبات واغتذائهما ونموهما فان بالوجه الاول الذى به يكون نمو النامى واغتذاؤه به يكون كونه وليس بينهما فرق الا ان النمو والاغتذاء كون فى الجزء والآخر كون فى الصورة(١) والنوع وهو ايضا ظاهر ان الاشياء المنطبخة هى الاشياء المتزجة ذوات الرطوبة فان الاشياء البسيطة كالماء لا ينطبخ ولا الاشياء اليابسة كالارض وان الطبخ فى مثل هذه الاشياء يصيرها بحيث يكون لها قوام وثخن وجسد وذلك فيما شأنه منها ان يختلط ويتحد وينفى عنهما ليس شأنه ان ينهضم كما ترى ذلك يعرض فى الامراض حين تقبل النضج وهذا مطابق كله لما اخذ فى حد فعل الحرارة الطبيعية فقد تبين ما فعل الحرارة الطبيعية فى الاكوان وانها لاتتم الابها، واما الحرارة الغريبة ففعلها اولا وبالذات بالاشياء التى هى لها حرارة غريبة اذا استولت عليه الشيء او الاحراق وذلك ان من شأن هذه الحرارة الغريبة ان تطفىء الحرارة الغريزية وتحلل الرطوبات الحاملة لها فتشتوى تلك الاشياء او تحترق كما يعرض ذلك فى الحميات التى تسمى المحرقة وقد تفعل الحرارة الغريبة عند ما تكون ضعيفة النية والتخمة كما يعرض ذلك فى الحمى البلغمية العفونية وفى كثير من منتهيات الحميات المحرقة للحرارة لكن هذا الفعل لها بالعرض من اجل ضعف الحرارة الطبيعية واستيلاء البرد واما البرودة ففعلها اولا وبالذات وعما هى

(١) ن- الكل برودة

برودة فعدم افعال الحرارة الغريزية وهى النية والتخمة اما النية فتقابل النضج واما التخمة فتقابل الهضم وكذلك اذا افرط فعلها عاق الكون اوكان سببا للفساد كالحال فى الشيوخ وهذا كله ظاهر بنفسه و بين بالتأمل لكن البرودة وان كان فعلها بالذات واولا الفساد فهو ايضا انما يظهر انها معينة للحرارة الغريزة فى الكون بوجه ما وكان ذلك بالقصد الثانى وذلك انه ليس اى حرارة اتفقت تكون طبيعية لاى موجود اتفق بل حرارة حرارة تختص بموجود موجود والحرارة انما تختلف بالازيد والانقص والازيد والانقص انما يوجد لها بحسب ما يخالطها من البرودة اذ كانت هى المعدلة لها حتى تكون ملائمة للوجود الذى هى له حرارة غريزية وايضا فان البرودة تحفظ حرارة المكون لئلا يتفشش ويتبدد اذ كان من شأنها ذلك و يصيرها الى باطن المكون ولذلك ما تكون هضوم اهل البلاد الباردة احسن من هضوم اهل البلاد الحارة ويكون الهضم فى زمان الشتاء اقوى منه فى زمان الصيف •

ومن جهة اخرى فان الامور الصناعية لما كانت انما تتشبه بالامور الطبيعية وكان يظهر ان الامور الصناعية افاعيل لا يمكن ان تتم الا باستعمال هاتين القوتين وذلك ان القين مثلا اذا رام ان يصنع صورة الفاس مثلا او القدوم لم يمكنه ذلك حتى يحمى الحديد على النار فيرطب فيمكن فيه قبول الشكل لكن ما يحصل فيه من الرطوبة

عن فعل الحرارة مضاد لما يراد فيه من الصلابة للقطع فلذلك يغمسه فى الماء بعد تمام شكلـــه حتى يتصلب فالغرض المقصود فى مثل هــذه الآلات ليس يتم بالحرارة وحدها بل بالبرودة لـكن كما قلنا على جهة التعديل وكـذلك الحال فى استعمال الاطباء الماء البارد عند آخر جزء من الحمام وذلك انه لما كان قصدهم الاول ان يزيلوا فضل الهضم الاخير وما يلحج فى المسام منه مع الا يخلوا بالحرارة الغريزية لم يتم غرضهم الا باستعمال الامرين جميعا ومن ذا النحو التخمير فى صناعة الطبخ فانه الذى يكمل النضج ويميز اجزاء الشىء المطبوخ حتى يعلو الدهن مثلا وترسب المائية واذا كان كـذلك فى الامور الصناعية فمن البين ان الامور الطبيعية احرى بذلك وهذا هو السبب فى ان وجد فى بدن الحيوان حرارة مختلفـة كالحرارة الحسية مثلا والغاذية وهذا سنبينه على اتم وجـه عند النظر فى امر الحيوان ان قدر الله، فقد قلنا ما اصناف القوى الفاعلة وما افعالها فى المكونات وقد ينبغى ان نقول فى اصناف القوى المنفعلة •

فنقول ان الرطوبة واليبوسة كما تقدم من حدهما مبادىء الـكيفيات الانفعاليـة وذلك انه لا يمكن فى الشىء المختلط ان ينفعل الا من جهة الرطوبة ولا ان يتمسك بصورة ذلك الانفعال الا باليبوسة فان الرطوبة متى خالطت اليبوسة قبلت اليبوسة الحد والشكل واليبوسة متى خالطت الرطوبة كان لها قوام وتمسك بالشكل

والحد

والحدكما يظهر ذلك فى صناعة الخزف •

ومن هنا يظهر ان الماء والارض الغالبان على كيان الاجرام المتشابهة الاجزاء ولذلك انما توجدا بدا فى موضع هذين الاسطقسين لان الهواء وان كان رطبا فانه لا يختلط بالارض مخالطة الماء لها واذا كان هذا هكذا وتبين ان مبادئ القوى المنفعلة هى هاتان القوتان فقد ينبغى ان نشير الى تحديدها واعطاء اسبابها فى المركبات من هذه الجهة اعنى من جهة القوى الفاعلة •

فنقول ان الاجسام المتشابهة الاجزاء قد تختلف بالالوان والطعوم والروائح وبالجملة بالمحسوسات الخمس وقد تخالف ايضا بآثار وانفعالات تخصها كالجمود والذوبان وغير ذلك وهذه هى صورها التى تجرى منها مجرى الفصول وهذه الفصول المشهورة منها هى نحو من ثمانية عشر — منها الجامدة وغير الجامدة والذائبة وغير الذائبة واللينة وغير اللينة والمبتلة وغير المبتلة والمتقوسة وغير المتقوسة والمنكسرة وغير المنكسرة والمتفتتة وغير المتفتتة والممتزجة وغير الممتزجة والمنعجنة وغير المنعجنة والمنعصرة وغير المنعصرة والمتمددة وغير المتمددة والمنقطعة والتى لا تنقطع والمنجذبة والتى لا تنجذب والمترققة والتى لا تترقق واللزجة والتى لا تتلزج والمتلبدة والتى لاتتلبد والمنخرقة والتى لا تنخرق والمتبخرة والتى لاتتبخر •

ولنبدأ من القول فى الجمود والانحلال ولان الجمود يبوسة ما والانحلال رطوبة ما ٠

فقد ينبغى اولا ان نقول فيهما وهو ظاهر ان اليبوسة تعرض للاشياء التى شأنها ان تتيبس من الحر والبرد وكذلك يظهر ايضا ان الاشياء تترطب من كليهما وقد ينبغى ان ننظر فى هذا فنقول اما اليبوسة فحدوثها عن الحرارة بالذات واولا وذلك ان من شأن الحر ان يفنى الرطوبة المائية التى فى الممتزج حتى تغلب الارضية فيعرض اليبس له والسبب فى ذلك ان رطوبة الماء لما كانت مقترنة فى اصل كيانها بالبرد وكان الحر من شأنه ان يفسد البارد لزم ضرورة ان يفسد الرطوبة المائية ويحيلها ٠

واما فعل البرد اليبوسة ففيه موضع نظر وذلك ان فعله اولا وبالذات الترطيب والعلة ايضا فى ذلك ان الرطوبة المايئة لما كان من طبعها ان يقترن بها البرد لزم ضرورة متى غلبت صورة البرد على شىء فى طباعه قبول ان يترطب فان افرط ذلك استحال ماء لكن الحق فى هــذا انه ليس كل برودة تفعل ذلك بل البرودة التى فى هيولى رطبة وهى البرودة المائية واما البرودة التى فى هيولى يابسة وهى البرودة الارضيه ففعلها اولا وبالذات اليبس اذ كان الفاعل بما هو فاعل انما يصير المنفعل الى ان يجعله مثله بالنوع والصورة فقد تبين من هذا ان البرودة صنفان برودة مائية وبرودة ارضية

و تبين مع هذا ان البرودة الارضية من شأنها ان تجفف بالذات كما ان الحار النارى من شأنه ان يفعل ذلك و اما البرودة المحمولة فى هيولى رطبة فليس يمكن ان يوجد لها اليبس الا بالعرض وذلك انه يعرض للحرارة التى فى الجسم الذى تستولى عليه البرودة ان تغوص فى عمقه و تفعل فى رطوبته حتى يفسد و ينفش وقد حللت رطوبة ذلك الجسم فغلب عليه اليبس و بين ان مثل هذا الفعل الذى بالعرض تشترك فيه البرودتان اعنى المائية والارضية فقد تبين من هذا القول كيف نسبة اليبس الى هاتين القوتين الفاعلتين •

واما كيف ينسب الترطيب اليهما فمن هذه الجهة تظهر اما نسبته الى البرد فبالذات على ما قلنا و اما نسبته الى الحر من جهة ما هو ترطيب مائى فليس يمكن ذلك فيه بالذات و اما على طريق العرض فذلك ممكن كما قلنا فى البرد انه ييبس لكن لما كان معنى قولنا انه ييبس بالعرض اى عرض عنه اليبس عند ما كان سببا لوجود الحر فى باطن المركب وحصره اياه فيه حتى وجد اليبس كذلك نقول هاهنا ان الحر فاعل الترطيب بمعنى ان له تأثيرا فى وجود سبب الترطيب بالذات و ذلك ان من شأن الحر أن يحيل الاجزاء اليابسة الجامدة فى الشىء الى بخار رطب و ذلك اما كلها واما بعضها و يجمع مع هذا البرودة فى جوف ذلك المركب فتتحول تلك الاجزاء اما بسرعة فان لا فى ذلك الفعل الجسم المركب فى جميع اجزائه سال

وذاب وان لاقاه فى بعضها الان وترطب .

واذ قد تبين من هذا القول كيف نسبة الترطيب والتيبيس للحر والبرد فى الاجسام المركبة المتشابهة الاجزاء فينبغى ان نصير الى القول فى الجمود والانحلال وغير ذلك وهو بين ان بعض الاجسام يجمد من البرد كالحديد والنحاس وبعضها يجمد من الحر كالملح والخزف وان بعض ما يجمد بالحر قد يحلله البرد كالملح وبعض لا كالخزف وكذلك بعض ما يجمد بالبرد قد يحلله الحر كالحديد وبعضه لا ككثير من الحجارة المعدنية وبذلك يظهر أن من هذه الاجسام ما ليس يجمد عن واحد منهما لكن يخثر من احدهما إما من الحر فكالمنى واما من البرد فكالطين وبعض الاشياء يخثر من كليهما كالزيت فانه يخثر من الحر والبرد وبعض الاشياء يخثر من الحر ويجمد من البرد كالميفختج والخمر العتيقة وبعض الاشياء ليس يجمد من البرد حتى يخثر عن الحر كالدم وذلك ان الدم الرقيق غير النضيج كدم المرضى لا يجمد وبعض الاشياء ليس يجمد من واحد منهما كمائية اللبن واما المنحلة فان منها ما يذوب ويسيل كالقير وغير ذلك ومنها ما يلين فقط كالقرون وغير ذلك .

ونحن نقول فى سبب واحد واحد من هذه الفصول المتضادة وأى الاجسام هى التى تختص بواحد واحد منها — اما جمود ما يجمد من هذه الاجسام من الحر والبرد فظاهر مما تقدم من القول فى اليبوسة وذلك

ان

ان سبب الانعقاد والجمود هو ضرورة اليبس وقد قلنا كيف يعرض من كليهما اعني عن الحر والبرد وكذلك ايضا سبب الانحلال هو بين مما تقدم اذ كان الانحلال ترطيبا ما وقد قلنا فى ذلك واما اى الاجسام هى التى تجمد من الحر ان سمى هذا الانعقاد جمودا فهى الاجسام التى الارضية فيها اكثر من الرطوبة كالخزف والملح والبورق واما التى تجمد عن البرد فليس يلزم ضرورة ان تكون الارضية اغلب عليها ولذلك كان كثير من الاشياء الجامدة بالبرد تتحول بالحر فترجع ماء حتى يقال ان البارد من طبعه ان يجمد السائل وانما تكون الارضية فيها اغلب فيما ليس يذوب عن الحر بل يلين فقط او فيما ليس يلين فضلا عن ان يذوب مثل كثير من الحجارة المعدنية واذ قد تبين ما الاشياء الجامدة عن الحر والجامدة عن البرد فقد بقى علينا ان نقول لم كان بعض ما يجمده الحر يحلله البرد وبعض ما يجمده البرد يحلله الحر وبعض ذلك يلقى خلاف هذا •

فنقول اما ما يجمده الحر ومن شأن البرد أن يحلله او ما يجمده البرد ومن شان الحر أن يحلله فالأمر فى ذلك واضح وذلك ان من شأن الضد ابدا ان يفعل مقابل فعل ضده واما لم كان بعض هذا شأنه لا يمكن فيه ذلك فذلك من قبل الهيولى فقط فان ها هنا اشياء يجمدها البرد بعد أن غلظتها الحرارة فاذا عملت البرودة فيها وصيرت حرارتها فى عمقها حتى تتحلل وقد نشفت رطوبتها ولم يبق فيها الا الجزء الارضى

على ما قلنا فى احد اسباب تيبس البرد ولقيتها الحرارة بعد ذلك لم يمكن فيها ان ترطبها اذ لا يمكن ان تتولد فيها اجزاء هوائية مستعدة لان تنقلب ماء وكذلك ها هنا اشياء عقدتها الحرارة لا يمكن الماء ان يحللها لشدة يبسها وضيق مسامها وبالجملة عسر قبولها للترطيب كالخزف المطبوخ فانه لا ينحل عن الماء الا متى كان مقصر الطبخ فقد تبين من هذا القول ما سبب الجمود والانحلال وأى الاجسام هى الجامدة والمنحلة ولم كان بعض ما يجمده البرد يحلله الحر وبعض لا وبعض ما يجمده الحر يحلله البرد وبعض لا واما اسباب ما يخثر من هذه الاجسام فهى ايضا الحر والبرد لكن اما الحر فهو فاعلها بالذات فقط اذ كانت الخثورة ليست شيئا اكثر من مخالطة الاجزاء الارضية المائية او الهوائية للمائية وممازجتها لها فان الممازجة بالطبخ حتى يصير مجموع ذلك بحيث له قوام وغلظ لكن لا يبلغ الى حد الجمود لان المائية فيها اكثر منها فى الجامد مثال ما يخثر عن الحر لمخالطة الاجزاء الارضية للمائية اللبن المطبوخ، ومثال ما يخثر لمخالطة الاجزاء الهوائية للمائية عن الحرارة ايضا الزبد والمنى لكن اما ما يخثر عن مخالطة المائية للارضية فبين فان الخثورة غلظ ما والغلظ بما هو غلظ انما يفعله فى الممتزج الاجزاء الارضية وجفوف المائية، واما ما فيه موضع نظر فهى الخثورة التى تكون عن الماء والهواء فان الهواء لما كان ارق من الماء لم يمكن ان يتصور عن مخالطته للماء انه يحدث غلظا

حتى ظن بعضهم ان ذلك انما هو شيء يحدث فى الحس لا فى الحقيقة وهذا منهم غلط فانه يظهر ان للزبد قواما ما وجسدا وهو يوجد على حال ما متمسك بالشكل والذى يظهر فى ذلك اذا نحن لزمنا الاصول التى تقدمت ان هذه الاشياء وان كانت الهوائية والمائية هى الاغلب عليها فان القوام الذى يكون لها هو ضرورة عن ما يخالطها من الاجزاء الارضية وان كانت فيها يسيرة اذ كانت هى سبب الغلظ اولا وبالذات لكون الارضية اليسيرة اذا خالطت المائية الكثيرة فقط لم يحدث عنها غلظ ولا خثورة لان الحرارة تفش تلك المائية فتفنيها قبل ان تختلط تلك الاجزاء الارضية بها اختلاطا يمتزج به كليتها بكليتها حتى يكون لها قوام واما اذا خالطت المائية هوائية كثيرة وامتزجت امتزاجا لا يمكن الحرارة ان تفرق بينهما او يعسر تفريقهما وكان هنالك اجزاء ارضية قليلة فانه يحدث عن ذلك هذا النوع من الخثورة وذلك ان الحرارة الممازجة للارضية فيها بالمائية ليس يتفق ان تحلل المائية قبل اختلاط الارضية بكليتها لكون الهوائية ممازجة للمائية ومخالطة لها — فتمزج الحرارة تلك الارضية بكلية تلك المائية الهوائية وتطبخها حتى يصير لها قوام ما فعلى هذه الجهة ينبغى ان تفهم الخثورة عن الهواء والماء لا ان الهواء هيولاها بالذات بل على الوجه الذى قلنا وانما نسبوا الخثورة فى هذه الاشياء الى الهوائية والمائية اذ كانت هي الاغلب فيها والاعراض التي تعرض

فى هذه الاجسام المتشابهة الاجزاء انما تنسب ابدا الى اغلب الاسطقسات عليها فقد تبين كيف نسبة الخثورة للحر وما الاشياء الخاثرة .

واما كيف تكون الخثورة عن البرد فذلك على وجهين احدهما بالذات والآخر بالعرض اما الذى بالذات فان تستحيل الاجزاء الهوائية فى الشىء الخاثر الى مائية فيغلظ بسبب ذلك وهذا انما يتفق فى الاشياء الهوائية المائية الشديدة الاتحاد كالزيت واما سائر الاشياء الهوائية التى ليست فيها لزوجة ولا هى شديدة الاتحاد فانها يعرض لهنا من البرد خلاف ذلك اعنى ان البرد يحلل هنا ما خثره الحر كاللبن وذلك ان البرد اذا عرض له تحلل منه الحر فتتميز اجزاؤه فتذهب الهوائية وتبقى المائية ويتحول ايضا بعضها ماء .

واما فعل البرد الخثورة بالعرض فذلك يكون بان تحقن الحرارة الغريزية فى جوف الشىء كما ان الامراق تخثر عند التخمير فى اوجه القدور واما الاشياء التى تخثر من كليها فهى الاشياء الهوائية المائية الشديدة الاتحاد كالزيت فان البرد يخثره على الوجه الذى قلنا والحر يفعل ذلك ايضا به وذلك انه يزيد فى اختلاطه وامتزاج اجزائه حتى يغلظ بعض الغلظ واما لم كان بعض الاشياء يخثر من الحر ويجمد من البرد كالدم والصموغ فذلك بين لان الحرارة اذا

فعلت

فعلت فيها خثورة وغلظا ثم عرضت لها البرودة اذهبت باقى رطوبتها بانفشاش ما كان بقى هنالك من الحرارة ولهذه العلة كان دم المرضى لا يجمد لعدم الحرارة الغريزية فيه وكثرة الرطوبة واما الاشياء التى تخثر من الحر وتجمد من البرد من غير أن يتقدم جمودها خثور عن الحر فهى الاشياء المائية الارضية الا ان الارضية فيها لم تبلغ من الكثرة لحد يمكن فيها ان تجمد عن الحر وهى اذا لاقاها البرد جمدها لأن ما يجمده البرد يلزم كما قلنا ان تكون الارضية فيه كثيرة كما يلزم ذلك فى الذى يجمده الحر وهما كلاهما يجتمعان فى ان يحيلا اجزاء الشيء الجامد فى حال جموده الى ارضية ما لكن الارضية التى فى الجامد عن الحرارة ليست تكاد أن تكون بالقوة رطبة .

واما الأرضية التى يفعلها البرد فهى بالقوة القريبة رطبة كالحال فى الثلج الذى كاد ان يكون ماء بالفعل وبذلك يذوب عن ادنى حر يصيبه واما الاشياء التى لا تجمد من واحد منهما فهى الاشياء المائية القليلة الارضية والهوائية اما انها ليست تجمد عن الحر فبين وذلك ان الحر يفنى رطوبتها قبل ان ترى فيها خثورة عن الارضية .

واما العلة فى كونها لا تجمد عن البرد مع ان من شأن البرد أن يجمد الاشياء المائية فيشبه ان تكون العلة فى ذلك ان الحرارة التى

فيها الطبيعية لا تنسلخ بالبرد كالحال فى الخل ومائية اللبن او تكون قليلة الارضية جدا فيعسر تحولها الى اليبس فقد تبين من هذا القول ما الاشياء الجامدة وغير الجامدة والخاثرة وغير الخاثره والذائبة وغير الذائبة واللينة وغير اللينة وهى اعظم الفصول المتضادة التى توجد لهذه الاجسام وينبغى بعد ذلك ان نصير الى القول فى سائر الفصول التى عددنا •

فنقول اما المبتلة فهى التى تلقى الرطوبة فى باطنها من خارج وترطب وذلك لانفتاح مسامها وهذه اما ما كان منها مع هذا سهل الانفعال فهو ينحل كالطين واما ما لم يكن سهل الانفعال فليس ينحل كالصدف(١)، بعض الاشياء عند اول ما يبتل ينحل كالبورق، واما غير المبتلة فهى التى لا تلقى الرطوبة عن خارج فى باطنها وذلك اما لأن ليس لها مسام وان كان لها مسام فهى ضيقة او معوجة او كليهما (٢) واما الاشياء اللينة فهى التى تتطامن فى العمق وسطوحها لا بثة بحال لا تفترق كالحال فى الماء والصليب بضد ذلك وهذان الصنفان انما يتحدان بالاضافة الى المجسة، والمتعجنة من هذه هى التى مع انها تتطامن سطوحها فى العمق ليس ترجع الى ما كانت عليه، والمنعصرة هى التى تتطامن وتنغمز ثم ترجع بمنزلة الصوف واذا لم ترجع سميت متلبدة •

واما الاشياء المتمددة فهى التى اذا جذبت من احد جوانبها طالت ولم تنقطع وهى بالجملة الاشياء اللزجة او الاشياء التى فيها لزوجة ما

(١) ن ـ الصوف (٢)

واما

واما اللزوجة فهى التى قد اختلطت فيها الرطوبة بالارضية اختلاطا كثيرا يصعب به تفرقها ولذلك تكاد أن لا تنفصل فان الاتصال والاتحاد انما هو ضرورة من قبل الرطوبة والافتراق والانفصال من قبل اليبوسة والقحل بضد ذلك ـ واما المترققة وهى المنطرقة فهى التى تتحرك فى الثلاثة الاقطار عن ضربة واحدة بمنزلة الرصاص فانه اذا قرع قبل الزيادة فى الطول والعرض ونقص فى العمق، وغير المترققة هى بخلاف هذا ـ واما المتقوسة فهى التى يمكن فيها ان ترجع من الاستقامة الى الانحناء كالقضبان الخضر والقصب ـ واما المنكسرة فهى التى تنقسم الى اجزاء كبار، والمتفتتة بخلافها اعنى انها تنقسم الى اجزاء صغار، والسبب فى ذلك اختلاف وضع الشظايا التى تتركب منها هذه الاجسام ـ واما الاجسام المحترقة فهى التى لها منافذ تقبل النار ورطوبة ملائمة لها وتلك الرطوبة هى الهوائية لا المائية كالحال فى الصنوبر او تكون فيها اجزاء دخانية سريعة الالتهاب كالحال فى المرخ والعفار التى هى زناد العرب، وبعض هذه المحترقة تشتعل وذلك امالمكان الرطوبة الهوائية التى فيها واما لمكان الدخانية، وبعضها ليس يشتعل لغلبة الارضية عليها كالفحم والصخر المحمى والحديد •

واما المتبخرة فهى التى اذا فعلت فيها النار انحلت منها رطوبة ممازجة بدخانية وتلك الرطوبة ان كانت غالبة على الاجزاء الدخانية تسمى قتارا كالحال فيما يتبخر من الدهن والشحم وان كانت قليلة

سميت دخانا باسم جنسه كالحال فى الخشب المحترق فهذه هى الفصول التى تتميز بها المتشابهة الاجزاء ومنها ما يمكن الانسان ان يقف على هيولى كل واحد من الاجسام المتشابهة اعنى مقدار مافيها من الماء والارض واى منها هو الاغلب فى واحد واحد منها وعلى السبب الفاعل لواحد واحد منها وبخاصة من هذه الفصول العظمى التى توجد لها اعنى الجمود والانحلال وعدمهما وكذلك يمكن ان تقف من هذه الفصول على مقدارها فى الحر والبرد ولذلك ينبغى ما تبين من ذلك هاهنا اعنى من امزجتها بطريق هذه الفصول ان تضاف الى الاشياء التى قيلت فى استنباط امزجة الادوية المفردة بقياس حتى يكمل ذلك الجزء من الصناعة الطبية ولنعط نحن هاهنا كليات ذلك حتى اذا سرنا الى القول فى واحد واحد من الاجسام المتشابهة الاجزاء امكننا ان نعطى فيه جميع اسبابه اعنى الهيولى والفاعل والصورة وايضا فانه المبدأ الذى منه نقف على طبيعة جميع الاجسام المتشابهة •

فنقول ان ما يجمده الحر فالارضية غالبة عليه وبخاصة ما كان منها لا يمكن ان يحلله البرد واما ما يجمده البرد فان كان الحر خثره قبل ذلك وكان التخثر من اختلاط الارضية بالمائية فالارضية اغلب عليه كالصموغ وما اشبهها واما ان كان التخثر من اختلاط الهواء بالماء فالهوائية هى الغالبة كالشحم ولذلك يطفو فوق الماء •

واما

واما ما يجمده البرد دون ان يثخنه الحر قبل ذلك فالغالب عليه المائية، واما الاشياء الثخينة فسواء كان ثخنها من الحر او من البرد هى مختلطة من مائية وارضية الا ان الارضية اكثر فيما يثخنه الحر وهذا فيما كان ثخنه من الاجزاء الارضية والمائية واما ما كان ثخنه من الاجزاء الهوائية فالهوائية اغلب عليه وكذلك يظهر هذا المعنى بعينه من الانحلال وذلك ان الاشياء التى تحللها البرودة وتذوبها فاليبس غالب عليها كالملح والبورق والاشياء التى تذوبها الحرارة وتحللها فالرطوبة غالبة عليها هذا اذا لم تكن عويصة التحليل لكون الحرارة مثخنة لها قبل ان تعقدها البرودة مثل كثير من المعدنيات الذائبات، واما الاشياء التى تلينها الحرارة فقط دون ان تذيبها فاليبوسة غالبة عليها، واما التى لا تجمد من البرد ولا الحر فالمائية غالبة عليها وذلك ان السبب فى كونها لا تجمد عن الحر هو ان تلك الرطوبة تفنى قبل ان تغلظ فضلا عن ان تجمد لغلبة الارضية فيها لان ما يجمد ففيه بوجه ما اجزاء ارضية او يكون سبب ذلك ان حرارتها لا تفارقها لشدة امتزاجها بها فبهذه الاشياء يمكن ان يوقف على الغالب من الاسطقسين المنفعلين فى واحد واحد من هذه الاجسام وقد يمكن ان يوقف من هذه الاشياء بعينها على اى القوتين الفاعلتين اغلب على واحد واحد منها والاشياء تنسب الى الحر والبرد بوجهين احدهما الى ما يوجد لها من ذلك غريزيا والثانى

الى ما يوجد لها عرضيا اما الحرارة الغريزية فهى صورة الشيء وكذلك البرودة الغريزة بوجه ما واما الحرارة العرضية فكالعفونة وكالحرارة التى تعرض لبعض الاشياء من خارج حتى تصير سخنة بالفعل وعلى هذا الوجه ايضا توجد البرودة العرضيه واذا كان هذا هكذا فاذا ما جمده وعقده الحر الطبيعى فهو ضرورة حار وكذلك ما يثخنه الحر وبخاصة ما كانت الاجزاء الهوائية فيه اكثر وما يجمده البرد فلأن البرد انما يفعل فى الامور الممتزجة على القصد الثانى فلابد ان تكون الحرارة قبل ذلك ثخنتها واذا كان ذلك كذلك فهى ارضية باردة كالعظام والقرون هذا اذا كانت الثخانة فيها من خلط الاجزاء الارضية مع المائية اما ما كان ثخنه من خلط الاجزاء الهوائية والمائية فهى ضرورة حارة وان جمدها البرد كالحال فى الشحم والثرب وكل ما غلب عليه المائية فهو بارد مالم تعرض له حرارة غريبة وكذلك الارض وبهذا بعينه يمكن ان يوقف على السبب الفاعل لها وبين انه ليس صورهذه الاجسام شئ غير المزاج المتوسط فى واحد واحد منها الذى يلزم عنه عرض عرض من هذه الاعراض التى وصفناها ولذلك لسنا نحتاج الى ان ندخل هاهنا من الاسباب القصوى غير الاسطقسات والاجرام السماوية على ما تبين واما الاجسام الآلية فقد يحتاج منها الى ادخال مبدأ آخر فان الانسان كما يقول ارسطو يولده انسان والشمس

ولقرب

ولقرب هذه الاجسام المتشابهة الاجزاء من الهيولى كانت فصولها غير ظاهرة وانما تنسب ابدا الى ما يلزم عن الحار والبارد او الرطب واليابس كسائر الفصول التى عددنا •

واما الاجسام الآلية المركبة عن هذه فان الفصول فيها اظهر اذ كانت ليست صورها مزاجية ولا تنسب الى المزاج كاليد والرجل وسائر الاعضاء ولذلك متى فارقت هذه الاعضاء صورها التى هى بها آلية قيل عليها الاسم باشتراك كاليد المقولة على يد الميت ويد الحى فان كنا مزمعين ان تعرف جميع اصناف التركيب فينبغى ان نقول اولا فى ابسطها وهى الاجسام المتشابهة الاجزاء ثم نقول بعد ذلك فى المركبات التركيب الثانى ولان الاجسام المتشابهة الاجزاء صنفان صنف اعد لان لا يتركب عنه شىء آخر كالمعادن فهذه ينبغى ان يتكلم فيها على الافراد ويعطى جميع ما يتقوم به واحد واحد من الانواع المشاهدة منها وليس كما ظن بعض الناس ان ما قيل من ذلك فى هذه المقالة كاف كما انه ليس كافيا فى معرفة ما هو الدم واللحم وغير ذلك من الاعضاء المتشابهة الاجزاء التى توجد للحيوان وهذا هو الصنف الآخر من الاجسام المتشابهة الاجزاء وهو بالجملة معد لأن يكون جزء عضو آلى كاليد والرجل ولذلك متى وجدت هذه المتشابهة فى غير المركب او كان قد ذهبت عنها صورة المركب قيل عليها الاسم باشتراك مع الذى يوجد منها فى المركب

كاللحم المقول على لحم الميت والحى فان التركيب له كالصورة وهو كالهيولى وكما ان الهيولى ليس من شأنها ان تفارق الصورة كذلك الامر هاهنا، واذا كان هذا هكذا، فهذا الصنف من المتشابهة الاجزاء انما نتكلم فيه حيث نتكلم فى الآلى وذلك فى كتاب الحيوان، واما النبات فانه كالمتوسط بين هذين الصنفين لكنه اقرب ان يكون معدودا فى الصنف الثانى من التركيب اذ كان ايضا بجهة ما آليا ولذلك ينبغى ان يكون النظر فيه بعد المعادن وقبل الحيوان وهاهنا انقضى القول فى تجريد الاقاويل البرهانية من الكتب الاربعة من كتب ارسطو بحسب ما اشترطنا، والحمد لله على ذلك كثيرا •

وكان فراغنا بحمد الله من تلخيص هذه الكتب الاربعة يوم الاثنين السادس عشر من ربيع الاول الذى فى سنة اربع وخمسين وخمسمائة للهجرة والحمد لله على ذلك •

استدراك الخطأ والصواب من كتاب الآثار العلوية لابن رشد

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨	١٢	فلنضع الاشياء	فلنضع هذه الاشياء
١١	١	منه التهب المسرج	منه اللهيب المسرج
١٦	١٩	اختلاف وكذلك منظر	اختلاف منظر
١٩	٤	وذلك	اوذلك
٢٢	١٥	البخار الرطب	البخار الحار الرطب
٢٧	١	ما قيها	ما فيها
٣٢	١٨	البخـار	البحـار
٣٣	١٠	ما يكون مايكون فيها	مايكون فيها
٣٧	١٣	الفك	الفلك
٤٠	١٧	عنى	اعنى
٥٢	١٦	تقدم	تعدم
٥٥	١٩	اجسا ما	اجسام
٥٦	١١	ان يفرض	ان يفرعن
٦٤	٩	منه	عند
٦٥	٢	ضوء	ضوئه
»	١٥	اصغر	اصفر
٧٩	٦	الكون الفساد	الكون والفساد
٨٨	٤	ان تتيبس	ان تيبس
٩٦	١١	عن	من
»	١٤	الصليب	الصلب
٩٧	١١	المترفقه	المترققة
٩٩	١٨	القويتين	القوتين
١٠٠	١	منها	فيها

تمت الاغلاط الواقعة فى كتاب الآثار العلوية

كتاب النفس

للعلامة ابى الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد

القرطبي رحمه الله تعالى

المتوفى سنة (٥٩٥) هـ

الطبعة الاولى

بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بعاصمة الدولة الآصفية

حيدرا باد الدكن

لازالت شموس افادا تها بازغة وبدور

افاضا تها طالعة الى

آخر الزمن

سنة ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م

تعداد الطبع ٥٠٠ / ١٣٥٦ ف

بسم الله الرحمن الرحيم

الغرض هاهنا ان نثبت من اقاويل المفسرين فى علم النفس ما نرى انه اشد مطابقة لما تبين فى العلم الطبيعى واليق بغرض ارسطو وقبل ذلك فلنقدم مما تبين فى هذا العلم ما يجرى مجرى الاصل الموضوع لنفهم جوهر النفس •

فنقول انه قد تبين فى الاولى من السماع ان جميع الاجسام الكائنة الفاسدة مركبة من هيولى وصورة، وانه ليس ولا واحد منهما جسما وان كان بمجموعهما يوجد الجسم، وتبين هنالك ان الهيولى الاولى لهذه الاجسام ليست مصورة بالذات ولاموجودة بالفعل،وان الوجود الذى يخصها انما هولها من جهة انها قوية على قبول الصور، لاعلى ان القوة جوهرها بل على ان ذلك تابع لجوهرها وظل مصاحب لها، وان سائر مايقال عليه من الاجسام الموجودة بالفعل انها قوية على شيء ، فانما يقال فيها ذلك من جهة المادة اذكان ليس يمكن ان يوجد لها القوة من جهة ماهى موجودة بالفعل بالذات اولا ، فان الفعل والقوة متناقضان •

وتبين

وتبين ايضا هنالك ان هذه المادة الاولى ليس يمكن فيها ان تتعرى عن الصورة لأنها لو عريت منها لكان مالايوجد بالفعل موجودا بالفعل •

وتبين مع هذا فى السماء والعالم ان الأجسام التى توجد صورها فى المادة الاولى وجودا اولا ، ولايمكن ان تتعرى منها المادة هى الاجسام البسيطة الاربعة ـ النار ـ والهوا ـ والماء ـ والارض •

وتبين أيضا فى كتاب الكون والفساد من امرهذه البسائط انها اسطقسات سائر الاجسام المتشابهة الاجزاء ، وان تولدها عنها انما يكون على جهة الاختلاط والمزاج •

وان الفاعل الاقصى لهذا الاختلاط والمزاج على نظام ودور محدود هى الاجرام السماوية •

وتبين ايضا فى الرابعة من الآثار العلوية ان الاختلاط الحقيقى والمزاج فى جميع الاجسام المتشابهة الاجزاء التى توجد فى الماء والارض انما يكون بالطبخ ، والطبخ يكون بالحرارة الملائمة لذلك الشيء المنطبخ وهى الحرارة الغريزية التى تخص موجودا موجودا وان فضول هذه الاجسام المتشابهة الاجزاء انما تنسب الى المزاج فقط •

وان فاعلها الاقرب هو الحار المازج لها ، والاقصى الاجرام السماوية •

وبالجملة فتبين هناك ان فى الاسطقسات والاجرام السماوية كفاية فى وجود هذه الاجسام المتشابهة واعطاء مابه يتقوم، وذلك ان جميع فصولها منسوبة الى الكيفيات الاربع .

وتبين بهذا كله فى كتاب الحيوان ان انواع التركيبات ثلاثة (فاولها) التركيب الذى يكون من وجود الاجسام البسائط فى المادة الاولى التى هى غير مصورة بالذات (والثانى) التركيب الذى يكون عن هذه البسائط وهى الاجسام المتشابهة الاجزاء (والثالث) تركيب الاعضاء الآلية وهي اتم ما يكون وجودا فى الحيوان الكامل كالقلب والكبد .

وقد توجد على جهة المقايسة والتشبيه فى الحيوان الذى ليس بكامل وفى النبات ايضا كالاصول والاغصان .

وتبين ايضا فى هذا الكتاب ان المكون القريب لهذه الاجسام الآلية ليست حرارة اسطقسية، فان الحرارة الاسطقسية انما فعلها التصليب والتليين، وغير ذلك من الاشياء المنسوبة الى الاجسام المتشابهة، بل المكون لها هو قوة شبيهة بقوة المهنة والصناعة كما يقول ارسطو، وذلك ايضا مع حرارة ملائمة للتخليق والتصوير واعطاء الشكل، وان معطى هذه الصورة الحرارة وصورتها المزاجية التى بها تفعل فى الحيوان المتناسل والنبات المتناسل هو الشخص الذى هو من نوع ذلك المتولد عنه او مناسب له من جهة ما هو شخص

متنفس

متنفس بتوسط القوة والحرارة الموجودة فى البزر والمنى، واما فى الحيوان والنبات الذى ليس بتناسل فمعطيها هو الاجرام السماوية ،

وتبين ايضا مع ذلك انه كما ان هذه الحرارة ملائمة للتصوير والتخليق ليس فيها كفاية فى اعطاء الشكل والخلقة دون ان تكون هناك قوة مصورة من جنس النفس الغاذية كما لا يكون التغذى فى الجسم الا بقوة غاذية كذلك هذه القوة الغاذية والحسية المتكونة فى الحيوان عن مثلها لها فاعل اقصى مفارق وهو المسمى عقلا ، وان كان المكون القريب للاعضاء الآلية والنفس الحادثة فيها هى هذه القوة فان الاقرب هى القوة النفسية التى فى البزر فان هذه الاعضاء الآلية ليست توجد الامتنفسة وان وجدت غير متنفسة فالوجود لها بضرب من الاشتراك كما يقال اليد على يد الميت ويد الحى •

وتبين ايضا مع هذا هنالك ان الموضوع القريب لهذه النفوس فى الاجسام الآلية هو حرارة مناسبة للحرارة والمكونة اذ كان لافرق بينهما إلا ان هذه آلة الحافظة وتلك آلة المكون وهذه هى الحرارة المشاهدة بالحس فى الحيوان الكامل فى القلب اوما يناسبه فى الحيوان الذى ليس بكامل ، وقد توجد هذه الحرارة فى كثير من هذه الانواع كالشائعة فيه وذلك لقرب اعضائها من البسائط كالحال فى كثير من الحيوان والنبات والنبات احرى بذلك ، ولذلك متى فصلنا غصنا من اغصان النبات وغرسناه امكن ان يعيش •

وتبين ايضا هنالك ان قوى النفس واحدة بالموضوع القريب لها التى هى الحرارة الغريزية كثيرة بالقوة كالحال فى التفاحة فانها ذات قوى كثيرة باللون والطعم والرائحة، وهى مع ذلك واحدة، الا ان الفرق بينهما ان هذه اعراض فى التفاحة وتلك جواهر فى الحرارة الغريزية فهذه هى الامور التى اذا تحفظ بها قدرنا ان نصل الى معرفة جوهر النفس ومايلحقها على اتم الوجود (١) واسهلها، وهى امور وان لم يصرح بها ارسطو فى اول كتابه فهو ضرورة مصادرة عليها بالقوة على عادته فى الايجاز •

ومن هذه الامور بعينها يمكن ان نقف من امرها على ماهو اكثر ذلك متشوق من امرها، وهو هل يمكن فيها ان تفارق ام لا إلا انه ينبغى ان يكون عتيدا قبل هذا الفحص على اى جهة يمكن ان توجد صورة مفارقة فى الهيولى ان وجدت، وفى اى المواضع والسبل يمكن ان يوقف على ذلك ان كان •

فنقول ان المفارقة انما تكون ان توجد فى اشياء منسوبة الى الامور الهيولانية بان تكون نسبتها اليها لا نسبة الصورة الى المادة بل تكون لاتصالها بالهيولى اتصالا ليس فى جوهرها كما يقال فى العقل الفعال انه فى المنى والبزر، ويقال ان المحرك الاول فى المحيط فان نسبة الصورة الى الهيولى هى نسبة لايمكن فيها اصلا ان تتصور المفارقة فيها من جهة ما فى صورة هيولانية فان هذا الوضع يناقض

(١) كذا والظاهر الوجوه •

نفسه

نفسه لأن احد ما يضع صاحب هذا العلم على انه بين بنفسه هو ان هذه الصورة الطبيعية بين من امرها انها تتقوم بالهيولى ولذلك كانت حادثة وتابعة فى حدوثها للتغير وطبيعته ، •

وايضا فمتى انزلنا خلاف هذا اعنى انها ازلية سواء فرضناها منتقلة من موضع الى موضع اولا من موضع الى موضع (١) وهذا هو احفظ لهذا الوضع لأنها اذا كانت ازلية فما بالها لاتوجد الافى موضوع ، فانه يلزم عن ذلك محالات كثيرة •

منها ان يكون الموجود يتكون عن موجود بالفعل ، لأن المادة اذا كانت غير حادثة والصورة ايضا غير حادثة فليس هاهنا كون اصلا ولايكون هنالك غناء للمحرك والسكون بل لايكون هنالك فاعل اصلا •

وايضا ان انزلنا الصورة موجودة قبل وجودها فى الهيولى المشار اليها فلايخلو ان يكون وجودها تغيرا او تابعا لتغيرا ولايكون هنالك للصورة مغائرة اصلا، لكن متى انزلنا الصورة ليس لها تغير اصلا ولا وجودها فى الهيولى المشار اليها تابع لتغير وكذلك فسادها لزم ان يكون الشيء الواحد بعينه قبل التكون كحاله بعد التكون وقبل الفساد كحاله بعد الفساد ، حتى تكون الاضداد موجودة معافى موضوع واحد ، كأنك قلت صورة الماء وصورة النار، وهذا كله خلاف المعقول ، •

---

(١) ن ـ د ـ من موضوع الى موضوع ـ فى الموضعين .

وان انزلنا ايضا حدوثها تغيرا أعنى انها تتغير عند الحدوث من لاهيولى الى هيولى اومن هيولى الى هيولى كما يقول اصحاب التناسخ ازم ضرورة ان تكون الصورة جسما ومنقسمة حسب ماتبين من ان كل متغير منقسم، .

واذا كان هذا هكذا فلم يبق ان يكون حدوثها فى الهيولى الاعلى ان وجودها تابع لتغير على مايظهر من امر الصور الكائنة فان احد مايتم به، وتكون صورة الهواء فى هيولى الماء انما هو لوجود الاستحالة المتقدمة فى الماء بحدوث صورة الهواء، لكن هذه الصورة من أجل وجودها فى متغير لا من جهة أنها متغيرة بذاتها فكانت ليست بجسم ولا تنقسم، ولذلك ماقيل انه ليس حركة فى الجوهر، وهذا كله قد يظهر فى إلسماع الطبيعى .

وايضا لوانزلنا هذه الصورة غير هيولانية لم يكن حدوثها فى الشئ يوجب مزيد استعداد لقبول صورة اخرى، ولا كانت بعضها كمالات لبعض، وبعضها موضوعات لبعض على جهة ما نقول ان الغاذية موضوعة للحساسة والحساسة كمال لها فان الصورة بماهى صورة ليس فيها من الاستعداد والقوة اذ كان وجودها الذى يخصها انما هو لهامن جهة الفعل والفعل والقوة متناقضتان، وانما امكن ان توجد فيها القوة بضرب من العرض، وذلك لكونها هيولانية، وهذه كلها استظهارات تستعمل مع من ينكر وجود هذا الاعلى انها براهين

تبين بها مجهول بمعلوم •

ومن شأن هذا النوع من الاقوال ان يستعمل فى علم ما بعد الطبيعة، اذ كانت تلك الصناعة هى الصناعة التى تتكفل نصرة ما تضعه الصنائع الجزئية مبادئ وموضوعات واذا كان موضوعا لصاحب هذا العلم ان اكثر الصور هيولانية وان ذلك بين من امرها، فالذى يفحص عنه صاحب هذا العلم اما هو الصورة المشكوك فى امرها هل هى متقومة بالهيولى ام ليست متقومة، والسبيل التى منها يمكن ان تكتسب المقدمات الخاصة المناسبة بهذا النظر فى هذا العلم فهى ان تحصى جميع المحمولات التى تلحق الصور الهيولانية بما هى هيولانية اذ كان وجودها فى الهيولى ليس بنحو واحد على ماظهر فيما تقدم، وسيظهر فى هذا الكتاب •

ثم يتأمل جميعها مثلا فى النفس الناطقة اذ كانت التى يظن بها من بين قوى النفس انها تفارق فان الفيناها متصفة بواحد منها تبين انها غير مفارقة وكذلك تتصفح المحمولات الذاتية التى تخص الصور بما هى صور لا بما هى صور هيولانية، فان التى لها محمول خاص تبين انها مفارقة كما يقول ارسطو انه ان وجد للنفس او لجزء من اجزائها فعل ما يخصها لمكن ان تفارق، فهذه هى الجهة التى يمكن ان ننظر منها فى ذلك، فليكن هذا عندنا عتيدا حتى نصل الى الموضع الذى يمكن فيه ان نفحص من هذا المطلوب، فان هذا

الفحص انما يترتب فى جزء جزء من اجزاء النفس بعد المعرفة بجوهره، اذ كان علم ذات الشئ متقدما على لواحقه، فلنبدأ من حيث بدأ .

فنقول انه يظهر من قرب عما وضع فى القول المتقدم ان النفس صورة لجسم طبيعى آلى، وذلك انه اذا كان كل جسم مركب من مادة وصورة، وكان الذى بهذه الصفة فى الحيوان هو النفس والبدن، وكان ظاهرا من امر النفس انها ليست مادة للجسم الطبيعى فبين انها صورة ولا الصورة الطبيعية هى كمالات اول للاجسام التى هى صورها، فبالواجب ماقيل فى حد النفس انها استكمال اول لجسم طبيعى آلى، وانما قيل اول تحفظا من الاستكمالات الاخيرة التى هى فى الافعال والانفعالات، فان مثل هذه استكمالات تابعة للاستكمالات الاول، اذ كانت صادرة عنها إلا ان هذا الحد لما كان مما يظهر انه يقال بتشكيك على جميع قوى النفس، وذلك ان قولنا فى الغاذية (١) انها استكمال غير معنى قولنا ذلك فى الحساسة والمتخيلة، واحرى ماقيل ذلك باشتراك على القوة الناطقة وكذلك سائر اجزاء الحد لم تكن كفاية فى تعرف جوهر كل جزء من اجزاءها من هذا الحد على التمام حتى نعرف ماهذا الاستكمال الموجود فى النفس الغاذية وفى واحدة واحدة منها وهذه النفس يظهر بالحس من افعالها ان اجناسها خمسة اولها فى التقديم بالزمان وهو التقدم الهيولانى والنفس النباتية

حد النفس

(١) ن فى صف ـ المادة وهى كما تراها .

ثم الحساسة ، ثم المتخيلة ، ثم الناطقة ، ثم النزوعية ، وهى كاللاحق لهاتين القوتين ، أعنى المتخيلة والحساسة ، وان الحساسة خمس قوى قوة البصر ، وقوة السمع ، وقوة الشم ، وقوة الذوق ، وقوة اللمس ، وسنبين بآخره ان عددها هذا العدد ضرورة ، وانه لا يمكن ان توجد قوة اخرى من قوى الحس غير هذه وليس هـذه القوى يوجد لها التباين من جهة افعالها فقط ، بل ولأن بعضها قد يفارق بعضا بالموضوع ، وذلك ان النباتية قد توجد فى النبات دون الحساسة ، والحساسة من دون المتخيلة فى كثير من الحيوان كالذباب وغيره ، وان كان ليس يوجد الامر فيها بالعكس اعنى ان توجد الحساسة من دون الغاذية اوالمتخيلة من دون الحساسة ٠

والعلة فى ذلك ان ما كان منها يجرى مجرى الهيولى لبعض لم يكن فى ذلك البعض ان يفارق هيولاه وامكن فى تلك القوة التى تتنزل من تلك الاخيرة منزلة الهيولى ان تفارق لكن لامن جهة ماهى هيولى لشئ بل من جهة ماهى كمال وتمام للشئ الذى هى له تمام ، ولذلك لم يمكن فى الهيولى الاولى ان تفارق اذ كان ليس فيها صورة بالفعل تكون لها مستعدة لقبول صورة اخرى ، وامكن ذلك فى المركب الذى هومن جهة هيولى ومن جهة صورة ٠

ونحن انما نبتدأ من هذه القوى باشدها تقدما فى الزمان كما فعل ارسطو ، وهوالتقدم الهيولانى والقوة التى هـذه صفتها هى

النفس الغاذية فلنبدأ من القول فيها •

القول فى القوة الغاذية

والقوة تقال بضرب من التشكيك على الملكات والصور حين ليس تفعل كما يقال فى النار انها محرقة بالقوة اذا لم تحضرها المادة الملائمة للاحراق وعلى القوى المنفعلة كما يقال فى الخبز انه دم بالقوة، وفى الدم انه لحم بالقوة، وذلك اذا لم يحضر المحرك، وظاهر ان هذه القوة الغاذية من جنس القوى الفاعلة وذلك ان الغذاء لما كان صنفين أحدهما الذى بالفعل وذلك اذا استحال الى جوهر المغتذى (١) والثانى الذى بالقوة، وذلك قبل ان يستحيل الى جوهر المغتذى، والذى بالقوة كما قيل فى غير ما موضع انما يصير الى الاستكمال من قبل المحرك الذى بالفعل إلا ان القوة ايضا لما كانت صنفين قريبة وبعيدة والقوة البعيدة فى الغذاء المحرك لها ضرورة غير النفس الغاذية كالقوة التى فى الاسطقسات ان يكون لحما، واما القوة القريبة مثل ما نقول فى الخبز انه غذاء بالقوة فالمحرك لها هى النفس الغاذية ولذلك هى ضرورة قوة فاعلة •

وقد قيل كيف يكون الفعل والانفعال على العموم فى هذه الحركة، وفى غيرها من الحركات فى الاولى من الكون والفساد، وقيل هناك ان المنفعل يلزم ان يكون من جهة شبيها ومن جهة ضدا فاما ان الانفعال الموجود فى الغذاء هو فى الجوهر فذلك بين بنفسه

(١) ن د ــ المتغذى.

واما ان هذه القوة الغاذية نفس فذلك بين من انها صورة لجسم آلى وهى بالجملة انما تفعل بما هو جزء عضو آلى بالقوة جزء عضو آلى بالفعل وبين ان مثل هذا التحريك والفعل ليس منسوبا الى النار، فاما الآلة التى بها تفعل هذه القوة الاغتذاء فهى الحرارة ضرورة، وليس اى حرارة اتفقت بل حرارة ملائمة لهذا الفعل، وهى المسماة الحرارة الغريزية، وذلك ان هذه النفس انما تفعل كما يظهر من امرها جزء عضو عضو من اعضاء المتغذى والاعضاء مركبة من الاسطقسات والمركب من الاسطقسات انما يصير واحدا على ما تبين بالمزاج والمزاج انما يكون بالحرارة كما قيل فى الآثار العلوية، فاذن الحرارة هى الآلة الملائمة لهذا الفعل، وليس هذه الحرارة هى النفس كما ظن جالينوس وغيره فان فعل الحرارة ليس بمرتب ولا محدود ولا تفعل نحو غاية مقصودة كما يظهر ذلك من افعال النفس ولا يصح ان ينسب (١) الترتيب الى الحرارة الا بالعرض على ما كان يرى كثير من القدماء •

وهذه الحرارة هى الموضوع القريب الاول لهذه النفس التى تتنزل منها منزلة الهيولى، وذلك شىء بالواجب عرض لكل محرك ليس بجسم وهو فى جسم اذا حرك جسما آخر اعنى انه انما يكون تحريكه له من جهة ما هو موجود فى جسم هو صورة فيه والا لم يمكن فيه ان يحرك الجسم الآخر كالحال فى النفس الغاذية، والغذاء

(١) صف نسب —

فى النفس المحركة لجسم الحيوان فى المكان على ماسيظهر بعد .

فاما السبب الغائى الذى من اجلـــه وجدت هذه القوة فى الحيوان وفى النبات فهو الحفظ وذلك ان اجساد المتنفسات لطيفـة متخلخلة سريعة التحلل فلولم تكن فيها قوة شأنهـا ان يخلف بدل ماتحلل منها امكن فى المتنفس ان يبقى زمانا له طول ما، واذا كان هذا كله من أمر هذه القوة كما وصفنا فاذن هذه القوة هى التى من شأنها ان تصير بالحار الغريزى مما هو جزء عضو بالقوة جزء عضو بالفعل لتحفظ بذلك على المتنفس بقاءه ولذلك كان اخلال فعل هذه القوة موتا .

وهاهنـا قوة اخرى منسوبـــة الى النبات هى كالـكمـال والصورة للقوة الغاذية اذ كانت لايمكن ان توجد خلوا من الغاذية ويمكن ان توجد الغاذية خلوا منها وهى القوة النامية ، وهذه القوة هى القوة التى من شأنها عندما تولد الغاذية من الغذاء اكثر مما تحلل من الجسم ان تنمى الاعضاء فى جميـــع اجزائها واقطارها على نسبة واحدة وهو بين ان هذه القوة مغايرة بالماهية للغاذية فان فعل التنمية غير فعل الحفظ فان هذه القوة قوة فاعلة ، فبين مما رسمناها به كذلك ايضا كونها نفسا .

واما السبب الغائى الذى من اجله وجدت هذه القوة فـانه لما كانت الاجسام الطبيعية لها اعظام محدودة وكان لايمكن فى الاجسام

المتنفسة

المتنفسة ان توجدلها من اول الامر العظم الذى يخصها احتيج الى هذه القوة ، ولذلك اذا مابلغ الموجود العظم الذى له بالطبع كفت هذه القوة .

وبين مما قيل ايضا فى النفس الغاذية ان آلة هذه القوة هى الحرارة الغريزية، فاما كيف تكون هذه الحركة وبماذا تكون فقد لخص القول فى ذلك فى كتاب الكون والفساد ، وليس هذا الفعل فقط ينسب لهذه النفس اعنى النمو بل وضده وهو الاضمحلال فان هذه الحركة ايضا محدودة مرتبة وذلك انها اذا عرضت تعرض فى كل نقطة وجزء محسوس من اجزاء المضمحل على السواء وليس مثل هذا الاضمحلال ما يمكن ان ينسب الى ما من خارج فقط .

ولما كانت ايضا هذه الاجسام المتنفسة منها متناسلة ، ومنها غير مناسلة ، وكانت المتناسلة هى التى يمكن فيها ان توجد مثلها بالنوع اوشبيها بها وذلك بما يوجد عنها من البزور والمنى فاذن هاهنا قوة اخرى تفعل من الغذاء ما شأنه ان يتكون عنه مثل الشخص الذى توجد له هذه القوة .

وبين من هذا ان هذه القوة فاعلة وانها نفس ، وان آلتها هى الحرارة الغريزية اذ كان لا فرق بين هذه القوة والقوة الغاذية الا ان هذه القوة شأنها ان تفعل مما هو بالقوة شخص من نوعه شخصا بالفعل ، والغاذية انما تفعل جزء شخص ، وانما جعلت هذه القوة فى

الاشياء التى هى موجودة فيها لا على جهة الضرورة كالحال فى القوة الغاذية والنامية بل على جهة الافضل لتكون لهذه الموجودات حظ من البقاء الازلى بحسب ما يمكن فى طباعها فان اقرب شىء الى الوجود الضرورى بالشخص هو هذا الوجود، وكانت هذه الموجودات اعطيت من اول الامر وجودها وقوة تحفظ بها وجودها

واما غير المتناسلة فلم تعط الا وجودها فقط لانه لم يمكن فيها اكثر من ذلك .

فهاهنا اذن ثلاث قوى، اولها الغاذية هى كالهيولى لهاتين القوتين اعنى النامية، والمولدة (١) اذ كان قد توجد الغاذية دونهما وليس توجد ان دون الغاذية اما المولدة فكانها تمام القوة النامية ولذلك ما تصرف الطباع الفضلة من الغذاء الذى كان بها النمو عند كمال النمو الى التوليد فتكون منها البزور والمنى، وهذه القوة اعنى قوة التوليد قد يمكن ايضا ان تفارق الغاذية وذلك فى آخر العمر واما مفارقة الغاذية فهو موت، فقد تبين من هذا القول ما النفس الغاذية والمنمية والمولدة وأى آلة آلتها ولم كان كل واحد منها فى الجسم المتنفس فلننقل فى القوة التى تتلو هذه فى الحيوان وهى قوة الحس .

القول فى القوة الحساسة

وهذه القوة بين من امرها انها قوة منفعلة اذ كانت توجد

---

(١) قال المصنف ان هاهنا ثلاث قوى اولها الغاذية ــ لكنه لم يعدد الثانية والثالثة فهاتان القوتان هما الثانية والثالثة .

مرة بالقوة ومرة بالفعل، وهذه القوة منها قريبة ومنها بعيدة والبعيدة كالقوة التى فى الجنين على ان يحس، والقريبة كقوة النائم والمغمض عينه على ان يحس، وبين مما تقدم ان ما بالقوه من جهة ما هو بالقوة منسوب الى الهيولى، وان خروج القوة الى الفعل تغيرا وتابع لتغير، وان كل متغير فله مغير ومحرك يعطى المتحرك شبيه ما فى جوهره •

واذا كان ذلك كذلك فينبغى (١) ان نتعرف من امر هذه القوة اى وجود وجودها وما المحرك لها وعلى اى جهة تقبل التحريك •

فنقول اما القوة البعيدة وهى التى تكون فى الجنين فقد تبين اى وجود وجودها فى كتاب الحيوان، والمحرك لها هو ضرورة غير المحرك للقوة القريبة اذ كان بهذا تكون القوتان اثنين وقد تبين وجود هذا المحرك فى كتاب الحيوان •

واما المحرك للقوة القريبة فبين من امره انه المحسوسات بالفعل، والذى ينبغى هاهنا ان نطلب اى وجود وجود هذه القوة وعلى اى جهة تقبل التحريك عن المحسوسات •

فنقول انه من البين مما تقدم ان القوة تقال على ثلاثة اضرب اولاها بالتقديم والتحقيق القوة المنسوبة الى الهيولى الاولى، اذ كانت الهيولى الاولى انما الوجود لها من جهة ما هى قوة محضة ولذلك لم يمكن فى مثل هذه القوة ان تفارق بالجنس الصورة التى هى قوية

---

(١) د ــ فقد ينبغى

اولا عليها بل متى تعرت عن الصورة التى فيها تلبست بصورةاخرى من جنسها كالحال فى الماء والنار •

وبالجملة فى الاجسام البسائط،ثم من بعد هذه القوة الموجودة فى صور هذه الاجسام البسيطة على صور الاجسام المتشابهة الاجزاء وهذه القوة هى متأخرة عن تلك اذ كان يمكن فيها ان تفارق صورة الشىء الذى هى قوية عليه بالجنس وهى ايضا حين تقبل الكمال والفعل ليس تخلع صورتها كل الخلع كالحال فى القوة الموجودة فى الاجسام البسيطة،ولذلك لسنا نقول ان صور الاسطقسات موجودة بالقوة فى الجسم المتشابه الاجزاء على جهة مانقول ان الماء بالقوة هواء اونار بل بنحو متوسط على ماتبين فى كتاب الكون والفساد،فكأن هذه القوة الثانية شأنها فعل ما اذ كان السبب فى وجودها القوة الاولى مقترنة بالصورة البسيطة لا القوة وحدها •

ثم تتلو هذه فى المرتبة القوة الموجودة فى بعض الاجسام المتشابهة الاجزاء كالقوة التى فى الحرارة الغريزية مثلا اوما يناسبها الموضوعة فى النبات والحيوان للنفس الغاذية •

وتفارق هذه القوة القوة التى فى صور الاسطقسات على الاجسام المتشابهة الاجزاء ان هذه اذا قبلت ما بالفعل لم يتغير الموضوع لها ضربا من التغير لا قليلا ولا كثيرا ولذلك كان فساد هذه ليس الى الضد بل الى العدم فقط فكأن هذه القوة قد شابهت

الفعل

الفعل اكثر من تلك، ولذلك ماقيل ان معطى الصورة المزاجية التى بها شأن موضوعها ان تقبل هذا الكمال احدامرين ، إما نفس فى المتناسل من ذوات النفوس ، واما حرارة الكواكب فى غير المتناسل لكن هذه القوة اذا وجدت على كمالها فى النبات فليس يوجد فيها استعداد لقبول صورة اخرى •

واما اذا وجدت فى الحيوان فانه يلفى فيها استعداد لقبول صورة اخرى وهى الصورة المحسوسة،وانما عرض لها ذلك من جهة اختلاف استعداد موضوعها فى النبات والحيوان الا من جهة ماهى قوة غاذية وهذا الاستعداد الذى يوجد فى القوة الغاذية لقبول المحسوسات الذى هو الكمال الاول للحس ليس الموضوع القريب له شيئا غير النفس الغاذية وهذه القوة وهذا الاستعداد كأنه شئ مابالفعل الاانه ليس على كماله الاخير فان الحيوان النائم قد يرى انه ذونفس حساسة بالفعل •

ولذلك ما يشبه ارسطو هذه القوة بالقوة التى فى العالم حين لايستعمل علمه لكن ليست هى بالقوة من جهة ماهى بالفعل فانماهى بالقوة شيئا ما ليس هو شيئا ما بالفعل مماهوقوى عليه بل ان كان شيئا ما بالفعل فلامن جهة ماهوقوى اذ كان الفعل والقوة متنا قضتين لكن لما كانت القوة لاتعرى من الفعل لزم ان توجد امافعل ماغير تام ، واما ان توجد مقترنة بصورة اخرى مغايرة للصورة التى هى

قوية عليها من غير ان تكون هى فى نفسها شيئا ، واذا كانت القوة ذات صور فاما ان تكون الصورة التى فى الموضوع مضادة للصورة الواردة فتفسد صورة الموضوع عند ورودها اما فسادا تاما كالحال فى صور البسائط ، واما فسادا ما غير محض كالحال فى صور البسائط عند حلول صور المتشابهة الاجزاء فيها •

واما ان لا تكون بينهما مضادة اصلا ولا مغايرة بل مناسبة تامة فيبقى الموضوع عند الاستكمال على حاله قبل الاستكمال بل لا يمكن وجود الاستكمال إلا ان يبقى الموضوع على حاله قبل الاستكمال كالحال فى القوة التى فى المتعلم على التعلم وهذه القوة التى هى فعل غير تام ليس يحتاج فى وجودها الى صورة هى موجودة الا بالعرض كالحال فى النفس الغاذية مع الحسية التى هى الكمال الاول •

وبين من هذا ان هذه القوة اعنى الكمال الاول للحس مباينة بالرتبة لتلك القوى التى تقدمت اذ كان الموضوع لها نفس ما ، ولذلك ما كان قبول هذه القوة كما لها الاخير عن المحرك لها ليس من جنس قبول القوى الهيولانية التى عددنا كما لاتها عن المحركين لها فان المحرك هنالك انما يعطى الهيولى صورة شبيهة بالصورة الموجودة فيه وعلى الحال التى توجد فيه ، ومثال ذلك ان النار اذا كونت نارا اخرى وصيرتها بالفعل فانما يعطى ذلك الموضوع صورة شبيهة بصورتها ويكون حال وجودها فى الهيولى هى هى بعينها حال وجود

الصورة

الصورة الفاعلة فى هيولاها ٠

واما قوة الحس فليس الامر فيها كذلك فانه ليس وجود اللون مثلا فى هذه القوة هو بعينه وجوده خارج النفس فان وجوده فى هيولاه خارج النفس وجود هو به منقسم بانقسام الهيولى ٠

واما وجوده فى القوة الحساسة فليس بمنقسم اصلا بانقسام هيولاه ولذلك امكن ان يستكمل بالجسم الكبير جدا والصغير على حالة واحدة وبموضوع واحد حتى يكون مثلا الرطوبة الجليدية على صغرها تقبل نصف كرة الفلك وتؤديه الى هذه القوة كما تقبل صورة الجسم الصغير جدا ولو كان هذا الاستكمال منقسما بانقسام الهيولى لم يكن ذلك فيه ٠

وايضا فانا نجد هذه الصورة تستكمل بالمتضادين معا فى موضوع واحد فنحكم عليهما كالقوة المبصرة التى تدرك السواد والبياض معا ولذلك يصير للمحسوسات بهذه القوة وجود اشرف مما كان لها فى هيولاها خارج النفس فان معنى هذا الاستكمال ليس شيئا غير وجود معنى المحسوسات مجردا من هيولاه لكن بوجه ماله نسبة شخصية الى هيولى بها صار معنى شخصيا والا كان عقلا على ماسنبين بعد عند القول فى القوة الناطقة وهذا اول مرتبة من مراتب تجرد الصور الهيولانية فيه فهذه القوة اذن هى القوة التى من شأنها ان يستكمل بمعانى الامور المحسوسة اعنى القوة الحسية من جهة ماهى

معان شخصية •

وبين مما قلنا ان مثل هذه الصورة الحسية كائنة فاسدة اذ كانت توجد بالقوة تارة وبالفعل تارة وما بالقوة من جهة ماهو بالقوة فهو حادث ضرورة اذ كانت القوة هي اخص اسباب الحدوث، وايضا لو كانت ازلية لكان مثلا هذا اللون موجودا قبل وجوده فتكون الاعراض مفارقة ولم يكن للمحسوسات غناء فى الادراك حتى كان يكون الاحساس فى غيبتها وحضورها بحال واحـــدة وهذا كله شنيع، وايضا فهى بوجه ماتستعمل آلة جسمانية اذ كان الموضوع الاول لها اعنى النفس الغاذية صورة فى مادة ولذلك يلحقها الكلال ولاتتم فعلها الا باعضاء محدودة، فان الابصار انما يكون بالعين والسمع بالاذن •

واذ قلنا ماهى النفس الحساسة باطلاق فقد ينبغى بعد هذا ان نصير الى القول فى واحدة واحدة من قواها، فنقول ان اقدم هذه القوى وجودا بالزمان هى قوة اللمس ولذلك قد توجد هذه القوة معراة عن سائر الحواس كما يوجد ذلك فى الاسفنج البحرى وغير ذلك مما هو متوسط الوجود بين النبات والحيوان ولا توجد سائر القوى معراة منها وانما كان ذلك كذلك لأن هذه القوة اكثر ضرورية فى جود الحيوان من سائر قوى الحس اذ لولاهى لكانت ستفسده الاشياء التى من خارج وبخاصة عند النقلة •

ثم

ثم من بعد هذه القوة قوة الذوق فانها ايضا لمس ما ، وايضا فانها القوة التى بها يختار الحيوان الملائم من الغذاء من غير الملائم .

ثم قوة الشم ايضا اذ كانت هـذه القوة اكثر ما يستعملها الحيوان فى الاستدلال على الغذاء كالحال فى النمل والنحل ، وبالجملة فهذه الثلاث القوى هى القوى الضرورية اكثر ذلك فى وجود الحيوان .

واما قوة السمع والابصار فموجودة فى الحيوان من اجل الافضل لا من اجل الضرورة ولذلك كان الحيوان المعروف بالخلد لا بصر له .

ويجب قبل ان نشرع فى القول فى هـذه الحواس ان نقدم من امر المحسوسات ما يتوصل به الى القول فى واحدة واحـدة من هذه القوى فانا انما نسير اكثر ذلك فى هذا العلم كما قيل غير ما مرة من الاعرف عندنا الى الاعرف عند الطباع .

فنقول ان الامور المحسوسـة منهـا قريبة ، ومنها بعيدة ، والقريبة معدودة فيها بالذات ، والبعيدة معدودة فيها بالعرض ، والذى بالذات منها ما هى خاصة بحاسة حـاسة ومنها مشتركة لاكثر من حاسة واحدة ، فالخاصة هى مثل الالوان للبصر ، والاصوات للسمع والطعوم للذوق ، والرائحة للشم ، والحرارة والبرودة للمس ، واما المشتركة لاكثر من خاصة واحـدة فالحركة والسكون والعدد

والشكل والمقدار •

اما الحركة والعدد فيدركهما جميع الحواس الخمس وذلك بين من امرهما •

واما الشكل والمقدار فمشتركان للبصر واللمس فقط ، والغلط انما يقع اكثر ذلك للحواس فى هذه المحسوسات المشتركة كمن يخيل اليه حين يسير فى النهر ان الشطوط تتحرك ، واما المحسوسات بالعرض فمثل ان يحس ان هذا حى وهذا ميت ، وهذا زيد وهذا عمرو ، وهذه المحسوسات الغلط فيها اكثر منه فى المشتركة ، ولذلك قد يحتاج فى تميزها ان يستعمل فى ذلك اكثر من حاسة واحدة كما يستعمل ذلك الاطباء فيمن به انطباق العروق فانهم قد يفصدونه مرة ومرة يجعلون مرآة عند انفه ليظهر لهم فيها أثر التنفس •

واذ قد تبين ماهى المحسوسات الخاصة والمشتركة فلنبدأ اولا بالقول فى القوى التى تخص محسوسا محسوسا من المحسوسات الخاصة ثم نسير ذلك (١) الى القول فى القوة التى محسوساتها مشتركة ، وهى المعروفة بالحس المشترك ، ولنبدأ على عادتهم من القول فى البصر •

القول فى قوة البصر

وهذه القوة هى التى من شأنها ان تقبل معانى الالوان مجردة عن الهيولى من جهة ماهى معان شخصية وذلك بين مما تقدم

(١) كذا ولعله من ذلك

اذ كانت تدرك المتضادين معا كما قلنا .

والذى بقى علينا من امرها ان نبين كيف يكون هذا القبول وبأى شيء يكون ، وبالجملة جميع الاشياء التى تتقوم هذا الادراك فنقول لما كانت المحسوسات بعضها مماسة للحواس وملاقيـــة لها كمحسوسات اللمس والذوق ، وبعضها غير ملاقية ولا مماسة كالبصر والسمع والشم ، وكانت المحسوسات هى المحركة للحواس والمخرجة لها من القوة الى الفعـل ، والمحرك كما تبين اذا كان محركا قريبا فانما يحرك بان يماس المحرك ، وان كان بعيدا فانما يحركه بتوسط جسم آخر اما واحد واما اكثر من واحد ، وذلك بان يحرك هو الذى يليه ثم يحرك ذلك الآخر الذى يليه الى ان ينتهى التحريك الى الاخير .

واعنى هاهنا بالتحريك التغير على العموم سواء كان فى زمان او لم يكن كالحال فى هـذا التغير ، فبالواجب ما احتاجت هذه الحواس الثلاث الى متوسط به يكون قبولها للمحسوسات وليس بأية حالة اتفقت حتى يكون هو المتوسط بل يلزم ضرورة ان يكون بحال يمكنه بها ان يقبل التحريك عن المحسوسات حتى تؤديه الى الحواس ، وليست هـذه الحال شيئا اكثر من ان يكون فى نفسه عادما لهذه المعانى التى يقبلها عن المحسوسات حتى يكون لا لون له ولا رائحة ويكون قبوله لها بوجه مناسب لقبول الحاسة اعنى ان لا يكون قبوله هيولانيا بل بضرب من التوسط بين الهيولانى

والروحانى ، وهذا ايضا احد ما اضطر الى وجود المتوسط فان الطبيعة انما تفعل بتدريج ، ولذلك كانت هذه المحسوسات اذا القيت على آلة الحس لم تدرك ، وهذه حال الماء والهواء اللذين تدرك بتوسطهما هذه المحسوسات فقد ظهر من هذا القول ضرورة احتياج هذه الثلاث الحواس الى المتوسط ، وباى صفة ينبغى ان يكون على العموم وانه ليس يمكن ان يكون ابصار ولا واحد من هذه الادراكات بالخلاء على ما كان يرى كثير ممن سلف من القدماء •

وينبغى ان نرجع الى ما يخص الابصار فنقول ان الجسم الذى شأنه ان يقبل اللون من جهة ما هو غير ذى لون هو الجسم المشف من جهة ما هو مشف ، وهذا القبول ضربان ، اما قبول هيولانى كالحال فى الالوان فى هيولاها ، واما قبول متوسط بين الهيولانى والروحانى كالحال فى ارتسام الالوان فى الهواء والماء ، وهذا النحو من القبول هى الجهة التى بها يخدم هذان الاسطقسان الابصار فقط ، ولهذا السبب بعينه ما كانت آلة هذا الادراك وهى العين الغالب على اجزائها الماء والهواء لكن هذه الاجسام المشفة يظهر من امرها انها انما تقبل الالوان حين هى مشفة بالفعل اى مستضيئة ، ولذلك لا يمكن ان يبصر فى الظلام وانما تكون مشفة بالفعل عند حضور المضئ فاذن انما يتفق الابصار بهذين الاسطقسين وبالضوء لكن اما الجهة التى بها تخدم هذان الاسطقسان هذه القوة فقد تبينت

واما

واما على أية جهة يفعل ذلك الضوء فقد ينبغى ان نبين ذلك بعد ان نلخص اولا كم هى الاجسام المضيئة وما الضوء والمستضىء •

فنقول اما الاجسام المضيئة بالتقديم فنوعان، الجسم الالهى (١) والنار إلا ان ذلك بالذات للجسم الالهى وبالعرض للنار ولذلك لم تكن مضيئة فى مكانها، وقد يقال المضىء ايضا بتأخير على كل مامن شأنه ان يقبل الضوء من غيره ثم يضىء هو فى نفسه واحرى ما قيل له مضىء من هذا ما كان بحيث يجعل غيره مرئيا ولم تكن صورة بانعكاس كالحال فى القمر واما التى تضىء فى نفسها فقط وليست تجعل غيرمرئية فككثير من الاصداف التى تضىء بالليل والماء الذى يظهر على المجاذيف •

وليس ما قيل فى هذه الاشياء انها تضىء من قبل ان لها طبيعة نارية بشىء كما حكى ذلك ثامسطيوس عن المعلم الاسكندر لأن المضىء انما يوجد فى الممتزج من جهة ما هو لون ولذلك ليست هذه الوانا الا باشتراك الاسم، وسنبين ذلك اكثر فى كتاب الحس والمحسوس •

وايضا فقد يظهر من امرهذه انها بخلاف الالوان اذ كانت انما تبصره فى الظلمة والالوان فى الضوء فقط حتى قيل ان خاصة اللون ان يحرك المشف بالفعل والاولى بهذه ان يظن انها تضىء من جهة انها تقبل الانعكاس لأنها فى طبيعة المرئى وان كان ليس يمكن

(١) كذا هنا وفيما بعد ولعله الآلى.

ان تضئ غيرها وعلى هـذه الجهة ترى عيون كثيرة من الحيوان تضئ فى الظلام ، او نقول انه يتحلل عنها فى الظلام بخار شأنه ان يعرض عنه مثل هذه الرؤية •

والفحص عن هذا ليس بلائق بهذا الموضع فان استقصاء القول فى هذه الاشياء هو فى كتاب الحس والمحسوس •

واما الضوء فانه لما كان غير جسم اصلا بدليل انه مشبع بكلية فى كلية الاجسام المشفة ويحدث فى غير زمان ولم يمكن فيما هـذا شأنه ان يفارق لم يكن الضوء شيئا غير كمال المشف بما هو مشف •

والمستضئ هو الذى يقبل الضوء والضوء انما يفعل الاضاءة فى المستضئ اذا كان منه ذا وضع محدود وقدر محدود •

وهـذا بين ان الاضاءة من الكمالات التى ليست منقسمة بانقسام الجسم ولا حاصلة فى زمان لكن اذا كان هذا كله هكذا فعلى اى جهة ليت شعرى يكون للضوء مدخل فى تتميم هذا الادراك •

وذلك يمكن ان يتصور على احد وجهين، اما ان يكون الضوء هو الذى يعطى الجسم المتوسط الاستعداد الذى به يمكن ان يقبل الالوان فقط حتى تؤديها الى الحاسة وهو الاشفاف بالفعل حتى يكون الملون انما يحرك المشف من جهة ماهو مشف بالفعل وتكون

الالوان

الالوان على هذا موجودة بالفعل فى الظلام •

وبالقوة محركة للابصار على جهة ما تقول فى العالم انه معلم بالقوة اذا لم يكن له متعلم او تكون الالوان موجودة فى الظلام بالقوة الحقيقية حتى يكون الضوء هو المحرك لها من القوة الى الفعل •

فنقول انه قد تبين فى كتاب الحس والمحسوس ان اللون هو اختلاط الجسم المشف بالفعل وهو النار مع الجسم الذى لايمكن فيه ان يستشف وهو الارض •

واذا كان ذلك كذلك فاللون ضوء ما وهو يستكمل ضرورة على نحو ما بالضوء الذى من خارج وتقوى •

وقد يظهر ذلك من انا متى نظرنا الى الالوان الواحدة (١) بعينها فى الظل والشمس وعند مرور السحاب عليها وانكشافها رأيناها بالوان مختلفة فى الزيادة والنقصان وذلك مما يدل على انها تستكمل بالضوء الذى من خارج استكمالا ولذلك ماقيل ان الضوء هو الفاعل للابصار •

فقد تبين من هذا القول ماهى هذه القوة وباى شىء تدرك وكيف تدرك •

واما القول فى مدركها وهى الالوان فأليق المواضع بذلك كتاب الحس والمحسوس •

(١) كذا ولعله اللون الواحد بعينه •

القول فى السمع

وهذه القوة هى القوة التى شأنها ان تستكمل معانى الآثار الحادثة فى الهواء من مقارعة الاجسام بعضها بعضا المسماة اصواتا وهذا كله بين مما تقدم، فاما باى شىء يكون هذا الادراك وعما يكون والنحو الذى به يكون فنحن نقول فيه •

أما الذى عنه يكون فهى مقارعة الاجسام بعضها بعضا لكن ليس عن اى جسم اتفق يحدث الصوت ولاباى نوع اتفق بل يحتاج فى ان يكون القارع والمقروع كلاهما صلدان،وان تكون حركة القارع الى المقروع اسرع من تشذب الهواء فانا اذا ادنينا جسما فى غاية الصلابة من جسم آخر فى غاية من الصلابة ايضا برفق وبمهل لم يحدث عن ذلك صوت له قدر وكذلك ايضا ان لم تكن الاجسام القارعة والمقروعة صلدة •

فاما ان لايحدث صوت اصلا فاما ان حدث فبشدة حركة كما يعرض ذلك عن السياط التى يضرب بها وقد تعين على حدوث الصوت اشكال المقروعات مثل ان تكون مجوفة اوعريضة،وسنبين سبب هذا كله •

وأما مابه يكون هذا الادراك فهوالماء والهواء، وذلك انه قدتبين ان هذا المحسوس هوضرورة من المحسوسات التى تدرك بمتوسط اذكانت غير ملاقية للحاس إلا ان الجهة التى بها يخدم هذا

المتوسط

المتوسط واحدا واحداً من هـذه الحواس غير الجهة التى بها يخـدم الاخرى، وهى كلها يجتمع فى ان هـذا المتوسط يخدمها من جهة ما هو عادم للمعانى التى يقبل منها فيؤديها اذهذه هى صفة القابل وان كانت تختلف جهات ذلك •

اما الجهة التى بها تخدم الابصار فهو الاشفاف وقد تبين ذلك•

واما الجهة التىَ بها تخـدم هذا لادراك الذى هو السمع فهو سرعـة قبوله للحركة والتشكل بها وان تبقى الحركة فيه وقد كف المتحرك ويبقى ذلك الشكل الحادث عنها فيه زمانا كالحال التى تعرض للماء عند ما يلقى فيه بالحجر فان هـذه الحال بعينها تعرض للهواء من القرع •

وقد قيـل فى غيرهذا الموضع كيف تكون هذه الحركة فى الماء والهواء ولما كان المتوسط انما يؤدى القرع بالحركة التى تعرض فيه وكانت كل حركة فى زمان كان هذا الادراك ايضا فى زمان بخلاف ما عليه الامر فى الابصـار، ولذلك ما يسمع الرعد بعـد رؤية البرق والسبب الفاعل لهما واحد على ما تبين فى الآثار •

فاما العلة التى من اجلها يكون الصوت عن الاجسام الصلدة فلأنها اذا تلاقت بسطوحها لم يتطا من بعضها عن بعض فيطفو الهواء عنها بشدة ولذلك ما كان منها اعرض كان صوته اعظم لأنه يلقى من الهواء اكثر •

واما ذوات الاشكال المجوفة فالامر فى ذلك بين وذلك ان الهواء يندفع من جوانبها مرارا كثيرة فيحدث هنالك الصوت طول لبث ومن هذا الجنس هو حدوث الصداء وذلك انه ليس شيئا اكثر من انعكاس الهواء عن الجسم الذى يلقاه حافظا لذلك الشكل الذى بـه عن القرع حتى يحرك الهواء المرتب فى الاذنين الذى (١) هو الآلة القريبة للسمع كما يقول ارسطو مره ثانية، ومنزلة هذا الهواء من السمع منزلة الرطوبة الجليدية من الابصار، ويشبه ان يكون الامر كما يقول ثامسطيوس انه ليس هاهنا قرع الاويحدث عنه انعكاس ما، ولولا ذلك لم يسمع الانسان صوت نفسه كما انه ليس تحدث رؤية الاعن انعكاس الشعاع ولولاذلك لم يبصر فى الظل، لكن اليق المواضع بذكرهذه اللواحق وتفصيلها هو كتاب الحس والمحسوس •

وكذلك ايضا القول فى ماهية التصويت الموجود للحيوان وبأى شيء وجوده أليق المواضع بذكره هو ذلك الكتاب وكتاب الحيوان وان كان يظهر من قرب الفرق بينه وبين الاصوات التى تحدث عن الاجسام فان التصويت وهو المسمى نغمة هو الذى يكون عن الحيوان بما هو حيوان وذلك انما يكون عن تخيل ما وشوق وبآلة محدودة وهى آلات التنفس •

والدليل على ان التصويت يحدث عن قرع آلات التنفس

(١) كذا والظاهر اللذين هما .

الهواء الذى به يكون التنفس انا لا تقدر ان نتنفس ونصوت معا ولكون النغمة لاتحدث الاعن تخيل لايسمى السعال نغمة .

فاما الحيوانات التى تصوت وهى غير متنفسة كالحيوان المعروف بصرار الليل اوصرار الهوا جرفانما يصوت بحرقة (١) فقد قلنا ما هى هذه القوة وما يدركها وباى شئ يكون هذا الادراك وكيف يكون .

القول فى الشم

وهذه القوة هى القوة التى من شأنها ان تقبل معانى الامور المشمومة وهى الروائح وليست فصول الروائح عندنا بينة كفصول الطعوم وانما نكاد ان نسميها من فصول الطعوم حتى نقول رائحة حلوة ورائحة طيبة ، ويشبه ان تكون هذه الحاسة فينا اضعف منها فى كثير من الحيوان كالنسر والنحل وما اشبههما من الحيوان القوى الشم .

فاما مابه يكون هذا الادراك فهما الاسطقسان الخادمان للحاستين المتقدمتين اعنى الماء والهواء ، فان الحيتان قد يظهر من امرها انها تشم وذلك ايضا بين مما تقدم ، واما على اى جهة تخدمان هذه الحاسة فذلك يظهر اذا تبين ما هى الرائحة .

فنقول ان الرائحة انما توجد للذى الطعم من جهة ماهو ذو طعم وهو موضوعها الاول الذى هو بمنزلة السطح للون ولذلك يستدل

---

(١) د — بخزنة

كثيرا من الرائحة على الطعم وذلك ظاهر بالاستقراء •

وقد قيل فى كتاب الحس والمحسوس ان الطعم هو اختلاط الجوهر اليابس بالجوهر الرطب بضرب من النضج يعتد به فاذا كان ذلك كذلك فالرائحة انما توجد للاجسام من جهة ما هى ممتزجة وليس لكل الممتزجة بل لممتزجات ما وليس كذلك اللون والصوت فان لكل واحد منهما وجودا فى هيولاه ووجودا فى المتوسط •

واما الرائحة فانه يلزم ان يكون وجودها فى المتوسط هو بعينه وجودها فى موضوعها اذ كانت تابعة ضرورة لذى الطعم والطعم بما هو طعم تابع للممتزج وما هذا شأنه فليس يقبله الماء والهواء قبولا اولا اعنى بذاته ولو كان ذلك كذلك لكانت البسايط ذوات طعوم وذلك محال •

واذا تقرر هذا فلم يبق وجه يخدم به هذا الادراك المتوسط الا بان يحمل ما يتحلل من المشمومات من الجوهر الهوائى المناسب له حتى توصله حاسة الشم كما يظهر ذلك بالحس من امر كثير من ذوات الروائح اعنى انها انما تشم عندما تفرك باليد او تلقى فى النار، وبالجملة عندما يتولد فيها مثل هذا البخار الذى شأنه ان يشم، ولذلك ما يحتاج ذوات الطعوم التى شأنها ان تشم فى ان تكون مشمومة بالفعل الى الحرارة التى من خارج كالمسك وغيره، وبعضها ليس يكتفى بذلك حتى يلقى فى النار كالعود الهندى وبعضها ليس يشم ذلك فيه بحرارة

النهار

النهار للطافة جوهره بل بحرارة الليل كالحال فى الخيرى، وتفصيل هذه فى كتاب الحس والمحسوس •

ومن الدليل على ان المشموم من جنس البخار ان المتنفس من الحيوان انما يشم باستنشاق الهواء وادخاله وقد يشهد لذلك ان الرياح تسوق الروائح التى تكون من ناحية جهتها و تعوق التى تأتى مقابلتها فقد قلنا ماهى هذه القوة ومايدركها وبأى جهة يكون ادراكها •

القول فى الذوق

وهذه القوة هى تدرك بها معانى الطعوم وقد تلخص قبل ماهى الطعوم وهذه القوة كأنها لمس ما اذ كانت انما تدرك محسوسها بوضعه على آلة الحاسة، ولذلك مايرى الاسكندر ان هذه القوة ليست تحتاج الى متوسط على ما سيظهر من امر اللمس الا انا نجد هذه القوة التى آلتها اللسان انما تدرك الطعوم بتوسط الرطوبة التى فى الفم وبخاصة الاشياء اليابسة، وذلك انه يعرض لمن عدم هذه الرطوبة الا يدرك الطعوم وان ادركها فبعسر، وكذلك يعرض لمن فسدت هذه الرطوبة فى فمه بانحرافها نحو مزاج ما ان يجد الطعوم كلها على غير كنهها •

وبالجملة فيظهر ان احد ما يتقوم به ادراك هذه الحاسة هو هذه الرطوبة ولذلك جعلت النغانغ دائما لتوليد هذه الرطوبة وجعل لهافيها مسلكان مفضيان الى اصل اللسان، فمن هذه الاشياء كلها قد نظن

ايضا ان هذه الحاسة انما تدرك محسوساتها بمتوسط وهى هذه الرطوبة، وقد صرح بذلك ابوبكر بن الصائغ فى كتابه فى النفس وثامسطيوس •

وينبغى ان ننظر فى ذلك فنقول ان الحاجة الى المتوسط قد تبين فيما سلف انها احد امرين اما ان يكون المتوسط هو الذى يؤدى تحريك المحسوس لآلة الحاسة لكون المحسوس غير مماس لها كالحال فى المحسوسات الثلاث التى هى الالوان والاصوات والروائح واما ان تكون الضرورة الداعية الى المتوسط لا فى هذه فقط بل فى ان يكون وجود الصور المحسوسة فيه بضرب من التوسط بين وجودها الهيولانى المحض وبين وجودها فى النفس كالحال فى الالوان •

واذا كان هذان هما جهتا ضرورة الحاجة الى المتوسط فبين ان الذوق ليس يحتاج الى المتوسط بالمعنى الاول، وهو اشهر المعانى الداعية الى التوسط اذ كان المحسوس منها يتحرك آلة الحس بمماسة لها، •

واما الجهة الثانية من جهتى الحاجة الى المتوسط (١) فى ايجابها لهذه الحاسة موضع نظر، فانه قد نظن انه انما يمكن تصور هذا النحو من المتوسط فى الوجود للمحسوسات التى يقبلها المركب والبسيط كالالوان التى يقبلها الهواء بضرب من التوسط بين وجودها الهيولانى وبين وجودها فى النفس •

(١) بهامش صف التوسط.

وكذلك

وكذلك يشبه ان يكون الامر فى الحركة التى فى الهواء والحركة التى هى فى نفس القارع والمقروع فى حاسة السمع ،ولذلك ما نرى الحركتين المتضادتين فى الماء عن وقع الحجارة فيه ليس تتعاوق الدوائر الحادثة عنها •

واما المحسوسات التى يقبلها الجسم المركب فقط اعنى الممتزج فاما ان لا توجد لها الحاجة الى هذا المعنى من التوسط، واما ان وجد لها فبجهة اخرى ، وكانت حاجة هذه الى المتوسط مع حاجة تلك مع هذه بضرب من التشكيك ، ولذلك الاشبه ان تقول فى هذه الرطوبة انها انما تعين على هذا الفعل من جهة انه يعرض للمطعومات اليابسة ان تترطب بها بضرب من النضج يعتريها فى الفم ، ولذلك نجد اللوك والمضغ يعين على درك كثير من المطعومات وبخاصة التى انما ندركها بعد لبثها فى الفم ، والحال فى هذه كالحال فى بعض المشمومات التى تدرك بالفرك ، وكأن هذين الصنفين من المطعومات هى محسوسة بالقوة •

واما المطعومات التى هى رطبة بالفعل فاما ان لا تحتاج الى هذه الرطوبة فى الفم ، واما ان احتاجت فحاجة يسيرة ، ولذلك الاولى ان نقول فى هذه الرطوبة انها من بعض آلات الادراك للذوق من ان نقول انها متوسطة وان هذه الحاسة مما تحتاج الى متوسط ونطلق القول فى ذلك كاطلاقه فى البصر والسمع والشم •

ولهذا نرى ان الاسكندر فيما قال احفظ لوضعه اذ كان الاشهر من حاسة المتوسط انما هو ان يكون المحسوس غير ملاق لآلة الحس وذلك انه لما كان الافضل فى حفظ بقاء الحيوان ان لا يحس فقط بالمحسوسات التى يماسه بل وبالمحسوسات التى من خارج وعلى بعد منه ليتحرك نحوها اوعنها بالضرورة ما كانت الحاجة فى هذه ماسة الى متوسط •

ولما كانت هذه الآلة انما تدرك الطعم من جهة ماهو رطب اومترطب كان ماهو بالقوة شىء ما واجب فيه ان لايكون بالفعل شىء من ذلك الذى هو قوى عليه كانت آلة هذا الادراك يابسة •

ولما كانت هذه الرطوبة التى تترطب بها المحسوسات اليابسة حتى تدركها هـذه الحاسة هى كالموصل بوجه ما بالواجب مالزم فيها ان يكون غيرذات طعم فى نفسها والا لم تتأدبها الطعوم الى الحاسة على كنهها كما يعرض ذلك للمرضى وهذامن فعل هذه الرطوبة اقرب ما تشبه به الى المتوسط •

ولما كانت هذه الحاسة وحاسة الابصار يدركان محسوساتهما فى موضوعاتهما الاول اشتركتا فى ادراك الشكل والمقدار •

واما حاسة السمع والشم فلما كانت تدرك محسوساتها وقد انفصلت عن موضوعاتها الاول لم يوجدلها هذا المحسوس المشترك والقول فى هذه الاشياء على الاستقصاء يستدعى قولا ابسط من هذا

بكثير

بكثير لكن قولنا جرى فى هذه الاشياء بحسب الامر الضرورى فقط ، وان فسح الله فى العمر وجلى هذه الكرب فستكلم فى هذه الاشياء بقول ابين واوضح واشد استقصاء من هذا كله لكن القدر الذى كتبناه فى هذه الاشياء هو الضرورى فى الكمال الانسانى وبه يحصل اول مراتب الانسان وهذا القدر لمن اتفق له الوقوف عليه بحسب زماننا هذا كثير، فقد قلنا ما هى هذه القوة وما آلتها وبأى جهة تدرك محسوساتها •

واما القول فى الطعوم و تفصيلها فأليق المواضع بذلك هو كتاب الحس والمحسوس •.

القول فى اللمس

وهذه القوة هى القوة التى من شأنها ان تستكمل بمعانى الامور الملموسة والملموسات كما قيل فى كتاب الكون والفساد اما اول وهى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واما ثوان وهى المتولدة عن هذه كالصلابة واللين، وهذه القوة لما كانت انما تدرك هذه الملموسات على نحو ترتيبها فى وجودها فهى تدرك الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة اولا وبالذات وتدرك الكيفيات الاخر المتولدة عن هذه بتوسط هذه ، ولهذه العلة بعينها لزم ان تكون هذه القوه تدرك اكثر من تضاد واحد بخلاف ما عليه الامر فى البصر والسمع وذلك انه لما كانت انما تدرك هذه الملموسة على نحو كونها فى

وجودها وكانت كل واحدة من هذه الكيفيات تقترن به كيفية اخرى كالحرارة التى تقترن بها اليبوسة والرطوبة كأن ادراكها لهذه القوى معا .

وايضا فان القوى المنفعلة فيها اعنى الرطوبة واليبوسة لما كانت كالهيولى للقوى الفاعلة اعنى الحرارة والبرودة والفاعلة لها كالصورة كان من الواجب ان تكون هذه القوى تدركها معا ولو كان ادراك الحرارة والبرودة بقوة واحدة والرطوبة واليبوسة بقوة اخرى لم تدرك ولا واحدة منها هذه المتضادات على كنهها وليس كذلك الامر فى السمع والبصر فان حاسة البصر انما تدرك تضادا واحدا وهو الابيض والاسود من جهة انه ليس يقترن بذلك تضاد آخر وكذلك الحال فى ادراك السمع الثقيل والخفيف، وقد تدرك غير هذه الحاسة اكثر من تضاد واحد وهو المتضادات الموضوعة لمحسوسها الاول كادراك السمع الخشن والاملس الذى هو موضوع الصوت، ومثال ادراك البصر البراق ولا براق (١) اللذين موضوعهما الابيض والاسود .

وبهذه ينحل الشك الذى يظن به ان هذه القوة اكثر من قوة واحدة ان كانت تدرك اكثر من تضاد واحد .

وقد يظهر ذلك ايضا اذا تبين ان آلة هذه القوة واحدة وذلك ان احد ما تتعدد به هذه القوى هى آلتها اذ كنا نرى ضرورة ان القوة

(١) كذا فتأمل

الواحدة لها آلة واحدة وان هذا منعكس ولذلك ماينبغي ان نفحص اولا ماهذه الآلة وهل هي واحد او كثير فانه ليس الامر في ذلك بينا كما انه في الحواس الاخر وان كان هذا الفحص أليق بكتاب الحيوان •

فنقول انه مما تبين في ذلك الكتاب ان الاعضاء آلة للنفس وانها انما اختلفت خلقها لاختلاف افعال النفس حتى تكون العين مثلا انما وجدت مركبة من ماء وهواء من اجل الابصار وهذا بين في الاعضاء المركبة وهي التي ليس تشبه اجزاؤها بعضها بعضا •

واما الاعضاء البسيطة وهي التي اجزاؤها يشبه بعضها بعضا فيظهر في كثير منها انما كونت من اجل المركبة كاليد التي تأتلف من عظام واوتار وغير ذلك وقد يظهر ايضا في بعضها انها انما وجب ان تنقسم الى بسيط ومركب من اجل انقسام قوى النفس، وذلك ان القوى الاربع التي تقدم ذكرها انما توجد في اعضاء آلية •

واما حس اللمس فلما كان شايعا في جميع الجسد ومشتركا لجميع الاعضاء وجب ضرورة ان يكون العضو الذي يخصه مشتركا بسيطا غير آلي ولما كانت ايضا هذه القوة ليس يخلو منها حيوان لزم ضرورة ان لايخلو حيوان من هذا العضو، وليس في الحيوان شئ يرى انه بهذه الصفة غير اللحم، وذلك انه العضو الذي يرى انا اذا غمزنا عليه احسسنا مع انه مشترك لجميع الحيوان •

ومن هنا ينحل الشك الذى نظن به ان اللحم للملة ليس بآلة هذه القوة وان منزلته منزلة المتوسط كما يظهر ذلك من قول ثامسطيوس وارسطو فى كتابه فى النفس بخلاف قوله فى كتاب الحيوان فانه كما قيل ليس فى وجود اللحم يحس بالاشياء التى تلقاه كفاية فى انه آلة هذا الادراك بل لعل الآلة تكون من داخله ويكون هو كالمتوسط فانا لو لبسنا الحيوان جلدا ثم غمزنا عليه وجدناه يحس •

وذلك انه اذا تحفظ بما تبين فى كتاب الحيوان وما قلناه ايضا من ان آلة هذه القوة يجب ان تكون بسيطة ومشتركة لجميع الحيوان واضيف الى هذا ما يظهر بالتشريح وهو انه ليس يوجد فى جسد الحيوان عضو بهذه الصفة يرى انه يحس غير اللحم تبين باضطرار ان آلة هذا الحس هى اللحم •

فاما الاعصاب التى يرى جالنيوس انها آلة الحس فهى اذا كانت ذات شكل وتجويف محسوس فى بعضها كالحال فى العروق فهى اقرب ان يكون اليه منها ان تكون بسيطة كاللحم وايضا فليست مشتركة لجميع الجسد، ولو كان الامر كما ظن لما كان يحس بجميع اجزاء اللحم الحيوان، لكن اذا تؤمل الامر فيها وجدلها مدخل فى وجود الحس بوجه ما، وذلك انا اذا وضعنا ما يظهر بالتشريح من ان كثيرا من الاعضاء اذا اعتل العصب الذى يأتيها او انقطع

عسر

عسر حسها •

واضفنا الى هــذه ان الطبيعة لاتفعل شيئا باطلا وان كان هذه الاعصاب لمكان فعل ما اوانفعال اعنى من افعال النفس اوانفعالاتها ظهر من مجموع هذا ان العصب له مدخل ما فى وجود الحس، وذلك ان استعمال طريقة الارتفاع مجردة فى استنباط افعال هذه الاعضاء قد تبين فى علم المنطق اختلاله على ما من عادة جالينوس ان يستعمل ذلك وكثير ممن سلف من المشرحين، لكن ان كان ولا بد للعصب مدخل فى وجود الحس فعلى اى جهة ليت شعرى يكون ذلك •

فنقول انه اذا تحفظ بما تبين فى كتاب الحيوان ان الموضوع الاول لهذه القوة ولسائر قوى الحس هى الحرارة الغريزية التى هى فى القلب بذاتها وفى سائر الاعضاء بما يصل اليها من الشرايين النابتة من القلب وان الدماغ انما وجد لاجل تعديل هذه الحرارة الغريزية فى آلة الحس، وذلك انه ما كان يمكن ان تدرك هذه القوة الاشياء الخارجة عن الاعتدال الى الكيفيات المفرطة إلا ان تكون آلتها فى غاية من التوسط والاعتدال حتى تدرك الاطراف الخارجة عنها وهذه حال اللحم، ولذلك كلما كان اللحم اعدل كان اكثر حسا كما نرى ذلك فى حس باطن الكف، والعصب بعيد مزاجـــه من مزاج المتوسط ولذلك كان حسه عسيرا اذ كان باردا يابسا •

وبهذا تبين ان الدماغ ليس هو ينبوع هذه الحاسة كما اعتقد جالينوس وانما هو ينبوع القوى المعتدلة، وانما احتيج فى آلة هذه الحاسة ان تكون معتدلة بين اطراف الكيفيات لأنه لم يتفق فيها ان يكون خلوا من المحسوسات التى تدركها ولا موجودة فيها بالقوة المحضة كما اتفق فى آلة الابصار ان كانت خلوا من الالوان وكذلك لسائر القوى الاربع وانما كان ذلك كذلك لأن هذه الآلة انما صارت آلة لهذه الادراك من حيث هى ممتزجة والممتزج لا بد فيه من وجود الكيفيات الاربع •

واما منفعة هذا التبريد الذى للدماغ فى حاسة حاسة فقد فحص عنه فى كتاب الحيوان، واذا وضعنا هذا كله هكذا واضفنا الى هذا ان العصب انما ينبت من الدماغ لأنه شبيه بجوهره، حصل من مجموع هذا كله ان اللحم انما يحس بالحرارة الغريزية التى فيه حسا تاما •

فاما اذا تعدلت حرارته بالاعصاب الواصلة اليه من الدماغ ويشبه ان تكون هذه الاعصاب انما هى موجودة فى الحيوان الكامل من أجل الافضل والا فالحيوان الضعيف الحرارة كالحيوان المخزز وما اشبهه فانه لا غناء او وجود هذه الاعصاب فيه وبخاصة فى الحيوان الذى ليس يوجد له من قوى الحس غير هذه القوة كالاسفنج البحرى وغير ذلك •

ولذلك

ولذلك نرى كثيرا من الحيوانات التى ليست اعضاؤها كثيرة الآلية اذا فصلت تبقى زمانا تتحرك وتحس الاجزاء المقطوعة فيها بخلاف الحال فى الحيوانَ الكثير الاعضاء الآلية بل يكفى فى وجود كثير من هـذه الحيوانات وجود القلب والدماغ فقط اوما تنزل منزلتها •

وقد جمح بنا القول عما قصدنا له اذ كان الفحص عن هـذه الاشياء اليق المواضع به كتاب الحيوان فقد تبين من هذا القول ما آلة هذه القوة، واما ان هذه القوة ليست تحتاج فى ادراكها الى متوسط فهو بين مما قلناه فيما سلف ان المتوسط انما احيتج اليه فى الحواس لاحد امرين •

احدهما كون المحسوسات غير ملاقية لآلة الحس والثانى لمكان الترقى من الوجود الهيولانى الى الوجود الروحانى اذ كانت الطبيعة انما تصير الى الاضداد ابدا بمتوسط وهذه القوة من جهة ان محسوساتها انما تحس بها وهى ملاقية لآلتها لم تحتج الى متوسط بهذه الجهة، ومن جهة ايضا ان آلتها انما تقبل هذه المحسوسات قبولا هيولانيا وذلك انها تسخن وتبرد ولم تحتج الى المتوسط بالمعنى الثانى •

فاما ما يراه ثامسطيوس ويعطيه ظاهر كلام الحكيم من ان هذه الحاسة وان كانت تلقى محسوساتها وتماسها فانه ليس يمكن

ان تماس وليس بينهما هواء اصلا كما ليس يمكن السمك ينعاش (١) فى الماء دون ان يكون بينهما(٢) ماء ويحمل هذا حجة على ان هذه الحاسة قد تحتاج بوجه ما الى المتوسط الذى من خارج فيشبه ان كان الامر على هذا ولابد ان يكون ذلك لاحقا لحق هذه الحاسة لا ان ذلك احد ما يتقوم به هذا الحس، فقد تبين ما هذه القوة وما محسوساتها واى آلة آلتها وانها ليست تحتاج الى متوسط بالجهة التى تحتاج اليها الحواس الاخر •

وقد نرى مع هذا ان هذه القوة تدرك تضادا آخر ليس منسوبا الى المتضادات الاربعة وهو الثقل والخفة وليس ذلك شيئا اكثر من انها تدرك التحريك المضاد للقوة المحركة الموجودة فى الحيوان ولذلك تحس بالكلال والاعياء، وقد يظن ان الثقل والخفة من المحسوسات المشتركة وذلك إنا قد نحسه بتوسط احساسنا بالحركة والحركة كما قيل من المحسوسات المشتركة لكن من جهة ان سائر الحيوان وان كانت تدرك الثقل والخفة فكثيرا ما نغلط فيه اذ كنا نظن بالبطئ الحركة انه ثقيل وبالسريع الحركة انه خلاف ذلك وربما كان الامر بالعكس، ولذلك قد نرى انها لها مشتركة •

واما حس اللمس فهو يدرك هذه المتضادة من غير غلط لاحق له فى ادراكها فكان جهة ادراكها له غير الجهة التى يدركها سائر الحواس ولذلك قد نرى ايضا انه خاص بها •

(١) بهامش صف ــ يتماس (٢) ن ــ بينه •

وبالجملة ليس يخلو الامر فيه اما ان يكون من المحسوسات المشتركة لكن يكون مع هذا حاسة اللمس اصدق فى تميزه او يكون من جهة خاصة لهذه الحاسة ومن جهة مشتركا فان الجهة التى بها يدرك ايضا سائر الحواس الثقل والخفة وقد ندركها من تلك الجهة حاسة اللمس ويعرض لها الغلط فيه كما يعرض لتلك وهى السرعة والبطوء •

واما الجهة الخاصة التى منها تدرك هذه القوة المتضادة وهى جهة احساسها بالميل المحرك فليس يعرض لها فيه غلط اصلا لكن هذه المضادة اعنى الثقل والخفة لما كانت ايضا من جهة ما مشتركة للملموسات قد نرى انه ليس ينبغى ان نجعل القوه المدركة لها قوة اخرى غير قوة اللمس حتى تكون قوة سادسة ، وايضا فان الآلة التى بها تدرك هذه القوة الحرارة والبرودة والثقل والخفة هى آلة واحدة ، وقد قلنا ان احد ما يكون به القوة واحدة هى ان تكون آلتها واحدة ، فاما تفرق الاتصال فليس جنسا آخر من الحس على ما يراه ابن سينا ولاهاهنا محسوسات غير هذه التى عددناها وانما تحس هذه القوة اعنى قوة اللمس الاذى اللاحق عن تفرق الاتصال بما يحدث عنه من الحرارة واليبوسة التابعين لحركة الجسم الذى يفرق الاتصال ولذلك كلما كانت الاجسام التى تفعل ذلك الطف واقل خشونة كان تفرق الاتصال اقل حسا وكلما كانت اغلظ واخشن كان الامر بالعكس •

وابعد من هذا كله ما يراه جالنيوس من ان هـذه القوة انما تدرك محسوساتها الخاصة بها بتوسط ادرا كها تفرق الاتصال فان التفرق ضـد الاتحاد، وهـذه هى من المحسوسات المشتركة ونفس التفرق ليس يحدث عنه وجع كما ظنه جالينوس لـكن الامر فى هذا كما قلناه بعكس ماظن جالينوس، وجالينوس نفسه نجد يسلم هـذا المعنى فى موضع آخر، وذلك عند شرحه قول ابقراط انه لوكان الجسم مؤلفا من اشياء من طبيعة واحدة لما كان يألم عنـد ما يغمز بشىء تفرق اجزاءه، و اذا كان ذلك كذلك فاذن تفرق الاتصال انما يحس من جهة الاستحالة التى تعرض للمركب المتصل من جهـة الجسم المفرق لاتصاله وذلك من جهة الضدية الموجودة فيه، فقد قلنا ما هذه القوة وما محسوساتها، وبالجملة مابه تتقوم باوجزما امكننا فلنسر الى القول فى الحس المشترك •

القول فى الحس المشترك

وهذه القوى الخمس التى عددناها يظهر من امرها ان لها قوة واحدة مشتركة وذلك انه لما كانت هاهنـا محسوسات لها مشتركة فهاهنا اذن لها قوة مشتركة بها تدرك المحسوسات المشتركة، سواء كانت مشتركة لجميعها كالحركة والعدد اولاثنين منها فقط كالشكل والمقدار المدركان بحاسة البصر وحاسة اللمس •

وايضا فلما كنا بالحس ندرك التغاير بين المحسوسات الخاصة

بحاسة حاسة حتى تقضى مثلا على هذه التفاحة انها ذات لون وريح وطعم وان هذه المحسوسات متغايرة فيها وجب ان يكون هذا الادراك لقوة واحدة ، وذلك ان القوة التى تقضى على ان هذين المحسوسين متغايرين هى ضرورة قوة واحدة ، فان القول بان القوة التى بها تدرك التغاير بين شيئين محسوسين ليست بقوة واحدة بمنزلة القول بانى ادرك المخالفة التى بين المحسوس الذى احسسته انا والمحسوس الذى احسسته انت وانا لم احسه وهذا بين بنفسه .

وقد يوقف ايضا على وجود هذه القوة من فعل آخر ههنا ليس يمكننا ان ننسبه الى واحد من الحواس الخمس ، وذلك انا نجد كل واحد من هذه الحواس تدرك محسوساتها وتدرك مع هذا انها تدرك فهى تحس الاحساس وكان نفس الاحساس هو الموضوع لهذا الادراك إذ كانت نسبته الى هذه القوة نسبة المحسوسات الى حاسة حاسة ، ولذلك لسنا نقدر ان ننسب هذا الفعل الى حاسة واحدة من الحواس الخمس ، والا لزم ان تكون المحسوسات انفسها هى الاحساسات انفسها وذلك ان الموضوع مثلا للقوة الباصرة انما هو اللون والموضوع لهذه القوة هو نفس ادراك اللون فلو كان هذا الفعل للقوة الباصرة لكان اللون هو نفس ادراكه وذلك محال ، فاذن باضطرار ما يلزم عن هذه الاشياء كلها وجود قوة مشتركة للحواس كلها هى من جهة واحدة اومن جهة كثيرة ، اما كثرتها فمن جهة

ماتدرك محسوساتها بآلات مختلفة وتتحرك عنها حركات مختلفة ، واما كونها واحدة فلأنها تدرك التغاير بين الادراكات المختلفة ، ولكونها واحدة تدرك الالوان بالعين والاصوات بالاذن والمشمومات بالانف والمذاقات باللسان والملموسات باللحم وتدرك جميع هذه بذاتها وتحكم عليها ، وكذلك تدرك جميع المحسوسات المشتركة بكل واحدة من هذه الآلات فيدرك العدد مثلا باللسان والاذن والعين واللحم والانف ، وهى بالجملة واحدة بالموضوع كثيرة بالقول وواحدة بالماهية كثيرة بالآلات ، والحال فى تصور هذه القوة واحدة من جهة وكثيرة من اخرى ، والحال فى الخطوط التى تخرج من مركز الدائرة الى محيطها فان هذه الخطوط كثيرة بالاطراف التى تنتهى الى المحيط واحدة بالنقطة التى تجتمع اطرافها عندها وهى المركز ، وكذلك هذه الحركات التى تكون عن هذه المحسوسات هى من جهة المحسوسات والآلات كثيرة ، وهى من جهة انها تنتهى الى قوة واحدة واحدة .

وهذا المثال قد جرت عادة المتكلمين فى النفس من ارسطو ومن دونه من المفسرين ان يأخذوه فى تفهم وجود هذه القوة وهو وان كان من جنس التعليم الذى يؤخذ فيه فى تفهم جوهر الشىء بدل الشىء وذلك اما شبيه كما فعل هاهنا اوغير ذلك وهو التعليم الشعرى فليس ذلك بضار اذا تقدم فعرف جوهر هذه القوة وعلمت

الجهة

الجهة التى بها وقعت المحاكات بينهما، وكأن هذا النحو من التعليم انما يدخل فى التعليم البرهانى فى الاشياء التى تصعب على الذهن ان يتصورها اولابذاتها فتؤخذ اولا فى تفهيمها بدل جوهر الشئ تلك الاشياء على جهة التوطئة الى ان ينتقل الذهن من محاكى الشىء الى الشىء بعينه لان المقصود من ذلك تصور الشىء بما يحاكيه فقط كما تفصل ذلك بداية فى التعليم الشعرى •

فاما جوهر هـذه القوة ماهو واى وجود وجوده فذلك بين مما قلنا فى الحس باطلاق، وذلك انا قد كنا عرفنا هنالك مرتبة هذه القوة من سائر القوى الهيولانية وعرفنا ان قبولها للمحسوسات ليس قبولا هيولانيا، وبهذا صح لها ان تدرك المتضادات معا فى آن واحد وبقوة غير منقسمة، فهذا هو القول فيما يخص واحدا واحدا من هـذه الحواس الخمس، وكيف يخصها، وفيما يشترك وكيف يشترك •

فاما انه ليس يمكن ان توجد حاسة سادسة فذلك ظاهر من جهات، احدها انه لوكان هاهنا حاسة اخرى غير هذه الخمس لكان هاهنا محسوس آخر وهو بين بالتصفح ان المحسوسات الخاصة هى الخمسة فقط، وذلك ان المحسوسات ضرورة اما ان تكون الوانا او اصواتا او طعوما او روائح او ملموسات او مايتبع هذه ويدرك بتوسطها وهى المحسوسات المشتركة، واذا كان هذا بينا بنفسه

ولم يكن هاهنا محسوس آخر فليس هاهنا قوة حسية اخرى •

وايضا لو كان هاهنا حاسة اخرى لكانت هاهنا آلة اخرى ومتوسطات اخر ان فرضنا هذه الحاسة غير ملاقية لمحسوسها ، وذلك انه يظهر بالتصفح انه لم يبق فى هذه المتوسطات جهة تخدم بها محسوسا آخر غير الجهات التى سلفت ، ولا يمكن ان تدرك بآلة واحدة محسوسين مختلفين فان الآلة الواحدة كما قلنا لمحسوس واحد ، واذا كان هذا هكذا لزم ان وجدت هاهنا حاسة اخرى ان توجد آلة اخرى فقط ان فرضناها ملاقية لمحسوسها او آلة اخرى ومتوسط ان فرضناها غير ملاقية لمحسوساتها •

واذا كان ايضا يظهر بالتأمل انه ليس يتأتى هاهنا وجود آلة اخرى ولا هاهنا متوسط آخر فبين انه ليس يمكن ان توجد هاهنا حاسة اخرى ، فاما من ان يظهر انه لا يمكن ان توجد هاهنا آلة اخرى ولا متوسط آخر تقدم (١) ، وذلك انه ليس يوجد متوسط آخر غير الماء والهواء ، وذلك ان الارض بجساوتها لا يمكن فيها ان يكون متوسطا والنار لا يمكن ان يوجد فيها حيوان فضلا عن ان يكون متوسطا ، وكذلك لا يمكن ايضا ان توجد آلة اخرى وذلك ان كل آلة اما ان تكون مركبة من ماء كالعين ، وهواء كالحال فى الاذنين ، او ممتزجة على غاية الاعتدال من الاسطقسات الاربعة على ما هو عليه اللحم فان الآلة بوجه ما يجب ان تكون مناسبة

(١) هامش صف ـ غيرما تقدم فمن .

مناسبة للتوسط .

وقد يظهر ذلك ايضا من انه ان وجدت هاهنا حاسة اخرى فتوجد لحيوان آخر غير الانسان فيوجد للانقص ماليس يوجد للاكمل ، ولذلك كانت الحواس على القصد الاول من اجل القوى التى هى كمالات لها وبخاصة النطق على ماسنبين من امره ، وقد تلخص فى كتاب الحيوان كيف نسبة الاعضاء التى توجد للحيوان من غير ان توجد هى باعيانها للانسان الى الاعضاء التى تقوم مقامها فى الانسان وان مثل هذه الاعضاء وجودها فى الانسان بوجه اشرف كالخرطوم للفيل ، والجناح للطائر فان اليد فى الانسان اتم فعلا من هذه واشرف ، وقد توجد تتلو هذه القوة اعنى قوة الحس فى الحيوان الكامل وهو الذى يتحرك الى المحسوس بعد غيبته عنه او يتحرك اليه قبل حضوره قوة اخرى وهى المدعوة بالتخيل ، وينبغى ان نقول فيها .

القول فى التخيل

وهذه القوة ينبغى ان نفحص من امرها هاهنا عن اشياء اولها عن وجودها فان قوما ظنوا انها القوة الحسية بعينها ، وقوما ظنوا بها انها قوة الظن ، وقوم رأوا انها مركبة منهما ، ثم هل هى من القوة التى توجد تارة قوة وتارة فعلا ، وان كان الامر كذلك فهى ذات هيولى ، فاهى هذه الهيولى واى مرتبة مرتبتها ، وما

الموضوع لهذا الاستعداد والقوة، وايضا فا المحرك لها والمخرج من القوة الى الفعل •

فنقول اما ان هذه القوة مغايرة للقوة الحسية فذلك يظهر عن قرب، وذلك انهما وان اتفقتا فى انهما يدركان المحسوس فهما يختلفان فى ان هذه القوة تحكم على المحسوسات بعد غيبتها ولذلك كانت اتم فعلا عند سكون فعل الحواس كالحال فى النوم، واما فى حال الاحساس فان هذه القوة يكاد ان لايظهر لها وجود، وان ظهر فيعسر ما يفترق من الحس، ومن هذه الجهة نظن ان هذه القوة ليست توجد لكثير من الحيوان كالدود والذباب وذوات الاصداف، وذلك انا نرى هذا الصنف من الحيوان لا يتحرك الا بحضور المحسوسات، ويشبه ان يكون هذا الصنف اما ان لايوجد له تخيلا اصلا وان وجد فغير مفارق للمحسوس، والفحص عن هذا يكون عند النظر فى القوة المحركة للحيوان فى المكان •

وقد تفارق ايضا هذه القوة قوة الحس فانا كثيرا ما نكذب بهذه القوة ونصدق بقوة الحس ولاسيما فى محسوساتها الخاصة ولذلك ماتسمى المحسوسات الكاذبة تخيلا •

وايضا فقد يمكننا ان نركب بهذه القوة امورا لم نحس بها بعد بل انما احسسناها مفردة فقط كتصورنا غزايل (١) والغول وما اشبه ذلك من الامور التى ليس لها وجود خارج النفس، وانما

(١) كذا.

تفعلها

تفعلها هذه القوة ويشبه ان يكون هذا من فعل هذه القوة خاصا للانسان ، وسنبين فى كتاب الحس والمحسوس الامور التى بها يباين الانسان سائر الحيوان فى هـذه القوى وحيوان حيوانا ، والامور التى فيها تشترك وايضا فان نحس من الامور الضرورية لنا وليس كذلك التخيل بل لنا ان تتخيل الشيء وان لانتخيله وهـذا احدما تفارق به هذه القوة قوة الظن •

وذلك ان الظن (١) ضرورى لنا ، وقد تفارقها ايضا من ان الظن انما يكون ابدا مع تصديق وقد يكون تخيل من غير تصديق مثل تخيلنا اشياء لم نعلم بعد صدقها من كذبها واذا لم تكن هذه القوة ولا واحد من هاتين القوتين اعنى قوة الحس والظن فليس يمكن فيها ان تكون مركبة منهما كما رأى ذلك بعضهم ، لأن المركب من الشيء اذا لم يكن على جهة الاختلاط يلزم فيـه ضرورة ان تحفظ خواص ماتركب منه •

وكذلك يظهر هاهنا من قرب ان هذه القوة ليست عقلا اذ كنا انما نصدق اكثر ذلك بالمعقولات ، ونكـذب بهذه القوة •

والفرق بين التصور النطقى والتصور الخيالى وان كان كلاهما يجتمعان فى انا لسنا نصدق بها او نكـذب ، ان المتخيلات انما نتصورها من حيث هى شخصية وهيولانية ، ولذلك لايمكن ان تتخيل الوانا الامع عظم وان كان سيظهر من امرها انها ارفع رتب المعانى

(١) ص ف — ١ ١ نظن •

الشخصية •

واما تصور العقلى فهو تجريد المعنى الكلى من الهيولى لامن حيث له نسبة شخصية هيولانية فى جوهره بل ان كان ولا بد فعلى ان ذلك لاحق من لواحق الكلى اعنى تتعدد بتعدد الاشخاص وان توجد له نسبة هيولانية ، وسيظهر هذا على التمام عند القول فى القوة الناطقة •

فاما ان هذه القوة توجد تارة قوة وتارة فعلا فذلك من امرها بين ، وذلك انها فى فعلها مضطرة ان يتقدمها الحس كما سنبين بعد ، والاحساسات كما تبين قبل حادثة ، واذا كان ذلك كذلك فهذه القوة اذن هيولانية بوجه ما وحادثة •

واما الموضوع لهذه القوة الذى فيه الأستعداد فهو الحس المشترك بدليل ان التخيل انما يوجد ابدا مع قوة الحس وقد يوجد الحس دون التخيل •

وبالجملة يظهر من امر القوة الحساسة (١) انها متقدمة بالطبع على هذه القوة وان نسبتها اليها نسبة الغاذية الى الحسية ، ونعنى بهذا نسبة الاستكمال الاول الذى فى القوة الخيالية الى الاستكمال الاول الذى للقوة الحساسة ، وعلى الحقيقة فالموضوع لهذين الاستعدادين اعنى الاستعداد لقبول المحسوسات وقبول المتخيلات هى النفس الغاذية ، اذ كان كما تبين من امر هذه القوة ان الوجود لهامن اول الامر

(١) بهامش صفحة الحاسة .

انما هو من حيث هى فعل، والاستعدادات بما هى استعدادات انما توجد مقترنة مع ما بالفعل ، وليس بعضها موضوعا لبعض إلا على جهة التشبيه بمعنى ان بعضها يتقدم فى الموضوع وجود بعض ، وهكذا ينبغى ان يفهم الامر فى الاستعداد الخيالى مع الاستعداد الحسى، فانا لسنا نقدر ان نقول ان الاحساسات بالفعل هى الموضوعة لهذا الاستعداد الخيالى على جهة مانقول ان النفس الغاذية موضوعة للنفس الحسية اذ تبين ان الاحساسات هى المحركة لهذه القوة التى تستكمل بها لكن على كل حال فان من الظاهر ان هذه القوة والاستعداد اكثر روحانية من الاستعداد الحسى اذ كان حصوله فى الرتبة الثانية وبعد حصول الاستعداد الحسى، وكأنه انما ينسب الى الهيولى بتوسط القوة الحسية •

وايضا فان هذه القوة انفعالها ليس عن المحسوس بالفعل من خارج النفس بل من الآثار الحاصلة عن المحسوسات فى القوة الحسية على ما سنبين بعد وما هذا شأنه فهوا كثر روحانية •

فقد تبين من هذا القول وجود هذه القوة، واى هيولى هيولاها وما مرتبتها، ولما كان بالقوة، كما قيل فى غير ما موضع انما يصير الى الفعل بمحرك يخرجه من القوة الى الفعل، فما المحرك ليت شعرى لهذه القوة •

اما المحرك فى قوة الحس فالامر فى ذلك بين وهى المحسوسات

بالفعل، واما هذه القوة فلما كان استكما لها انما هو بالمحسوسات ايضا بوجه ما وذلك بعد غيبتها وكان ايضا يظهر من امرها انها مضطرة فى ان توجد على كما لها الاخير الى المحسوسات، وذلك انا انما نمكننا ان نتخيل الشيء بالذات وعلى كنهه بعد ان نحسه فلايخلو ان يكون المحرك لها احد امرين، •

اما المحسوسات بالفعل خارج النفس فيكون على هذا الوجه هذه القوة حساما، وذلك انه ليس يكون فرقا بينها وبين قوة الحس إلا ان قوة الحس تدرك المحسوسات وهى حاضرة وهـذه تتمسك بها بعد غيبتها فقط •

واما ان يكون المحرك لهـذه القوة ليست المحسوسات التى خارج النفس بل الآثار الباقية منها فى الحس المشترك فانه قد يظهر انه تبقى آثارما من المحسوسات فى الحس المشترك بعد غيبتها ولاسيما المحسوسات القوية ولذلك متى انصرف عنها الى ما دونها من المحسوسات بسرعة لم يمكن ان يحسها •

وبالجملة فى الحس المشترك قوة على التمسك بآثار المحسوسات وحفظها لـكن متى انزلنا نفس التخيل انما هو فى وجود هذه الآثار الباقية فى الحس المشترك بعد ذهاب المحسوسات لابان تكون هذه الآثار هى المحركة لقوة التخيل حتى يكون لها فى هيولى التخيل وجودا اكثر روحانية منها فى الحس المشترك لزم ان نتخيل معا اشياء كثيرة

مبلغ

مبلغ عددها كمبلغ عدد الامور التى احسسناها •

وايضا فما كان يمكننا ان نتخيل متى شئنا بل كنا نكون فى تخيل دائم، وبالجملة كان يكون التخيل لنا من الامور الضرورية كالحال فى المحسوسات، واذا كان ذلك كذلك فليس السبب اذن فى تخيلها وقتا بعد وقت إلا انا متى شئنا نظرنا بهذه القوة الى الآثار الباقية فى الحس المشترك ولذلك كان فعل هذه القوة يجود بالسكون ويختل مع حضور المحسوسات، وذلك ان الحس المشترك عند ما تحضره المحسوسات بالفعل هو عنها اكثر ذلك متحرك فقط فاذا غابت عنه عاد هو محرك هذه القوة بالآثار الباقية فيه من المحسوسات، ولذلك كان فعل هذه القوة مع النوم اكثر فالمحسوسات اذا تحرك الحس المشترك والآثار الحاصلة عنها فى الحس المشترك تحرك هذه القوة اعنى قوة التخيل على مثال ما تتحرك الاشياء بعضها عن بعض إلا ان لهذه القوة فى تلك الآثار تركيبا وتفصيلا، ولذلك كانت فاعلة بوجه منفعلة بآخر • -

ومن هنا يظهر ان هذه القوة كما قلنا اكثر روحانية من الحس لكنها مع ذلك من جنس الحس اذ كان المحرك لها شخصيا والقابل انما يقبل شبيه ما يعطيه المحرك، والمحرك انما يعطى شبيه ما فى جوهره، واما المتحرك الذى يوجد عنه الكلى فهو ارفع رتبة من هذا اذ كان تحريكه غير متناه على ما سنبين بعد •

فاما ان هذه القوة من قوى النفس كائنة فاسدة فهو بين من انها توجد بالقوة اولا ثم توجد بالفعل والقوة كما قلنا غير مامرة هى اخص اسباب الحدوث، والحادث كما قيل فاسد ضرورة •

وايضا فان استكمالها انما هو بالآثار الباقية فى الحس المشترك عن المحسوسات وهذه الآثار ضرورة حادثة عن المحسوسات فهى اذن حادثة •

وايضا فان الاستعداد الاول لهذه القوة هو موجود كما قلنا فى النفس الغاذية بتوسط الاستكمال الاول للحس، وكلاهما حادثان فالاستكمال الاول اذن لهذه القوة حادث •

فقد تبين من هذا القول وجود هذه الآثار وأى هيولى هيولاها؟ وما مرتبتها؟ وما المحرك لها؟ وتبين مع هذا من امرها انها كائنة فاسدة فاما لم وجدت هذه القوة فى الحيوان فذلك من اجل الشوق الذى يكون عنها اذا اقترن الى هذه القوة الحركة فى المكان وذلك ان بقوة التخيل مقترنا بها الشوق يتحرك الحيوان الى طلب الملذ وينفر عن الضار، وسنتكلم فى هذا على التفصيل عند القول فى القوة المحرك للحيوان •

واذ قد فرغنا من القول فى هذه القوة فلننقل فى القوة الناطقة اذ كانت هى التى يظهر من امرها انها تلى هذه القوة فى المرتبة، وذلك ان الحيوان ليس يمكن ان توجد فيه قوة ارفع من هذه اعنى المتخيلة

إلافى

إلا في الانسان هي القوة الناطقة •

القول في القوة الناطقة

انه لما كان العلم بالشيء كما قيل في غير ماموضع انما يحصل على التمام بان يتقدم اولا فيعلم وجود الشيء ان لم يكن بينا بنفسه ثم يطلب تفهم جوهره وماهيته بالاشياء التي بها قوامه، ثم يطلب بعد ذلك معرفة الامور التي قوامها بذلك الشيء وهي اللواحق الذاتية له والاعراض،فقد ينبغي ان نفحص من هذه الاشياء باعيانها في هذه القوة فنبتدئ اولا فنرشد الى الجهة التي توقع اليقين بوجود هذه القوة ومباينتها لسائر القوى التي تقدمت،ثم نفحص من امرها هل هي تارة قوة ؟ وتارة فعل ؟ ام هي فعل دائما على ما يرى كثير من الناس، وانها انما تتعطل افعالها في الصبي لأنها مغمورة بالرطوبة ام بعضها قوة وبعضها فعل فان هذا اسم شيء يفحص عنه من امرها وهو المعنى الذي فيه اختلف القدماء كثيرا •

ومن هاهنا توقف على ما هو اكثر ذلك متشوق من امرها اعني هل هي ازلية ؟ ام حادثة فاسدة ؟ ام هي مركبة من شيء ازلي وحادث ؟ وان كانت تارة قوة وتارة فعلا فهي ذات هيولى ضرورة، فما هذا الهيولى ؟ وما مرتبتها ؟ وما الموضوع لهذا الاستعداد والقوة؟ فان القوة مما لا يفارق وهل ذلك جسم او نفس او عقل ؟ وايضا ما المحرك لهذه القوة ؟ والمخرج لها الى الفعل ؟ والى اي مقدار من

التحريك ينتهى اليه بالذات ؟ فعلى هذا المحرك فيها فان بذلك تقف على كما لها الاقصى فانه من الظاهر انها ليست فينا هـذه القوة اولا معشر الناس على كمالها الاخير وانها فى تزيد دائم لـكن ليس يمكن ان يمر الامر فيها الى غير نهاية فان الطباع تأبى ذلك فهذه هى جميع المطالب التى ينبغى ان نفحص عنها من امر هذه القوة فان بمعرفتها تحصل لنا معرفتها على التمام ٠

والامور التى نأخذها مقدمات فى بيان هذه الاشياء هى احد امرين اما نتائج اقيسة قد تبينت فيما سلف من هذا العلم ، واما أمور يقينية بانفسها ها هنا واما ان تـكون الاقاويل المستعملة فى ذلك مؤلفة من هذين الصنفين من المقدمات وسترشد الى صنف صنف منها عند ما نستعملة ٠

فنقول انه من البين مما قيل فى مواضـع كثيرة ان المعانى المدركة صنفان اما كلى ، واما شخصى ، وان هذين المعنيين فى غايـة التباين ، وذلك ان الـكلى هو ادراك المعنى العام مجردا من الهيولى وادراك الشخص هو ادراك المعنى فى الهيولى ، واذا كان ذلك كـذلك فالقوة التى تدرك هذين المعنيين هى ضرورة متباينة ، وقد تبين فيما تقدم ان الحس والتخيل انما يدركان المعانى فى الهيولى وان لم يقبلاها قبولا هيولانيا عـلى ما تقدم ، ولذلك لسنا نقدران نتخيل اللون مجردا عن العظم والشـكل فضلا عن ان نحسه ، وبالجملة لسنا نقدران نتخيل

المحسوسات

المحسوسات مجردة من الهيولى وانما ندركها فى هيولى وهى الجهة التى بها تشخصت وادراك المعنى الكلى والماهية بخلاف ذلك فانا نجرده بالهيولى تجريدا واكثر ما تبين ذلك فى الامور البعيدة من الهيولى كالخط والنقطة فهذه القوة اذن التى من شأنها ان تدرك المعنى مجردا عن الهيولى هى ضرورة قوة اخرى غير القوة التى تقدمت وبين ان فعل هذه القوة ليس هو ان تدرك المعنى مجردا من الهيولى فقط بل وان تركب بعضها الى بعض وتحكم ابعضها على بعض والفعل الاول من افعال هذه القوة يسمى تصورا والثانى تصديقا وهو من الظاهر هاهنا ان بالواجب ان قسمت ترى النفس هذا الانقسام لانقسام المعانى المدركة وانه ليس يمكن ان توجدهاهنا قوة اخرى للحيوان نافعة فى وجوده غير هذه القوى وذلك انه لما كانت سلامته انما هى ان يتحرك عن المحسوسات اوالى المحسوسات والمحسوسات اماحاضرة واما غائبة فبالواجب ماجعلت له قوة الحس وقوة التخيل فقط اذ كان ليس هاهنا جهة مافى المحسوس يحتاج الحيوان الى ادراكه غير هذين المعنيين ، ولذلك لم تكن هاهنا قوة اخرى تدرك المعنى المحسوس غيرهاتين القوتين اوما يحدث منهما •

ولما كان ايضا بعض الحيوان وهو الانسان ليس يمكن وجوده بهاتين القوتين فقط بل بان تكون له قوة يدرك بها المعانى مجردة من الهيولى ويركب بعضها الى بعض ويستنبط بعضها عن بعض

حتى تلتئم عن ذلك صنائع كثيرة هى نافعة فى وجوده، وذلك امامن جهة اضطرار فيه وامامن جهة الافضل بالواجب ما جعل فى الانسان هذه القوة اعنى قوة النطق ولم تقتصر الطبيعة على هذا فقط اعنى ان تعطيه مبادى الفكرة المعينة فى العمل بل ويظهر انها اعطته مبادى اخر ليست معدة نحو العمل اصلا ولاهى نافعة فى وجوده المحسوس لانفعا ضروريا ولامن جهة الافضل وهى مبادى العلوم النظرية .

واذا كان ذلك كذلك فانما وجدت هذه القوة من جهة الوجود الافضل مطلقا لا الافضل فى وجوده المحسوس ، ومن هنا يظهر ان هذه القوة تنقسم اولا الى قسمين احدهما يسمى العقل العملى والآخر النظرى ، وكان هذا الانقسام لها عارضا بالواجب لانقسام مدركاتها ، ولذلك ان احداهما انما فعلها واستكمالها بمعان صناعية ممكنة ، والثانية بمعان ضرورية ليس وجودها الى اختيارنا .

واذ قد تبين ان وجود هذه القوة مغائرة لسائر القوى التى عددناها ، وتبين ايضا مع هذا انها تنقسم قسمين فقد ينبغى ان ننظر بعد ذلك فى الامور المطلوبة التى عددناها فى كل واحد منها وان كانت اكثرها مشتركة لها ونبتدىء اولا بالقول فى القوة العملية فان الامر فى ذلك اسهل وليس فيه كثير نزاع ، وايضا فهذه القوة هى القوة المشتركة لجميع الاناسى التى لايخلو انسان منها وانما يتفاوتون فيها بالاقل والاكثر .

واما القوة الثانية فيظهر من امرها انها الهية جدا، وانها انما توجد فى بعض الناس وهم المقصودون بالعناية اولا فى هذا النوع، فنقول اما ان هذه المعقولات العملية سواء كانت معقولات قوى او مهن حادثة وموجودة فينا اولا بالقوة وثانيا بالفعل فذلك من امرها بين، فانه يظهر عند التأمل ان جل المعقولات الحاصلة منها انما تحصل بالتجربة والتجربة انما تكون بالاحساس اولا والتخيل ثانيا، واذا كان ذلك كذلك فهذه المعقولات اذن مضطرة فى وجودها الى الحس والتخيل فهى ضرورة حادثة بحدوثها وفاسدة بفساد التخيل، فاما هل تتنزل الخيالات منزلة الموضوع لهذه القوة اومنزلة المحرك على ماهو عليه الامر فى البقايا التى فى الحس المشترك من المحسوسات مع القوة المتخيلة فقد يظهر ان منزلتها منه ليست منزلة الموضوع، وذلك ان المعنى المتخيل هو المعنى المعقول نفسه فهو بمنزلة المحرك إلا أنه ليس كافيا فى ذلك لأن الكلى مباين بالوجود للتخيل ولو كانت الخيالات هى المحركة له فقط لكان ضرورة من نوعها كالحال فى المحسوس والمتخيل، وسنبين هذا اكثر عند القول فى العقل النظرى وهنالك نقول فى وجود هذا المحرك وماهو واذا لم تكن الخيالات هى المحركة فقط هذه وكان احد ما يتم به ادراك الكلى فهى بجهة ما تشبه الموضوع للكلى اذ كانت بالاستعداد والقوة الكلى وهو مرتبط بها، وبهذا الاستعداد تبائن

النفس المتخيلة من الانسان النفس المتخيلة من الحيوان كما تباين النفس الغاذية فى الحيوان النفس الغاذية فى النبات بالاستعداد الذى فى الغاذية الحيوانية لقبول الحس وهذا الاستعداد ليس بشئ اصلا اكثر من التهيؤ لقبول المعقولات بخلاف الامر فى قوة الحس .

واذا كان هذا كله كما قلنا فظاهر من امر هذه المعقولات انها كائنة فاسدة وهذا مما لم يختلف احد من المشائين فيه،وذلك انه يظهر ان هذه الخيالات ليست موضوعة بجهة ما لهذه القوة بل كمال هذه القوة وفعلها انما هو فى ان توجد صورا خيالية بالفكرة والاستنباط يلزم عنها وجود الامور الموضوعة (١) ولو وجدت هذه المعقولات دون النفس المتخيلة لكان وجودها عبثا وباطلا وهذا النوع من الصور الخيالية قد يوجد لكثير من الحيوان كالتسديس الذى يوجد للنحل والحياكة التى توجد للعناكب لكن الفرق بينهما انها فى انسان حاصلة عن الفكر والاستنباط وهى فى الحيوان حاصلة عن الطبع ولذلك لا توجد متصرفا فيها بل انما يدرك منها حيوان حيوان صورا اما محدودة وهى الضرورية فى بقائه .

ومن هنا ظن قوم ان الحيوان قد يعقل وبهذه القوة يحب الانسان ويبغض ويعاشر ويصاحب،وبالجملة عنها توجد الفضائل الشكلية وذلك ان وجود هذه الفضائل ليست شيئا اكثر من وجود الخيالات التى عنها تتحرك الى هذه الافعال على غاية الصواب وذلك

(١) د ــ المصنوعة .

ان

ان يشجع مثلا فى الموضع الذى يجب والوقت الذى يجب وبالمقدار الذى يجب .

وما يوجد من هذه الفضائل فى الحيوان كالشجاعة فى الاسد والقناعة فى الديك فهى مقولة بنوع من التشكيك مع الفضائل الانسانية وذلك انها طبيعة للحيوان ولذلك كثير اما يفعلها فى الموضع الذى لاينبغى،والعقل الذى يذكره ارسطو فى السادسة من نيقوماخيا هو ايضا منسوب لهذه القوة بوجه ما فهذا هو القول فى العقل العملى .

واما القول فى النظرى فهو مما يستدعى بيانا اكثر وقد اختلف فيه المشاؤون من لدن افلاطون الى هلم ونحن نفحص عن ذلك بحسب طاقتنا وبحسب المعونة الواقعة فى ذلك ممن تقدم .

فنقول ان اول ما ينبغى ان ننظر فيه من امر هذه المعقولات النظرية هل هى دائما فعل ام توجد اولا بالقوة ثم توجد ثانيا بالفعل فتكون توجد هيولانية فان القول بان بعضها يوجد دائما فعلا وبعضها قوة قول بين السقوط بنفسه، فان الصور ليست تنقسم بذاتها ولا بعضها موضوعة لبعضها ولا يوجد هذا للصور من جهة الهيولى اعنى من جهة ما هى شخصية وهذا بين عند من ارتاض ادنى ارتياض فى هذا العلم .

والسبيل الى ذلك كما قلنا فى اول هذا الكتاب ان ننظر هل اتصالها بنا اتصال شبيه باتصال الامور المفارقة بالمواد كما يقال فى

العقل الفعال انه يتصل بنا فى حين الاستفادة حتى تكون هذه المعقولات لا فرق بين وجودها لنا (١) منذ الصبي وعند الكهولة فى كونها موجودة بالفعل إلا انها كانت فى الصبي مغمورة بالرطوبة .

وبالجملة فلابد ان تقول انه كانت فينا حالة تعوقنا عن ادراكها فلما حصل الموضوع القابل لها على استعداده الاخير ظهرت فيه هذه المعقولات وادراكها وعلى هذا ليس يحتاج فى ان تحصل لنا معقولات الى محرك من جنسها اعنى ان تكون عقلا بل وان كان ولابد فبالعرض مثل ان الذى يزيل الصدا عن المرآة تكون بوجه ما سببا لارتسام الصور فيها ولا يكون ايضا قولنا فيها انها موجودة لنا بالقوة منذ الصبي على معنى القوة الهيولانية بل بوجه مستعار يشبه المعنى الذى يطلق اسم القوة عليه اصحاب الكمون، اونقول ان اتصال هذه المعقولات بنا اتصال هيولانى وهو اتصال الصور بالمواد والوقوف على ذلك يكون من هذه الجهة، وذلك بان نحصى الامور الذاتية للصور الهيولانية بما هى هيولانية ثم نتأمل هل تتصف هذه المعقولات ببعضها ام لا .

فنقول انه قد ظهر مما تقدم ان للصور الهيولانية مراتب والقوى ايضا والاستعدادات مرتبة بترتبها فاول نوع من انواع الصور الهيولانية هى صور البسائط التى الموضوع لها المادة الاولى وهى الثقل والخفة ثم بعد هذه صور الاجسام المتشابهة الاجزاء ثم النفس

(١) د ــ لها

الغاذية

الغاذية ثم الحساسة ثم المتخيلة وكل واحدة من هذه الصور اذا تؤملت وجدلها اشياء تعمها وتشترك فيها من جهة ما هى هيولانية باطلاق واشياء تخص واحدة منها او اكثر من واحدة من جهة ما هى هيولانية ما فا (١) تخص الصور البسيطة ان الهيولى لاتعرى فيها من احدى الصورتين المتقابلتين كالبارد والحار والرطب واليابس ومما تشترك فيه الصور البسيطة والصور المتشابهة الاجزاء انهامنقسمة بانقسام موضوعاتها وحصولها فيها بغير حقيقى وقد تشاركهما (٢) الصور الغاذية فى هذين المعنيين وان كانت تباينها فى نفس وجودها ولقرب هذه النفس من الصورة المزاجية ظن بها انها مزاج، وتخص الصور الحسية انها غير منقسمة بانقسام الهيولى بالمعنى الذى به تنقسم الصور المزاجية ولذلك امكن فيها ان تقبل الكبير والصغير فى موضوع واحد على حالة واحدة وتشترك مع النفس الغاذية فى انها تستعمل آلة آلية، وتخص النفس المتخيلة انها لاتحتاج فى فعلها الى آلة آلية •

وتعم هذه الصور الهيولانية على مراتبها وتفاوتها من جهة ما هى هيولانية مطلقة امران اثنان، احدهما ان وجودها انما يكون تابعا للتغير بالذات وذلك اما قريب او بعيد كالحال فى الصور المزاجية وفى النفسانية التى تقدم ذكرها، والثانى ان تكون متعددة بالذات بتعدد الموضوع ومتكثرة بتكثره فان بهاتين الصفتين يصح عليها

(١) بهامش صف ـ فما (٢) كذا ولعله تشاركها .

معنى الحدوث والا لم يكن هنالك كون اصلا، وقد اطلنا فى هذا فى اول الكتاب وهذا المعنى من تعدد النفس بتعدد موضوعاتها هو الذى ذهب على القائلين بالتناسخ فهذه جميع المحمولات الذاتية التى توجد للصور الهيولانية من جهة ما يعم ومن جهة ما يخص •

وقد يوجد للصور الهيولانية بما هى هيولانية امر ثالث وهو انها مركبة من شيء يجرى منها مجرى الصورة وشيء يجرى منها مجرى المادة،ويعم الصور الهيولانية امر رابع وهو ان المعقول منها غير الموجود فاذا نحن تأملنا المعقولات وجدنا لها اشياء تخصها كثيرة يظهر بها ظهورا كثيرا مباينتها بالوجود لسائر الصور النفسانية ومن هذه الاشياء ظن بها انها موجودة بالفعل دائما غير متكونة فان كل متكون فاسد اذ كان ذا هيولى، لكن من البين ان هذه الاحوال التى تخصها ليست بكافية فى الوقوف على انها ليست هيولانية دون احد الامرين وذلك اما بان يلفى(١) جميع الامور الخاصة بالصور الهيولانية بما هى هيولانية هى مسلوبة عنها، واما ان نقف على ان بعض الاشياء التى تخصها مما تخص الامور المفارقة وهذا بين بنفسه لمن زاول صناعة المنطق،ونحن فلنعدد بالامور الخاصة بهذه المعقولات ونتأمل هل واحد منها مما يخص الامور المفارقة ام لا وان كان ليس بخاص فهل توجد لها مع هذه الامور العامة للصور الهيولانية بما هى هيولانية ما ام ليس توجد •

(١) د ـ يكون

فنقول

فنقول انه قد يظهر من امر وجود صور المعقولات الانسان انها فيه على نحو مباين لوجود سائر الصور النفسانية فيه اذ كانت هذه الصور وجودها فى موضوعها المشار اليه غير وجودها المعقول فى ذلك انها واحدة من حيث هى معقولة ومتكثرة من حيث هى شخصية وفى هيولى •

واما صور المعقولات فقد يظن ان وجودها المعقول هو نفس وجودها المشار اليه وان كان المعقول منها غير الموجود فعلى جهة هى غير الجهة التى بها تقول فى سائر الصور ان الموجود منها غير المعقول إلا انه ان كان المعقول منها غير الموجود على اى وجه كان فهى كاذبة فاسدة وان كان المعقول منها هو الموجود فهى ضرورة مفارقة اوفيها شىء يفارق إلا انه ليس يلزم من وضعنا ان المعقول يخالف الموجود منها بجهة غير الجهة التى بها يخالف المعقول من سائر الصور الموجودة منها ان تكون مفارقة اذ كان لم يتبين من هذا القول اوانه ليس لها نسبة خاصة الى الهيولى بل انما تبين من ذلك انه ان كان لها نسبة فهى غير النسبة التى لتلك الصور، ولعل تلك النسبة تخص بعض الصور الهيولانية •

ومما يباين ايضا فيه هذه المعقولات سائر الصور النفسانية ان ادراكها غير متناه على ما تبين من امر الكلى وسائر القوى ادراكها متناه •

وقد ظن ايضا من هذا انها غير هيولانية اصلا، وليس فى هذا كفاية فى انها ايضا مفارقة بالكل اذ كان التصور للقوة الناطقة غير الحكم والتصديق لكونهما فعلين متباينين، وذلك ان التصور بالعقل انما هو تجريد الصورة من الهيولى واذا تجردت الصورة من الهيولى ارتفعت عنها الكثرة الشخصيـة وليس يلزم عن ارتفاع الكثرة الشخصية الهيولانية ارتفاع الكثرة اصلا فانه ممكن ان تبقى هنالك كثرة بوجه ما لكن من جهة انها تجرد الصور من كثرة محدودة وتحكم حكما على كثرة غير متناهية، وقد يجب ان يكون هذا الفعل لقوة غير هيولانية لأنه ان كان واجبا ان يكون ادراك الصور المفارقة لغير متناه وجب ان يكون ادراك الصور الهيولانية لمتناه وحكمها على متناه واذا كان حكم الصور الهيولانية على متناه فما هو حكم على غير متناه فهو ضرورة غير هيولانى اذ كان الحكم على الشيء ادراك له اومن قبل طبيعة مدركة له .

فمن هذا يظهر لعمرى ان هذه القوة التى فينا غير هيولانية، الا انه لم يتبين بعد ان هـذا الحكم هو لهذه المعقولات الكلية بل لعلة لقوة اخرى تتنزل من هذه المعقولات منزلة الصورة .

ومما يخص ايضا هذا الادراك العقلى ان الادراك فيه هو المدرك ولذلك قيل ان العقل هو المعقول بعينه، والسبب فى ذلك ان العقل عند ما يجرد صورة الاشياء المعقولة من الهيولى ويقبلها قبولا هيولانى

يعرض له ان يعقل ذاته اذا كانت ليست تصير المعقولات فى ذاته من حيث هو عاقل بها على نحو مباين لكونها معقولات اشياء خارج النفس، وليس الامر فى الحس كذلك، وان كان يتشبه بالمحسوسات فانه ليس يمكن فيه ان يحس ذاته حتى يكون الحس هو المحسوس اذ كان ادراكه للمعنى المحسوس انما هو من حيث يقبله فى هيولى، ولذلك يصير المعنى المنتزع فى القوة الحسية مغائرا بالوجود لوجوده فى المحسوس، ومقابلا له على ما شأنه انه يوجد عليه الامور المتقابلة فى باب المضاف.

وبين ان هذا انما عرض له من جهة ان قبول المعقول لم يكن قبولا هيولانيا شخصيا لكن ان كان هاهنا العقل هو المعقول نفسه من جميع الوجوه على مثال على ما يظن به الامر فى المفارقات حتى لا تكون له نسبة الى الهيولى بوجه من اوجه النسب بها يتصور ان يكون العاقل غير المعقول بوجه ما كان ضرورة فعلا دائما، وبين ان هذا لم يتبين بعد مما وضع هاهنا من مباينة للحس.

ومما يخص هذه المعقولات ايضا ان ادراكها ليس يكون بانفعال كالحال فى الحس، ولهذا متى ابصرنا محسوسا قويا ثم انصرفنا عنه لم نقدر فى الحين ان نبصر ما هو اضعف والمعقولات بخلاف ذلك.

والسبب فى ذلك لان الحس لما كانت تبقى من صور المحسوسات فيه بعد انصرافها عنه آثار ما شبيهه بالصور الهيولانية لم يمكن فيه ان

تقبل صورة اخرى حتى تمحى عنه تلك الصورة وتذهب، وهذا ايضا انما عرض له من جهة النسبة الشخصية •

ومنها ان العقل يتزيد مع الشيخوخة وسائر قوى النفس بخلاف ذلك ، واكثر هذه الاحوال الخاصة بالمعقولات اذا تؤملت ظهر ان السبب في وجودها كون المعقولات عامة النسبة الشخصية التي توجد لسائر قوى النفس ، وهي ان لا تكون للمعقول منها في غاية المقابلة للموجود على ما عليه الامر في الصور الشخصية ، ولهذا متى استعملنا هذه الخواص دلائل لم تفض بنا الى اكثر من هذه المعرفة •

واما متى اردنا ان نجعلها دلائل على وجود هذه المعقولات فعلا محضا ودائما كنا قد استعملنا في ذلك المطلوب المتأخرات التي ليس يلزم عن وجودها وجود المتقدم بمنزلة من قال ان الكواكب نار لأنها مضيئة وذلك ان كل ماهو بالفعل دائما قد عدم صورة النسبة الشخصية التي توجد لسائر قوى النفس ، وليس ينعكس هذا حتى يلزم ان كل ما عدم هذه النسبة فهو موجود بالفعل ، وذلك بين لمن زاول صناعة المنطق •

فاذن الذي غلط من قال من هذه الاشياء بمفارقة المعقولات هو موضع اللاحق •

واذا كان هذا هكذا وظهر انه ليس في هذه الامور الخاصة

بالمعقولات

بالمعقولات ما تبين بها انها موجودة دائماً فعلا فلننظر هل تلحقها الامور الخاصة بالصور الهيولانية باطلاق ام لا، وقد قلنا ان ذلك شيئان احدهما ان يكون وجود الصور تابعاً للتغير بالذات وبذلك تكون حادثة، والثانى ان تكون متكثرة بتكثر الموضوعات تكثراً ذاتياً لا تكثراً عرضيا، بل مايتوهمه اصحاب التناسخ باى وجه اتفق من اوجه التكثر.

فنقول انه اذا تؤمل كيف حصول هذه المعقولات لنا وبخاصة المعقولات التى تلتئم منها المقدمات التجريبية ظهر انا مضطرون فى حصولها لنا ان نحس اولا ثم نتخيل وحينئذ يمكننا أخذ الكلى ولذلك من فاتته حاسة ما من الحواس فاته معقول ما، فان الاكمه ليس يدرك معقول اللون ابدا، ولا يمكن فيه ادراكه، وايضا فان من لم يحس اشخاص نوع ما لم يكن عنده معقوله كالحال عندنا فى الفيل وليس هذا فقط بل يحتاج مع هاتين القوتين الى قوة الحفظ وتكرر ذلك الاحساس مرة بعد مرة حتى ينقدح لنا الكلى، ولهذا صارت هذه المعقولات انما تحصل لنا فى زمان، وكذلك يشبه ان يكون الحال فى الجنس الآخر من المعقولات التى لا ندرى متى حصلت ولا كيف حصلت إلا ان تلك لما كانت اشخاصها مدركة لنا من اول الامر لم نذكر متى اعترتنا فيها هذه الحال التى تعترينا فى التجربية، وهذا ظاهر بنفسه فان هذه المعقولات ليست جنسا آخر

من المعقولات مباين للتجربية ، ولذلك ما يجب ان يكون حصولها بجهة واحدة .

وبالجملة فيظهر ان وجود هـذه المعقولات تابعة للتغير الموجود فى الحس والتخيل اتباعا ذاتيا عـلى جهة ما تتبع الصور الهيولانية التغيرات المتقدمة عليها ، والا امكن ان نعقل اشياء كثيرة من غير ان نحسها فكان يكون التعلم تذكرا كما يقول افلاطون .

وذلك ان هذه المعقولات متى فرضناها موجودة بالفعل دائما ، ونحن عـلى الكمال الاخير من الاستعداد لقبولها وذلك مثلا فى الكهولة ، فما بالنا ليت شعرى إلا يكون فى تصور دائما وتكون الأشياء كلها لنا معلومة بعلم أولى .

وغاية ما نقول فى ذلك متى فاتنا منها معقول ما ثم ادركناه ان ادراكه تذكر لاحصول معرفـة لم تـكن قبل بالفعل لنا حتى يكون تعلم الحكمة عبثا ، وهذا كله بين السقوط بنفسه، ولذا (١) كان وجود هذه المعقولات تابعا لتغير بالذات فهى ضرورة ذات هيولى ، وموجودة اولا بالقوة وثانيا بالفعل ، وحادثة فاسدة اذ كل حادث فاسد على ما تبين فى آخر الاولى من السماء والعالم .

وقد يظهر ايضا انها متكثرة بتكثر الموضوعات ومتعددة بتعددها وهو الامر الآخر الذى تخص الصور الهيولانية بما هى هيولانية من ان هـذه المعقولات انما الوجود لها من حيث نستند

(١) بهامش صف ود — اذا —

الى موضوعاتها خارج النفس، ولذلك ما كان هنا صادقا كان له موضوع خارج النفس يستند كلية الى صورته المتخيلة، وما لم يكن له موضوع كغزايل(١) وعنقامغرب كان كاذبالكون الصور المتخيلة منه كاذبة .

وبالجملة فيظهر ظهورا اوليا ان بين هذه الكليات وخيالات اشخاصها الجزئية اضافة ما بها صارت الكليات موجودة اذ كان الكلى انما الوجود له من حيث هو كلى بما له جزئى، كما ان الاب انما هو اب من حيث له ابن، واتفق لهما مع ان كانا من المضاف ان كانت اسماؤهما تدل عليهما من حيث هما مضافان، ومن خواص المضافين كما قيل فى غيرما موضع ان يوجدا معا بالقوة او بالفعل ومتى وجد احدهما وجد الآخر، ومتى فسد احدهما فسد الآخر، وذلك ظاهر بالتأمل فان الاب انما هو اب بالفعل ماكان له ابن موجود وكذلك الابن انما هو ابن ما كان له اب، وانما كان يمكن ان لا تستند هذه الكليات الى موضوعاتها لو كانت موجودة بالفعل خارج النفس على ما كان يراه افلاطون، وهو من البين ان هذه الكليات ليس لها وجود خارج النفس مما قلناه، وان الوجود منها خارج النفس انما هو اشخاصها فقط .

وقد عدد ارسطو فيما بعدالطبيعة المحالات اللازمة عن هذا الوضع وباستناد هذه الكليات الى خيالات اشخاصها صارت متكثرة

---

(١) كذا فى الاصلين .

بتكثرها، وصار معقول الانسان مثلا عندي غير معقول عند ارسطو فان معقوله عندي انما اشد الى خيالات اشخاص غير الاشخاص التي استند الى خيالاتها معقوله عند ارسطو، وباتصال هذه المعقولات بالصور الخيالية اتصالا ذاتيا يلحقها النسيان لذهاب الصور الخيالية، ويلحقنا نحن عندما نفكر بها الكلال ويختل ادراك من فسد تخيله

وبالجملة فمن هذه الجهة تلحق المعقولات الامور التي ترى بها انها هيولانية لا المخالطة التي يزعم من يقول بوجودها فعلا دائما، فان هذا القول انما شأنه ان يفيد من التصور (١) في اعطاء سبب هذه اللواحق المقدار الذي تفيده الاقاويل الشعرية •

وايضا لو انزلنا هذه الكليات غير متكاثرة بتكثر خيالات اشخاصها المحسوسة للزم عن ذلك امور شنيعة، منها ان يكون كل معقول حاصل عندي حاصلا عندك حتى يكون متى تعلمت انا شيئا ما تعلمته انت ومتى نسيته انا نسيته انت ايضا، بل ما كان يكون هاهنا تعلم اصلا ولا نسيان وكانت تكون علوم ارسطو كلها موجودة بالفعل لم يقرأ كتبه (٢) بعد، وهذا كله ظاهر بنفسه والتطويل فيه عناء •

فقد تبين من هذا القول ان هذه المعقولات تابعة لتغير وانها متكثرة بتكثر موضوعاتها لكن على غير الجهة التي تتكثر

---

(١) هامش صف و د ــ التغرر (٢) كذا ولعله عند من لم يقرأ •

بها

بها الصور الشخصية ، وتبين انها ذات هيولى وانها حادثة فاسدة لكن من جهة انها هيولانية ومشار اليها قد يلزم ضرورة ان تكون مركبة من شئ يجرى منها مجرى المادة وشئ يجرى منها مجرى الصورة ، فاما الشئ الذي يجرى منها مجرى الصورة فانه اذا تؤمل ظهر منه انه غير كاين ولا فاسد وذلك بين بمقدمات •

احداها ان كل صورة معقولة فهى اما هيولانية واما غير هيولانية •

والثانية ان كل صورة هيولانية فانما هى معقولات بالفعل اذا عقلت والا فهى معقولة بالقوة •

والثالثة ان كل صورة غير هيولانية فهى عقل سواء عقلت اولم تعقل •

الرابعة والخامسة عكس هاتين المقدمتين وهى ان كل صورة تكون معقولة بان تعقل فهى هيولانية وان كل صورة تكون فى نفسها عقلا وان لم تعقل فهى غير هيولانية •

فاذا تقررت لنا هذه المقدمات وهى بينة (١) من طبيعة العقل والمعقول ، قلنا هذه الصورة التى هى صورة المعقولات النظرية واجب ان تكون غير هيولانية لأنها عقل فى نفسها سواء عقلناها نحن اولم نعقلها اذ كانت صورة الشيء هو فى وجوده عقل ولو انزلناها معقولة بالفعل من جهة وبالقوة من جهة يلزم ان يكون هنالك عقل

(١) هامش صف — ستة .

آخر متكون فاسد، وهو الشيء الذى صارت به معقولة بالفعل بعد ان كانت بالقوة، فيعود السؤال ايضا فى هذا العقل هل هو معقول بالفعل من جهة وبالقوة من جهة، فان فرضناه كذلك لزم ان يكون هنالك عقل ثالث، فيعود السؤال ايضا فى هذا العقل الثالث ولذلك ما يجب ان يكون المعقول من العقلى الذى بالفعل هو الموجود منه نفسه لا غير الموجود كالحال فى الصور الهيولانية التى هى معقولة بالقوة والا وجدت عقول انسانية غير متناهية •

فاما ان تصورها ممكن فذلك سيبين من قولنا بعد فمن هنا يظهر ان فى المعقولات جزءا فانيا وجزءا باقيا ولذلك اضطرب نظر الناظرين فيها •

واذ قد تبين ان فى المعقولات جزءا باقيا وجزءا فانيا وكان كل كاين له هيولى فلننظر ما جوهر هذه الهيولى واى رتبة رتبتها •

فنقول اما من يضع هذه المعقولات موجودة بالفعل دائمة وازلية فليس لها هيولى الاعلى التشبيه والتجوز اذ كانت الهيولى هى اخص اسباب الحدوث وذلك ان معنى الهيولى على هذا الرأى ليس يكون شيئا اكثر من الاستعداد الحادث الذى به يمكن ان نتصور هذه المعقولات وندركها لا على ان هذا الاستعداد هو احد ما تتقوم به هذه المعقولات اذن قبلها كالحال فى الاستعداد الهيولانى الحقيقى ولذلك قد يمكن ان نتصور هذا الاستعداد حادثا والمعقولات التى

تقبلها ازلية على هذه الجهة وهى الجهة التى ينبغى ان يقول بها كل من يضع هذه المعقولات موجودة دائما ويتصل بها •

واما ثامسطيوس وغيره من قدماء المفسرين فهم يضعون هذه القوة التى يسمونها العقل الهيولانى ازلية، ويضعون المعقولات الموجودة فيها كائنة فاسدة لكونها مرتبطة بالصور الخيالية، واما غيرهم ممن نحا نحو ابن سيناوغيره فانهم يناقضون انفسهم فيما يضعون وهم لايشعرون انهم يناقضون وذلك انهم يضعون مع وضعهم ان هذه المعقولات موجودة ازلية انها حادثة وانها ذات هيولى ازلية ايضا •

ولست ادرى ما اقول فى هذا التناقض فان ما كان بالقوة ثم وجد بالفعل فهو ضرورة حادث فاسد، اللهم الا ان يعنى بالقوة هاهنا المعنى الذى قلناه فيما تقدم وهو كون المعقولات مغمورة بالرطوبة فينا ومعوقة عن ان نتصورها لا على انها فى ذاتها معدومة اصلا، فيكون قولنا فيها انها ذات هيولى بالمعنى المستعار، لكن نجدهم يرومون ان يلزموها شروط الهيولى الحقيقية وبخاصة ثامسطيوس، وذلك انه يقول ولما كان كل ماهو بالقوة شيئا واجبا الايكون فيه شئ من الفعل الذى هو قوى عليه كالحال فى الالوان والبصر فانه لوكان البصر ذالون لما امكن فيه ان تشبه بالالوان ويقبلها اذ كان يعوقها اللون الخاص فيه، ولذلك زعم يلزم ان لا يكون فى العقل

الهيولانى شئ من الصور التى توجد فيه بعد بالفعل •

وانا اقول ليت شعرى هـذه الهيولى الموجود فيها هـذا الاستعداد لقبول المعقولات هـل يزعمون انها شئ ما املا، ولا بدلهم من ذلك فان نفس الامكان والاستعداد الحادث مما يحتاج ضرورة الى موضوع كما تلخص فى الاولى من السماع، واذا كانت شيئا ما فهى ضرورة فعلا اذ الموضوع الذى ليس فيه شئ من الفعل اصلاهى المادة الاولى،وليس يمكن ان تفرض المادة الاولى هى القابلة لهذه المعقولات، واذا كانت شيئا ما بالفعل فهى ضرورة اما جسم واما نفس واما عقل اذ كان سيظهر فيما بعد انه ليس هاهنا وجود رابع وهو ممتنع ان يكون جسما مما تقدم من القول فى امر هذه المعقولات، وان فرضنا هانفسا فهى ضرورة كائنة فاسدة واذا كانت هى فاسدة فالاستعداد الموجود فيها احرى بالفساد، واذا لم يكن جسما ولا نفسا فهى ضرورة عقل، وهو الذى يظهر من قولهم، لكن ان كانت عقلا فهى بالفعل موجودة من نوع ما هى قوية عليه وهذا مستحيل، فان القوة والفعل متنا قضان •

وليس ينجى من هذا الالزام ان نضع بعض هذه الهيولى قوة وبعضها فعلا، فان الصورة غير منقسمة الوجود، اللهم الا بالعرض او يضع واضع ان التغير فى الجوهر من باب التغير فى الكمية وهذا مستحيل فلذلك ما يلزم من يضع هذا المعقولات ازلية ان لا يضع

لها

لها الهيولى الا على جهة الاستعارة فضلا عن ان يضعها ازلية، ولا يحتاج هاهنا ايضا الى ادخال محرك من خارج هو من نوع المتحرك على انه غيره •

وكأنهم انما عرض لهم هذا الغلط لما ارادوا الجمع بين مذهب افلاطون وارسطو، وذلك انهم وجدوا ارسطو يضع ان هاهنا ثلاثة انواع من العقول، احدها عقل هيولانى، والثانى الذى بالملكة وهو كمال هذا الهيولانى، والثالث المخرج له من القوة الى الفعل، وهو العقل الفعال على ما يجرى الامر عليه (١) فى سائر الامور الطبيعية، واعتقدوا مع هذا ان هذه المعقولات ازلية راموا ان ينا ولوا قول ارسطو ويصرفوه الى هذه الامور المتناقضة ولذلك لما تحفظ الاسكندر باقا ويله ظهر ان رأيه فى ذلك مخالف لآرائهم، ونحن فلندع هذا لمن تفرغ للفحص عن مذهب ارسطو فى ذلك ونرجع الى حيث كنا •

فنقول انه اذ قد تبين ان هذه المعقولات حادثة فهنالك ضرورة استعداد يتقدمها ولما كان الاستعداد مما لا يفارق لزم ان يوجد فى موضوع وليس يمكن ان يكون هذا الموضوع جسما حسبما تبين من ان هذه المعقولات ليست هيولانية بالوجه الذى به الصور الجسمانية هيولانية، ولا يمكن ايضا ان يكون عقلا اذ كان ماهو بالقوة شيئا ما فليس فيه شىء ما بالفعل مما هو قوى عليه•

---

(١) ن ــ نحو ما عليه الامر •

واذا كان ذلك كذلك فالموضوع لهذا الاستعداد ضرورة هو نفس وليس يظهر هاهنا شيء اقرب الى ان يكون الموضوع لهذه المعقولات من بين قوى النفس سوى الصور الخيالية، اذ كان قد تبين انها انما توجد مرتبطة بها وانها توجد بوجودها وتعدم بعدمها، فاذن الاستعداد الذى فى الصور الخيالية لقبول المعقولات هو العقل الهيولانى الاول، والعقل الذى بالملكة هو المعقولات الحاصلة بالفعل فيه اذا صارت بحيث يتصور بها الانسان متى شاء كالحال فى المعلم اذا لم يعلم وهو انما يحصل بالفعل على تمامه الآخر وبهذه الحال تحصل العلوم النظرية •

وذلك ان توجد للانسان الذى بهذه الحال فى جميع الصنايع النظرية التمامات الاربعة التى عددت فى كمالات الصنايع فى كتاب البرهان •

وبهذا الاستعداد الذى توجد للانسان فى الصورة الخيالية تفارق نفسه المتخيلة النفس المتخيلة من الحيوان كما تفارق النفس الغاذية فى النبات الغاذية فى الحيوان بالاستعداد الذى فيها لقبول المحسوسات، لكن الفرق بينهما ان الاستعداد الذى فى الصور الخيالية لقبول المعقولات هو غير مخالط للصورة الخيالية لانه لو كان مخالطا لما امكن فيه ان يقبل الصور الخيالية كما انه لو كانت الحاسة ذات لون لما امكن فيها ان يقبل اللون، وهذا هو معنى قولهم ان العقل الهيولانى

لوكان

لو كان ذا صورة مخصوصة لما قبل الصور الخيالية هى احرى ان تكون محركة له من ان تكون قابلة ، فلذلك ما يقول الاسكندر ان العقل الهيولانى هو استعداد فقط مجرد من الصور يريد انه ليس صورة من الصور شرطا فى قبوله المعقولات وانما هى شرط فى وجوده فقط لا فى قبوله .

ولا شكال هذا المعنى على المفسرين جعلوا العقل الهيولانى جوهرا ازليا من طبيعة العقل اى وجوده وجود فى القوة حتى تكون نسبته الى المعقولات نسبة الهيولى الى الصورة لكن ما هذا شأنه فليس ان يستكمل به فى الكون جسم كائن فاسد ، ولا ان يكون المستكمل به عاقلا به اعنى الانسان اذ هو كائن فاسد لكن يدخل هذا على الاسكندر فى تسليمه ان الانسان يستكمل فى آخر كونه بفعل مفارق ، ولذلك يستدعى الحكم بين المذهبين قول ابسط من هذا لا يحتمله هذا المختصر ، فترجع الى حيث كنا .

فنقول قد تبين من هذا القول ان هذه المعقولات فيها جزء هيولانى وجزء غير هيولانى وتبين مع هذا ما هذه الهيولى وما ترتيبها فلننظر ما المحرك لهذه القوة فنقول انه لما كانت هذه المعقولات كما تبين من امرها توجد اولا بالقوة ثم ثانيا بالفعل ، وكان كل ما هذا شأنه مما قوامه بالطبيعة فله محرك يخرجه من القوة إلى الفعل وجب ضرورة ان يكون الامر على هذا فى هذه المعقولات فان القوة

ليس يمكن فيها ان تصير الى الفعل بذاتها اذ كانت انما هى عدم الفعل بجهة ما على ما تلخص قبل، ولما كان ايضا المحرك انما يعطى المتحرك شبه مافى جوهره وجب ان يكون هذا المحرك عقلا وان يكون مع ذلك غير هيولانى اصلا، وذلك ان العقل الهيولانى يحتاج ضرورة فى وجوده الى ان يكون هاهنا عقل موجود بالفعل دائما والالم يوجد الهيولانى، وذلك بين مما تقدم من الاصول الطبيعية فان كان ماليس يحتاج فى فعله الخاص الى الهيولى فليس بهيولانى اصلا .

ومن هذا يظهر ان هذا العقل الفاعل اشرف من الهيولانى وانه فى نفسه موجود بالفعل عقلا دائما سواء عقلناه نحن اولم نعقله، وان العقل فيه هو المعقول من جميع الوجوه وهذا العقل قد تبين قبل انه صورة وتبين هاهنا انه فاعل، ولذلك امكن ان يظن ان عقله ممكن لنا بآخرة اعنى من حيث هو صورة لنا ويكون قد حصل لنا ضرورة معقول ازلى، اذ كان فى نفسه عقلا سواء عقلناه نحن اولم نعقله لا ان وجوده عقلا من جعلنا كالحال فى المعقولات الهيولانية، وهذه الحال هى التى تعرف بالاتحاد والاتصال .

ويرى الاسكندر ان الذى يعنيه ارسطو بالعقل المستفاد هو العقل الفاعل من جهة مايوجد له هذا الاتصال بناء ولذلك ماسمى مستفادا اى انا نستفيده، ونحن ننظر فى هذا الاتصال هل هو ممكن للانسان ام لا، فان آخر ماينتهى اليه صاحب هذا العلم هو الفحص عن

الكمالات

الكمالات الاخيرة الموجودة للامور الطبيعية بما هى طبيعية ومتغيرة كما انه ينتهى بالفحص عن السبب الاقصى لها فى التحريك والمتحرك وهو الفاعل الاقصى والهيولى الاولى.

فنقول ان القوم يعتمدون فى ذلك ان العقل النظرى لما كان من طبيعة انتزاع الصورة من الموضوع وكان ينتزع الصورة غير المفارقة فهو احرى ان تنتزع هذه الصورة المفارقة اعنى اذا نظر فى هذه المعقولات الحادثة بما هى معقولات، وذلك اذا صارت عقلا بالفعل وعلى كمالها الاخير اعنى الهيولى وذلك انه لما لم تصر على كمالها الاخير فهو عقل متكون وفعل الكائن بما هو كائن ناقص واذا تقرر هذا فهذا التصور هو الكمال الاخير للانسان والغاية المقصودة — وهاهنا انقضى القول فى القوة الناطقة .

القول فى القوة النزوعية

وهذه القوة بين من امرها أنها غير القوى التى سلفت وانها مباينة بوجودها لتلك وذلك انا لسنا نقدران نقول انها القوة الحساسة والمتخيلة لأن كل واحدة من هاتين القوتين قد توجد خلوا من هذه وذلك انا قد نحس ونتخيل من غير ان ننزع وان كان ليس يمكن ان ننزع دون هاتين القوتين اعنى قوة التخيل والحس ولذلك ما نرى انها متقدمة لهذه القوة اعنى النزوعية التقدم الذى بالطبع، ولهذا السبب بعينه عدم انبات هذه القوة لما عدم الحس والتخيل ليس هاتان

القوتان تتقدم هـذه القوة فقط اعنى النزوعية بل قد توجد القوة الناطقة ايضا متقدمة لهـا فى المعارف النظرية وذلك انا قد ننزع عن التصور الذى يكون بالعقـل وقد ننزع ايضـا عن الصورة المتخيلة بالفكر والروية وذلك فى الامور العملية، واذا كان هذا هكذا وكانت هاتان القوتان اعنى قوة الحس والتخيل متقدمة لهذه القوة فلا يخلو الامر فى ذلك من احد شيئين، اما ان تكون هاتان القوتان موضوعة لهذه القوة اعنى قوة النزوع عـلى جهة ما الهيولى موضوعة للصور اويكون الموضوع لهـا واحدا ويكون وجود قوة النزوع فى ذلك الموضوع تابعا لوجود قوة التخيل اوالحس على جهة ماتتبع اللواحق الاشياء التى هى لها لواحق، هذا ان كان يوجد نزوع دون تخيل بل عن الحس فقط على ما يظهر ذلك فى الحيوان غير المتخيل كالذباب والدود، واما ان كان لايوجد نزوع دون تخيل ما فالمتقدم بالطبع لهذه القوة انما هوقوة التخيل فقط، والفحص حينئذ انما يكون فقط عن نسبة هـذه القوة الى قوة التخيل هل ذلك نسبة اللاحق اونسبة الاستكمال •

واذا تبين كيف نسبتها الى التخيـل تبين ضرورة نسبتها الى النفس الناطقة ولذلك ماينبغى ان نفحص اولامن امر هذه القوة عن هذا المعنى اعنى هل يوجـد نزوع دون تخيل وان لم يوجد فعلى اى حال ينسب الى التخيل، ثم نفحص بعد ذلك من امرها هل هى واحدة

اوكثيرة وعلى اى جهة يوجد الحيوان متحركا عنها الحركة المكانية هل ذلك على انها المحرك الاقصى له فى هذه الحركة ام هى محركة للحيوان بجهة متحركة باخرى على جهة ما يوجد المحرك الاوسط وبالجملة فنفحص عن الاشياء التى بها تلتئم هذه الحركة وانما كان الفحص من هذه الحركة فى هذا الوضع اذ كنا نرى ان اخص اسباب هذه الحركة هى هذه القوة اعنى قوة النزوع وانها وان كانت انما تحرك الحيوان بمعاضدة غيرها من القوى فهى السبب الاخص لتحريكه فاذا وقفنا على هذا كله من امرها يكون قدحصل لنا العلم بجوهرها على التمام •

فنقول ان هذه القوة هى القوة التى بها نزع الحيوان الى الملائم وينفر عن المؤذى وذلك من امرها بين بنفسه وهذا النزوع ان كان الى الملذ سمى شوقا، وان كان الى الانتقام سمى غضبا، وان كان عن رؤية سمى اختيارا وارادة، فاما ان هذه القوة يتقوم وجودها فى الحيوان المتخيل التخيل وحينئذ يكون النزوع فذلك مما لا يشك فيه فاما هل توجد هذه القوة عن الحس مفردا دون التخيل وذلك فى الحيوان الذى يظن به انه غير متخيل ففيه موضع نظر، وذلك انه قد يظن بالحيوان غير المتخيل انه انما يتحرك عن الحس فقط اذ كان لا يكفى متحركا إلا بحضور المحسوس، لكن متى سلمنا هذا اعنى ان بعض الحيوان لا يتحرك الا بحضور المحسوس لم يلزم عن ذلك انه

تلفى حركة من غير تخيل لأن الحيوان انما يتحرك إلا بحضور المحسوس تخيل معنى فيه هو محسوس بالقوة ليحصل محسوسا بالفعل ولو كانت حركته من المحسوس مشابهة ما هو محسوس بالفعل لكانت حركته عبثا وباطلا، واذا كان ذلك كذلك فلا يخلو الحيوان ان تكون حركته نحو ذلك المعنى الموجود بالقوة من جهة ما هو متخيل له فتكون حركته حيوانية او تكون حركته نحو ذلك المعنى لا من جهة ما هو متخيل له فتكون حركته طبيعية لا حيوانية وهذا ممتنع فباضطرار ان يكون القسم الاخير اعنى انه انما يتحرك عن تخيل ما لكنه تخيل غير محصل لا يفارق المحسوس، ومن هنا يظهر انه ليس يمكن ان تلفى حيوان متحرك عادم للتخيل اصلا.

واذا كان ذلك كذلك وتبين ان هذه القوة انما تلفى ابدا مع التخيل او النطق، وكان قد تبين من امر هاتين القوتين انهما متقدمتان عليها بالطبع وكان ايضا من الظاهر بنفسه ان قوة التخيل ليست نسبتها الى هذه القوة نسبة الموضوع اذ كان التخيل ادراكا والنزوع شئ يتبع الادراك كما يتبع القطع الحدة، واحرى بذلك القوة الناطقة فمن البين انها تابعة لهما على جهة ما يتبع اللواحق ملحوقاتها، والموضوع ضرورة لهذه القوة هو الحار الغريزي، ويشهد لذلك ما يعترى عند النزوع من الانفعالات الجسمية كحمرة الغضبان وصفرة الوجل والكون بهذه القوة تابعة لاكثر من قوة واحدة من قوى النفس، نرى

انها

انها متكثرة بتكثر القوى التى هى تابعة لها وكان النزوع يقال على جميعها بضرب من التوسط بين المشتركة اسماؤها والمتواطئة وسمى المشككة، وبخاصة اذا تأملنا ما يدل عليه قولنا نزوع فى الحيوان ونزوع فى المطلوبات النظرية •

واما المتشوقات (١) الصناعية فقال بنوع متوسط بين هذين ولكون هذا الاختلاف الذى بين هذه الانحاء من النزوع قد يوجد الانسان متحركا بها حركات متضادة فان النزوع الفكرى كثيرا ما يضاد النزوع الحيوانى وذلك بين ما نجده فينا •

واذ قد تبين من امر هذه القوة كيف نسبتها الى قوة التخيل وبين مع هذا على اى جهة تلفى فيها الكثرة فقد ينبغى ان نقول على اى جهة توجد عنها الحركة للحيوان وبكم شىء تلتئم هذه الحركة المكانية •

فنقول ان كل متحرك كما تبين فى الاقاويل العامة فله محرك والمحرك منه اول وهو الذى لايتحرك اصلا عند مايحرك ومنه مايحرك بان يتحرك، وذلك فى جميع الحركات التى تلتئم من اكثر من محرك واحد، وهو من البين ان هذه الحركة التى للحيوان فى المكان من الحركات التى تلتئم من اكثر محرك واحد، وان فيها هذين الجنسين من المحركات اعنى المحرك الذى لا يتحرك اصلا الا بالعرض والمحرك الذى يتحرك، وان المحركين لهذه الحركة التى بها يلتئم وجودها

(١) نسـا المشوقات

منها اجسام، ومنها قوى نفسانية •

اما الاجسام التى منها تلتئم هذه الحركة فسنفحص عنه فى كتاب حركات الحيوان المكانية •

واما القوى فلنفحص عنها فى هذا الموضع، وهو من الظاهر ان هذه الحركة انما توجد للحيوان عن قوتين من قوى النفس، وهى القوى المتخيلة، والقوة النزوعية•

وذلك انه مما يتبين عن قرب ضرورة تقدم هاتين القوتين لهذه الحركة، إلا انه قد يتخيل الشيء وينزع اليه من غير ان يتحرك ولذلك مايحتاج ضرورة فى هذه الحركة الى وجود نسبة ما بين هاتين القوتين بها يكون الحيوان متحركا ضرورة، وليس ذلك شيئا اكثر من كون الصورة المتخيلة محركة للنفس النزوعية، والنزوعية متحركة عنها، وقابلة لها فانه عند مايحرك الصورة المتخيلة للنفس تحرك النزوعية الحار الغريزى فيحرك هو سائر الاعضاء الحركة ولذلك متى كفت عن نفس النزوعية عن التحريك اولم تكف بينهما هذه النسبة كفت الحركة •

وذلك ان النزوع ليس شيئا اكثر من تشوق حضور الصور المحسوسة من جهة ما تتخيلها فاذا حصلت هذه الملازمة بين هاتين القوتين من الفعل والقبول تحرك الحيوان ضرورة الى ان تحصل تلك الصورة المتخيلة محسوسة بالفعل فاذن الصورة المتخيلة

هي

هى المحرك الاقصى فى هذه الحركة، والقوة النزوعية متحركة عنها على طريق الادراك، هى المحرك الاول فى المكان ولذلك نسبت اليه هذه الحركة دون النفس المدركة التى هى علة النزوع، والحال التى اذا حصلت فى النفس النزوعية حركت الحار الغريزى، وحرك الحار الغريزى الاعضاء هى التى يسميها المفسرون بالاجماع، ولذلك متى وجدت هذه الصورة المتخيلة والنزوع دون هذه الحال لم يكن لها جدوى فى تحريك ذلك الحيوان اذ كانت الصورة الخيالية انما وجودها من اجل الحركة، وعدم قبول النفس النزوعية للتحريك عن الصورة المتخيلة يسمى مللا وبطوء قبولها يسمى كسلا، كما ان ضده يسمى نشاطا •

فقد قلنا بماذا تلتئم هذه الحركة وكيف تلتئم ومتى تلتئم وقلنا مع ذلك فى وجود النفس النزوعية وماهيتها •

وهنا انقضى القول فى الاقاويل الكلية من علم النفس حسب ماجرت به عادة المشائين •

فاما القول فى سائر القوى الجزئية مثل الحفظ والذكر والتذكر وما يلزم عنها من الادراكات، وبالجملة سائر الادراكات النفسانية، فالقول فيها فى كتاب الحس والمحسوس، والحمد لله حق حمده

انتهى كتاب النفس ويتلوه كتاب

ما بعد الطبيعة ان شاء الله تعالى

كتاب ما بعد الطبيعة

للفقيه القاضي العلامة ابى الوليد

محمد بن احمد بن محمد بن رشد

رضى الله عنه المتوفى

سنه ٥٩٥ه‍

طبع

بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بعاصمة الدولة

الاسلامية الآصفية حيدرآباد الدكن لازالت

شموس افاداتها بازغة وبدور

افاضاتها طالعة الى

آخر الزمن

سنة ١٣٦٥ه‍

بسم الله الرحمن الرحيم

والاستيفاق من الله العلى العظيم

قصدنا فى هذا القول ان نلتقط الاقاويل العلمية من مقالات ارسطو الموضوعة فى علم ما بعد الطبيعة على نحو ماجرت به عادتنا فى الكتب المتقدمة فنبتدىء اولا فنخبر بغرض هذا العلم ومنفعته واقسامه ومرتبته ونسبته وبالجملة فنبتدىء بالامور النافع تقدم تصورها عند الشروع فى هذه الصناعة •

فنقول انه قد قيل فى غير ما موضع ان الصنائع والعلوم ثلاثة اصناف، اما صنائع نظرية وهى التى غايتها المعرفة فقط واما صنائع عملية وهى التى العلم فيها من اجل العمل واما صنائع معينة فى هذه ومسددة وهى الصنائع المنطقية، وقد قيل ايضا فى كتاب البرهان ان الصنائع النظرية صنفان كلية وجزئية فالكلية هى التى تنظر فى الموجود باطلاق وفى اللواحق الذاتية له، وهذه ثلاثة اصناف صناعة الجدل وصناعة السفسطة وهذه الصناعة، واما الجزئية فهى التى تنظر فى الموجود بحال ما وقيل ايضا هنالك ان الجزئية اثنتان فقط

العلم

العلم الطبيعي وهو الذي ينظر في الموجود المتغير وعلم التعاليم وهو الذي ينظر في الكمية مجردة عن الهيولى وهذا كله مما وضع وضعا في كتاب البرهان وينبغي ان ننظر في ذلك هاهنا •

فنقول اما انقسام هذه الصنائع النظرية الى هذه الثلاثة الاقسام فقط فذلك شيء عرض بالواجب لانقسام الموجودات انفسها بهذه الانحاء الثلاثة وذلك انه لما تصفحت الموجودات وجد بعضها قوامها انما هو في هيولى فجعل النظر في هذا النوع من الموجودات في لواحقها على حدة وذلك بين لمن زاول العلم الطبيعي، ووجد ايضا بعضها ليس يظهر في حدودها الهيولى وان كانت موجودة في هيولى وذلك بين ايضا لمن نظر في التعاليم فجعل النظر ايضا في جميع انواع هذه ولواحقها على حدة، ولما لاحت في العلم الطبيعي مبادىء اخر ليست في هيولى ولاهي موجودة بحال ما بل وجودا مطلقا كان من الواجب ان يكون النظر فيها بصناعة عامة تنظر في الوجود مطلقا - وايضا فان هاهنا امورا عامة تشترك فيها الامور المحسوسة وغير المحسوسة مثل الوحدة والكثرة والقوة والفعل وغير ذلك من اللواحق العامة •

وبالجملة الاشياء التي تلحق الامور المحسوسة من جهة ما هي موجودة وهي الجهة التي تخص الامور المفارقة على ما سنبين بعد وليس يمكن ان ننظر في مثل هذه الاشياء صناعة

الا الصناعة التى يكون موضوعها الموجود باطلاق، واذا كان هذا هكذا ولاح ان العلوم النظرية قسمان جزئية وكلية وكانت الجزئية قد سلف فيها القول فالذى بقى علينا القول فيه هو هذا العلم الذى غرضه كما تبين النظر فى الموجود بما هو موجود وفى جميع انواعه الى ان ينتهى الى موضوعات الصنائع الجزئية وفى اللواحق الذاتية له وتوفية جميع ذلك الى اسبابه الاول وهى الامور المفارقة ولذلك ليس يعطى هذا العلم من الاسباب الا السبب الصورى والغائى والفاعل بوجه ما اعنى لا على الوجه الذى يقال عليه الفاعل فى الاشياء المتغيرة اذ كان ليس من شرط الفاعل ههنا ان يتقدم معقولة(١) تقدما زمانيا كالحال فى الامور الطبيعية وكما ان جميع ما يعطى اسبابه فى العلم الطبيعى انما يعطى من جهة الطبيعة والاشياء الطبيعية كذلك ما يرام ههنا من اعطاء الاسباب للامور الموجودة انما يعطى من جهة الآلة والاشياء الآلية(٢) وهى الموجودات التى ليست فى هيولى

وبالجملة فقصده الاول فى هذا العلم انما هو ان يعطى ما بقى عليه من العلم بمعرفة اقصى اسباب الامور المحسوسة، وذلك ان الذى تبين من ذلك فى العلم الطبيعى هو السببان الاقصيان فقط اعنى الهيولانى والمحرك وبقى عليه ههنا ان يبين السبب الصورى لها والغائى والفاعل فانه يظن ان فرقا بين المحرك والفاعل فان المحرك انما يعطى المتحرك الحركة فقط والفاعل يعطى الصورة التى بها الحركة وانما

---

(١) كذا ولعله مفعوله (٢) صف ــ الالهية ــ اختص

اختص هذا العلم بهذه المعرفة لان الامور التى يوقف بها على وجود هذه الاسباب هى امور عامة وذلك ايضا بعد ان يتسلم هاهنا مالاح فى العلم الطبيعى من وجود محرك لا فى هيولى .

واما السبب الهيولانى والمحرك الاقصى فكانت هنالك اعنى فى العلم الطبيعى مقدمات امكن منها الوقوف عليهما بل ليس يمكن بيانهما على التخصيص فى غيره وبخاصة السبب المحرك، واما البيانات التى يستعملها ابن سينا فى بيان المبدأ الاول فى هذا العلم فهى اقاويل جدلية غير صادقة بالكل وليس تعطى شيئا على التخصيص وانت تتبين ذلك من المعاندات التى عاندها بها ابو حامد فى كتابه فى التهافت ولذلك يتسلم كما قلنا صاحب هذا العلم وجوده عن العلم الطبيعى ويعطى الجهة التى بها يكون محركا كما يتسلم وجود عدد المحركين عن صناعة النجوم التعاليمية، وليس مالاح فى العلم الطبيعى من وجود مبادىء مفارقة فضلا فى هذا العلم كما يقول ابن سينا بل ذلك ضرورى اذ كان هذا العلم يستعمل ذلك على جهة الاصل الموضوع وهى احد اجزاء موضوعاته - فقد تبين من هذا القول ماغرض هذا العلم وما موضوعاته - واما اقسامه فانما نجده منتشرا فى المقالات المنسوبة لارسطو لكنه مع هذا ينحصر فى ثلاثة اقسام - القسم الاول ينظر فيه فى الامور المحسوسة بما هى موجودة وفى جميع اجناسها التى هى المقولات(١) العشر وفى جميع اللواحق التى يلحقها

---

(١) صف - المعقولات -

وينسبب ذلك الى الاوائل فيها بقدر ما يمكنه فى هذا الجزء واما القسم الثانى فينظر فيه فى مبادى الجوهر وهى الامور المفارقة ويعرف اى وجود وجودها وينسبها ايضا الى مبدأها الاول الذى هو الله تعالى ويعرف الصفات والافعال التى تخصه وبين ايضا نسبة سائر الموجودات اليه وانه الكمال الاقصى والصورة الاولى والفاعل الاول الى غير ذلك عن الامور التى تخص واحدا واحدا من الامور المفارقة وتعم اكثر من واحد منها •

والقسم الثالث ينظر فيه فى موضوعات العلوم الجزئية ويزيل الاغاليط الواقعة فيها لمن سلف من القدماء وذلك فى صناعة المنطق وفى الصناعتين الجزئيتين اعنى العلم الطبيعى والتعليمى وانما كان ذلك كذلك لانه ليس من شأن العلوم الجزئية ان تصحح مباديها ولا ان تزيل الغلط الواقع فيها على ما تبين فى كتاب البرهان وانما ذلك الى صناعة عامة وذلك اما هذه الصناعة واما صناعة الجدل الا ان صناعة الجدل انما تبطل تلك الآراء باقاويل مشهورة ليس يؤمن ان ينطوى فيها كذب وهذه باقاويل صادقة وان كان يلحقها ان تكون مشهورة فلهذا ما كان من ضرورة هذا العلم تصحيح مبادىء الصنائع الجزئية •

وتبين من هذا ان الاجزاء الضرورية من هذا العلم انما هى الجزءان الاولان فقط واما الجزء الثالث فعلى جهة الافضل اذ كان

وجودا

وجود اكثر موضوعات العلوم الجزئية وجهة وجودها من الامور البينة بنفسها وانما وقع فيها غلط لمن سلف من القدماء فكان من تمام المعرفة بها حل تلك المغالطات بمنزلة ما تكون حل الشكوك الواقعة فى الشيء فى تمام المعرفة به مع حصول المعرفة بجوهره لكن رأينا نحن ان نجعل هذا الكتاب خمس مقالات ٠

المقالة الاولى نذكر فيها الصدر الذى نحن بسبيله و نشرح فيها الاسماء المستعملة فى هذه الصناعة ٠

والمقالة الثانية نذكر فيها الامور التى تنزل من الجزء الاول من هذه الصناعة منزلة الانواع ٠

والمقالة الثالثة نذكر فيها اللواحق العامة لها ٠

والرابعة تتضمن القول فيما يشتمل عليه الجزء الثانى من هذا العلم ٠

والمقالة الخامسة تحتوى على ما تضمنه الجزء الثالث من هذه الصناعة ٠

واما منفعة هذا العلم فهى من جنس منفعة العلوم النظرية وقد تبين ذلك فى كتاب النفس وقيل هنالك ان الغرض بها هو استكمال النفس الناطقة حتى يحصل الانسان على كمالها الاخير لكن وان كانت منفعة هذا العلم من جنس منفعة العلوم النظرية فهى من اجلها رتبة فى ذلك اذ كانت نسبة هذا العلم الى سائر العلوم النظرية

نسبة الغاية والتمام لان بمعرفته تحصل معرفة الموجودات باقصى اسبابها الذى هو المقصود من المعرفة الانسانية وايضا فان العلوم الجزئية انما تحصل على التمام بهذا العلم اذ كان هو الذى يصحح مباديها ويزيل الغلط الواقع فيها على ما قلنا •

واما مرتبته فى التعليم فبعد العلم الطبيعى اذ كان كما قلنا يستعمل على جهة الاصل الموضوع ما تبرهن فى ذلك العلم من وجود قوى لافى هيولى •

ويشبه ان يكون انما سمى هذا العلم علم ما بعد الطبيعة من مرتبته فى التعليم والا فهو متقدم فى الوجود ولذلك يسمى الفلسفة الاولى فقد تبين من هذا القول ما غرض هذا العلم وما اقسامه وما منفعته ونسبته ومرتبته وما يدل عليه اسمه •

واما انحاء التعليم المستعمل فيه فهى انحاء التعليم المستعملة فى سائر العلوم واما انواع البراهين المستعملة فيه ايضا فهى اكثر ذلك دلائل اذ كنا انما نسير فيه ابدا من الامور التى هى اعرف عندنا الى الامور التى هى اعرف عند الطبيعة لكن كما قيل جل ما فى هذا العلم اما ان تكون امورا بينة اوقريبة من ان تكون بينة بنفسها او امورا تبينت فى العلم الطبيعى واذ قد تبين جميع ما قصدنا له من اول الامر فلنشر الى القول فى شىء شىء مما فى القسم الاول من هذا العلم بعد ان نقسم على كم وجه تقال الاسماء الدالة على موضوعات هذا

العلم واجزاء موضوعاته لتكون عندنا عتيدة عند الفحص عن شيء شيء مما يطلب فيه .

فنقول الموجود يقال على انحاء احدها على كل واحد من المقولات العشر وهو انواع الاسماء التى تقال بترتيب وتناسب لا الذى يقال باشتراك محض ولا بتواطؤ ويقال ثانيا على الصادق وهو الذى فى الذهن على ما هو عليه خارج الذهن كقولنا هل الطبيعة موجودة وهل الخلاء غير موجود ويقال ايضا على ماهية كل ماله ماهية وذات خارج النفس سواء تصورت تلك الذات او لم تتصور فالمقولات العشر يجتمع فيها ان يقال عليها اسم الموجود بهذين المعنيين احدهما من حيث لها ذوات خارج النفس والثانى من حيث تدل على ماهيات (١) تلك الذوات وبهذا ما كان اسم الموجود يرجع الى هذين المعنيين فقط اعنى الى الصادق والى ما هو موجود خارج النفس وذلك ايضا الى قسمين اما الى الانواع واما الى الصور اعنى صور الانواع وماهياتها واما الموجود بالعرض فليس يتصور فى الموجود المفرد فان ذات الشيء وماهيته ليست يمكن ان تكون بالعرض وانما تتصور عند نسبة الموجودات بعضها الى بعض فانا متى قايسنا بين موجودين واقتضت تلك النسبة ان يكون احدهما ماهية الثانى مثل وجود المركز للدائرة اومعادلة الزاويتين القائمتين لزوايا المثلث او ان يكون كل واحد منهما فى ماهية صاحبه مثل الابن

(١) بهامش صف ـ تصورات .

والاب قيل فيهما انهما موجودان بالذات ومتى لم يكن ولا فى ماهية واحد منهما ان يوجد للآخر قيل ان ذلك بالعرض مثل قولنا البناء يضرب العود والطبيب ابيض، وقد يدل بلفظة الموجود على النسبة التى تربط المحمول بالموضوع فى الذهن وعلى الالفاظ الدالة على هذه النسبة سواء كان ذلك الارتباط ارتباط ايجاب او سلب صادقا كان اوكاذبا بالذات او بالعرض،فهذه اشهر المعانى التى يقال عليها اسم الموجود فى الفلسفة وهو من الاسماء المنقولة فان المعنى الذى يدل به عند الجمهور عليه غير الذى يدل به هاهنا عليه اذ كان عند الجمهور انما يدل على حالة ما فى الشىء كقولهم وجدت الضالة وهو بالجملة انما يدل عندهم على معنى فى موضوع لم يصرح به ولذلك ظن بعضهم انه يدل على عرض فى الشىء لا على ذاته اذ كان عند الجمهور من الاسماء المشتقة وليس ينبغى ان يلتفت الى ذلك بل يجب ان يفهم منه هاهنا اذا اوردنا به الدلالة على الذات ما يفهم من قولنا شىء وذات وبالجملة ما يفهم من الاسماء التى هى مثل اول ولهذا نجد بعضهم قد ظن ان اسم الموجود المنطلق على الصادق انه بعينه المنطلق على الذات ولهذا ايضا ما رأوا انه عرض قالوا ولو كانت لفظة الموجود تدل على الذات لكان قولنا فى الجوهر انه موجود خلف من القول وجهلوا ان الموجود هاهنا على غير المعنى الذى يقال هنالك وايضا فانه ان كان يدل على عرض فى الشىء كما يكر وذلك ابن سينا

فلا

فلا يخلو الامر فى ذلك من شيئين اما ان يكون ذلك العرض من المعقولات الثوانى او يكون من المعقولات الاول فان كان من المعقولات الاول كان ضرورة احد المقولات التسع ولم ينطلق اسم الموجود على الجوهر وعلى سائر مقولات العرض الا من جهة ما تعرض لها تلك المقولة او يكون هاهنا جنس واحد من الاعراض مشتركا للمقولات العشر وهذا كله محال شنع وعلى هذا فما كان يصح ان يؤتى به فى جواب ما هو فى شخص شخص من اشخاص المقولات العشر وهذا كله بين بنفسه ٠

واما ان كان من المعقولات الثوانى وهى المعقولات التى وجودها فى الذهن فقط فذلك ليس يمتنع فان احد ما عددنا انه ينطلق عليه اسم الموجود هو هذا المعنى وهو المرادف للصادق لكن هذا المعنى والمعنى الذى يدل به على الذوات منفردة متباينان جدا وهذا كله بين بايسر تأمل ولكن هذا شأن هذا الرجل فى كثير مما يأتى به من عند نفسه ٠

الهوية

تقال بترادف على المعانى التى ينطلق عليها اسم الموجود الا انها ليست تنطلق على الصادق وهى ايضا من الالفاظ المنقولة لانها عند الجمهور حرف ومنها اسم ولذلك الحق بها الطرف(١) المختص بالاسماء وهو الالف واللام واشتق منها اسم المصدر

---

(١) ن ـ الحرف ٠

الذى هو الفعل او الصورة التى يصدر عنها الفعل فقيل الهوية من الهو كما تشتق الانسانية من الانسان والرجولية من الرجل وانما فعل ذلك بعض المترجمين لانهم رأوا انها اقل تغليطا من اسم الموجود اذ كان شكله شكل اسم مشتق .

الجوهر

يقال اولا واشهر ذلك على المشار اليه الذى ليس هو فى موضوع ولا على موضوع اصلا ، ويقال ثانيا على كل محمول كلى عرف ماهية المشار اليه من جنس او نوع او فصل ، ويقال ثالثا على كل ما دل عليه الحد ، وذلك اما على كل ما عرف ماهية الجوهر واما على ما عرف ماهية شىء ما اى شىء كان من المقولات العشر ولذلك يقولون ان الحدود تعرف ماهيات الاشياء وهذا انما يسمى جوهرا بالاضافة لا بالاطلاق — ولما كان اشهر معانى الجوهر هو المشار اليه الذى هو لا فى موضوع ولا على موضوع إذ كان هذا هو المقر به عند جميع المتفلسفين انه جوهر كان ما عرف ماهية هذا الشىء المشار اليه عندهم احرى ان يسمى جوهرا ، ولذلك من رأى ان كليات الشىء المشار اليه هى التى تعرف ماهيته رأى انها احق باسم الجوهر ومن رأى ان الجنسية هى التى تعرف ماهية هذا المشار اليه وان قوامها انما هو بالطول والعرض والعمق سمى هذه الابعاد جوهرا ، وكذلك من رأى ان الذات المشار اليها تأتلف من اجزاء

لاتتجزى

لا تتجزى مما ها جوهرا كما نسمع المتكلمين من اهل زمانا يسمون الجزء الذى لايتجزى الجوهر الفرد وكذلك من يرى ان المشار اليه انما يأتلف من مادة وصورة كانت الصورة والمادة عنده احق باسم الجوهر وذلك ايضا بحسب ما يظن فى مادة كل واحد من الاشياء وصورتها وانما اجمعوا باسرهم على هذه القضية اعنى ان ما عرف ماهية المشار اليه احق باسم الجوهر من المشار اليه اذ كان من الشنع المستحيل ان يكون اوائل الجوهر واسطقساته ليست بجوهر فان الشىء الذى هو سبب لامر ما هو احرى بذلك الامر الذى هو له سبب •

ومثال ذلك ان الشىء الذى هو بعينه علة للاشياء الحارة هو احق باسم الحرارة ولذلك لم يضع واحد منهم العرض من جهة ما هو عرض جزء جوهر بل من جهة ما ظن به انه معرف ذات الجوهر المشار اليه كمن جعل الابعاد جوهرا واذا كان هذا هكذا فان تبين ان ها هنا موجودا مفارقا هو السبب فى وجود هذا الجوهر المشار اليه كان هو احق باسم الجوهر فلذلك ما يسمى ارسطو العقول المفارقة جوهر وهذا الاسم عند المتفلسفين هو ايضا منقول من الجوهر عند الجمهور وهى الحجارة التى يغالون فى اثمانها ووجه الشبه بين الاسمين ان هذه لما كانت انما سميت جواهر بالاضافة الى سائر المقتنيات لشرفها ونفاستها عندهم وكانت ايضا مقولة

الجوهر اشرف المقولات سميت جوهرا •

العرض

يقال على ما لا يعرف من المشار اليه الذى ليس فى موضوع ماهيته وهو ضربان - ضرب لا يعرف من شىء ذاته وهو شخصه والثانى ما يعرف من شخصه ذاته وهو كليته واسم العرض منقول مما يدل به عند الجمهور وهو الشىء السريع الزوال وينقسم بالجملة الى المقولات التسع التى هى الكمية والكيفية والاضافة واين ومتى والوضع وله وان يفعل وان ينفعل، وقد عرفت فى كتاب المقولات دلالات هذه الالفاظ، فالكمية تقال على كل ما يقدر بجزء منه وهى انما تقال اولا بنوع حقيقى على العدد ثم على سائر الاجناس التى عددت هنالك، والكمية منها بالذات ومنها بالعرض فالتى بالذات مثل العدد وسائر تلك الانواع التى عددت والتى بالعرض مثل السواد والبياض فانه يلحقهما التقدير من جهة ما هما فى عظم والذى بالذات قد توجد للشىء وجودا اوليا مثل وجود التقدير للعدد والعظم وقد يوجد ثانيا وبتوسط شىء آخر مثل الزمان فانه انما عد فى الكمية من اجل الحركة والحركة من اجل العظم •

وابعد من هذا دخول الثقل والخفة فى الكمية فانهما كيفيتان وانما لحقهما التقدير من جهة انهما فى اعظام وقد تقرب

من

من هذا ايضا سائر الكيفيات التي توجد للاعظام مثل الكبير والصغير والضيق والعريض والعميق فان هذه وان كانت كالكيفيات فانها انما عدت من الكمية لكونها موجودات وجودا اولا فى الاعظام — واما الكيفية فقد تقال على اعم مما قيلت عليه فى كتاب المقولات وذلك انها تقال على الاجناس الاربعة التى عددت هنالك وقد تقال ايضا على الصور النوعية كالانسانية والحيوانية ومنها مايوجد فى الجوهر بذاته مثل الملكة والحال ومنها مايوجد بتوسط مقولة اخرى مثل الشكل فانه انما يوجد فى الجوهر بتوسط الكمية، واما الاضافة فانه يلحق جميع المقولات العشر وذلك انها توجد فى الجوهر كالابوة والبنوة والمثل وفى الكم كالنصف والضعف والمساوى وفى الكيف كالشبه والعلم والمعلوم وفى الاين كالمتمكن والمكان وفى المتى كالمتقدم والمتأخر وفى الوضع كاليمين واليسار وفى ان يفعل وينفعل كالفاعل والمفعول، والفرق بين هذه الخمس المقولات التى تتقوم بالنسبة وبين الاضافة التى انما وجودها فى النسبة ان النسبة المأخوذة فى الاضافة هى نسبة بين شيئين تقال ماهية كل واحد منهما بالقياس الى الثانى مثل الابوة والبنوة واما النسب المأخوذة فى الاين والمتى وسائر تلك فانما يقال احدهما الى الثانى فقط •

ومثال ذلك ان الاين كما قيل نسبة الجسم الى المكان فالمكان

مأخوذ فى حده الجسم ضرورة وليس من ضرورة حد الجسم ان يؤخذ فيه المكان ولا هو من المضاف فان اخذ من حيث هو متمكن لحقته الاضافة وصارت هذه المقولة بجهة ما داخلة تحت مقولة الاضافة وكذلك سائر مقولات النسب •

وبالجملة مقولة الاضافة اما ان تكون لاحقة للاشياء المضافة بذاتها لا بتوسط شيء آخر كالبنوة والابوة واليمين واليسار واما ان تكون لاحقة للشيء بتوسط مقولة اخرى مثل الفاعل والمفعول الذى لحقتها الاضافة بتوسط مقولة ان يفعل وان ينفعل، وقد تلحق الاضافة سائر لواحق المقولات مثل التقابل والتضاد والعدم والملكة وهى بالجملة قد تكون من المعقولات الاول ومن المعقولات الثوانى كالاضافة التى بين الجنس والنوع •

الذات

تقال باطلاق على المشار اليه الذى ليس هو فى موضوع ولا على موضوع وهو شخص الجوهر وتقال ايضا على كل ما يعرف من هذا المشار اليه جوهره وهى كليات الجواهر وتقال ايضا على المشار اليه الذى فى موضوع وهو شخص العرض وعلى كل ما عرف ما هيته وهى المقولات التسع وانواعها ولكون هذه اللفظة انما تقال بتقديم على المشار اليه الذى ليس فى موضوع كان احرى ان يطلق على ما ليس هو فى موضوع ولا هو موضوع لشيء اصلا ان تبرهن وجود

شيء بهذه الصفة، واما ذات الشيء اذا استعملت هكذا مضافة فانما نعني به ماهيته او جزء ماهيته، واما بذاته فانه يقال على اوجه احدها انه يقال على المشار اليه الذي ليس في موضوع وهو شخص الجوهر ويقال ايضا على كل ما عرف منه ما هو •

وبالجملة على كل ما يقال عليه الجوهر باطلاق وقد يقال ما بالذات في مقابل ما بالعرض وقد فصل ذلك في كتاب البرهان وقيل هنالك ان ذلك يكون في القضايا الحملية على وجهين، احدهما ان يكون المحمول في جوهر الموضوع مثل النطق المأخوذ في جوهر الانسان، والثاني ان يكون الموضوع في جوهر المحمول مثل وجود الزوايا المساوية لقائمتين في المثلث، وقد يقال ما بذاته في المحمولات التي توجد في موضوعاتها وجودا اوليا مثل وجود اللون للسطح والحياة في النفس . فان اللون انما يوجد للجسم بتوسط السطح والحياة للبدن بتوسط النفس وهذا احد ما يدل عليه اسم المحمول الاول في القضايا البرهانية ، وقد يقال ما بذاته للموجود الذي ليس له سبب متقدم عليه لا فاعلي ولا صوري ولا مادي ولا غائي وهو المحرك الاول على ما لاح في العلم الطبيعي وما سيأتي بعد •

الشيء

واما لفظة الشيء فانها تقال على كل ما تقال عليه لفظة الموجود وقد تقال ايضا على اعم ما تقال عليه لفظة الموجود وهو كل معنى

متصور فى النفس سواء كان خارج النفس كذلك او لم يكن كقرايل(١) وعنقاء مغرب وبذلك يصح قولنا هذا الشيء اما موجود واما معدوم ولهذا ينطلق اسم الشيء على القضية الكاذبة ولا ينطلق عليه اسم الموجود •

الواحد

يقال بنوع من انواع الاسماء المشككة فمن ذلك الواحد بالعدد يقال اولا واشهر ذلك على المتصل كقولنا خط واحد وسطح واحد وجسم واحد واولى ما قيل فيه من هذه واحد ما كان تاما وهو الذى ليس يمكن فيه زيادة ولا نقص كالخط المستدير والجسم الكرى، والمتصل قد يكون متصلا بذاته (٢) مثل الخط والسطح وقد يكون متصلا بمعنى (٣) فيه مثل الاجسام المتشابهة الاجزاء وبذلك نقول فى الماء المشار اليه انه واحد ـ وقد يقال واحد على المرتبة المتماسة وهى التى حركتها واحدة واحرى ما قيل فيها واحد ما كان مرتبطا بالطبيعة وهى الاشياء الملتحمة كاليد الواحدة والرجل الواحدة ومن هذه ما لم تكن لها الا حركة واحدة فقط وقد يقال دون ذلك على المرتبطة بالصناعة كالكرسى الواحد والخزانة الواحدة وقد يقال الواحد على الشخص الواحد بالصورة مثل زيد وعمرو فهذه هى اشهر المعانى التى يقال عليها الواحد بالعدد وهو

---

(١) كذا (٢) صف ـ بالوهم (٣) بهامش صف ـ بالوجود .

بالجملة

بالجملة انما يدل به الجمهور على هذه الاشياء من حيث هي منحازة(١) عن غيرها ومنفردة بذاتها ومن هذه الجهة يجرد العقل معنى الواحد الغير المنقسم الذى هو مبدأ العدد ــ فان العقل ليس يفهم فى شىء ما انه غير منقسم فى حال من احواله الا ان يفهم ان فيه معنى غير منقسم على الاطلاق كما انه ليس يفهم انفصال شىء عن شىء الا بعد فهمه الانفصال فاذا كرر العقل الواحد المنطلق حدث الكم المنفصل باطلاق وهو العدد وصار كلما يعد انما لحقه العدد بتوسط العدد المطلق اذ ليس يتصور فى بادى الرأى من معنى الوحدة والواحد غير هذه ولذلك قيل فى حد الوحدة العددية انها التى بها يقال فى شىء شىء انه واحد فمن هذه الاشياء ما هى منحازة باماكنها التى تحويها وهو اشهر الانحيازات ومنها ما هى منحازة بنها يا تها فقط وهى المتماسة ومنها ما انحيازها بالوهم فقط وبهذه الجهة تلحق العدد المتصل واذا كان هذا هكذا فالواحد العددى فى هذه الاشياء انما يدل منها على امور هى خارجة عن ذاتها •

وبالجملة على اعراض لاحقة لها (فى الفهم والذهن ومن هذه الجهة يكون العدد داخلا من بين المقولات العشر فى الكم ويكون الواحد من هذا المعنى مبدأ العدد فان العدد جماعة الآحاد التى بهذه الصفة والجمهور ــ٢) يكون من حيث هى غير منقسمة ومن هذه

---

(١) ما بين القوسين من د (٢) بها مش صف الممتاز .

الجملة(١) يحدث فى الذهن الواحد الذى هو مبدء العدد وذلك ان العقل اذا جرد من هذه الاشخاص هذا المعنى الغير منفصل الى شخصين او اكثر من ذلك كان ذلك هو الواحد الذى هو مبدأ العدد فاذا كرره الذهن حدث العدد ويكون العدد داخلا من بين المقولات العشر فى جنس الكم ويكون الواحد مبدأ له اذ كان العدد انما هو جماعة الآحاد التى بهذه الصفة ومكيالا اذ كان العدد انما يقدر بالواحد ومن قبله لحق التقدير للاشياء التى توجد فيها اول بالطبع اعنى الغير المنفصل فى ذلك كالاول فى جنس الكيفيات وجنس المقدرات والجمهور ليس يعرفون من معنى الواحد اكثر من هذا .

واما فى هذه الصناعة فان الواحد يستعمل فيها مرادفا للموجود(٢) فمن ذلك الواحد بالعدد قد يدل به على الشخص الذى لا يمكن ان ينقسم بما هو شخص كقولنا انسان واحد وفرس واحد وبقريب من هذا نقول فى الشىء الممتزج من اشياء كثيرة انه واحد كالسكنجبين المؤلف من الخل والعسل وليس يشبه هذا المعنى من الوحدة الذى به نقول فى المتصل انه واحد فان المتصل ليس ينقسم الى اجزاء محدودة العدد بالطبع كالخل فى السكنجبين وايضا فان انحياز الاعظام المتصلة امر خارج عن جوهرها وليس كذلك

(١) كذا والظاهر الجهة ح — (٢) بها مش صف لذات الشىء وماهيته

انحياز

انحيازا لممتزج عما امتزج منه ولا هذا الصنف ايضا داخل فى الاشياء المركبة من اكثر من شىء واحد فان اجزاء المركب موجودة بالفعل فى المركب وليس كذلك اجزاء السكنجبين فى السكنجبين وهو بين ان الواحد ها هنا اذا اريد به الواحد بالشخص انما يدل به على انحياز للشخص المشار اليه فى ذاته وماهيته لا على انحياز شىء خارج عن ذاته كقولنا فى هذا الماء المشار اليه انه واحد بالعدد فان الانحياز فى مثل هذا انما هو عرض فى الماء ولذلك ما يبقى الماء بعينه عند انحيازه ولا انحيازه على جهة ما شأن الاعراض ان يتعاقب على الموضوع من غير ان يتغير فى جوهره ومن ها هنا ظن ابن سينا ان الواحد ما بالعدد وانما يدل على عرض فى الجوهر وغيره (اعنى على انحياز زائد على معنى الجوهر وانه ليس يمكن ان يدل على جوهر الشىء وغيره من سائر الاشياء المنحازة انحيازا هو عرض فى العرض وجوهر فى الجوهر وذلك انه زعم انه ان سلم ان الواحد بالعدد يدل على العرض والجوهر كان العدد –(١)) من سائر الاشياء المنحازة وانه ليس يمكن ان يدل على جوهر شىء اعنى على انحياز ليس زائد على معنى الجوهر وذلك انه زعم انه ان سلم ان الواحد بالعدد يدل على انحياز هو عرض فى العرض وجوهر فى الجوهر كان العدد مؤلفا من اعراض وجواهر ولم يكن داخلا تحت مقولة واحدة فضلا عن ان يكون داخلا تحت مقولة الكم وذلك محال .

---

(١) ما بين القوسين من ها مش صف.

قال وايضا فتى فرضناه انما يدل على الجوهر فقط لزم من ذلك محال آخر وهو ان تكون الجواهر تحل الاعراض والا فعلى اى جهة نقول فى العرض المشار اليه انه واحد بالعدد، وانما غلط فى ذلك من جهة ما اختلطت(١) عنده العرضية اللاحقة للشىء فى العقل مع العرضية اللاحقة له فى الوجود واعتقد ان الواحد يقال بتواطؤ على جميع الاجناس العشرة لا بتقديم وتأخير وانه الواحد العددى من جهة ما لحظ فيه الدلالة الجمهورية فظن ان انحيازات الاشياء ووحدانيتها هى اعراض فى جميع الاشياء المنحازة وسنبين هذا اكثر عند القول فى الوحدة والكثرة •

وقد يقال الواحد بالعدد فى هذه الصناعة على الجواهر المفارقة وهى بالجملة احرى ما قيل فيها واحد بالعدد اذ كانت لا تنقسم بالكيفية على جهة ما ينقسم المشار اليه الى مادة وصورة ولا ايضاً بالكمية على جهة ما ينقسم المتصل، وهذا النوع من الواحد بالعدد يبين من امره اخيرا انه يشبه الواحد الشخصى بالنوع بجهة ويشبه الواحد بالنوع بجهة اما شبهه للشخص فمن جهة انه لا يحمل على كثيرين ولا يقال بالجملة على موضوع واما شبهه بالنوع فمن جهة انه معنىً واحد مقول (٢) بذاته فهذه جميع الوجوه التى يقال عليها الواحد بالعدد •

وقد يقال الواحد والصورة على اوجه خمسة، احدها لواحد بالنوع كقولنا زيد وعمرو واحد بالانسانية، والثانى الواحد بالجنس

(١) د ـ اختلف (٢) صف ـ معقول

كقولنا فى شخص انسان وفرس انهما واحد بالحيوانية والجنس منه قريب ومنه بعيد ـ وكلما كان واحدا بالنوع فهو واحد بالجنس وليس ينعكس ويقرب من الواحد بالجنس الواحد بالهيولى والثالث الواحد بالموضوع الكثير بالحد كالتام والناقص والرابع الواحد بالمناسبة كقولنا ان نسبة الربان الى السفينة والملك الى المدينة نسبة واحدة، والخامس الواحد بالعرض كقولنا الثلج والكافور واحد بالبياض فهذه جميع المعانى التى يقال عليها الواحد بالذات •

وقد يقال الواحد بالعرض ايضا فى مقابلة ما بالذات كقولنا ان الطبيب والبناء واحد بعينه اذا عرض ان كان بناء طبيبا وهذا انما يتصور فى المعانى المركبة فاما المفردة فلا اذ كانت ذات الشىء المشار اليه لا تحصل بالعرض فقد تبين على كم وجه يستعمل الواحد فى هذه الصناعة فقد لاح انه مرادف ههنا للموجود وانه لا فرق فى هذه الصناعة بين ان يطلب الموجود الاول فى جنس جنس من اجناس الموجودات وبخاصة جنس الجوهر وبين ان يطلب الواحد الاول فى جنس جنس الا انه يلحق المبدأ من حيث هو واحد غير ما يلحقه من حيث هو موجود ولذلك كان اسم الواحد يقال بتشكيك على الاول الغير المنقسم فى كل جنس واحرى ما كان من ذلك اول من حيث هو علة الواحد فى الجوهر ومن حيث هو مقدر ومكيال الواحد فى الكمية العددية والواحد بالعدد مما ان يكون غير منقسم بالصورة

منقسما بالكمية كالانسان الواحد الفرس الواحد اما ان يكون غير منقسم بالكمية والصورة وهذا على ضربين ان كان له وضع فهو نقطة، وان لم يكن له وضع فهو الواحد الكلى الذى هو مبدأ العدد والمنطق بالطبع لجميع المعدودات، وذلك ان كل ماسواه فانما هى منطقات على التشبيه كالمكاييل والصنوج فى الموازين وغير ذلك، وينبغى ان يعلم ان اسم الواحد ينحصر فى اربعة اجناس الواحد بالاتصال والواحد بانه كل وتام والاول البسيط فى جنس جنس والواحد الكلى المقول بتقديم وتأخير او تشكيك على جميع ماعدد هنا من ذلك •

فى الهو هو والمقابل والغير والخلاف

الهو هو يقال على جهات معادة للجهات التى يقال عليها الواحد فمنه ماهو هو فى العدد وذلك فيما كان له اسمان كقولنا ان محمدا هو ابو عبدالله وبالجملة متى دل على شىء واحد بعلامتين، ومنه ما هو فى النوع كقولنا انك انت انا فى الانسانية، ومنه ما هو هو فى الجنس كقولنا ان هذا الفرس هو هذا الحمار فى الحيوانية، ومنه ماهو هو بالمناسبة وبالموضوع وبالعرض وقد تقدمت امثلة ذلك كله وهذا كله من قسمة ما بالذات وهو المقصود فى هذه الصناعة وفى غيرها ومنه بالعرض وهذا انما يذكر حيثما ذكر على جهة التحذير منه كقولنا ان موسيقار هو الطبيب اذا عرض ان كان الموسيقار طبيبا والهو هو فى

النوع اذا كان فى الجوهر قيل له مماثل و اذا كان فى الكمية قيل له مساو واذا كان فى الكيفية قيل له شبيه والشبيه، يقال على وجوه احدها على السطوح التى واوياها متساوية واضلاعها متناسبة، ويقال على اجسام متشابهة اذ كانت ذوات اشكال متشابهة وهى التى سطوحها متساوية بالعدد ومتشابهة الاشكال، ويقال عل التى صور انفعالاتها واحدة كاحمرين متساويين فى الحمرة، وقد يقال ايضا على ما احدهما تشترك فى اكثر الصفات اقل انفعالا كاحمرين احدهما اشد حمرة وقد يقال على الاشياء التى كقولنا ان القصدير يشبه الفضة او الرصاص

واما المتقابلات

فانه يدل بها على الاصناف الاربعة التى عددت فى كتاب المقولات وقد عرفتها برسومها هنالك وهى الموجبة والسالبة والاضداد والمضافان والملكة والعدم الا ان اسم الضد قد يستعمل على اعم مما يستعمل هنالك، وذلك انه قد كان قيل هنالك ان الاضداد بالحقيقة هى التى فى جنس واحد، وقد يقال اضداد على جهة التشبيه بهذه التى لا تجتمع معا فى موضوع واحد وان كانت مختلفة بالجنس، وقد يقال ايضا اضداد على جهة الاستعارة لما كان من هذه بسبب او كان بينهما نسبة مثل انها فاعلة لها او منفعلة عنها و بالجملة منسوبة اليها •

وكذلك اسم العدم يقال على وجه اكثر مما عددت هنالك وذلك ان الذى عدد منه هنالك ثلاثة اصناف فقط ــ احدها الا يوجد

فى الشيء ما شأنـه ان يوجد له فى الوقت الذى شأنه ان يوجد له
من غير ان يمكن وجوده له فى المستقبل مثل الصلع والعمى ـ والثانى
ان يكون مع هذا يمكن وجوده له فى المستقبل كالعرى والفقر(١)
والثالث ان لا يوجد فى الموضوع ما شأنه ان يوجد فيه على الحالة
التى شأنها ان يوجد فيـه كالحول فى العين والزمانة فى الاعضاء •

واما الوجوه الاخر التى يدل عليها اسم العدم مما عدا هذه فمنها
الا يوجد فى الشيء ما شأنه ان يوجد فى الموجود باطلاق كقولنا
فى الله انه لامائت ولا فاسد ـ ومنها ان لا يوجد فى الشيء ما شأنه
ان يوجد فى جنسه كقولنا فى الحمار انه لا ناطق ـ ومنها ان لا يوجد فى
الشيء ما شأنه ان يوجد فى نوعه كقولنا فى المرأة انها لاذكر ـ ومنها
ان يوجد فى الشيء ما شأنه ان يوجد فيـه فى وقت آخر كقولنا فى
الصبى انه لاعاقل •

واما الغير

فانه يقال على وجوه مقابلة للوجوه التى يقال عليها هو هو
فمنه غـير بالنوع ومنـه غـير بالجنس ومنـــه غـير بالمناسبـة و غير
بالموضوع •

والخلاف

يخلاف الغير فى ان الشيء يغاير بذاتـه ويخالف بشيء فيه
ولذلك يلزم ان يكون المخالف يخالف بشيء و يوافق بشيء

(١) صف ـ العقر •

فى

فى القوة والفعل

ولان الموجود ينقسم الى القوة والفعل، فلينظر على كم وجه تقال القوة والفعل فنقول ان القوة تقال على وجوه، فمنها انه يقال قوى على الاشياء المحركة لغيرها من جهة ما هى محركة للغير سواء كانت تلك القوى طبيعية او نطقية مثل الحار يسخن والطبيب يبرئ وبالجملة جميع الصنائع الفاعلة، ومنها ما يقال على القوى التى شأنها ان تتحرك من غيرها وهى المقابلة للقوى المحركة، وقد تقال على كل ما فى ذاته مبدأ حركة وبهذا تنفصل الطبيعة من الصناعة، وقد تقال القوة على الفعل الجيد وبهذا يقال ان فلانا له قوة على القول والمشى وغير ذلك مما يتصف به انسان انسان انه قوى عليه، وايضا قد يقال على كل ما ينفعل بعسر ويفعل بسهولة كما قيل فى مقولة الكيف .

وقد يستعمل المهندسون اسم القوة على وجوه غير هذه وذلك انهم يقولون ان خطا كذا قوى على خط كذا اذا قدر مربعه مربعه منقطع وهذه كلها انما يقال عليها اسم القوة بضرب من التشبيه والذى يستعمل عليه اسم القوة اكثر ذلك فى الحكمة واشهر عند الفلاسفة هو ما كان به الشىء مستعد: لأن يوجد بعد بالفعل وهذه هى القوة التى تقال على الهيولى وهى كما قلنا احرى ماقيل عليها اسم القوة وذلك ان كلما عددنا مما يقال عليه اسم القوة اذا تؤملت وجدت انها تقال على التشبيه بهذه وذلك ان الملكات والصور انما

قلنا فيها انها قوى لانها تفعل حينا وليس تفعل حينا فكأنها اشبهت ما بالقوة وكذلك قولنا فى الشيء ان له قوة على الشيء معناه ان له استعدادا جيدا وكذلك يظهر هذا المعنى فى جميعها •

وقد يقال ان اجزاء الشيء فى الشيء بالقوة وهذا على ضربين اما الاجزاء التى من قبل الكيفية وهى المادة والصورة واما التى من قبل الكمية وهذه متى كانت اجزاء تتصل كانت قوة محضة ومتى كانت بالفعل فى الشيء الا انها مرتبطة بعضها ببعض او ملصوقة كان اسم القوة عليها بتأخير وبقريب من هذا المعنى يكون وجود الاجزاء التى لا تتجزى فى المركب بحسب رأى من رأى ذلك وهذه القوة الحقيقية منها ما لها عائق من خارج يعوقها فهذا قد يمكن ان يقع وقد يمكن ان لا يقع كالحلفاء تحترق ومنها ما ليس لها عوائق من خارج وهذه ضرورة واقعة وخارجة الى الفعل مثل النصب السماوية التى توجد تارة بالقوة وتارة بالفعل •

واما الموجود بالفعل فهو ما ليس بموجود بالقوة واصنافه معادة لأصناف ما بالقوة وكلاهما معاد لاصناف المقولات والقوة بجهة ما عدم لكنها من اصناف الاعدام التى شأن المعدوم فيها ان يوجد فيما يستقبل — واذ قد تبين على كم وجه تقال القوة والفعل فلا قوة ايضا تقال على اوجه معادة لها — وقولنا لا قوة تنقسم بحسب انقسام اصناف الاعدام فمنها ما هو ضرورى كقولنا ان خط القطر

لا يقوى على ضلع المربع ومنها ما هو ممكن كقولنا فى الصبى لا قوة له على المشى •

فى التام والناقص والكل والجزء والجميع

التام يقال على وجوه — احدها انه لا يمكن ان يوجد شيء خارج عنه كقولنا فى العالم انه تام وبقريب من هذا المعنى تقول فى الدائرة انها تامة اذ كان لا يمكن فيها زيادة ولا نقصان ونقول فى الخط المستقيم انه ناقص اذ كان الخط يمكن فيه الزيادة والنقصان وهو بعد خط وكذلك نقول الجسم انه تام اذ كان ليس يوجد شيء ينقسم الى ابعاد اكثر مما ينقسم اليها الجسم ونقول فى الخط والسطح انه ناقص اذ كان الخط ينقسم الى بعد واحد والسطح الى بعدين وقد يقال ان الثلاثة عدد تام اذ كان لها مبدأ ونهاية ووسط وهذا المعنى ايضا يقرب من الاول وقد يقال تام على كل ماهو فاضل فى جنسه كقولنا طبيب تام وعواد تام وبهذه الجهة نقول فى الموجودات اذا لم ينقصها شيء من كمالها انها تامة •

وقد ينقل هذا المعنى على جهة الاستعارة للاشياء الردية فيقال سارق تام وكذاب تام وايضا يقال تامة فى الاشياء التى مع انها بلغت تمامها يكون ذلك التمام فى نفسه فاضلا وبهذه الجهة يقال فى الامور المفارقة انها تامة ونقول فى الاشياء المعلولة انها ناقصة واحرى ما قيل اسم التام بهذه الجهة على المبدأ الاول اذ كان هو علة الجميع وليس

هو معلو لا لشئ فهو اذن انما استفاد كماله بذاته وجميع الموجودات مستفيدة كمالها به فهو اذن اتم كمالا وقد يقال التمام باستعارة على كل ما له نسبة الى واحد واحد مما ينطلق عليه اسم التمام ٭

والكل

يدل به على الذى يحوى (١) جميع الاجزاء وليس يوجد خارجا عنه شيء وهو بالجملة مرادف لما يدل عليه التام بالوجه الاول من اوجه دلالته وبهذا نقول فى الجسم انه المنقسم الى كل الابعاد واسم الكل بالجملة يقال على ضربين اما على المتصل وهو الذى ليس له اجزاء بالفعل واما على المنفصل وهذا ايضا على ضربين احدهما ما لاجزائه وضع بعضها عند بعض كالاعضاء الآلية والثانى ماليس لاجزائه وضع بعضها عند بعض كالعدد والحروف الا انهم اختصوا الضرب الاول وهو الذى يقال على المتصل باسم الكل والثانى باسم الجميع وهو الذى يقال على المنفصل ٭

فى الجزء

والاجزاء تقال على ضربين ــ احدهما من جهة الكمية فقط وهذه منها ما هى مقدرة للشيء ومنها غير مقدرة وهذه منها ما هى بالفعل فى الشيء ومنها ماليست بالفعل ومنها متشابهة ومنها غير متشابهة والضرب الثانى مما يدل عليه باسم الجزء ما انقسم اليه الشيء من جهة الكيفية والصورة وبهذه الجهة نقول ان الاجسام مؤلفة

(١) فى الاصلين يحو

من مادة وصورة والحد مؤلف من جنس وفصل •

والناقص

يقال من جهة على الذى ليس بتام كقولنا عدد ناقص وزامر ناقص وقد يقال على ماليس بتمامه فى نفسه فاضلا وان كان ذلك الشىء تاما فى جنسه وبهذه الجهة نقول فى سائر الموجودات انها ناقصة بالاضافة الى المبدأ الاول، واما الناقص من جهة الكمية فليس يقال كيف ما اتفق بل ينبغى ان يكون ذلك الشىء مما له اجزاء مرتبطة بعضها ببعض وان يكون غير متشابهة الاجزاء او أن يكون مع هذا الشىء الذى يقال ينقصه موجودا له بالطبيعة وان يكون ذلك الذى (١) ينقص لا يرتفع به جوهر الشىء فان الشىء الذى يرتفع بارتفاعه جوهر الشىء لا يقال فيه انه ناقص وقد يقال على التشبيه بهذه الجهة ناقص على الامور الصناعية واما الزائد فيقال فى مقابلة الناقص •

المتقدم والمتأخر

يقال على وجوه خمسة ـ احدها المتقدم بالزمان ـ والثانى المتقدم فى الرتبة وذلك اما فى مبدأ محدود وذلك اما فى القول واما فى المكان ـ والثالث المتقدم بالشرف ـ والرابع المتقدم بالطبع والخامس المتقدم بالسببية وقد عرفت فى كتاب المقولات ما الذى يدل به على كل واحد من هذه الاقسام فلامعنى لاعادة ذلك •

وقد يقال المتقدم على وجه سادس وهو متقدم فى المعرفة فانه

---

(١) د ـ غير ذلك

ليس كل ما كان متقدما فى المعرفة هو متقدم فى الوجود *

السبب و العلة

هما اسمان مترادفان وهما يقالان على الاسباب الاربعة التى هى المادة والصورة والفاعل والغاية وقد يقال على التشبيه على الامور المنسوبة لهذه الاسباب كما قيل فى غيرما موضع منها قريبة ومنها بعيدة ومنها بالذات ومنها بالعرض ومنها جزئية ومنها كلية ومنها مركبة ومنها بسيطة وكل واحد من هذه الاقسام منها ما هى بالفعل ومنها ما هى بالقوة وايضا من الاسباب ما هى فى الشىء وهى المادة والصورة ومنها ما هى خارجة عن الشىء وهو الفاعل والغاية *

و الهيولى

يقال على مراتب فمنها الهيولى الاولى وهى الغير مصورة ومنها ما هى ذوات صور كالحال فى الاسطقسات الاربعة التى هى هيولى الاجسام المركبة وهذا النوع من الهيولى على ضربين — احدهما هذا الضرب الذى ذكرناه ويخصه انه ليس يفسد الصورة التى فيها كل الفساد عند حلول الصورة الاخرى بل توجد فيها صورة الهيولى بنحو متوسط على ما تبين ذلك فى الكون والفساد والضرب الثانى تبقى فيه صورة الهيولى عند ورود الصورة الثانية عليها بالاستعداد الذى يوجد فى بعض الاجسام المتشابهة الاجزاء لقبول النفس وهذا اخص باسم الموضوع ، وقد يقال ان اجزاء المركب

من

من جهة الكمية هيولى المركب وبهذه الجهة يطلق القائلون بالاجزاء التى لا تتجزى عليها اسم الهيولى فهذه هى الوجوه التى يقال عليها الهيولى فى الفلسفة •

والصورة

تقال ايضا على اوجه، فمنها صور الاجسام البسائط وهى الغير الآلية، ومنها صور الاجسام الآلية وهى النفوس، ومنها صور الاجرام السماوية وهى تشبه البسائط من جهة انها غير آلية وتشبه الآلية من جهة انها متحركة من تلقائها وكل هذا قد تبين فى العلم الطبيعى، وقد تقال الصورة على الكيفية والكمية الحاصلة فى الممتزج بما هو ممتزج وبهذه الجهة تنفصل صور الاجسام المتشابهة الاجزاء بعضها عن بعض وتلحقها خواصها كعسر الفساد الذى يوجد للذهب وغير ذلك من الخواص •

والمبدأ

يقال على كل ما يقال عليه السبب وقد يقال على ما منه يبتدئ الشئ بالحركة مثل طرف الطريق فانه مبدأ للشئ وقد يقال المبدأ على الذى يجود (١) منه كون الشئ، مثال ذلك التعليم فانه ربما لم يبتدأ فيه من الاوائل بالطبع بل من الذى هو اسهل، وكل ماسوى هذا مما يقال فيه مبدأ فانما يقال على جهة التشبيه بواحد من هذه الوجوه مثل قولنا فى المقدمات انها مبدأ النتيجة فان هذا انما اطلق

---

(١) كذا ولعله يجوز — ح

عليها اما من جهة انها فاعلة للنتيجة اوهيولى لها •

الاسطقس

يقال اولا على ما اليه ينحل الشيء من جهة الصورة وبهذه الجهة تقول ان الاجسام الاربعة التي هي الماء والنار والهواء والارض انها اسطقسات سائر الاجسام المركبة ، وقد يقال الاسطقس على الذي يرى انه اقل جزء في الشيء على ما يرى ذلك اصحاب الجزء الذي لا يتجزى •

وقد يقال ايضا ان الكليات هي اسطقسات الاشياء الجزئية بحسب رأى من يرى فيها انها مبادىء الاشياء وان ما هو اكثر كلية فهو احرى ان يكون اسطقسا •

الاضطرار

يقال على الشيء الذي لا يمكن ان يوجد الشيء الا به وذلك من قبل الهيولى كقولنا ان الحيوان ذا الدم مضطر ان يتنفس، وقد يقال الاضطرار على القسر وهو ضد الاختيار ولذلك وصفه الشعراء من اليونانيين بانه موذ محرز(١) وقد يقال الاضطرار على الذى لا يمكن ان يكون بنوع ولا صفة اخرى وبهذه الجهة تقول انه باضطرار كانت السماوات ازلية •

الطبيعة

تقال على جميع اصناف التغيرات الاربع التي هي الكون

والفساد

(١) كذا

والفساد والنقلة والنمو والاستحالة، وتقال ايضا على الصور التى هى مبدأ هذه الحركات وهى احق باسم الطبيعة وبخاصة ما كان منها بسيطا لان الآلية هى احرى ان تسمى نفسا كمبدأ النمو وبهذه الجهة نسمع الاطباء يقولون قد صنعت الطبيعة كذا يعنون القوة المدبرة للاجسام وهى الغاذية لانها وان كانت آلية فهى ابسط عندهم من القوى الاخر ولذلك لا يكاد يطلقون طبيعة على قوة القلب ومن هذه الجهة كان قولنا فعل طبيعى يقابل النطق وقد يطلق ايضا اسم الطبيعة على الاسطقسات التى تركب منها الشىء وبذلك نقول ان طبيعة الاجسام المتشابهة من الماء والنار وسائر البسائط والطبيعة ايضا تطلق على اصناف الهيولى وهى بالجملة تقال على جميع اصناف الصورة واصناف المواد والتغيرات اللازمة عنها — واذ قد انتهينا الى ما قصدنا اليه اولا من شرح ما تدل عليه الاسماء فلنشرع فى شىء شىء من مطالب هذا العلم •

المقالة الثانية

قد قلنا ان الموجود يقال على انحاء الا ان الذى نقصد هاهنا منه هو الذى يدل على المقولات العشر التى تتنزل منزلة الانواع للجنس الموضوع لهذه الصناعة وبين ان دلالة الموجود عليها ليس باشتراك محض اذ لو كان ذلك كذلك لما كان جنسا موضوعا لصناعة واحدة وهى هذه الصناعة ولا كان يكون هاهنا محمولات ذاتية تنقسم

بها قسمة اولى كقولنا ان الموجود منه ماهو بالقوة و منه ما هو بالفعل الى غير ذلك من المحمولات الذاتية التى تلفى له والقضية التى موضوعها اسم مشترك ليس يلفى لها محمول ذاتى وهذا كله بين لمن زاول صناعة المنطق، ولا يدل ايضا اسم الموجود عليها دلالة بتواطؤ لانها لو كانت كذلك لكانت المقولات العشر جنسا واحدا او تحت جنس واحد والحس يشهد بتغايرها وكثرتها وإن كان بعض من سلف من القدماء قد كانوا يرون ان الموجود واحد لكن الذى قادهم الى ذلك ترك تأملهم للمحسوس وانقيادهم الى اقاويل سوفسطائية، وقد ناقضهم ارسطو فى المقالة الاولى من السماع وسنتكلم نحن معهم عند القول فى موضوعات الصنائع الجزئية، واذا كان هذا كله كما قلنا ولم يكن اسم الموجود يدل على المقولات العشر باشتراك محض ولا بتواطؤ فلم يبق أن يدل عليها الا بضرب من ضروب التشكيك وهى دلالة الاسماء التى تدل على اشياء تنسب الى شىء واحد نسبة تقديم و تأخير على ما سيظهر من امرها كقولنا فى الاشياء المنسوبة الى الطب طبية والى الحرب حربية، ولما كان هذا العلم كما سلف من قولنا شأنه ان ينسب انواع الموجودات بعضها الى بعض من جهة ما بعضها اسباب لبعض حتى ينسب جميعها الى اسبابها القصوى فقد ينبغى ان نتأمل ذلك فى جميع المقولات وننظر كيف نسبة بعضها الى بعض فى الوجود وايها متقدم لأى وان كان هاهنا مقولة تتقوم بها سائر المقولات فأى مقولة

هى

هى وبماذا تتقوم ايضا هذه المقولة ثم نشير بعد ذلك الى اعطاء اسباب اللواحق العامة لها من جهة ما هى موجودة كالقوة والفعل وما اشبه ذلك وذلك كله بقدر ما يمكننا اعطاؤه فى هذا الجزء الاول من هذا العلم وما بقى علينا من اسباب هذه الاشياء القصوى اخرنا القول فيه الى ان يتبين ذلك فى الجزء الثانى من هذا العلم والبيانات التى تستعمل فى هذه الاشياء هى اكثر ذلك بيانات منطقية وذلك ان الامور التى تبينت فى صناعة المنطق تستعمل كما قيل فى غير ما موضع على نحوين، اما من حيث هى آلات وسبارات (١) وقوانين تسدد الذهن وتحرز من الغلط وهو الاستعمال الخاص بها، واما ان توخذ تلك الامور التى تبينت هنالك على انها جزء صناعة برهانية فتستعمل فى صناعة اخرى على جهة المصادرة والاصل الموضوع على ما شانه ان يشترك الصنائع البرهانية فى ان يستعمل بعضها ما تبرهن فى بعض •

مثال ذلك تسلم صاحب صناعة النجوم التعليمية من المهندس ان نصف القطر مساو لضلع المسدس، واذ قد لاح غرض هذا الجزء من النظر ووجه الاقاويل المستعملة فيه فلنشرع فى التكلم فيه •

فنقول انه قد قيل فى كتاب المقولات ان المحمولات الكلية صنفان صنف يعرف من شخص الجوهر ما هيته وذاته وان اعم كلى بهذه الصفة هى المقولة المسماة جوهرا — وصنف لا يعرف من شخص الجوهر ماهيته وذاته بل ان عرف فما ليس بجوهر (٢)

---

(١) كذا (٢) بهامش صف — بما هية له.

وهو بالجملة انما يوجد فى موضوع ولذلك قيل فى حده انه الذى يقال فى موضوع وقيل فى الجوهر انه الذى يقال لا على موضوع واعم الكليات التى بهذه الصفة هى التسعة الاجناس من الاعراض التى عددناها هنالك اعنى الكم والكيف والاضافة والاين والوضع ومتى وله وان يفعل وان ينفعل واذا وضع هذا هكذا ظهر على العموم ان مقولة الجوهر قائمة بذاتها وغير مفتقرة فى وجودها الى واحدة من مقولات الاعراض وان مقولات العرض مفتقرة فى وجودها الى الجوهر ومعلولة عنها ولكن قد ينبغى ان نتأمل كيف الامر فى ذلك فى مقولة مقولة •

فنقول انه يظهر من قرب ان الجوهر مأخوذ فى حد المقولات الثلاث التى هى الاين والوضع وله وذلك بين من حدودها اذ كانت هذه كلها يظهر فى حدها الجسم مثل قولنا فى الاين انه نسبة الجسم الى المكان وكذلك الامر فى الوضع وله. واما مقولة ان يفعل وان ينفعل فما كان منهما فى الجوهر فالامر فى ذلك بين وما كان منهما فى الكم والكيف فالحال فيها كالحال فى مقولة الكيف والكم وبخاصة فى مقولة ان ينفعل فان ان ينفعل فى الكم انما يكون ابدا جوهرا كالغذاء ينمى والجسم يحرك جسما آخر فى المكان واما فى الكيف فانما يكون عرضا كالحرارة تسخن، واما المقولات الاربع التى هى الكم والكيف والاضافة والمتى فانه وان كان ليس يظهر فى

حدودها

حدودها مقولة الجوهر فقد تبين من امرها انها مفتقرة فى وجودها الى الجوهر •

واما مقولة الاضافة فالامر فيها بين انها مما لا يمكن فيها ان تفارق فان الجوهر ليس هو لها موضوعا فقط بل قد تلفى موضوعات لها سائر المقولات كالضعف والنصف الموجود فى الكم والفوق والاسفل الموجودين فى الاين وكذلك ايضا مقولة الكيف يظهر من امرها عن قريب انها عرض وانه لا يمكن فيها ان تفارق المادة الاولى فضلا عن غير ذلك والا وجد انفعال فى غير منفعل او شكل فى غير ذى شكل او ملكة فى غير ذى ملكة او استعداد فى غير مستعد وهذه هى الاربعة الاجناس المشهورة من اجناس الكيف واما مقولة الكم فليس يظهر كل الظهور افتقارها الى الجوهر وبخاصة المنفصل وكذلك المتصل منها اذ كنا نرى ان احد انواعه الجسم وقد قيل فى حده انه المنقسم الى الثلاثة الابعاد فمن هنا رأى قوم ان الابعاد جواهر وانها التى تعرف من شخص الجوهر المشار اليه ما هى وقد ادى هذا النظر بقوم الى ان قالوا بمفارقة الكم وهم الذين يقولون بمفارقة موضوعات التعاليم ونحن نقول انه مما يظهر بنفسه ظهورا اوليا ان الابعاد مما لا تعرف من شخص الجوهر ماهيته وانه متى وصف بها شخص الجوهر وصفا ذاتيا كان نوع ذلك الشخص او جنسه مأخوذا فى حدها على جهة ما تؤخذ موضوعات الاعراض او اجناس

موضوعاتها فى حدودها، ولم يكن ذلك الوصف مأخوذا فى حد نوع ذلك الشخص على جهة ما تؤخذ المحمولات التى هى اسباب الموضوعات فى حدودها •

مثال ذلك قولنا فى الانسان وفى كثير من الحيوان انه ذو مقدار ما وذلك ان لكل واحد من هذه عظما مخصوصا وبالجملة فهو ظاهر فى ذى النفس ان الابعاد متأخرة عنه وان النفس و ذا النفس متقدم عليها وكذلك يظهر ايضا فى الموجودات الطبيعية انها متقدمة على الابعاد التى تتوهم فيها وهذه هى جميع اشخاص الجوهر فان كل شخص من اشخاص الجوهر اما ان يكون متنفسا اوطبيعيا فاما القول فى اعم جنس يوجد فى الجوهر ما هو وهل ذلك نفس الجسم ام شىء عارض له الجسم وان كان عارضا فما ذلك الشىء الذى عرض له التجسيم فسنبين ذلك اذا تبين ما مبادىء الجوهر المحسوس واى وجود وجود الانواع والاجناس وبالجملة الكليات •

واما الذين قالوا ان ها هنا كما مفارقا فان كانوا ارادوا الكم الذى فى المحسوسات فقد تبين فى العلم الطبيعى انه لا يمكن فى المادة الاولى ان تتعرى منه كما لا يمكنها ان تتعرى من الصورة والا وجد شخص جوهر غير ذى كم وذلك محال وايضا فقد تبين فى العلم الطبيعى عند الفحص عن وجود الخلاء ان البعد لا يمكن ان يفارق وكذلك تبين هنالك ان الزمان فى موضوع وهو الجرم

السماوى ومن هاهنا يظهر ان مقولة متى متقومة بالجوهر وذلك ان الشىء انما ينسب الى الزمان من حيث هو متغير او يتوهم فيه التغير والمتغير انما يكون ضرورة جسما حسبما تبين فى العلم الطبيعى واما العدد من الكم المنفصل فلانه ليس شيئا اكثر من جماعـــة الآحاد على ماجرت العادة فى تحديده وقد قلنا فيما سلف انه انما يدل بالوحدات اولا على المعنى الكلى الذى يأخذه الذهن من انحيازات الاشياء باماكنها ونهاياتها وبالجملة عـلى امور خارجة عن ذوات الاشياء ولذلك كان باضطرار عرضا وسنبين فيما بعد انه ان يكون فعلا للنفس احرى منه ان يكون شيئا موجودا فقدلاح من هذا انه ولا واحد من الاعراض التسعة يمكن فيه ان يفارق الجوهر بل الجوهر متقدم عليه تقدم السبب على مسببه وليس هذا النحو من التقدم يلفى له فقط على الاعراض بل قد يلفى له التقدم الذى يكون بالزمان والذى يكون بالمعرفة فان الجوهر اعرف من العرض وقد سلف على كم وجه يقال المتقدم والمتأخر فاما هل هاهنا كم مفارق ووجوده غير وجود هذا الكم المحسوس هو الموضوع لصناعة التعاليم على ما كان يرى ذلك آل فوثاغورس فنفحص عنه عند تصحيح موضوعات الصنائع الجزئية واما اى وجود وجود هذه المقولات التسع فى الجوهر وهل ذلك بترتيب حتى يكون بعضها كالاسباب لوجود بعض فى الجوهر ام هى فى رتبة واحدة موجودة فيه حتى لا يكون بعضها متقدما على بعض

فذلك ايضا يظهر بان بعضها مفتقرة فى ان يتقدمها بعضها فى الجوهر كالكم فانه قد يظهر انه من اولها تقدما فى الجوهر اذ كان لا تلفى كمية (١) الا فى جسم — وكذلك ايضا لا يلفى مكان الا الذى الجسم من جهة ما هو جسم ولا وضع الا الذى المكان ولا فعل ولا انفعال الا بتوسط الوضع والاين وهذا كله ظاهر مما تبين فى العلم الطبيعى وكذلك مقولة له لا توجد لشىء الا بعد ان يكون جسما وذا اين وذا وضع وليس يمتنع ان يكون يوجد منها اثنان فى رتبة واحدة لشىء كالكيف والاين فانه ليس يظهر لاحدهما تقدم على صاحبه فى وجوده فى الجوهر، واذ قد ظهر من هذا القول ان المقولات التسع موجودة فى الجوهر وتبين مع ذلك كيف يوجد بعضها متقدما فى وجوده فى الجوهر على بعض فقد ينبغى ان نفحص ايضا عن اسطقسات الجوهر وعن مباديه •

وبالجملة هل هنا مبادىء موجودة فى الجوهر المحسوس هى اقدم منه وان كانت موجودة فاى هى فان فى هذا الموضع شكا عويصا واختلافا كثيرا بين القدماء وايضا فان هذا الطلب يتقدم الطلب الذى نفحص فيه هل هاهنا جوهر وهو المبدأ للجوهر المحسوس (٢) ام لا وان كان فعلى اى وجود وجوده •

فنقول ان اسم الجوهر كما قلنا فيما سلف ينطلق على معان

---

(١) بها مش صف كيفية (٢) ها مش صف و د — لهذا المحرك .

الا ان اشهرها و اقربها عند الجميع هو الشخص المشار اليه الذى ليس فى موضوع و لايحمل على موضوع كاشخاص الناس والحيوان والنبات و الكواكب والحجارة ولهذا ما ينبغى ان نجعل الفحص عن مبدأ هذا الجوهر المحسوس •

وقد اختلف آراء القدماء على ماسلف من قولنا فيما يتقوم به هذا الجوهر المحسوس وما اجزاؤه فقوم رأوا انه مؤلف من اجزاء غير منقسمة متناهية اوغير متناهية وقوم رأوا ان الجسمية هى التى بها يتقوم ولما كان معنى الجسمية هي الانقسام الى الابعاد رأوا ان الابعاد احق باسم الجوهر ولما كانت الابعاد اذا توهمت سطوحا وكانت السطوح تنحل الى الخطوط و الخطوط الى النقط رأوا ان النقط جواهر وآخرون رأوا ان كلياته المحمولة عليه هى مباديه على انها امور قائمة بذاتها •

وبالجملة كان جميعهم اقر بالسبب المادى الا ان بعضهم قال فيه بالاجزاء التى لا تتجزى وبعضهم قال انه ناراو هواء وغير ذلك مما كان يرى واحد واحد ممن سلف وهذه الآراء الفاسدة جلها قد تبين بطلانه فى العلم الطبيعى ولاح هنالك ان جميع الموجودات المحسوسة مؤلفة من مادة وصورة وتبين هنالك كم انواع المواد وانواع الصور الا ان النظر هنالك فيها انما كان من حيث هى مبادىء لموجود متغير •

وبالجملة من حيث هي مبادىء التغير ولذلك ما قيل فى ذلك من الآراء الفاسدة من هذه الجهة عوندت هنالك كالقول بالاجزاء التى لا تتجزى وغير ذلك من الآراء التى تكفل ابطالها فى ذلك العلم واما هاهنا فالنظر فيها من جهة ما هى مبادى للجوهر بما هو جوهر وكذلك ما يلحقها من الآراء الفاسدة من هذه الجهة عوندت هاهنا كمن رأى ان كليات الجوهر هى مباديه او من رأى ان الابعاد هى التى بها يتقوم الجوهر وان كان هذا الرأى قد يمكن ان ننظر فيه بوجهين فى هذا العلم وفى العلم الطبيعى على ما فعل ارسطو فى الثالثة من السماء والعالم ٠

واما ابن سينا فقد غلط فى هذا كل الغلط وذلك انه يرى ان صاحب العلم الطبيعى ليس يمكنه ان يبين ان الاجسام مؤلفة من مادة وصورة وان صاحب هذا العلم هو الذى يتكفل ببيانه وسقوط هذا كله بين بنفسه عند من زاول العلمين اعنى العلم الطبيعى وهذا العلم واذا كان هذا هكذا ولاح وجه نظر هذا العلم فى هذا الطلب فلنجعل نظرنا فى ذلك من الاعرف عندنا وهى الحدود فان احد ما ينطلق عليه اسم الجوهر هو الحد ولذلك تسمعهم يقولون ان الحد يعرف جوهر الشىء وايضا فانما نسير ابدا من الاعرف عندنا الى الاعرف عند الطباع كما قيل فى غير ما موضع ٠

فنقول ان الحد كما قيل هو قول يعرف ماهية الشىء بالامور

الذاتية

الذاتية التى بها قوامه فانه قد بان فى صناعة المنطق ان الاشياء المحمولة صنفان صنف بالذات وصنف بالعرض وان ما بالذات ايضا صنفان احدهما المحمولات التى هى اجزاء جوهر الموضوع وهذه خاصة هى التى تأتلف منها الحدود والصنف الثانى ان تكون الموضوعات فى جوهر المحمولات وهذا فليس يأتلف منها حد اذ كانت امورا متأخرة عن جواهر المحدود ولهذا متى تؤمل الامر من هذه الجهة ظهر بايسر تأمل ان الاشخاص المشار اليها ذات اجزاء اقدم منها تتقوم بها وليس يوجد هذا المعنى الا للجوهر فقط لان اشخاص الاعراض انما توجد فى حدها الجوهر الذى تتقوم به وهو غيرها فليس لها حقيقة الحد ولا للمجموع من العرض والجوهر حد كما للمجموع من المادة والصورة على ماسيظهر بعد ومن هذه الجهة يظهر كل الظهور انه ولا واحد من محمولات المقولات يتقوم بها شخص الجوهر فانه ليس تعرف ماهية شخص الجوهر المشار اليه او جزء ماهيته انه ذو كيفية او كمية او اضافة او اين او متى او يفعل او ينفعل او وضع او له ومن هنا يظهر الفرق بين الصور الجوهرية والاعراض وان كان كلاهما فى موضوع واذا كان هذا هكذا ولاح ان ها هنا اجزاء للجوهر هى اقدم منه فلننظر اى وجود وجود هذه الاجزاء فى الجوهرية وهل الكلية عارضة لها او هى اقدم منها على ما يرى ذلك القائلون بالصور وبالجملة فينظر فى جميع اللواحق التى تلحقها من حيث هي

اشخاص محسوسة او اجزاء امور محسوسة ومن حيث هي مقولة (١) وكلية ، كما يقول ارسطو فان الوجودين متباينان وايضا اذا كان الحد ذا اجزاء كثيرة فاى وجود وجود هذه الاجزاء في المركب وهل ذلك بالقوة او بالفعل .

وبالجملة كيف تقول في المحدود انه واحد وهو ذو اجزاء كثيرة بالحد ونعرف كيف نسبة الحدود الى المحدودات واجزاء الحدود وهذا النظر كأنه عام للجواهر والاعراض متى سلمنا انه تلفى للاعراض حدود ما وان كان المقصود الاول من ذلك معرفة الجوهر ولذلك ينبغى اولا ان ننظر في الحدود .

فنقول انه يظهر ان الحد انما يوجد اولا وبنوع متقدم للجوهر وان وجوده لسائر المقولات ان وجد فبتأخر وذلك ان سائر المقولات وان كان تلفى لها محمولات ذاتية تأتلف منها حدودها بمنزلة ما يوجد الامر في الجوهر فانها مضطرة ان يلفى في حدودها مع هذا حد الجوهر اذ كانت مما لا تقوم بنفسها وذلك اما بالقوة القريبة واما بالفعل، اما بالقوة فالمقولات التي ليس تظهر في حدها نسبتها الى الجوهر على ما سلف من قولنا وخاصة متى اخذت مجردة في الذهن ودل عليها بالاسماء التي هي مثل اول مثال ذلك البياض اذا اخذ مجردا في الذهن قيل فيه انه لون مفرق للبصر واكثر من هذا المقدار والشكل فاما اذا اخذت باسمائها المشتقة التي هي ادل

---

(١) د معقولة .

عليها فانه يظهر فى حدها الجوهر وعلى التحقيق فانما يظهر الجوهر فى حد الاعراض بالفعل فى المقولات التى يؤخذ فى حدها الجوهر وبالجملة فى الاعراض الذاتية التى توخذ فى حدودها موضوعاتها او اجناس موضوعاتها مثل الفطس فى الانف والضحك فى الانسان(١) ولذلك كان الاسم من هذه يدل على شىء مركب من عرض وجوهر وكانت امثال هذه المركبات كما يقول ارسطو اما ان لاتكون لها حدود للزيادة المأخوذة فى حدها والتكرار وذلك ان الذى يحد الفطس يأخذ فى حده حد الانف وحد العمق الموجود فيه ويأخذ فيه الانف فهو يحد الانف فيه مرتين واما ان كان فبنوع متأخر عن الجوهر المركب من مادة وصورة لان الحدود انما هى للمركبات واذ قد تبين ان لجميع المقولات (٢) حدود تدل على ماهياتها وان الجوهر هو الذى له الحد الحقيقى والماهية التى هى جوهر فلننظر هل ماهيات الجواهر ومقولاتها (٣) الكلية هى الاشياء المفردة باعيانها على جهة ما تقول ان خيال الشىء هو الشىء بعينه وان صورة الشىء المحسوس هى المحسوس فى المنام هى غيرها بوجه ما على ان لها وجودا خارج النفس على ما يقوله القائلون بالصور.

فنقول اما الكليات (٤) الذاتية التى هى ماهية الشىء اعنى التى تفهم جوهر الشىء المفرد فانها الشىء المفرد بعينه بالمعنى الذى

(١) كذا ولعله الاسنان (٢) بهامش صف ــ الجوهر (٣) د معقولاتها (٤) صف اما المحمولات التى

قلناه اعنى بانها تعرف جوهر المفردات واما المحمولات التى هى بالعرض فليست هى الشئ بعينه فان الطبيب اذا عرض له ان كان بناء ليست تكون ماهية الطب فى البناء ولا الانسان هو الانسان الابيض وانما يكون المحمول فى هذه والموضوع شيئا واحدا بالعرض بخلاف الامر فى المحمولات الذاتية ولو لم تكن كليات الشئ الذاتية هى الشئ المفرد بعينه اعنى الموضوعات لما كانت ماهية الشئ هى الشئ فكانت لا تكون ماهية الحيوان مثلا هى الحيوان المشار اليه وكانت ترتفع المعرفة حتى لا يكون هاهنا معقول اصلا لشئ من الاشياء .

واما الذين يضعون هذه الكليات (١) جواهر قائمة بانفسها ومفارقة فانه يلزمهم ان تكون غير الاشياء المفردة بوجه ما واذا وضع هذا هكذا لزمهم احد امرين — اما ان تكون تلك الكليات ليست هى معقولات هذه الاشياء المفردة فيكون لا غناء لها فى تصور هذه المفردة وهذا ضد ما يقولون لانهم انما ادخلوا الكليات (٢) المفارقة وقالوا بها من اجل المعرفة او نسلم لهم ان تلك الكليات (٢) هى التى تعرف جواهر هذه المفردات وان بها تعقل ماهيات هذه لكن متى كان هذا ايضا هكذا لزم ان تكون هذه الكليات (٢) المفارقة من جهة ما هى موجودة خارج النفس وغيرا على جهة ما تغاير الاشياء التى خارج النفس بعضها بعضا محتاجة ايضا

(١) هامش صف — الماهيات (٢) صف — الصور .

فى ن تعقل الى كليات اخر لانه ان كان الشيء الموجود خارج النفس يحتاج فى عقله الى شيء موجود خارج النفس لزم ايضا فى ذلك الامر ما لزم فى الاول ومر الامر فى ذلك الى غير نهاية فظاهر من هذا انا لسنا نحتاج فى ان نعقل ماهيات الاشياء الى القول بوجود كليات (١) مفارقة سواء كانت موجودة اولم تكن بل ان كانت موجودة فليس يكون لها غناء فى عقل ماهيات الاشياء ولا بالجملة فى الوجود المحسوس واما ان هذه الكليات التى منها تأتلف الحدود ازلية وغير متغيرة وانها لو كانت موجودة بذاتها خارج النفس على ما يرى ذلك القائلون بالصور لم يكن لها غناء فى الوجود المحسوس من هذه الجهة وتبين ذلك لما كان كل متكون فانما يكون شيئا ما اعنى خلقة وصورة ومن شيء ما اعنى عنصرا وبشيء ما اعنى فاعلا وكان من الظاهر فى جميع المتكونات سواء كانت عن الطبيعة اوعن الصناعة ان الفاعل يلزم فيه ضرورة ان يكون عن المفعول بالعدد وان يكون هو والمفعول واحدا بالماهية والحد اومناسبا .

وذلك اما فى الامور الطبيعية المركبة فظاهر فى اكثرها مثل الحيوان المتناسل والنبات المتناسل فانه اما ان يكون المولد فيه يولد مثله بالنوع كالانسان يولد انسانا والفرس فرسا واما ان يكون شبيها ومناسبا كالحمار يولد بغلا وكذلك يظهر ذلك ايضا فى البسائط

---

(١) بهامش صف - صور .

فان النار بالفعل تكون نارا بالفعل لكن قد يشكك شاك فى الحيوان المتولد من ذاته والنبات المتولد ايضا كذلك وايضا فان النار قد تكون عن قدح الزناد وبالجملة عن الحركة •

وكذلك يظهر أن هاهنا محركات ليست من جنس المتحرك كالمنى يحرك الطمث الى ان يصير انسانا وحرارة التحضين التى تحرك البيض حتى يصير طائرا فنقول انه يظهر فى جل هذه المتكونات انها تلتئم من اكثر من محرك واحد كالأب الذى يحرك المنى والمنى يحرك دم الطمث واذا كان ذلك كذلك فالمحرك الذى يجب ضرورة ان يكون هو والمتحرك واحدا بالماهية اومناسبا وشبيها هو المحرك الاقصى لانــــه هو الذى يعطى المتحرك القريب القوة التى بها يحرك والمحرك الاقصى فى المنى هو الاب وفى البيض الطائر وان كان قد تبين انه ليس فى هذه كفاية دون مبدأ من خارج وهى الاجرام السماوية على مايراه ارسطو وهو الصحيح او العقل الفعال على مايراه كثير من متأخرى الفلاسفة •

واما الحيوان المتولد من ذاته والنبات فالمحرك الاقصى فيها هى الاجرام السماوية بتوسط القوى النفسانية التى تفيض عنها على مذهب ارسطو او العقل الفعال على ما تأوله المتأخرون من الفلاسفة ومعتمد ارسطو ان المغير والمكون لا يكون الاجسما او بجسم اعنى قوة فى جسم وان الفعل الذى هو نهاية التغير لا يحصل الا عن

الفاعل

الفاعل للتغير وانه ليس يمكن ان يكون الفاعل للتغير شيئا والفاعل لنهاية التغير شيئا آخر واما الحركة التى تولد النار فالفاعل لها ليس هو الحركة وانما الفاعل لها واحد بالجنس وهى الحرارة المنتشرة فى الاسطقسات من حرارة النجوم وحرارة الهواء نفسه — وانما الذى يعطى الحركة فى ذلك الاستعداد الذى به فعل الموضوع صورة النار وانت تتبين ذلك من القطنة التى تحترق للشمس بالشعاع المنعكس عن الزجاجة فانه يشبه ان لا يكون للشعاع فى ذلك فعل الا ان تعد الهواء لقبول الحرارة بها فتحترق القطنة لان الضوء ليس بنار على ما تبين •

وايضا فان الحركة حياة ما للامور الطبيعية فكأنها تخرج الاجزاء من النار التى هى موجودة فى الهواء بالقوة القريبة الى الفعل المحض ولذلك كان الترويح ينمى جوهر النار وبهذه الجهة امكن ان يكون الحافظ بجهة ما الصورة النار الموجودة بالفعل فى مقعر فلك القمر حركة الجرم السماوى على ما تبين فى العلم الطبيعى •

فان الذى تبين هنالك من امر هذه الاسطقسات هو ان منزلتها من الجرم السماوى منزلة الهيولى ولذلك ليس يمكن ان يوجد دونه كما ليس يمكن فى المادة الاولى ان تتعرى عن الصور والجرم السماوى مضطر ايضا فى وجوده اليها على جهة ما تضطر الصور الى المواد وهذا الذى قلناه من ان الشىء انما يتولد عن مثله

بالنوع والماهية هو فى الامور الصناعية اظهر منه فى الامور الطبيعية فان البرء الذى يكون عن صناعة الطب فى الاجسام الانسانية انما يكون عن صورة البرء الذى فى النفس .

وكذلك صورة البيت الذى يصنعها البناء من الحجارة واللبن هى ضرورة عن الصورة التى فى نفسه لكن لما كانت هذه الصورة ضرورة انما تلتئم عن اكثر من فعل واحد لانه مضطر ان كان هاهنا برء فقد كان هاهنا استفراغ وان كان استفراغ فقد كان شرب الدواء المسهل لزم ضرورة ان يكون المتقدم منها فى نفس الصانع متأخرا بالزمان فى التكون ولذلك ما قيل ان اول الفكرة آخر العمل واول العمل آخر الفكرة ويشبه ان يكون الامر فى الاشياء الطبيعية هكذا وان يكون مبدؤها الاقصى التصور بالفعل والا فمن اين عرض لها ان تكون فى طبيعتها مستمدة لأن نعقلها نحن فان ذلك لها امر ذاتى وموجود فى طباعها والامر الذاتى انما يكون حصوله للموجود عن سبب فاعل ضرورة وليس هاهنا شىء يصير به المحسوس معقولا بالقوة اى فى طباعه ان يعقله الا بان يكون تكونه عن تصور عقلى وان كان وجوده محسوسا عن مباديه المحسوسة كالحال فى الامور الصناعية فانه انما عرض للنقابة ان كانت معقولة عند من لم يصنعها لكونها صادرة عن عقل وهى الصورة التى فى نفس الصانع والا كانت معقولة بالعرض وكذلك الامر فى الطبيعة

والاشياء

والاشياء الطبيعية ومن هاهنا يظهر على العموم وجود صور مفارقة هى السبب فى وجود الجوهر المحسوس معقولا وانما يعطى المحسوس الصورة الجوهرية التى بها يكون معقولا بالقوة بتوسط الطبيعة والاجرام السماوية وهذه الصور هى صور الاجرام السماوية وهذا المعنى هو الذى رامه القائلون بالصور فوقفوا دونه وقد خرجنا عما قصدنا فلنرجع الى حيث كنا .

فنقول انه اذا كان من الظاهر كما قلنا ان المكون انما يكون عما هو واحد بالنوع والماهية فهو من البين ان الماهية بما هى ماهية غير كائنة ولا فاسدة (ولما كانت ماهيات الاشياء المحسوسة ليس شيئا اكثر من صورتها ومادتها على ما سيظهر بعد فبين ان الصور والمواد بما هى صور ومواد غير كائنة ولا فاسدة الا بطريق العرض، اما كون الصور فاسدة ومتكونة وبالجملة متغيرة فانما ذلك لها من حيث هى صورة شىء مشار اليه لا بما هى صورة وكذلك الامر فى المادة فان التغير انما يلحقها من حيث هى مادة شىء مشار اليه فاما بما هى مادة فلا واذا كانت المادة هكذا التى هى سبب التغير اللاحق للصور فأحرى ان تكون الصور كذلك لكن كون المادة معقولة ليست لها بما هى مادة اذ كان المعقول انما يلحق الشىء من جهة ما هو بالفعل بل عقلها ابدا انما يكون بالمناسبة وذلك فى المادة الاولى او من حيث عرض لها ان فعلا ما وهى المواد الخاصة بموجود موجود وكما يظهر أن

المادة المطلقة لا يصنعها الصانع كذلك الصورة المطلقة-١)(وكذلك الامر في الهيولى لانه ليس يكونها الفاعل واذا كان ذلك كذلك فالكائن والفاسد هو الشخص الذى هو المركب منهما وهو الشيء الذى هو والمكون له غير بالعدد وواحد بالصورة واذا كان ذلك كذلك فهو بين ان الصور والمواد بما هي صور ومواد غير كائنة ولا فاسدة الا بطريق العرض، اما كون الصورة فاسدة ومتكونة وبالجملة متغيرة فانما ذلك لها من حيث هي جزء من الكائن الفاسد بالذات وهو الشخص الذى هو مجموع المادة والصورة لا بما هي صورة.

وكذلك الامر في المادة فان التغير انما يلحقها من حيث هي جزء متغير وهو المشار اليه فاما بما هي مادة فلا كما يظهر ان المادة لا يصنعها الصانع كذلك الصورة وانما يصنع المجموع من المادة والصورة اعنى انه انما يصنع المصور بتغيره للعنصر الى ان تفيده الصورة-٢).

مثال ذلك صانع الخزانة فانه لا يصنع الخشب كما لا يصنع صورة الخزانة وانما يصنع صورة خزانة ما من خشب ما ولو كانت الصور بما هي صور والمواد لو كان لها كون وفساد لكان المكون من لا شيء على الاطلاق والفساد الى لا شيء الى الاطلاق ومثال ذلك لو فرضنا ان الجسم بما هو جسم تكون للزم ضرورة ان يتكون

(١) ما بين القوسين من صف فقط (٢) ما بين القوسين نسخة من صف و د .

من

من غير جسم اصلا بل الكون والفساد انما هو للمركب منهما اعنى من المادة والصورة، ومن هاهنا يلوح ان المكون للشخص انما هو شخص اذا كان الذى يغير العنصر هو الشخص وتظهر الحدود غير كائنة ولا فاسدة وان كانت الامور المحدودة كائنة فاسدة ثم كيف لحقها ذلك وانه لاحاجة بنا فى ذلك الى القول بالصور لان هذه هى الجهة التى دعت القائلين بالصور الى اثباتها وذلك ان من كان قبل افلاطون كانوا يرون ان العلم انما هو علم بالمحسوسات ولما رأوا ان المحسوسات متغيرة وغير لابثة نفوا العلم اصلا حتى كان بعض القدماء اذا سئل عن شىء اشار باصبعه يريد انه غير لابث ولا مستقر وان الاشياء فى تغير دائم وانه ليس هاهنا حقيقة لشىء اصلا •

ونشأ من ذلك بالجملة رأى سوفسطائى فلما كان زمان سقراط ورأوا ان هاهنا معقولات ازلية وكلية قالوا بوجودها خارج النفس على الجهة التى هى عليها فى النفس ورأوا انها مع ذلك مبادىء الجوهر المحسوس ومن هذا الذى قلنا تبين انها وان كانت موجودة على ما يزعمون فليس لها غناء فى وجود الكائنات اصلا اذ المكون للجزئى انما هو جزئى اخر مثله بالنوع او شبيه على ماسلف وثامسطيوس يحتج لافلاطون على وجود الصور فاعلة بوجود الحيوانات التى تتولد عن العفونة وقد يظن ان مثل هذا المبدأ مقربة عند ارسطو وانه ليس تظهر الحاجة عنداد خاله سببا للكون مثل

هذا الجنس فقط من الحيوان بل وفى الحيوان المتناسل على مايظن فى كتاب الحيوان لكن المبدأ القريب فى هذه عند ارسطو هى القوة النفسانية والبعيد هو صور الاجسام السماوية واما ان ارسطو يرى ان هذه الصور المفارقة لها تأثير عام فى جميع مايتكون بغير واسطة على مايراه ابن سينا فبعيد لكن اذا نظر فى الصورة الحادثة من جهة ماعرض لها ان تكون معقولة وبالجملة ذات نظام ظهر من هنالك ضرورة ادخال هذه الصور فى جميع الاشياء على ما قلنا قبل لكن وجود هذا المبدأ هو على غير الجهة التى يضعه عليها القائلون بالصور اذ كانوا يرون ان معقول الفرس وماهيته من حيث هو فى مادة هو هو بعينه خارج النفس ولذلك مايلزمهم ان يكون فرس صاهل فى غير مادة ونار محرقة فان كانوا ارادوا هذا المعنى فقد اخطأ واجملة وان كانوا ارادوا ذلك المعنى الذى به يقول ارسطو من وجود الامور المفارقة على مايرى ذلك المنتصر لهم فقد اخطأ والما أجروا الاقاويل العلمية مجرى الاقاويل الشعرية اللغزية التى تستعمل فى تعليم الجمهور وسنبين هذا بعد فقد تبين من هذا القول انه وان كان ها هنا كليات صور قائمة بذاتها خارج النفس انه لاغناء لها فى المعرفة ولا فى الكون اذ كان الكون بالذات انما هو الامر الشخصى الجزئى — فاما الامور المشتركة التى يظهر من امرها انها حادثة ما بعرض اى من جهة ماهى فى شخص فيشبه ان يكون السبب فى حدوثها هو الطبيعة والسبب

فى وجود الطبيعة بفعل فعل العاقل هو حركات الاجرام السماوية والسبب فى كون حركات الاجرام السماوية معطية لهذه الطبيعة هذه القوة هى الصور المفارقة المعقولة فارسطو انما يعذل افلاطون بان جعل ما هو مبدأ فاعلا للشىء الكائن بالعرض مبدأ وفاعلا للشىء الكائن بالذات اى قريبا فعلى هذا ينبغى ان يفهم الفرق بين المذهبين الا ان ارسطو ينكر هاهنا ان تكون الصور المفارقة مبادىء فاعلة بوجه من الوجوه بل على الوجه الذى قلناه فى الجزئيات التى هى لها كلية فان بهذا المعنى تفترق الكليات من صور افلاطون وعلى هذا فليس يحتاج فى الامور الطبيعية الى ادخال صورة مفارقة فى شىء من المتكونات ما عدا العقل الانسانى وهذا هو الصحيح من مذهب ارسطو وقد بينا ذلك فى شرح مقالاته فى هذا العلم •

وقد ينبغى بعد هذا ان ننظر فى امر الكليات هل يمكن ذلك فيها ام لا اعنى مثل ما يمكن فيها ان تكون قائمة بذاتها خارج النفس موجودة فى الجزئيات حتى تكون هى احق باسم الجوهر من موضوعاتها المحسوسة •

فنقول انه متى وضعت هذه الكليات موجودة خارج النفس على الجهة التى هى عليها فى النفس امكن ان يتصور ذلك على احد وجهين اما ان تكون قائمة بذاتها ليست لها نسبة الى الاشخاص المحسوسة اصلا وذلك خلاف ما اخذ فى حدها اذ كان

الكلى كما قيل هو الذى من شأنه ان يحمل على كثيرين ويلزم عن هذا الوضع ان لا يكون معقول الشىء هو الشىء وهذا كله ممتنع او تقول ان الكلى معنى موجود بذاته خارج النفس فى الشخص لكن متى انزلنا الامر فيه هكذا ظهر بايسر تأمل ان هذا الوضع يلزمه محالات شنعة وذلك انا متى فرضناه موجودا فى اشخاصه خارج النفس لم يخل اشتراك الاشخاص فيه ان يكون على احد وجهين — اما ان يكون جزء منه فى شخص شخص حتى يكون زيد انما له من معنى الانسانية جزء ما وعمرو جزء آخر فلا تكون الانسانية محمولة على كل واحد منهما حملا ذاتيا من طريق ما هو فان الذى له جزء انسان ليس بانسان وهذا بين الاستحالة بنفسه، او يكون الكلى موجودا بكليته فى كل واحد من اشخاصه لكن هذا الوضع يناقض نفسه وذلك انه يلزم ضرورة اما ان يكون الكلى متكثرا فى نفسه حتى يكون الكلى الذى يعرف ماهية زيد غير الذى يعرف ماهية عمرو فلا يكون معقولهما واحدا وهذا يستحيل، او يكون شىء واحد بعينه موجودا بكليته فى اشياء كثيرة وليست كثيرة فقط بل غير متناهية بعضها كائنة وبعضها فاسدة حتى يكون كائنا فاسدا واحدا كثيرا من جهة واحدة وذلك محال، ويلزم عن ذلك ان توجد فيه الاضداد معا اذ كان كثير من الكليات ينقسم بفصول متضادة فى مواضع متضادة، وايضا متى سلمنا انه موجود فى كثيرين على الجهة

التى

التى يمكن ان يتصور وجود الواحد فى الكثرة وهو ان يكون واحدا موجودا فى كثرين كصورة الكل فى الاجزاء لزم عن ذلك ان يكون الانسان مركبا من حمار وفرس وسائر جميع الانواع القسيمة له حتى يكون كلها مرتبطة بعضها ببعض اما متلاحمة واما متماسة، وايضا متى انزلنا هذه الكليات موجودة خارج النفس لزم ان تكون لها كليات اخر خارج النفس بها يصير الكلى الاول معقولا والثانى ثالث وذلك الى غير نهاية، وليس يلزمنا هذا الشك متى وضعنا ان وجود الكلى فى الذهن فان المعنى الذى به صار الكلى كليا قد تبين فى كتاب النفس انه جوهر مفارق وواحد بعينه اعنى معقول المعقولات، وايضا كيف يكون الكلى جوهرا وقائما بذاته على رأيهم وهو مما يقال فى موضوع لا على موضوع وذلك بين من حده وما هذا صفته فهو عرض ضرورة •

وايضا فتى سلمنا هذا فلا يكون ها هنا جوهر خاص لشىء من الاشياء بل تكون جواهر الاشياء مشتركة ويكون الجوهر الخاص موضوعا للجوهر العام، وهذه المحالات كلها انما تلزم من وضعنا هذه الكليات قائمة بذاتها خارج النفس لكن متى لم تفرض هذه الكليات بهذه الحال لقائل ان يقول انها ليست بصادقة وانما هى مخترعة كاذبة فان الصادق كما حد فى كتاب البرهان هو الذى يوجد فى الذهن على ما هو عليه خارج الذهن •

وقد تمسك بهذه الشبهة كثير من متكلمى زماننا ونقلوا هذه الاقاويل باعيانها الى ابطال وجود الكليات وليس يلزمهم عن ذلك فيما زعمون ارتفاع المعرفة فانهم لا يقولون بالمقاييس التى تأتلف من مقدمتين ولا بالمحمولات الذاتية وسيأتى القول فى هذا معهم ومع غيرهم فى تصحيح مبادىء صناعة المنطق وغيرها من الصنائع الجزئية .

واما هذا الشك الوارد هاهنا فى وجود الكليات فهو مما ينحل عن قريب فنقول انه وان كان الكاذب هو ان يكون الشىء فى الذهن على غير ما هو عليه خارج الذهن على ما يفهم من ذلك من مقابل حد الصادق فان هذا يمكن ان يتصور على وجوه اعنى وجود الشىء فى الذهن على غير ما هو عليه خارج الذهن .

احدها ان يكون الشىء انما هو الموجود له من حيث هو فى الذهن فقط من غير ان يكون له وجود اصلا خارج الذهن وهذا بين من امره انه داخل تحت حد الكاذب ومنطو فيه .

والثانى ان يكون الشىء له وجود خارج الذهن (الا انه اخذ فى الذهن على غير الحال التى هو عليها خارج الذهن — ١) وهذا ايضا يمكن ان يتصور على وجهين احدهما ان تكون تلك الحال التى له فى الذهن انما هى من تركيب تلك الموضوعات التى خارج الذهن الا انه فى الذهن على غير الحال التى هو عليها خارج الذهن ونسبة بعضها الى

(١) من صف .

الى بعض على غير ما هى عليه فى انفسها وهذا ايضا لا امتراء فى كذبه وانه منطو تحت حد الكاذب مثل عز ايل (١) وتصور الخلاء وغير ذلك من الامور التى يركبها الذهن مما ليس له وجود خارج النفس على ذلك النحو من التركيب •

والوجه الثانى ان يكون خارج النفس اشياء مختلفة الذوات وهى موجودة بعضها فى بعض ومختلطة (٢) فيفصل الذهن تلك الذوات بعضها من بعض ويجمع المتشابه فيها ويفرقه من المتباين حتى يعقل طبائع الاشياء مفردة على كنهها وهذا ليس بكاذب اصلا ولا منطو تحت حد الكاذب وعلى هذه الجهة نجرد النقطة من الخط فنعقلها وان كانت لا توجد الا فى الخط والخط من السطح والسطح من الجسم ••

وبالجملة فهذه هى الجهة التى بها عكننا ان نعقل جميع الاشياء الموجودة فى غيرها على حدة سواء كانت اعراضا او صورا لكن اذا جرد الذهن كثيرا من هذه الذوات وفصل بعضها من بعض واتفق لها ان كانت مما شأنها ان توجد فى اشياء أخر وجودا اوليا (٣) عقلها مع تلك الاشياء الموضوعة لها كالحال فى الصور الهيولانية فانه انما نعقلها من حيث هى هيولانية وان كانت تلك الذوات مما لا توجد فى غيرها وجودا اوليا بل على ان ذلك من

---

(١) كذا (٢) فى د: مختلفة (٣) هامش مضبب د: ازليا .

لواحقها كالحال فى الخط عقله مجردا بذاته وهـذا الفعل هو خاص بالقوة الناطقة على ما تبين فى كتاب النفس فان الحس انما يدرك الصور من حيث هى شخصية وبالجملة من حيث هى فى هيولى ومشار اليها وان كان لا يقبلها قبولا هيولانيا على الجهة التى هى عليها خارج النفس بل على جهة اكثر روحانية على ما تبين هنالك •

واما العقل فان من شأنه ان ينتزع الصورة من الهيولى المشار اليها ويتصورها مفردة على كنهها وذلك من امره بين وبذلك صح ان يعقل ماهيات الاشياء والا لم تكن هاهنا معارف اصلا فاذن الذى اخذ فى حد الكاذب من انه الذى وجوده خارج الذهن على خلاف ماهو عليه فى الذهن لا يتضمن هذا المعنى وكذلك حد الصادق لا ينحل بهذا الوجود الذى للكلى فان تلك الالفاظ التى اخذت فى حديهما من الاسماء المشتركة اعنى قولنا فى حد الكاذب ان يكون خارج الذهن على خلاف ما هو عليه فى الذهن وفى حد الصادق انه الذى وجوده فى الذهن على الحال التى هو عليها خارج الذهن •

ولشاك ان يشك فى الكلى على هذه الجهة ويقول انا متى وضعنا هذه الكليات امورا ذهنية فهى ضرورة اعراض واذا كانت اعراضا فكيف تفهم جواهر الاشياء المشار اليها القائمة بذاتها وقد قيل انما يعرف ماهية الجوهر جوهر، لكن هذا الشك ينحل بايسر تأمل وذلك ان العقل اذا انتزع تلك الصور من الهيولى وعقل جواهرها

على

على كنهها سواء كانت صورا جوهرية او عرضية عرض لها حينئذ في الذهن معنى الكلية لا ان الكلى هو نفس صور تلك الذوات ولذلك كانت الكليات من المعقولات الثواني والاشياء التي عرض لها الكلى من المعقولات الاول وقد اطيل القول في صناعة المنطق في الفرق بين المعقولات الاول والثواني وهذا كله بين بنفسه لمن زاول تلك الصناعة ◦

واذ قد تبين ان الكليات ليست بجواهر الاشياء المحسوسة فلننظر ما جوهرها فنقول انه يظهر ان الاشياء المحسوسة اعنى اشخاص الجواهر مركبة من اكثر من شئ واحد من جهة انا نستعمل فيها الطلب الذي يكون بلم ومثل هذا الطلب لا يستعمل في البسائط فان قائلا لا يقول لم الانسان انسانا (١) اذ كان المعنى الموضوع بعينه هو المعنى المحمول وانما يسوغ الاستفهام بلم في المركبات مثل قولنا لم كان الانسان طبيبا فيقال له لانه ناطق فيؤتى بالجواب بصورة الشئ وقد يؤتى بهيولاه مثل قولنا لم هذا حساس فيقال لانه مركب من لحم وعظم ◦

وبالجملة فقد يؤتى في جواب لم هو بسبب سبب من الاسباب الاربعة واذا كان ذلك كذلك فظاهر من هذا كل الظهور ان اشخاص الجوهر مركبة وانها وان كانت واحدة بالفعل ففيها كثرة ما بالقوة وذلك انها ليست واحدة بالرباط والتماس على جهة ما يوجد

---

(١) كذا ـ ولعله لم كان الانسان انسانا ـ ح

كثير من الامور الصناعية فانه لا يمكن ان توجد اسطقسات الشيء في الشيء نفسه بالفعل و الا كان المركب عن الاسطقسات هو بعينه نفس الاسطقسات . و مثال ذلك ان السكنجبين مركب من الخل او العسل و لو كانا فيه بالفعل لم يكن السكنجبين شيئا آخر غير الخل و العسل و كذلك ليس يوجد الماء و النار و الهواء و الارض باعيانها في اللحم و العظم و الا كان اللحم او العظم ماء و نارا و ارضا و هواء •

و من ههنا تبين ان في المتكون شيئا آخر غير الاسطقس هو به ما هو و الا كان هو بنفس الشيء الذي تركب منه او نقول ان في النار و الهواء و الماء لحما و عظما بالفعل و بالجملة اشياء لا نهاية لها فسنصير الى القول بالخليط و ايضا لا يخلو الشيء الذي به يباين المركب الاسطقس اذا كان معنى زائدا عليه ان يكون اما اسطقسا او من اسطقس لكن ان كان اسطقسا لزم فيه ما لزم في الاول اعني ان يباين هو ايضا المركب منه و من الاسطقسات التي قبله باسطقس و ذلك الى غير نهاية حتى يوجد في الشيء الواحد بالفعل اسطقسات لا نهاية لها و ان كان ايضا من اسطقس ففي هذا ايضا شيء يباين به الاسطقس الذي هو منه فان كان هذا ايضا من اسطقس مر الامر الى غير النهاية فقد لاح من هذا القول ان في المركب جوهرا غير الموضوع و هو المسمى صورة •

و لما كانت الحدود كما تبين في صناعة المنطق انما تأتلف من

جنس

جنس وفصل وكان قد تبين مما قد تقدم انها من حيث هي كليات ليس لها وجود خارج الذهن ولاهي بوجه من الوجوه اسباب للمحدودات فتبين ان الجنس ليس شيئا اكثر من محاكى الصور العامة للمحدود(١) التى تجرى مجرى الهيولى والصورة العامة اذ كان هذا شأن الهيولى اعنى ان تكون مشتركة وهو بالجملة شيء عرض لصورة الشيء العامة عـلى جهة ما يعرض الكلى لمعقول الشيء وكذلك ايضا يظهر من امر الفصل انه لاحق لحق معقول صورة الشيء الخاصة من حيث هى فى الذهن وهو بالجملة يحاكى الصورة كما ان الجنس يحاكى الهيولى ٠

ومن ههنا تبين نسبة الحدود الى المحدودات وينحل كثير مما يمكن ان يتشكك به عليها مثال ذلك ما شك فيـه كثير من القدماء وذلك لانهم قالوا كيف يكون الحيوان الذى نأخذه مثلا فى حد الانسان اعم من الانسان وهو جزء منه وكذلك قد يشك كيف يمكن ان يحمل الجزء على النوع من طريق ما هو وهذا كله انما عرض لهم من حيث انهم لم يتميز لهم جهة الوجودين اعنى جهة الوجود الذهنى والوجود الذى خارج الذهن فلزمتهم هـذه الشكوك على جهة ما تلزم الاشياء التى يؤخذ فيها القول باهمال على انه واحد وهو كثير واذا كان هذا هكذا ولاح كيف نسبة الجنس والفصل الى اجزاء المحدود فبين ان اجزاء الجوهر المشار اليه ليس

---

(١) كذا

شيئا اكثر من المادة المحسوسة والصورة المحسوسة وذلك ماقصدنا بيانه من اول الامر فلننظر ما صور الاشياء المحسوسة على الاطلاق يعنى فصول العنصر الاول وما موادها اذ قد تبين من امر الجميع ان لها حدودا وان الحدود تأتلف من اجناس وفصول وهى محاكيات الصور والمواد •

فنقول اما المادة فهى الشىء الذى هو بالقوة الشىء الذى سيكون بالفعل والحد واما الصورة فهى الفعل والماهية والشخص المحسوس هو المؤتلف من هذين اما المادة فقربها عند جميع القدماء وايضا فانه مما يظهر عن قرب مما قيل فى العلم الطبيعى ان لجميع التغيرات الاربع التى هى الكون والفساد والنمو والنقص والنقلة والاستحالة موضوعا عليه يكون التغيير فان التغيير يلوح من امره من جهة انه عرض انه مما يحتاج الى موضوع ولذلك لا يلفى تغير فى غير متغير لكن الاشياء التى يوجد لها التغير فى الجوهر يلزم ضرورة ان يوجد لها سائر التغاير واما الاشياء التى توجد سائر التغاير لها فليس يلزم ان يوجد بها التغيير الذى يكون فى الجوهر مثل الحركة فى المكان على ما تبين فى العلم الطبيعى من امر الجرم السماوى لكن كما قلنا اما امر المادة فقربه عند الجميع انها جوهر وان كانوا اختلفوا فى ماهيتها اعنى المادة الاولى وقد تبين الامر فى ذلك فى العلم الطبيعى وسنبين فيما بعد فصولها •

واما

واما الصورة التي هي الفعل فقد ينبغي ان نشرع في القول فيها ونعطي الفصول العامة التي بها تنقسم بما هي صورة •

فنقول ان ارسطو حكى عن بعض القدماء وهو ذو مقراطيس انه كان يحصر فصول الاشياء في ثلاثة اجناس فقط احدها الشكل والثاني الوضع والثالث الترتيب وهذا القول مع انه ليس بحاصر لصور الاشياء المحسوسة اعني المأخوذة في حدودها فقد اسقط منه احق الاشياء باسم الفصول وهي الفصول الجوهرية التي تبينت مراتبها في العلم الطبيعي بل يظهر بالجملة ان فصول الاشياء الجوهرية كثيرة وان منها ما يوجد في الجوهر ومنها ما يوجد في الكم والكيف وبالجملة في واحدة واحدة من المقولات العشر لان كثيرا ما يعرض ان تخفى فصول الجواهر الطبيعية فتقام الاعراض الخاصة بها مقام فصولها مثل الشكل والوضع والترتيب وغير ذلك من الاعراض ولذلك ان تؤول على ذيمقراطيس هذا المعنى في جعله فصول الجواهر في هذه الثلاثة فليس ينفك عن العذل اذ كنا قد نرى ان ههنا جواهر كثيرة فصولها في غير هذه الاشياء مثل الجواهر التي فصولها في الحرارة والبرودة وغير ذلك من الاعراض. واما الامور الصناعية ففصولها هي اعراض ولكون الاشياء مؤلفة من صورة وهيولى كانت الحدود التي تجمع كلا الامرين في غاية الصواب وذلك ان الذي يحد البيت بانه لبن وخشب فانما يقول البيت بالقوة

والذى يحده ايضا بانه الذى يكن ويستر ما يحويه او أنه الذى بشكل كذا فانما يأتى بالصورة فقط لكن لا على الكنه الذى هى عليه موجودة اذ كان لا وجود لها الا فى الهيولى .

وبالجملة انما يأتى بجزء حد البيت لا بجميع اجزائه التى يتقوم بها واما الذى يجمع الامرين كليهما فى الحد فيقول فيه انه لبن وحجارة ركبت تركيب كذا او اعدت لكذا فهو يأتى بجميع الاشياء التى بها يتقوم الحائط وعلى الجهة التى بها تقوم لكن قد يشك شاك فى هذا ويقول هبنا سلمنا هذا فى حدود الاشياء التى لها مواد محسوسة فكيف يكون الامر فى الامور التى ليست توجد فى حدودها المواد المحسوسة مثل حد المثلث والدائرة وهذا الشك ينحل بأن مبدأ هذه الامور وان لم تكن لها مواد محسوسة ولذلك قيل ان النظر فيها لا من حيث هى فى مادة فانه قد توجد فيها اشياء نسبتها اليها نسبة المادة المحسوسة الى الصور الطبيعية مثل قولنا فى الدائرة انها شكل يحيط به خط واحد فى داخله نقطة كل الخطوط التى تخرج منها الى الخط المحيط متساوية فان قولنا فى هذا الحد شكل وقولنا يحيط به حد واحد يتنزل منزلة الجنس وباقى القول منزلة الفصل والنسبة التى بين هذه المواد المتوهمة والمواد المحسوسة هى ان هذه المتوهمة موجودة فى الدائرة بالقوة كالحال فى وجود مواد الاشياء المحسوسة فى الامور المحسوسة وسنبين هذا فيما بعد اذا بين على اى جهة وجود اجزاء

الحد

الحد فى المحدود وكيف يكون المحدود واحدا والحد ذو اجزاء كثيرة واذا كان هذا كله كما وصفنا وتبين ان الجواهر المحسوسة ثلاثة مادة وصورة والمجتمع منهما فقد يسأل سائل فيقول ان كانت الجواهر المحسوسة مركبة من مادة وصورة فعلى ماذا يدل الاسم منهما هل على الصورة او المادة او المجتمع منهما وهو ظاهر ان الاسم انما يدل فى الاشهر على المجتمع منهما •

وان قيل مرة على الصورة ومرة على المجتمع منهما فانما يقال ذلك بتقديم وتأخير اذ كان المركب انما الوجود له من حيث هو مركب بالصورة وهى احق ما ينطلق عليها الاسم ولذلك متى قايسنا بين هاتين الدلالتين كانت دلالتها على المركب متقدمة فى الزمان متأخرة فى الوجود ودلالتها على الصورة متأخرة فى الزمان متقدمة فى الوجود اذ كان ليس من شأن الجمهور ان يفصلوا اشخاص الجوهر هذا التفصيل •

وينبغى ان لا يذهب عنا ما قلناه غير ما مرة ان الوجود لهذه الاشياء وجودان وجود محسوس ووجود معقول وان الوجود المعقول هو الوجود المحسوس من حيث نعرفه ونفهم ماهيته ولذلك ما نقول ان معقول الشىء هو الشىء واما ان يكون الوجود المعقول هو الوجود المحسوس على ان المحسوس مركب عن المعقول او متولد عنه بالذات على ما يرى ذلك القائلون بالصور او يكون هو هو نفسه

من جميع الجهات فذلك محال فانا متى انزلنا ان معقول الشيء هو الشيء من جميع الجهات كانت صورة المركب المعقولة هي المركب نفسه حتى يكون الانسان نفسا وكذلك متى انزلنا ايضا الجوهر المحسوس مركبا عن الجوهر المعقول لزم من ذلك ان تكون الامور المحسوسة غير كائنة ولا فاسدة وقد تبين هذا فيما سلف من امر الصورة المطلقة والهيولى المطلقة اعني انها غير كائنة ولا فاسدة ولهذا ما يجب ضرورة ان تكون اسطقسات الجواهر المتغيرة متغيرة ضرورة بالعرض لا بالذات •

مثال ذلك أن الصور الطبيعية هي كائنة فاسدة لا بالذات بل من قبل انها جزؤ من كائن فاسد بالذات وهو الشخص على ما تبين قبل فاما هل شيء من الصور الطبيعية مفارق فقد تبين الامر في ذلك في العلم الطبيعي ومما قيل في الحد انه قول ذو اجزاء يظهر ان الحدود انما هي للمركب وان الصورة والهيولى وبالجملة الامور البسائط لا حدود لها الا بضرب من التشبيه وان الذين قالوا ان حدود الصور المفارقة هي باعيانها حدود الشيء في المواد مخطأ ون وكذلك الذين قالوا ان جواهر الاشياء هي الاعداد لانه يلزم هؤلاء ان تكون الاعداد غير مؤلفة من آحاد اذ كان للاشياء حدود والحد ذو اجزاء كثيرة ليست آحادا او نقول ان الاشياء المحسوسة وحدات محضة فلا يكون ها هنا اصلا حد بل يظهر ضرورة ان العدد في مادة وان

الوحدة

الوحدة فيه انما هى من قبل الصورة والكثرة من قبل الهيولى وسنبين هذا فيما بعد •

وبالجملة فيظهر من شأن الاشخاص المحسوسة انها مركبة اذ كان يوجد لها حالتين (١) من الوجود فى غاية التباين وهو الوجود المحسوس والوجود المعقول فانه ليس يمكن ان يكون لها هذا من جهة واحدة بل الصورة هى السبب فى كون الشىء معقولا والمادة فى كونه محسوسا واذ قد تبين كم انواع الصور المحسوسة الاولى فقد ينبغى ان نشرع فى فصول الجوهر المادى وانواعه •

فنقول لما كانت التغاير اربع اجناس التغير فى الجوهر وفى الكم والكيف والاين وكان ليس يلزم فيما وجد له التغير فى الاين أن يوجد له التغير فى الجوهر اوفى الكم اوفى الكيف فمن البين ان الموضوع للتغير فى الجوهر قد يكون غير الموضوع لسائر التغاير وبخاصة التغير الذى فى الاين ولذلك مايظهر ان قولنا مواد فى الاجرام السماوية وفى الاجسام الكائنة الفاسدة بضرب من الاشتراك واذا كان ذلك كذلك فالمواد صنفان صنف موضوع للتغير الذى يكون فى الجوهر وهو اخص باسم المادة وصنف موضوع لساير التغاير الاخر وهذا يخص فى الاكثر باسم الموضوع وانما لزم ان تكون للأجرام السماوية انفسها مواد بسائط غير مركبة من مادة وصورة لانه لايلفى لها الا التغير فى الاين فقط والتغير فى الجواهر

(١) كذا .

هو الذى يوجب كون الشىء مركبا من مادة وصورة هيولانية واما التغير ءا هو تغير على ما تبين فى الاقاويل الكلية من العلم الطبيعى فانه انما يكون ضرورة فى منقسم والانقسام انما يكون للشىء من حيث هو جسم لا من حيث هو مركب من صورة ومادة فان الانقسام انما يوجد للصورة بالعرض والاشياء المتغيرة فى الجوهر منها ما المادة لها واحدة مشتركة كالحال فى اشتراك الاجسام البسائط فى المادة الاولى ويخص هذا الصنف ان فى كل واحدة منها قوة ان يتغير الى ضده على النحو الذى فى الضد آخر .

مثال ذلك الهواء فان فيه قوة ان يتغير ماء على الجهة التى فى الماء(١) قوة ان يتغير الى الهواء ومن الاشياء المتغيرة ما المواد لها مختلفة كالبلغم الذى مادته الدسم والمرة الصفراء التى موادها الاشياء الحلوة يخص هذا الصنف انه ليس يقال فى كل واحد منها انه بالقوة مقابلة على الجهة التى تقال فى الآخر كالدسم فانه بالقوة بلغم وليس البلغم دسم بالقوة حتى يستحيل الى مادة الدسم وكذلك الحى ميت بالقوة وليس الميت حيا بالقوة حتى يستحيل الى مادة الحياة ومن اجل هذا لم يكن اى شىء اتفق من اى شىء اتفق بل من المقابل الخاص الذى فى المادة الملائمة ولهذا كانت الاشياء ليس ينفصل بعضها من بعض بالصور فقط بل وبالمواد وليس بهذين فقط بل وبالاسباب الفاعلة والغائية ومن هذا قد يظهر كل الظهور انه ينبغى

ان

(١) كذا ولعله وفى الماء قوة — ح

ان يتوجه الطلب فى واحد واحد من الاشياء الطبيعية نحو الاسباب الاربعة والا(١) يقتصر فى ذلك على الاسباب البعيدة بل وان تعطى الاسباب القريبة فهذا هو القول فى مبادى الاجسام المحسوسة وفصولها واما كيف تكون الحدود ذوات اجزاء كثيرة و المحدود واحد فذلك يظهر من ان المشار اليه ليس هو مركبا من مادة وصورة على ان كل واحد منهما موجود بالفعل فيه كالحال فى الاشياء المركبة بالصناعة بل الهيولى وجودها فى المركب بالقوة والصورة بالفعل، ومعنى قولنا فيها انها موجودة فى الشخص بالقوة غير معنى قولنا فيها انها قوية على صورة كذا بل معنى قولنا فيها انها موجودة فى الشخص بالقوة انها ستفارقها الصورة عند فساد ذلك الشخص فيوجد مغاير الها بالفعل بعد ان كانت بالقوة ولما كانت الاجناس انما تشبه المواد كان وجودها بالقوة ايضا فى المحدود ولذلك ليس توجد الحيوانية مجردة بالفعل بل انما توجد حيوانية ما اى ذات فصل وكلما تباعدت الاجناس من الصور المحسوسة كانت بهذا الوجود احرى اعنى الوجود الذى بالقوة مثل كون شخص الانسان المشار اليه جسما ولهذا لم نحتج ان نصرح فى الحد الا بالجنس القريب فقط اذ كانت جميع اجناس الشىء اذا كان مما له اجناس كثيرة منطوية فيه بالقوة واما متى اتينا فى الحد بالجنس البعيد دون القريب فليس يكون القريب منطويا فيه ولذلك كانت الحدود التى بهذه الصفة حدودا ناقصة وكان

---

(١) د ـ ولا

هذا الوجود الذى تفهمه الاجناس هو وجود متوسط بين الصورة التى بالفعل و بين الهيولى الاولى التى لاصورة لها وهو فى ذلك كما قلنا على مراتب وانما كان كذلك لان الاجناس ليست شيئا اكثر من مبهمات المواد المركبة التى هى من جهة فعل ومن جهة قوة ولذلك كانت الحدود توجد للاجناس كما توجد للانواع الاخيرة ٠

ومثال ذلك ان الانسان مؤلف من نطق وحيوانية والحيوانية مؤلفة من حس و تغذ وهكذا حتى ينتهى الى الجنس الاخير الذى هو اقرب الاشياء من المادة الاولى ولذلك لا يلفى لمثل هذا الجنس حد كما انه ليس يلفى للصورة الاخيرة الاعلى جهة التشبيه و بين ان ما كان من هذه الاجناس يقال بتواطؤ ان هذا المعنى الذى يعرفه بالجنس يكون فى ذى الجنس اتم وجودا من المعانى التى تفهمها الاجناس المشككة كالموجود والشيء ولذلك لا يكاد أن تكون هذه اجناسا الا باشتراك الاسم وهذه المواد التى تفهمها الاجناس منها محسوسة كمواد الامور الطبيعية وهذه احق باسم المواد ومنها متوهمة معقولة كمواد الاشياء التعاليمية فان هذه وان لم تكن تظهر فى حدودها المواد المحسوسة فقد يلفى فيها شيء يشبه المواد كالدائرة التى جنسها شكل يحيط به خط واحد وبهذا امكن ان تكون للامور التعاليمية حدود ومن هنا يظهر ان التعاليمية غير مفارقة لانه لوكان المثلث مفارقا لكان الشكل قبله مفارقا ولوكان الشكل لكان الخط ايضا مفارقا ولوكان

الخط

الخط أكانت النقطة ايضا مفارقة وسنبين هذا فيما بعد، فاما ان كان
هاهنا اشياء ليست لها مواد لا محسوسة ولا معقولة فتلك ليست مركبة
ولا لها حد اصلا ولا فيها وجود بالقوة بل هى فعل محض وليس السبب
فى وحدانيتها شيء غير ذاتها وبالجملة الماهية فيها نفس الانية ولهذا
ما يظهر خطأ القائلين بالصور اذ يجعلونها والمحسوسات واحدة
بالماهية والحد، واما اى اجزاء المحدود هى المتقدمة عليه بالحد والماهية
وايها فى متأخرة عنه اعنى اى اجزاء المحدود تكون حدودها داخلة
فى حد المحدود فهى الاجزاء التى من قبل الصورة اعنى الصورة العامة
التى هى الجنس والخاصة التى هى الفصل وذلك ان حدود هذه الاشياء
يلزم ضرورة ان يتقوم بها المحدود •

ومثال ذلك ان حد الانسان حيوان ناطق ونجد حد الحيوان
والناطق اللذين هما جزءا الانسان متقدمين عليه هذا ان كان للفصل
حد وكذلك الشكل الذى هو جزء الدائرة متقدم عليها واما
الاجزاء التى للشيء من جهة الكمية الموجودة للشخص من قبل الهيولى
فهى متأخرة بالحد عن المحدود كحد قطع الدائرة فانه متأخر عن حد
الدائرة وكذلك حد الزاوية الحادة متأخر عن حد القائمة وحد اليد
والرجل من الانسان متأخران عن حد الانسان •

ومن هاهنا يظهر خطأ الذين يقولون بان الاجسام المحسوسة
من اجزاء غير منقسمة متناهية ويشبه ان تكون حدود المواد العرضية

نسبتها الى الشيء ذى المادة نسبة حدود الاجزاء التى من جهة الكمية •

مثال ذلك ان النحاس والخشب والحجر قد يكون من مواد المثلث والدوائر وبالجملة اجزاء لها وليست حدودا متقدمة على المثلث واما المواد الذاتية فحدودها ضرورة متقدمة على المحدود فقد قلنا كيف يكون المحدود واحدا والحد ذو اجزاء كثيرة واى حدود اجزاء المحدود هى المتقدمة على المحدود وايها لا — ومن البين ان الذين يقولون بوجود هذه الكليات خارج الذهن لا يقدرون ان يأتوا بحل هذا العويص وذلك انه يلزمهم ان يكون الانسان مركبا من اشياء كثيرة بل متضادة وكذلك لا يمكنهم ان يفصلوا ويقولوا لم كانت بعض اجزاء الحدود متقدمة على المحدود وبعضها متأخرة وما كان القدماء كثيرا ما يفحصون عنه وهى ما العلة فى رباط النفس والجسد وبالجملة المادة والصورة يتبين من هذا وذلك انه ليس السبب فى ذلك شيئا اكثر من الملائمة التى بين القوة والفعل والسبب الفاعل لتصير القوة فعلا هو المحرك ولذلك جميع الاشياء التى ليس لها عنصر ليس فيها هذا التركيب ولا لها محرك اصلا •

وقد بقى علينا ان ننظر فى المسئلة التى وعدنا بالفحص عنها وهى ان نتأمل ما اعم جنس يوجد فى الجوهر وهو الذى قد جرت العادة ان يقال انه الجسم او المتجسم فنقول ان قوما جعلوا اول شيء يحل

في

فى الهيولى الاولى الغير مصورة الابعاد الثلاثة وانها اول شىء يتصور بها الهيولى وهذا القول هو قول فرفوريوس وزعم انه قول الفلاسفة المتقدمة افلاطون وغيره قال وانما اختلفوا فى ان بعضهم جعل المادة الاولى غير مصورة بالذات وبعضهم جعل المادة الاولى مصورة بالابعاد وهم اصحاب المظلة وقوم رأوا ان الابعاد الثلاثة تابعة لصورة بسيطة موجودة فى الهيولى الاولى وان هذه الصورة هى التى من شأنها ان يقبل بها الجسم الانفصال والاتصال وهى زعموا واحدة مشتركة لجميع الاشياء المحسوسة كالحال فى المادة الاولى والذى يرى هذا الرأى هو ابن سينا واسم المتجسم ادل على هذا المعنى اذ كان مشتقا والمشتق ادل على الاعراض •

فنقول اما اصحاب القول الاول وهم الذين يرون ان الابعاد هى اول شىء يتقوم بها الهيولى فيلزمهم ضرورة ان تكون الابعاد جواهر اذ كانت اول شىء تتقوم بها المادة الاولى وان يعرف من شخص الجوهر ما هو وهو من الظاهر ان الابعاد بما هى ابعاد بعيدة من ان تعرف من شخص من اشخاص الجوهر ماهو وذلك ان اشخاص الجوهر كما تبين فى العلم الطبيعى صنفان اما ذوات صور بسيطة وهى صور الاسطقسات الاربعة واما مركبة ذوات صور مركبة وهذا ايضا صنفان اما ان تكون المركبة من جنس البسائط كصور الاجسام المتشابهة الاجزاء واما ان تكون ذوات نفوس وهو ظاهر ان الابعاد

متأخرة فى الحمل عن واحد واحد من هذه الاصناف وانها مأخوذة فى حدود الابعاد على جهة ما تؤخذ الموضوعات فى حدود الاعراض وذلك بين لمن زاول صناعة المنطق وليس يمكن ان تتخيل ان الابعاد هى اول شيء يحل فى الهيولى الاولى وهى مع هذا اعراض بالفعل فان الاعراض حاجتها الى الموضوع بخلاف حاجة الصور وذلك ان الاعراض انما تحتاج الى موضوع بالفعل ذو صورة واما الصورة فحاجتها الى الموضوع لا من جهة ما هى فعل ومن هذه الجهة تقوم الشخص المشار اليه بالصورة ولم يتقوم بالعرض ٠

وبالجملة فالفرق بين نسبة الصورة الى الموضوع ونسبة العرض بين بنفسه لمن زاول هذه الاشياء لكن الابعاد التى تحل الهيولى اولا هى ابعاد واحدة بالعدد مشتركة لجميع الاجسام وهى ابعاد بالقوة لانها غير محدودة بالنهايات قبل حصول الصور فيها فاذا حصلت الصور فيها صارت محدودة بالفعل بحسب الكمية التى تخص تلك الصورة وذلك ان الصور الكائنة الفاسدة لها كميات محدودة من الهيولى الاولى وهذه الابعاد هى التى لا تتعرى منها الهيولى الاولى وانما تقبل الزيادة والنقصان عند الكون والفساد وهذه الابعاد الثلاثة الموجودة فى المادة الاولى بهذا النحو من الوجود هى التى اجمع القدماء انها الابعاد التى تحل اولا فى الهيولى وان الصورة انما تحل فيها بتوسط هذه الابعاد وليس يمكن فى مثل هذه الابعاد ان تكون جوهرا

لانه

لانه لو كانت جوهرا الكانت اذا خرجت الى الفعل بقبولها النهايات جوهرا الا كما وذلك مستحيل ٠

وبالجملة فمن رأى ان المادة الاولى مصورة بالذات وان الابعاد هى صورتها فقد تبين بطلانه فى العلم الطبيعى وذلك ان الامر لو كان كما زعموا الكانت الجسمية واحدة بالشخص ثانية لصور المتكونات وانما غلطهم انهم رأوا الجسمية ثابتة بالجنس فظنوا انها غير فاسدة او ثابتة على انها عرض فظنوا انها ثابتة (١) على انها صورة وعلى هذا الرأى ليس يلزم ان تكون المادة الاولى ذات صورة بالابعاد بل وبكثير من الاعراض التى لا تفارق المادة الاولى وهى المشتركة للاجسام البسائط ٠

واما اصحاب القول الثانى فان كانوا ارادوا ان ها هنا صورة بسيطة بالفعل غير صورة الاجسام البسائط التى هى الثقل والخفة وبالجملة الميل على ما يظهر ذلك من كلام ابن سينا وان مجموع هذه الصورة مع المادة الاولى هو الجوهر الذى عرض له التجسم اى عرضت له الابعاد الثلاثة وهو الذى يدل عليه الجسم او المتجسم اذ كان الاسم المشتق كما قلنا اولى بالدلالة عليه اذا تصور بهذه الجهة فهو لعمرى رأى باطل فانه كان يلزم عنه ان تكون الاسطقسات استحالة وان كان اراد بهذا المعنى طبيعة الميل الحاصل فى المادة الاولى الذى هو كالجنس لصور الاسطقسات فهو لعمرى قول حق وبهذا نقول

---

(١) بهامش صف ود ـ جوهرا ٠

ان الجسم او المتجسم اعم جنس يوجد لاشخاص الجوهر وبهذه الجهة يكون وجوده فى المركبات على الحال التى توجد الاجناس فى الانواع اعنى الوجود المتوسط بين القوة والفعل ٠

واما الجسمية التى تشترك فيها الاجسام البسيطة فليست هى صورة الميل من جهة ما عرض لها الابعاد وانما الابعاد التى تشترك فيها الاجسام البسيطة واحدة بالعدد على النحو الذى قلنا انها به موجودة فى الهيولى اولا وليست جنسا ولا مأخوذة فى حد يدل الصورة العامة ولذلك كان المفهوم من الجسم المقام مقام العنصر غير المفهوم من الجسم المقام مقام الصورة العامة وقد قيل فى غير ما موضع الفرق بين الجنس والعنصر، ولما كانت المادة الخاصة بالاجرام السماوية يخصها انه ليس تحلها ابعاد عنصرية اعنى المشتركة الخارجة من القوة الى الفعل عند حلول الصور فيها اذ كانت ازلية كان ظاهرا كل الظهور ان قولنا جسم او متجسم على الجرم السماوى والاجرام المتحركة حركة مستقيمة بضرب من اشتراك الاسم اذ كانت طبيعة الميل مختلفة فيها غاية الاختلاف وذلك ان الميل الموجود فى البسائط هو وجود صورها المتضادة فى المادة الاولى بتوسط وجود الابعاد المشتركة ولذلك كانت صورها غير منقسمة بانقسام الهيولى ومعنى الميل فى الجرم السماوى هو وجود صورة غير متضادة فى هيولى غير منقسمة بالابعاد وليس من شأنها ان تخلع الصورة ولا فيها امكان

ذلك ولا لها قوام بالهيولى على انها منقسمة بانقسامه على ما تبين فى العلم الطبيعى واذا كان هذا كله كما وصفنا فمن البين ان الجسم الذى ينظر فيه التعاليمى غير الجسم الطبيعى وذلك ان التعاليمى انما ينظر فى الابعاد مجردة من الهيولى (على انها منقسمة -١) واما الطبيعى فانما ينظر فى الجسم المركب من المادة والصورة من جهة ما عرضت له الابعاد او فى الابعاد من جهة ما هى فى مثل هذا الجسم على ما شأن العلمين ان ينظرا فيما يشتركان فيه على ما لخص فى كتاب البرهان وهنا انقضت مطالب هذه المقالة وهى تشتمل من المقالات المنسوبة لارسطو على ما فى السادسة والسابعة •

المقالة الثالثة

واذ قد قلنا فى انواع الوجود المحسوس وفى مباديها التى هى بها محسوسة وعرفنا كيف هى نسبة بعضها من بعض فى الوجود فقد ينبغى ان نسير الى القول فى الامور التى تتنزل منها منزلة اللواحق وان كان لا يذهب عنا ان النظر فى الواحد وانواعه وان جعلناه فى هذا القسم انه من القسم الاول اذ كان الواحد يستعمل فى هذه الصناعة مرادفا للموجود لكن من جهة ما الواحد مقابل الكثرة والكثرة يلحقها ايضا لواحق فله ايضا مدخل فى هذا الحد بوجه ما ولذلك جعلنا الفحص عنه ها هنا مع الفحص عن لواحقه وقد فعل ذلك ارسطو فى المقالة التاسعة اعنى انه افردها بالفحص عنه

---

(١) من صف

وعن لواحقه ولنبدأ من القول في القوة والفعل وتعرف ماهي القوة الحقيقية •

فنقول ان اسم القوة يقال على اشياء كثيرة على ما فصلنا فيما تقدم الا ان ما كان يقال عليه اسم القوة باشتراك الاسم فينبغى ان نطرحه كقولنا ان خط كذا يقوى على خط كذا ما كان من تلك المعانى ليس مشتركا اشتراكا محضا بل كانت تنسب الى مبدأ واحد فينبغى ان ننظر فيها ايضا هاهنا فانها الجهة التى بها تكون الاشياء(١) الكثيرة موضوعة لهذا العلم على ما سلف من قولنا واحد والاشياء التى يدل عليها بالقوة بهذا الوجه صنفان احدهما القوى الفاعلة وهى التى تفعل فى غيرها بما هو غير وان كان يعرض لمثل هذه القوى ان تفعل فى ذاتها لكن ذلك بالعرض مثل الطبيب يبرئ نفسه واما الطبيعة والقوى الطبيعية فالامر فيها بالعكس اعنى ان فعلها بالذات انما هو فى ذاتها والصنف الثانى القوى المنفعلة وهى التى شأنها ان تنفعل من غيرها بما هو غير وليس فيها قوة ان تنفعل من ذاتها وقولنا التى ليس فيها قوة على ان تنفعل من ذاتها انما يدل به من اصناف العدم على العدم الطبيعى الذى هو رفع الشيء عما شأنه ان يوجد فى غيره لا العدم القسرى الذى هو رفع الشيء عما شأنه ان يوجد فيه وقد فصلنا على كم وجه يقال العدم فيما سلف •

وقد يسأل سائل فيقول ما بال بعض القوى التى شأنها

(١) بها مش صف ـ الاسماء .

ان

ان تنفعل من غيرها قد تنفعل من ذاتها مثل الصحة التى قد تكون عن الطب ومن ذاتها وبعض لا يمكن ذلك فيها مثل البيت فانه لا يكون الا عن صناعة البناء والسبب فى ذلك بان الصحة انما يلتئم وجودها بالصناعة والطبيعة ولذلك هذه الصنائع انما لها ان تفعل فقط ثم تنتظر حصول الغاية عن محرك لا يحرك باختيار واما البيت وما اشبهه فان جميع ما يلتئم به حادث عن الصناعة وراجع الى الاختيار ولان هذه القوى الفاعلة منها ما هى فى ذوات النفوس ومنها ما ليس فى ذوات النفوس فبعضها اذن فاعلة بالطبع وبعضها فاعلة بشوق واختيار وهذه منها ما هى ذات نطق ومنها ما لا نطق له فالتى لا نطق لها ولا شوق يخصها انها تفعل بالذات احد الضدين فقط كالحار يسخن والبارد يبرد وليس لها قوة الا على احدهما فقط واعنى بقولنا ها هنا لا قوة العدم الذى هو رفع الشيء عما شأنه ان يوجد لغيره واما التى تفعل بالشهوة والاختيار فان لها قوة على فعل ايهما شاءت من الاضداد ولذلك كانت الصنائع الفاعلة معرفة الاضداد فيها لعلم واحد .

مثال ذلك صناعة الطب فان لها معرفة الصحة والمرض الا ان معرفة احد الضدين وهو المقصود فيها بالذات واما الضد الآخر فبضرب من العرض اذ كان ليس مقصود هذه الصنائع ان تفعل الضدين مثال ذلك صناعة الطب فانها ليس تعلم المرض لتفعله

وهى تعلم الصحة لتفعلها وتحفظها وتخص ايضا القوى الطبيعية انها اذا لاقت مفعولاتها فعلت باضطرار كالنار اذا لاقت الخشبة فانها تحرقها ولابد وليس يلزم فى الاشياء التى تفعل بالشوق والاختيار ان تفعل ولابد اذا لاقت مفعولاتها لانه لو كان ذلك كذلك لفعلت الضدين معا اذ كان فى طباعها فعلهما او تتمانع فلا تفعل اصلا •

من هنا يظهر ان الذى رجح احد فعلى الضدين قوة اخرى وهى المسماة شوقا واختيارا اذا اقترن بهذه القوة قوة الاجماع على ما تبين فى كتاب النفس . واذا كانت القوى الفاعلة والمنفعلة هذه اصنافها فبين ان جودة الفعل والانفعال ورداءتهما تابع لهذين وذلك ان ما كان جيد الفعل او الانفعال يكون فاعلا ومنفعلا وليس ينعكس هذا حتى يكون ما كان فاعلا او منفعلا هو جيد الفعل او الانفعال فاذ قد تبين ما هى القوة التى تقال على الاشياء المحركة والمتحركة فلنقل فى المعنى الذى يقال عليه اسم القوة بتقديم وهو الذى يدل عليه بقولنا ممكن وليس يظهر هذا المعنى من سائر ما يقال عليه اسم القوة الا بتحديد الفعل فان القوة والفعل مع انهما متقابلان هما من المضافين وكل واحد من المضافين انما يتصور بالاضافة الى صاحبه فانه ليس ينبغى ان يطلب الحد فى جميع الاشياء على وتيرة واحدة فانه ليس لكل الاشياء اجناس وفصول بل بعض الاشياء يحد من مقابلاتها وبعض بمفعولاتها وبعض بافعالها او انفعالاتها وبالجملة بلوازمها وليس

يلزم

يلزم الدور الذي يقوله ابن سينا انه يلحق في تحديد هذه الاشياء بشيء فإن احد المضافين يلزم من طباعه ضرورة ان يوجد كل واحد منهما في تصور صاحبه وايضا فان احد المضافين متى اخذ كل واحد منهما في تصور صاحبه فليس يوخذ من احدهما متقدم على الآخر من جهة ما توخذ اسباب الشيء في تصوره اذ كان ولا واحد من المضافين سببا للآخر وانما هما في الوجود معا ولذلك يقترن مع تصور احدهما تصور الآخر.

وانما كان يلزم ماقاله ابن سينا لو كان كل واحد منهما يوجد في تصور صاحبه من جهة ما هو متقدم عليه واعرف في التصور فكان يلزم ان يوخذ الشيء في تصور نفسه وليس الامر كذلك بل هما في الوجود والمعرفة معا والسبب في ذلك ان هذه المقولة هي شيء تفعله النفس في الموجودات ولو لم تكن نفس لم تكن اضافة كما لو لم تكن نفس لم تكن نسبة فهذه النسبة اذا تصور بها احد موضوعيها كان من ضرورة ذلك تصور الموضوع الآخر بها اذ كان قوامها في الوجود انما هو بذينك الموضوعين.

واذا صح هذا فان الفعل هو ان يكون الشيء موجودا لا على الحال التي نقول به انه موجود بالقوة وهذا العدم يفهم على ضربين احدهما رفع الشيء عما شأنه ان يوجد له في وقت آخر او قد وجد وهذا يكون في الاشياء التي توجد تارة فعلا وتارة قوة والثاني رفع

الشيء عما شأنه ان يوجد لغيره وبهذا العدم يتصور الفعل في الامور الازلية والقوة هي الاستعداد الذي في الشيء والامكان الذي فيه لأن يوجد بالفعل وليس هذا المعنى من القوة هو معنى قولنا ان الاشياء هي موجودة بالقوة كما تقول في الحركة انها غير متناهية بالقوة وفي الزمان لان الغير متناهي لايخرج الى الفعل بما هو غير متناهي حتى يفارق القوة بل معنى ذلك ان الفعل فيه مقترن بالقوة ابدا وقد لخص ذلك في السماع الطبيعي فان كثيرا مما تبين في ذلك الكتاب يتأخم هذا العلم واذ كان ذلك هكذا ولاح ماهي القوة والفعل فبين انهما يوجدان اولا في الجوهر وثانيا في سائر المقولات التي هي الكمية والكيفية والاضافة والاين والمتى وله وان يفعل وان ينفعل سواء كان انفعال الشيء لمبدأ من ذاته كالحال في الامور الطبيعية اومن خارج كالحال في القوة التي تقدم ذكرها وكذلك يعني ايضا بان يفعل كلما يفعل في ذاته اوفي غيره وذلك ان القوة التي في دم الطمث ليكون منه انسان متقدمة على القوة التي فيه لان يكون منه نحوي وذلك ان الاستعداد القريب لقبول صورة النحو انما يحصل بعد حصول صورة الانسان •

وقد كان في قديم الدهر وفي زماننا هذا قوم يجحدون وجود الامكان متقدما للشيء الممكن بالزمان وكانوا يجعلون الممكن جمع الفعل وهؤلاء فيرفعهم طبيعة الممكن اصلا يلزمهم

ان

ان يكون الممكن ضروريا والضروري ممكنا لكن اهل زماننا يضمون الامكان من قبل الفاعل فقط وسنعد المحالات اللازمة لهؤلاء القوم عند التكلم فى مبادى الصنائع الجزئية فان هذا مبدأ عظيم من مبادى الصنائع النظرية والغلط فيه سبب لأغاليط كثيرة وهو بالجملة اقوى الاسباب فى ان يفضى بنا الى السفسطة وهؤلاء القوم من اهل زماننا ينفون ان يكون للانسان استطاعة وقدرة وعلى هذا فتبطل الحكمة العملية وتبطل الارادات والاختيارات وجميع الصنائع الفاعلة لكن هؤلاء القوم كما قلنا غير ملامرة ليس يقولون بهذه الاشياء لان النظر اداهم اليها بل ليصححوا بها امورا بنوا اولا على صحتها واصطلحوا مع انفسهم عليها فهم يطلبون تزييف ما يعاندها واثبات ما يعاضدها وقد خرجنا عما نحن بسبيله فلنرجع •

فنقول اما اذ قد لاح ماهى القوة والفعل فلنقل متى يكون كل واحد من الجزئيات بالقوة ومتى لايكون فانه لايكون اى شىء اتفق بالقوة اى شىء اتفق وهو من الظاهر ان القوى منها قريبة ومنها بعيدة واذا كان ذلك كذلك فالموضوعات منها قريبة ومنها بعيدة والقوة البعيدة ليس تخرج الى الفعل الابعد حصول القوة القريبة الموضوع بحصول الاخير ولذلك اذا قيل شيئا موجودا بالقوة فى شىء وتلك القوة بعيدة فانما يقال ذلك بتجوز كقولنا ان الانسان موجود بالقوة فى البزر وابعد من ذلك فى الاسطقسات بل انما الانسان

موجود بالقوة على الحقيقة فى دم الطمث والمنى وهذه هى القوة القريبة التى تكون فى الموضوع الاخير القريب وليس تأتى هذه القوة فى هذا الموضوع بأى حالة توجد بل وان تكون بالحالة التى هو بها ممكن ان يخرج الى الفعل كقولنا ان المنى انما هو انسان بالقوة اذا وقع فى الرحم ولم يكن الهواء من خارج حتى يبرد ويتغير وعلى هذه الحال الامر فى الاستعدادات الصناعية فانه ليس كل مريض بارىء بالقوة بل وان يكون بالحالة التى يمكن فيها برؤه فالقوة القريبة ضرورة تحتاج الى امرين وحينئذ توجد وهو وجود موضوع القريب والحالة التى هو بها قوى وعند حصول هذين الامرين وتوافى الاسباب الفاعلة وارتفاع العوائق عنها يكون خروج الشئ الى الفعل ضرورة وتخص هذه القوى القريبة ان المخرج لها الى الفعل والمحرك انما يكون ابدا من نوع واحد ومحرك واحد بالعدد وبخاصة فى الامور الطبيعية .

ومثال ذلك ان القوة التى فى الدم لأن تصير لحما انما محركها الى الفعل محرك واحد فقط وهى القوة الغاذية التى فى الاعضاء واما القوة التى فى الخبز لان يكون لحما فهى تحتاج فى ذلك الى اكثر من محرك واحد كالفم والمعدة والكبد والعروق وابعد من ذلك القوة التى فى الاسطقسات لان يكون لحما فانها تحتاج فى ذلك مع هذه المحركات الى الاجرام السماوية وكثير من الاشياء التى تغذو

ويحتاج فيها مع المحركات الطبيعية الى محركات صناعية اكثر من واحد كالحال فى الخبز الذى تتعاوره اكثر من صناعة واحدة وقد يتصور الموضوع القريب للشيء الذى فيه القوة بانه الشيء الذى يسمى المتكون منه باسم مشتق منه لا باسم هو هو على ما جرت به عادة اليونانيين فانهم كانوا لا يقولون فى الصندوق انه خشب بل خشبى اذ كان الخشب هو الصندوق بالقوة القريبة ٠

واما الموضوع البعيد فلم يكونوا يشتقون منه اسم الشيء فكانوا لا يقولون فى الصندوق انه ارضى ولا مائى لكن تفهم الموضوع القريب بهذا النوع من التعليم ساقط فى زماننا اذ كانت هذه الدلالة لا توجد فى لغتنا وانما يظهر ذلك فى اللسان العربى فى الاعراض والفصول فانهم لا يقولون ان الحيوان هو نطق ويقولون ناطق ومن هنا يظهر أن الصورة غير الموضوع وكذلك لا يقولون الجسم بياض ويقولون ابيض واما الاجناس فقد يحملونها على الانواع مدلولا عليها بالاسماء التى هى مثل اول فيقولون الصندوق خشب والانسان حيوان واذا كان هذا هكذا ولاح ان الاشياء الجزئية مؤلفة مما بالقوة ومما بالفعل وكانت القوى لا كثر الاشياء اكثر من قوة واحدة فمن البين ان لها اكثر من موضوع واحد ولما كانت الموضوعات انما توجد من جهة ماهى بالفعل ففى الشيء ايضا اكثر من فعل واحد لكن لما كان لا يمكن

ان يمر الامر فى الطرفين الى غير نهاية على ما سيظهر بعد وعلى ما قد لاح فى العلم الطبيعى فمن البين ان الموضوع الاخير هو الموجود بالقوة المحضة وانه السبب فى ان يستفيد سائر الموضوعات القوة اذ كان هذا شأن الاشياء التى تقال بتقديم وتأخير مع الشىء الذى ينسب اليه وكذلك الفعل الآخر فى موجود موجود هو السبب فى ان يوجد فيه اكثر من فعل واحد وكذلك ما كان بين هذين الطرفين لم يقل فيه انه قوة محضة ولا فعل محض •

ومثال ذلك ان المادة الاولى هى السبب الاقصى فى ان توجد سائر موضوعات الانسان قوته عليه كالقوة التى عليه فى الاسطقسات ثم فى البر ثم فى الدم ثم فى اللحم ثم فى جزء جزء من اجزاء النفس وكذلك الفعل الآخر فى موجود موجود هو السبب فى ان يوجد فيه سائر الاشياء الموجودة فيه بالفعل •

مثال ذلك النطق فانه احد الاسباب فى وجود الحيوانية اذ كانت الحيوانية لا توجد مطلقة بل انما توجد حيوانية ما وكذلك الحيوانية احد اسباب المغتذى اذ كان لا يوجد الجسم المغتذى مطلقا وانما يوجد متغذيا ما •

وبالجملة فيوجد لكل فعلين احدهما الى الآخر من هذه نسبة الصورة البسيطة الى الهيولى الاولى وكما ان الهيولى الاولى لا توجد الا بالصورة لانها لو وجدت بغير صورة لكان ما لا يوجد

موجودا

موجودا وكذلك كل واحد من اى فعلين وجدت بينهما هذه النسبة حاله هذه الحال ومن هنا يظهر أن القوة لاحق الهيولى وظل لها وان كانت تقال بتقديم وتأخير وكذلك يظهر أن الفعل لاحق من لواحق الصورة وظل لازم لها وان كان يقال بتقديم وتأخير ومتى تبين ان هاهنا صورا موجودة فعلا محضا دون ان يشوبها قوة اصلا فمن البين انها ليست فى وجودهذه المشوبة فعلها قوة اى قوة كانت اعنى قوة التغير فى الجوهرا وفى سائر التغاير وذلك يلزم من جهة ان الفعل فى هذه الاشياء موجود بحال ما وهنالك مطلقا والشئ الذى يوجد فى جنس ما مطلق هو السبب فى وجود ما يوجد فيه بحال ما كما قلنا غير مامرة •

مثال ذلك ان النار التى يقال عليها باطلاق حارة هى السبب فى وجود الحرارة فى موجود موجود وهذه المقدمة كثيرا ما تستعمل فى هذا العلم وهى مبدأ عظيم من مباديه البينة بنفسها فينبغى ان نرتاض فى تصوره حتى يقع به اليقين ولذلك ما صادر عليه ارسطو اعنى وضعه وضعا فى المقالة الاولى من كتابه فى هذا العلم •

واذ قد تبين ما هى القوة والفعل ومتى يكون كل واحد من الاشياء الجزئية بالقوة ومتى ليس يكون وتبين كيف نسبة القوى بعضها الى بعض ونسبة الفعل فقد ينبغى ان ننظر من امرهما اى يتقدم على صاحبه اعنى هل تتقدم القوة على الفعل او الفعل على القوة

وقدقلنا فيماسلف ان المتقدم يقال على وجوه، احدها المتقدم بالزمان والثانى المتقدم بالسببية وهذان المعنيان من سائر ما يقال عليه المتقدم هما المطلوبان هاهنا فى القوة والفعل اولا •

فنقول ان جل القدماء الذين كانوا قبل ارسطو بل كلهم كانوا يرون ان القوة متقدمة على الفعل بالزمان وبالسببية ولهذا قال قوم بالخليط وبالاجزاء التى لا تتناهى وقوم بالحركة الغير منتظمة وانما قادهم الى ذلك انهم لم يشعروا من المبادى الا بالمبدأ الهيولانى وايضا فيشبه انهم لما رأوا قوى الاشياء الجزئية تتقدم عليها بهذين المعنيين اعنى بالزمان وبالسببية حكموا بذلك على اجزاء العالم حكما كليا وهو مما يبين اذا تؤمل الامر فيهما حق التأمل ونظر فيهما من حيث هما طبائع ان الفعل متقدم بهذين المعنيين على القوة وذلك انه قد تبين فى العلم الطبيعى ان كل متغير فله مغير وذلك فى اصناف التغيرات الاربع فان القوة يظهر من امرها انها ليس فيها كفاية ان تخرج الى الفعل بذاتها •

اما التغيرات الثلاث اعنى التى فى الجوهر والكم والكيف فالامر فيها بين اذ كان المحرك فيها والفاعل من خارج واما التغير الذى فى المكان فقى امره تحير وقد لاح الامر فى ذلك فى السابعة والثامنة من السماع الطبيعى فهذا احد ما يظهر فيه ان الفعل متقدم على القوة بالسببية وبالزمان •

وقد يظهر ايضا من امر القوى الجزئية ان القوة وان كانت متقدمة على الفعل بالزمان فهى متأخرة بالسببية وذلك ان الفعل هو كمال القوة والذى من اجله وجدت القوة وهو السبب الغائى لها فانه ليس يمكن ان تمر الكمالات الى غير نهاية وسنبين هذا فيما بعد، واذا كان ذلك كذلك فالفعل متقدم على القوة من جهة انه سبب فاعلى وغائى والسبب الغائى هو سبب الاسباب اذ كانت تلك انما توجد من اجله، وهذا التقدم هو الذى ينبغى ان يعتبر فان التقدم الزمانى سواء كان بالقوة او بالفعل هو موجود للمتقدم عليه بالعرض اعنى ان تكون اسباب الشىء متقدمة على الشىء بالزمان عارض عرض للاشياء الجزئية المتكونة الفاسدة، وذلك انه لو كان ذلك للاسباب الفاعلة بالذات لما كان يوجد هاهنا سبب ازلى اصلا واذا لم يوجد الازلى لم يوجد الكائن الفاسد ضرورة على ما تبين فى العلم الطبيعى وايضا فانه من البين ان الاسباب انما تعطى بالذات واولا ذات السبب فاما هل يلزم فيها ان تتقدم بالزمان المسبب فليس ذلك ظاهر فيها كما يرى ذلك كثير من المتكلمين بل يلزم عن وضع ذلك هذه المحالات التى ذكرنا اعنى ان لا يوجد هاهنا شىء حادث فضلا عن ازلى وذلك انا متى فرضنا الامر على هذا امكن فى الاسباب ان تمر الى غير نهاية فلا يوجد هاهنا سبب اول واذا لم يوجد الاول لم يوجد الاخير فتى فرضنا اذن اسباب جملة العالم متقدمة عليه بالزمان كتقدم

اسباب اجزاء العالم الكائنة الفاسدة عليها لزم ضرورة ان يكون هذا العالم جزءا من عالم آخر ومر الامر الى غير نهاية او نضع ان هذا العالم انما هو فاسد بالجزء لا بالكل ولذلك ما يلزم من يضع هذا الوضع هذه المحالات ومحالات اخر غيرها كثيرة وهذا كله انما لزمهم من جهة اشتراطهم فى الفاعل ان يكون متقدما بالزمان ولا بد ولذلك اذا سئلوا كيف يكون تقدم فاعل الزمان على الزمان تاهت رؤوسهم لانهم ان قالوا بغير زمان فقد اقروا بوجود فاعل ليس يتقدم مفعوله بالزمان وان قالوا بزمان عاد السؤال عليهم فى ذلك الزمان او يقولون ان الزمان قائم بذاته وغير معلول وهذا مما لا يقولون به، وهذا كله اليق بالجزء الثالث من هذا العلم فلنرجع الى حيث كنا •

فنقول انه يظهر ايضا ان القوة غير متقدمة بالزمان على الفعل من جهة ان القوة لا يمكن فيها ان تتعرى عن الفعل على ما تبين من امر المادة الاولى وايضا فى كثير من الاشياء انما توجد القوة فيها على اشياء أخر من جهة ما فيها فعل ما من ذلك الذى هى قوية عليه •

مثال ذلك المتعلم الذى هو عالم بالقوة فانه انما يصير الى المرتبة الاخيرة من العلم من جهة ما عنده علم ما والا لزم شك مانى المذكور فى الاولى من انا لو طيق الاخيرة وايضا ان كانت الاشياء الابدية وهى التى ليس يشوبها قوة اصلا متقدمة على الاشياء الفاسدة وهى التى

تخالطها

تخالطها القوة فمن البين ان الفعل اقدم من القوة، فاما ان الامور الازلية ليس تشوبها القوة المطلقة اعنى التى تكون فى الجوهر فذلك قد تبين فى السماء والعالم وكذلك القوة على التغذى والنمو وعلى الاستحالة الانفعالية — واما القوة فى المكان بالاستحالة الوضعية فلم يتبين بعد امتناعه بل تبين وجوبها واسكن على حال فتبين هنالك من امر القوة فى المكان ان هنالك فعلا متقدما عليها ليس فيه قوة من القوى اصلا فهذا هو القول فى هذه الاشياء بالبيانات الخاصة فان كثيرا من مطلوبات هذا العلم بل جلها يتبين اذا صودر عليه ما تبين فى العلم الطبيعى و تنحل الشكوك الواقعة فيها هاهنا وقد يمكن ان نبين هذا هاهنا ببيان عام •

فنقول ان كلما يوجد بالقوة شيئا ما اعنى محركا او متحركا فقد يمكن فيه ان يوجد وألا يوجد اذ كانت طبيعة الامكان والقوة هذا من شأنها و نقول فى الشيء انه ضرورى اذا لم يزل ولا يزال ولم يمكن فيه اصلا ألا يوجد ولا كان فيه قوة على ذلك وذلك انه ليس يرى احد أن فى المثلث قوة على ان تكون زواياه مساوية لاربع زوايا قائمة واذا كان ذلك كذلك فالطبيعتان مختلفتان غاية الاختلاف ومن قال ان الضرورى ممكن فقد قال بتغير الحقائق ولزمه ذلك فى رأيه هذا ألا يكون ضروريا فاذا كان هذا كله كما قلناه فالفعل ضرورة قبل القوة بجميع وجوه القبل •

وقد يلحق هاهنا شك وهو كيف تكون الاشياء الازلية مبادى الاشياء الفاسدة فان الاشياء التى هى دائما فعل يلزم ضرورة ان يكون فعلها دائما والا كان موجودا بالقوة واذا كان ذلك كذلك فعلولاتها موجودة دائما لان الاشياء التى من شأنها ان توجد حينا وتفقد حينا يلزم ضرورة ان يكون محركها بهذه الحال اعنى ان يحرك وألا يحرك لكن هذا الشك ينحل بما تبين فى العلم الطبيعى من امر حركة النقلة السرمدية وذلك ان هذا الوجود للحركة هو كالمتوسط بين الفعل المحض والاشياء التى توجد قوة تارة وفعلا اخرى، اما شبهها بالامور الموجودة بالفعل فمن جهة الازلية الموجودة فيها فى الجوهر وانها ليس فيها قوة على الفساد، واما شبهها بالامور التى توجد تارة قوة وتارة فعلا فمن جهة تبديل الاوضاع التى تعرض لها وبالجملة من جهة النقلة فى المكان فانظر كيف تلطفت العناية الآلهية لاتصال الوجودين احدهما بالآخر فجعلت بين القوة المحضة والفعل المحض هذا النوع من القوة اعنى القوة التى تكون فى المكان حتى التأم بذلك هذا الارتباط بين الوجود الازلى والفاسد ولهذا كله لسنا نتخوف على هذه الحركة ان تفسد وقتا ما ولا ان تقف على ما يراه قوم اذ كان ليس فى تحركها قوة اصلا ومن لم يقل منهم بحركة دائمة لم يمكنهم ان يوفوا السبب فى كون البارى وهو ازلى فاعل العالم بعد أن لم يفعل فانه يلزم ضرورة ان يكون فاعلا بالقوة قبل ان يفعل

وكلما هو بالقوة فانما يصير الى الفعل بمحرك وبالجملة بفاعل هو اقدم منه اذ كان خروج القوة الى الفعل تغيرا وكل تغير فمن مغير وهذا كله ظاهر اذا تحفظ بالاصول الطبيعية، فاذ قد تبين ان الفعل اقدم من القوة بالسببية فلننظر ايهما اقدم بالفضل والجودة.

فنقول ان الرداءة انما توجد ضرورة فى العدم او فى احد الاضداد الذى يعرض له عدم ضده مثل السقم الذى وان كان وجودا فانه انما كان شرا من جهة ماهو عدم الصحة ولما كانت القوة انما هى على المتقابلين معا كانت من حيث هى قوة غير موجودة خيرا محضا بل مشوبة وايضا فان القوة انما يقال فيها انها خير او شر بالاضافة الى الفعل فالفعل ضرورة اشرف من القوة ولما كان العدم الذى هو الشر سببه القوة فالاشياء التى ليس فيها قوة ليس فيها شر البتة اذ ليس لها عدم ولا ضد وهذه الاشياء هى الاشياء التى الخير فيها الذى هو الصدق دائما على كل حال اعنى ان الصادق فيها ليس يستحيل فى وقت ما كاذبا على ما من شأنه ان يعرض فى الامور التى توجد تارة قوة وتارة فعلا.

لكن قد يعرض فى هذا تحير وذلك انه ان كان الصادق دائما انما يلفى فى الاشياء الموجودة فعلا فاذن لا برهان فى الاشياء الموجودة تارة فعلا وتارة قوة واذا لم يكن فى هذه برهان فلا سبيل لنا ايضا الى علم وجود الاشياء الموجودة فعلا دائما اذ كانت المعرفة الضرورية

انما تحصل بالذات عن امور ضرورية ونحن انما نترقى الى معرفة تلك من هذه .

فنقول ان القول الصادق اما ان يكون ضرورة موجبا او سالبا والايجاب ليس شيئا اكثر من تركيب بعض الاشياء مع بعض والسلب ليس شيئا اكثر من انفصالها فان كان ها هنا اشياء ليس يمكن فيها ان تتركب فالسلب فيها صادق ابدا وكذلك ان كان ها هنا اشياء مركبة دائما اعني انها لا يمكن ان توجد بغير ذلك التركيب فالايجاب فيها دائما ضرورة وان كان ها هنا اشياء يمكن فيها الامران جميعا اعني ان تركب حينا وتنفصل حينا فهذه ليس الصدق فيها دائما وهو بين ان هذين الصنفين موجودان بهذه الحال اما الاشياء التي تتركب حينا وتنفصل حينا فهي الاشياء الجزئية وذلك ان هذا المثلث المشار اليه قد تركب فتوجد فيه الزوايا المعادلة لقائمتين وقد تنفصل فيعود الصادق فيها كاذبا من ذاته ولذلك ما قيل ان مقابل الصادق منها في حين صدقه كاذبا ممكن — واما الاشياء التي تركيبها دائما وانفصالها دائما فهي الامور الكليات من حيث ينسب بعضها الى بعض فان من هذه الجهة تلفى الضرورة للاشياء المتغيرة .

ومثال ذلك ان الزوايا المعادلة لقائمتين بما هي معادلة لقائمتين انما تلفى ابدا مركبة في المثلث والمثلث ضرورة في الشكل وكذلك

النطق

النطق انما يلفى ضرورة فى الحيوانية والحيوانية فى التغذى والتغذى فى الجسم واما الزوايا المعادلة لثلاث قوائم فتلفى ابدا منفصلة عن المثلث وكذلك النطق يلفى ابدا منفصلا عن الحمار والفرس ولذلك ليس فى هذه كذب من جهة الغلط وهو ان يفتقر فيما هو مركب انه منفصل او فيما هو منفصل انه مركب فالفعل فى هذه والدوام انما هو من حيث هى معقولة لا من حيث هى موجودة والا كانت الكليات مفارقة وهذا هو الذى لم يتميز للقائلين بالصور بل ان نسب اليها هذا الوجود خارجا عن الذهن فيغضب من جهة ما فيها قوة على ذلك فانه لو لم يكن فيها استعداد لذلك لما كان ما يفعل من ذلك باطلا ولهذا ما كان الصدق يقال على الاشياء الموجودة خارج الذهن فلا دائما على هذا بتقديم وتأخير وكون تلك صادقة هو السبب فى ان وجدت هذه صادقة على ما من شأن الامور التى تقال بتقديم وتأخير ومن هذه الجهة انتفى الشر الذى هو الكذب عن الاشياء الغير محسوسة الابدية واستفادت الخير الذى هو الصدق دائما •

فاذ قد قلنا فى القوة والفعل وفى لواحقهما فلنقل فى الواحد وفى الكثرة وفى لواحقهما فنقول ان الواحد يقال على الانحاء التى تقدم ذكرها وهى بالجملة ترجع الى معنيين احدهما الواحد بالعدد والثانى الواحد بالمعنى الكلى والواحد بالمعنى الكلى كما قيل ينقسم الى الواحد بالنوع والواحد بالجنس وسائر ما عدد قبل وكذلك الواحد بالعدد

يقال على المتصل اولا ثم ثانيا وعلى التشبيه على الملتحم ثم على المرتكز ثم على المرتبط وقد يقال الواحد بالعدد على الشخص المشار اليه الذى لا ينقسم بما هو شخص نوع ما مثل زيد وعمرو وقد يقال على ما لا ينقسم لا بالكمية ولا بالعموم وهذا هو الواحد الذى هو مبدأ العدد وقد يقال على ما لا ينقسم بالكلمة والحد وهذا هو الانقسام الذى يخص المركبات وهذا احرى ما قيل عليه الواحد بالعدد •

وبالجملة فانما يقال الواحد بالعدد على كل ما انحاز بذاته وانفرد عن غيره اما بالحس واما بالوهم واما بذاته واشهر الانحيازات هى الانحيازات الحسية ومن هذه انحيازات الاشياء باماكنها ثم باغشيتها والانحيازات الوهمية مشهورة وبهذا تقدر الاطوال وبالجملة الكم المتصل واما انحيازات الاشخاص بذواتها فبعيد عن الشهرة وابعد من ذلك انحيازات الاشياء بماهياتها المعقولة وهو الذى يقال عليه اسم الواحد بالصورة وقد يقال الواحد بمعنى حقيقى بسيط وهو الذى لا ينقسم فى جنس جنس مثل اللون الابيض فى الالوان والبعد الطنينى فى الالحان والحرف المصوت وغير المصوت فى الالفاظ ومثل الواحد فى الكمية وهو الذى لا ينقسم فيها وكل واحد من هذه الاجناس فكما ان فيه واحدا اول كذلك فيه ايضا عدد والعدد الذى فى الكمية هو الذى ينظر فيه صاحب التعاليم ومن هنا يلوح ان الواحد يقال على المقولات العشر وكذلك العدد

وليس

وليس الواحد الذي هو مبدأ الكمية المنفصلة هو الواحد المقول بتقديم وتأخير على جميع الاجناس ولا العدد الذى فى الكمية هو العدد الموجود فى جنس جنس على ما سيظهر بعد وحده الواحد المطلق هو ان يقال فيه انه مكيال العدد وانه غير منقسم بنحو من الانقسامات والواحد العددى هو المشار اليه فى الذهن الغير منقسم فيه الى كمية ولا كيفية ولا وضع وانما زدنا فى الحدولا وضع لان النقطة فى الكمية والكيفية غير منقسمة ولكنها ذات وضع وهذا هو مبدأ العدد وليس بعدد ومن قبل تعديد هذا الواحد الذى فى الكمية العدد كان التقدير لواحد واحد من سائر الاجناس لعدد ذلك الجنس كما ان من قبل الكثرة العددية قيلت الكثرة على سائر الاشياء الكثيرة، واما ان الواحد الذى هو مبدأ العدد هو فى موضوع فبين واما ان التعاليمى يجرد هذا المعنى من الموضوع الشخصى وينظر فيه على حدة كما يجرد الخط والسطح والجسم فذلك ايضا امر بين بنفسه، وهذا هو الفرق بين نظر صاحب هذا العلم فيه ونظر التعاليمى. وذلك ان صاحب هذا العلم ينظر فيه من حيث هو واحد فى الكم فقط مجرد عن الموضوع او واحد من الجوهر، والتعاليمى انما ينظر فيه من حيث هو واحد كم كما ان صاحب العلم الطبيعى ينظر فى الخط والسطح من حيث هما نهاية جسم طبيعى والتعاليمى ينظر فيهما من حيث هما خط وسطح فقط واذا كان ذلك كذلك فالواحد والكثرة

مما ينظر فيهما صاحب هذا العلم وصاحب التعاليم الا ان نظرهما في ذلك بجهتين مختلفتين ولما كان الواحد بالعدد اذا اخذ بما هو واحد من الكمية كان مبدء الكثرة العددية وكانت الكثرة العددية ايضا داخلة تحت مقولة الكم .

واما اذا قسم الى الاشياء التي بها يقال فيها انها واحد باطلاق انتظم جميع آحاد المقولات العشر وتكون الكثرة ايضا بهذه الجهة من لواحق المقولات العشر وذلك ان الموضوع للواحد المطلق ليس شيئا اكثر من المقولات العشر اعني من الوحدات الموجودة في المقولات العشر وهي التي عددنا واذا كان ذلك كذلك فانه لا يخلو ان يكون الموضوع للواحد المطلق(١) اما شيئا مشتركا للعشر المقولات كلها كما يقول ابن سينا واما ان يكون مرادفا لاسم الموجود اعني يقال بتقديم وتأخير لانه يدل منه على عرض مشترك كما يرى ذلك ابن سينا واما ان يكون شيئا مفارقا كما يرى كثير من القدماء في طبيعة الواحد فاما هذا القول فيتكشف ابطاله ارسطو فيما بعد واما ما يقوله ابن سينا من ان الموضوع للواحد هو امر زائد على جميع المقولات وانه انما يدل به ابدا وعلى كل حال على عرض موجود في المقولات كلها فانه من المستحيل لانه ان كان انما يدل به ابدا وعلى كل حال على امور خارجة عن ذات الاشياء التي يقال عليها فلا يكون هاهنا واحد بالجوهر لا بالشخص ولا بالمعنى الكلي اعني بالصورة

(١) هامش صف — العام .

وكذلك في جميع المقولات فيكون الواحد عارضا للمقولات العشر على انه شيء آخر غيرها مشتركا لجميعها فهذا القول بين السقوط بنفسه وقد يظهر ذلك مما نقول .

وذلك ان الواحد بالمعنى الكلي اذا انزل انه انما يدل على عرض مشترك للمقولات العشر فلا تخلو دلالته على ذلك العرض الموجود في واحد واحد منها ان تكون دلالته تواطوءا ودلالة الاسم المشكك اعني الذي يقال بتقديم وتأخير او دلالة اشتراك محض وهو بين ان الواحد ليس يدل على الاشياء التي تقال عليها دلالة مشتركة اذ كانت المعاني المشتركة ليس يلفى فيها محمول ذاتي ولا يكون لها حد واحد ولا دلالته ايضا عليها دلالة تواطؤ فانه مستحيل ان يكون لمقولة الجوهر ولمقولات الاعراض عرض يقال عليها بتواطؤ اذ كانت في غاية التباين(١) لو كان ذلك كذلك لكان مثل كالشخص ذلك العرض بالجنس كالحال في سائر مقولات الاعراض التي لها وجود واذ كان ذلك كذلك فلم يبق ان يدل عليها الا دلالة تقديم وتأخير واذا وضع الامر هكذا فليس يدل على شيء كثير من ذوات المقولات اذ كانت هذه نسبة بعضها الى بعض او يلزم ان يوجد في المقولات مقولات اخر وذلك الى غير نهاية وذلك محال واذا كان ذلك كذلك فلم يبق ان يكون الموضوع للواحد المطلق الا الواحد الموجود في مقولة مقولة .

والذي يشكك في هذا هو أن يقال كيف يعتقد في الواحد

---

(١) د — الالتباس

بالعدد انه فى مقولة الكم ثم يعتقد أنه موجود فى كل واحدة من المقولات على انه من المقولة نفسها لا امور زائدة عليها، ومن هنا ظن ابن سينا انه واجب ان يكون الموضوع له عرضا موجودا فى جميع المقولات، وليس الامر كما ظن فان الواحد بالعدد طبيعته غير طبيعة سائر الوحدات وذلك ان الواحد العددى هو معنى الشخص مجردا عن الكمية اعنى الذى به الشخص شخص لانه ايضا هو شخص بمعنى غير منقسم فيجرده الذهن من المواد ويأخذه معنى مفارقا وذلك ان الواحد بالعدد والوحدة العددية انما هو شيء تفعله النفس فى اشخاص الموجودات ولولا النفس لم تكن هنالك وحدة عددية ولا عدد اصلا بخلاف الامر فى الخط والسطح وبالجملة الكم المتصل ولذلك كان العدد اشد تبريا من المادة •

وابن سينا اختلطت عليه طبيعة الواحد الذى هو مبدأ العدد مع الواحد المطلق العام لجميع المقولات ولما كان الواحد الذى هو مبدأ العدد عرضا اعتقد أن الواحد المطلق العام المرادف للموجود عرض مع انه رام ان يجعل الامر فى العدد مثل الامر فى الخط والسطح اعنى ان توجد له طبيعة وأن لم توجد نفس فاضطره الامر الى ان يجعل فى المقولات وجودا زائدا عليها او يكون الواحد بالعدد والعدد المركب منه طبيعته هذه الطبيعة كان لمنطق الاول بالطبع انما يلفى للعدد وهو الواحد واما سائر منطقات الاجناس الاخر فانها منطقات بالوضع

ولذلك العدد لهما والتقدير انما يكون بوساطة العدد ومن هذه الجهة يتحرون فى سائر المنطقات ان تشبه بالواحد اكثر ذلك اعنى ان تجعل فى ذلك الجنس غير منقسمة او يعسر انقسامها ولذلك اتفق جميع الامم على تقدير جميع الحركات بالحركة اليومية اذ كانت هذه الحركة اسرع الحركات اعنى انهم قدروا سائر الحركات بزمان هذه الحركة وكذلك سكون سائر المتحركات انما يقدر بزمان هذه الحركة ولهذا المعنى بعينه يتحرون فى الصنوج والاذرع ان يكون اصغر ما يمكن •

واما سائر الاشياء التى يلحقها التقدير مما عدا مقولة الكم فانما ذلك لها بالعرض ومن جهة هذه المقولة كتقدير الثقل والخفة واكثر من ذلك تقدير السواد والبياض فقد لاح من هذا القول ما هو الواحد الذى هو مبدأ العدد واى طبيعة طبيعته وان العدد هو جماعة هذه الآحاد والكثرة المؤلفة منها وقد اعترض ابن سينا هذا الحد للعدد وقال كيف تكون الكثرة جنسا للعدد وهى نفس العدد اذ كانت هذه الكثرة بما هى كثرة تنقسم الى كثرة كذا وكثرة كذا كما ان العدد ينقسم الى معدودات كذا ومعدودات كذا اعنى الى امور محسوسة وهذا غلط منه فان الكثرة الكلية اعم من الكثرة العددية كما ان الواحد المطلق اعم من الواحد الذى هو مبدأ العدد ولو كان كما قال فقد يمكن ان ينحل العدد كأنه نوع من انواع الاشياء المعدودة فتكون الكثرة جنسا له ولسائر

الاشياء الكثيرة وهذا من فعل النفس غير ممتنع وانما الحق ذلك العدد من جهة ماهو فعل النفس في المعدودات وايضا فقد اعترض حد الواحد والعدد من جهة اخرى وذلك انه قال اذا كان الواحد يوجد في حد الكثرة التي هي العدد وكان الواحد انما يتصور بعدم الكثرة الموجودة فيه فكل واحد منهما يوخذ في تصور صاحبه ومثل هذا فهو مصادرة في التصور والقول عندى في هذا كالقول في وجود (١) المضافات وقد تقدم ذلك من قولنا وقد خرجنا عما كنا بسبيله فلنرجع الى حيث كنا •

فنقول اما اذ قد لاح ههنا ان الواحد ههنا يدل به على جميع المقولات وانه مرادف للموجود فمن البين ان النظر فيه لهذا العلم انما هو من هذه الجهة ولما وقف القدماء من امر الواحد على هذا المعنى اعنى انه مرادف للموجود من جهة ان الموضوع لهما واحد وانما يختلفان بالجهة انقسمت آراؤهم في الواحد الاول الذى هو مبدأ الوجودات والسبب في وجود سائر الموجودات الباقية وفي تقديرها من حيث هي موجودات الى رأيين •

اما الاقدمون من الطبيعيين وهم الذين كانوا يرون تقدم الامور المحسوسة الجزئية على كلياتها فلما اعتقدوا هذا الرأى ورأوا مع ذلك انه يجب ان يكون في جنس جنس واحد اول هو السبب في وجود نوع نوع من ذلك الجنس والسبب في كون تلك الانواع

(١) بهامش صف — حدود •

الباقية مقدرة ومعلومة(١) اذا كانت تلك الانواع مما يقال عليها ذلك الجنس بتقديم وتأخير كالحال فى المقولات العشر. ومثال ذلك ان الحرارة تقال على النار وعلى الاشياء المنسوبة للنار بتقديم وتأخير والنار هى السبب فى وجود سائر الاشياء الحارة وكونها مقدرة ومعدودة ولذلك لم يمكن ان تعد الاشياء الحارة بواحد هو ابيض او اسود فان المكيال فى جنس جنس يلزم ضرورة ان يكون مجانسا وكان هذا شأن الموجودات عامة موجودات اعنى انها تقال بتقديم وتأخير اوانه (٢) ولجب ان يكون هاهنا موجودا اول هو السبب فى كون سائر الموجودات موجودة ومعدودة ومعلومة كما ان الواحد فى الاعداد هو السبب فى كون سائر انواع العدد موجودة ومعدودة ومعلومة ولما لم يلح لهم من الاسباب غير السبب الهيولانى اعتقدوا ان الواحد الذى بهذه الصفة هو هذا السبب وهذا ايضا بحسب اختلاف اعتقاداتهم فى السبب الهيولانى الاقصى فبعضهم رأى انه ماء وبعضهم رأى انه نار وبعضهم جعله مالا يتناهى ، واما الحدث منهم فلما ظهر لهم شعروا بالسبب الصورى ولكن تصوروه على غير ما هو عليه وذلك انهم اعتقدوا ان معقول الشىء هو الموجود خارج الذهن وهو احرى بالوجود من محسوسه قالوا ان الواحد الكلى العام لجميع ما يقال عليه واحد هو السبب فى وجود سائر الموجودات التى يقال عليها واحد

---

(١) د ـ المعلولة (٢) صف رأوا انه

والسبب فى تقديرها .

فهذا جملة ما ادى اليه نظر من سلف ارسطو فى هذه المسئلة فاما ارسطو فلما تفصل له وجود الصور المعقولة من وجودها المحسوس وان المعقول ليس له وجود خارج الذهن بما هو معقول وانما وجودها خارج الذهن بما هى محسوسة وتبين له ان اعم الامور المحسوسة هى المقولات العشر وكان قد يظهر[1] من امر مقولات الاعراض ان فى كل جنس منها واحدا هو السبب فى وجود سائر الانواع الموجودة فى ذلك الجنس وفى تقديرها ، مثال ذلك فى اللون الابيض هو السبب فى وجود سائر الالوان وفى تقديرها فان السواد هو ان يكون عدم البياض اولى من ان يكون شيئا بذاته وكذلك الاسباب والاوتاد فى الاقاويل هى التى بها تقدر الاقاويل والبعد الارخاء فى الالحان رأى انه من الواجب ان يكون فى مقولة الجوهر شىء بهذه الصفة اذ كانت الجواهر كثيرة اعنى ان يكون فيها واحد هو السبب فى وجود سائر الجواهر وليس للجواهر فقط بل لسائر الموجودات فان سائر الموجودات انما هى مقدرة بما هى موجودة بالجوهر اذ كان وجودها انما هو به على مما تبين فى اول هذا العلم والواحد الذى بهذه الصفة ان الفى مفارقا للهيولى كان احرى باسم الوحدانية اذ كان احرى باسم الموجود وذلك ما ينحو هذا الطالب بعينه الى الطالب الذى لم يزل يفحص عنه

(١) د ــ وقد كان يظهر

من اول الامر وتقدم هذه الاشياء انما كان رجاء فى الوقوف عليه وهو هل هاهنا جوهر مفارق هو مبدء للجوهر المحسوس ام الجوهر المحسوس مكتف بنفسه فى الوجود فان هذين المطلبين هما واحد بالموضوع اثنان بالجهة ولذلك متى تبين احدهما تبين الآخر وكذلك متى لاح ان هاهنا جواهر مفارقة اكثر من واحد فيجب ان يكون فيها ايضا واحد هو السبب فى وجودها كثيرة ومعدودة وهذا كله سيظهر فى الجزء الثانى من هذا العلم فان النظر هاهنا فى هذه الاشياء انما يجرى مجرى التوطئة لذلك الجزء الذى هو بمنزلة الغاية لهذا ٠

ولشرفه ظن قوم ان العلم الالهى انما ينظر فى الاشياء المفارقة فقط فهذا هو القول فى الواحد بما هو مرادف للموجود وكيف ينبغى ان يطلب فيه نسبة الى الواحد الاول ولما كان الواحد يقابل الكثرة فلننظر على كم وجه يقابلها ٠

فنقول ان الواحد يقابل الكثرة باوجه كثيرة، احدها بالمنقسم وغير المنقسم وهذا كأنه يشبه التقابل الذى بين الملكة والعدم وذلك ان الواحد هو عادم للانقسام الموجود فى الكثرة وايضا فان(١)

(١) بهامش صف ـ فالواحد خواص وهو الهو هو فى الجوهر والشبيه فى الكيف والمساوى فى الكمية فان الواحد فى الجوهر هو هو وفى الكيف شبيه وفى الكم مساو وللكثرة خواص مقابلة لخواص الواحد وهى الغير وغير الشبيه وغير المساوى والهو هو والغير متقابلان ولذلك كل شئ٠

الواحد يقابل الكثرة من جهة خواصها بأن للواحد الهوهو وللكثرة الغير والخلاف الا ان الذى يقابل من هذه للواحد فى جهة ما هو هو هى الغيرية وذلك ان كل شىء باضطرار اما ان يكون هو هو واما ان يكون غيرا وذلك ايضا بحسب الاصناف التى عددنا انه يقال عليها الهو هو والغير فقد قلنا انه يقال هو هو فى الجنس وفى الصورة والشخص اذا كان له اسمان او نسبت دلالة اسمه الى دلالة حده — ويقال غير فى مقابلة هذه الانواع وان الهو هو فى النوع اذا كان فى الجوهر قيل فيه واحد على عدد الانواع التى يقال عليها هو هو واذا كان فى الكمية قيل له مساو واذا كان فى الكيفية قيل له شبيه وذلك ايضا بحسب الاوجه التى عددنا انه يقال عليه اسم الشبيه ولهذا يلزم ان يكون الشىء(١) اما هو هو(٢) واما غير مماثل واما مساويا واما غير مساو واما شبيها واما غير شبيه واما الغير والخلاف متلازمان ويفترقان فى ان الغير هو بنفسه واما الخلاف فهو خلاف لشىء اعنى ان المخالف مخالف لشىء اذا خالف الشىء وهو موافق وهذه كلها تجتمع فى ان الشىء اما يكون هو هو واما غيرا اما باطلاق واما بتقييد واما الخلاف فليس بمقابل للهو هو على نحو ما يقابل الغير فان الغير ليس يلزم فيه ان يكون غير الشىء واما المخالف فيخالف بشىء والمخالفة تقبل الاقل والاكثر ولا تقبلها الغيرية

(١) هامش صف — ولزم ان يكون كل شىء (٢) هامش صف — مماثل.

والمخالف

والمخالف مخالف بشيء واذا خالف بشيء فهو يوافق بشيء هو هو وما كان من الاشياء المتغايرة ليس يمكن فيها ان تجتمع فى موضوع واحد من جهة واحدة فى وقت واحد فتلك هى المتقابلات وهى بالجملة اربعة اصناف الضدان والملكة والعدم والموجبة والسالبة والمضافان وقد قيل فيما سلف على كم وجه يقال الضد والملكة والعدم الا ان الضدين بالحقيقة هما اللذان يوجدان فى جنس واحد وهما فى غاية المخالفة والتباعد •

واما الاشياء التى هى مغايرة بالجنس فانها وان كانت متباعدة فليس تقبل الاقل والاكثر فى التباعد ولذلك ليس تباعدها من جهة ما هى اضداد اذ كان قد يمكن فيها ان تجتمع فى موضوع منها اكثر من شىء واحد كالاشياء التى تحت المقولات العشر التى هى متباينة باجناسها بل ان قيل فى هذه متباعدة فمن جهة ان بعضها ليس يتكون من بعض ولا يجتمع فى جنس اصلا لا من جهة ان تباعدها من جهة الضدية • • •

فاما الاضداد فهى التى هى واحدة بالجنس وغير بالصورة وهى فى غاية التباعد والخلاف فى الصورة ولذلك لم يمكن فيهما ان يجتمعا فى موضوع واحد وكان كون احدهما فسادا للاخر ضرورة وما هما بهذه الصور اعنى كون احدهما فسادا للاخر فهما متباعدان فى الوجود غاية البعد •

ولذلك ما قيل فى حد الاضداد انهما(١) اللذان الموضوع لهما موضوع واحد وهما متباعد ان فى الوجود غاية البعد ومن هذا الحد يظهر انه ليس للضد الا ضد واحد وذلك انه ان كان التام فى جنسه هو الذى ليس يوجد شىء خارج عنه ولا فوقه لزم ان يكون التام فى التباعد ليس يوجد شىء ابعد منه لانه متى وجد شىء آخر مضادله فاما ان يكون اشد مضادة له فى الوجود من الاول او انقص فان كان انقص فحاله حال المتوسط بين الضدين وليس بطرف وان كان اشد فما فرض فى نهاية التضاد فليس فى نهايته بل هو متوسط .

ولا يمكن ان يوجد شيئان فى مرتبة واحدة فى المضادة لشىء آخرهما فى غاية البعد فان غاية التباعد انما يوجد بين اثنين فقط هما فى غاية البعد ولهذا ليس يمكن ان يقع بين نهايتين اكثر من خط واحد مستقيم ولما ظهر فى حد الاضداد البعد وكان اسم البعد انما يقال اولا بتقديم على الكم لزم ان يكون التضاد الاول هو الذى فى المكان وان يكون هو السبب فى وجود سائر المتضادات فى الجوهر وفى الوجود معا فانه لولا المظم لم يمكن ان يوجد المتضاد ان فى الوجود معا كالحرارة والبرودة وغير ذلك . ولهذا المعنى كان حلول البعد فى المادة الاولى شرطا(١) فى وجود المتضادات ولما كانت الاضداد منها ما لايخلو احدهما عن الموضوع القابل لهما كالزوج والفرد اللذين

(١) كذا (٢) بهامش صف ود — هو السبب .

لايخلو من احدهما عدد ومنها ما قد يخلو الموضوع منها كاللون القابل للسواد والبياض كانت المتضادات صنفين صنفا ليس له متوسط وصنفا له متوسط ولما كان التغير انما يكون من ضد الى ضد كما يظهر فى العلم الطبيعى كان المتوسط بين الضدين ضرورة فان المتوسط هو اول شىء يصير اليه المتغير من طرف الى طرف .

ومثال ذلك ان التغير من السواد الى البياض انما يكون بعد التغير الى احد المتوسطات التى بينهما ولذلك ما يجب ضرورة ان يكون المتوسط هو والاطراف التى المتوسط بينهما فى جنس واحد هو هو والا لم تكن الاوساط اول شىء يكون اليه التغير او كانت الاشياء المتباينة بالجنس ليس يتغير بعضها الى بعض واذا كانت الاطراف والمتوسطات فى جنس واحد هو هو فمن البين ان المتوسطات ممتزجة من الطرفين لانها ان لم تكن ممتزجة وكانت كالمركبة فهى الاطراف باعيانها اعنى ان كان وجود الاطراف فى المتوسط بالفعل على الحال التى توجد مفردة وقد فرض ان المتوسطات انما صارت متضادة بما استفادت من تضاد الاطراف وانها بالجملة غير الاطراف وهذا كله مما يشهد ان المتوسطات ليس يمكن ان تكون الاطراف بالفعل المحض او تكون فيها الاطراف بالفعل المحض وبهذا امكن فى الاطراف من جهة وجودها فى المتوسط ان توجد معا فى موضوع واحد وليس يمكن ذلك فيها

من جهة انها اطراف وعلى كمالها الاخير وكون الاطراف فى المتوسطات بضرب من الوجود المتوسط بين الفعل المحض والقوة المحضة فوجب ان لا يكون المتوسط الا فى الاشياء التى تمتزج ولهذا ليس بين الصحة والمرض متوسط اذ كان ليس شأن الصحة ان تمتزج بالمرض ولا يمكن فى الموضوع القابل لهما ان يخلو من احدهما اذ كان المرض ضرر فعل العضو المحسوس او انفعاله والصحة لا ضرره وليس بين الضرر ولا ضرر واسطة محسوسة وان كان يوجد فى الضرر الاقل والاكثر ويسميه جالينوس ما يدل عليه بالحال التى ليست صحة ولا مرضا متوسطا بحور(١) فان هذه الحال هى ضرورة اما صحة واما مرض لكن ليست فى الغاية ولهذا ما يجب ان يكون كلما يعبر عنه بسلب الطرفين ان يفهم منه المتوسط الحقيقى وذلك ان معنى قولنا فى اللون الاغبر مثلا انه لا ابيض ولا اسود انما معناه انه ذات قد عدمت بعض ما يوجد للطرفين اللذين هما تحت جنس واحد ووجد لهما شىء واحد من الطرفين على جهة الاختلاط - واما ما يدل عليه بسبب الطرفين مما ليس هو والاطراف تحت جنس واحد فليس بمتوسط كقولنا فى الحجر انه لا ناطق ولا اخرس وفى الاله انه لا خارج العالم ولا داخله وبهذه الخاصة تفارق الاضداد سائر اصناف التقابل فانه ليس يوجد لواحد منهما المتوسط الحقيقى اما السلب والايجاب فالامر فى ذلك بين واما العدم فما كان منه قوته

---

(١) كذا.

قوة

قوة السلب فالحال فيه كالحال فى السلب وهذا هو العدم المقابل للموجود مثل قولنا ان الموجود يتكون من غير موجود واما سائر اصناف الاعدام فقد يمكن ان يتخيل بينهما متوسط غير حقيقى مثل قولنا فى الجنين انه لا بصير ولا اعمى وفى الحجر انه لا ناطق ولا اخرس وقد سلف هذان واما المضافان فليس من شأنهما بما هما مضافان ان يوجد لهما المتوسط اذ كان ليس من شرطهما ان يوجدا فى جنس واحد كالفاعل والمفعول الذى يمكن ان يكون احدهما فى جنس والآخر فى جنس لكن ما كان من الاضافة يلحقها التضاد فقد يلفى لها متوسط لكن ذلك من جهة التضاد لا من جهة الاضافة كالمتوسط الذى بين الصغير والكبير وبين الفوق والاسفل فمن هذه الاشياء يلوح ان هذه الاربعة اصناف من المتقابلات متغايرة وان العدم والملكة هى كالاوائل للاضداد وللموجبة والسالبة وذلك ان التكون لما كان اما من عدم الصورة واما من صورة مضادة وكانت الصور المضادة يلحقها ضرورة ان يكون فيها عدم الضد المتكون وان كانت ضدا ما فان من ضرورة الكائن ان يتقدمه العدم وجب ضرورة ان يكون العدم لاحقا للمتضادات ومتقدما عليها بالطبع وايضا فانه يلحق احد المتضادين ان يكون ناقصا عن الثانى والنقصان عدم الكمال مثل الحار والبارد والرطب واليابس — واما السلب فالامر فيه بين انه ليس بينه وبين

هذا النوع من العدم اعنى المطلق فرق •

ولما كانت الاضداد كما قلنا غيرا بالصورة وواحدة بالجنس فقد ينبغى ان ننظر هل كل ما هو ضد هو غير بالصورة ام ليس يلزم ذلك فنقول ان كل ما كان من الاضداد تابعا لصورة الشىء فهو ضرورة غير بالصورة كالكائن والفاسد والازلى فانه لا يمكن ان يوجد الكائن والفاسد والازلى فى صورة واحدة والا امكن ان يكون هاهنا انما هى (١) ازليون. واما الاضداد التى توجد فى الشىء من قبل الهيولى فليس يمنع مانع من ان تكون فى صورة واحدة كالذكورة والانوثة الموجودتين فى النوع الواحد والابيض والاسود. اللذين يوجدان فى نوع واحد فقد تبين من هذا القول ما يلحق الواحد والكثرة وايهما اول اجناس التقابل ولذلك ما قد ينبغى ان ننظر على اى جهة تقابلهما الخاص بهما فانه لو لم يكن هنالك واحد لم تكن كثره ولو لم تكن كثرة لم يكن تقابل اصلا •

فنقول انه ليس يمكن ان يكون الواحد يقابل الكثرة على جهة التضاد واذ كانت المضادة للكثرة انما هى القلة والواحد ليس بقليل اذ القليل من اوصاف المنقسم وانما يعرض للواحد أن يكون قليلا من جهة ما يكون الواحد شيئا منقسما لا من جهة ما هو واحد وايضا ان كان الواحد قليلا فيكون الاثنان كثيرا فان القليل والكثير يقالان بالاضافة وعلى هذا فسيكون الواحد

(١) كذا. كثرة

كثرة ما وهذا كله ممتنع وايضا فان الضد كما تبين من امره انما يوجد له ضد واحد وهما فى جنس واحد وليس هكذا شأن الواحد والكثرة واما هل تقابلهما تقابل العدم والملكة ففى ذلك موضع نظر فان الواحد من جهة انه شىء غير منقسم والكثرة منقسمة يرى انه قد لحقه عدم الانقسام الذى هو موجود للكثرة •

واما كثير من القدماء فكانوا يرون الامر فى هذا بالعكس اعنى انهم كانوا يضعون الكثرة عدم الوحدة وانما اوقعهم فى ذلك فيما اظن انهم رأوا العدم ابدا اخس من الملكة والملكة اشرف وكان هذا حال الواحد مع الكثرة اذ كان هو السبب فى وجودها لكن الامر كما قلنا اظهر ان الوحدة عدم الكثرة فان كثيرا من الاعدام اشرف من الموجودات الدنية ولذلك قد يكون ألا يبصر فى بعض الاوقات خيرا من ان يبصر لكن متى انزلنا حال تقابلهما ايضا هذه الحال لزم عن ذلك محال شنيع وهو ان تكون الملكة تتقدم العدم اذ كان هذا شأن الوحدة والكثرة ولهذا ما نرى ان الاولى ان يكون تقابلهما على طريق المضاف وذلك ان الواحد يعرض له ان يكون كائلا والكثرة مكيلة والكيل والمكيل من باب المضاف الا ان هذه الاضافة ليست فى جوهر الواحد بل عارضة له ولذلك لا يقال الواحد بالاضافة الى الكثرة على جهة ما يقال الاشياء المضافة بعضها الى بعض والامر فى ذلك كالامر فى العلة والمعلول فان النار علة للاشياء

النارية لكن كونها نارا غير كونها علة ولذلك هى من حيث هى نار فى مقولة الجوهر ومن حيث هى علة فى مقولة الاضافة وهذا كله بين بنفسه وكذلك يشبه ان يكون اسم الكثرة دالا عليها لا من حيث لها هذه النسبة وان كانت ليس تتقوم الا بها بل اسم الكثرة انما يقال بالاضافة الى القلة ولذلك هذه الاضافة التى بين الكثرة والواحد انما هى للكثرة من حيث هى مكيلة وللواحد من حيث هو كائل او نقول ان الواحد قد يقابل الكثرة بالوجهين جميعا من جهتين مختلفتين فيكون تقوم الكثرة (١) لا من جهة ماعرض له انه عدم الكثرة بل من جهة ما هو مبدأ لها وبهذه الجهة يكون تقابلهما من المضاف ويكون ايضا من جهة ماعرض له هذا العدم الموجود فى الكثرة اعنى الانقسام يقابل الكثرة على جهة الملكة والعدم .

وقد يسأل سائل ويقول اذا كان الواحد انما له ضد واحد فعلى اى جهة يقابل المساوى للكبير والصغير فان المساوى ليس يمكن ان يكون ضدا لهذين اذ كان الضد انما له ضد واحد وايضا فان المساوى فيما بين الكبير والصغير والضد ليس فيما بين بل ما بين هو ما بين الاضداد وهذا الشك ينحل فان المساوى انما يقابل الكبير والصغير بغير المساوى وهو التقابل الذى يكون بين العدم والملكة — واذ قد قيل فى الواحد وفى لواحقه وفى الكثرة وفى لواحقها

---

(١) كذا ولعله الوحدة — ح .

لواحقها فقد ينبغى ان ننظرها هنا فى تناهى الاسباب الاربعة التى هى المادة والفاعل والصورة والغاية فان ذلك نافع فيما نحن بسبيله من الطلب اعنى طلب مبادى الجوهر وفى كثير ايضا مما سلف ولذلك ما صادر عليه ارسطو فى اول مقالاته من هذا العلم وهى المقالة الموسومة بالالف الصغرى . وبتمام هذا الغرض يتم الجزء الاول من هذا العلم ان شاء الله •

فنقول انه ان انزلنا معلولات اكثر من اثنين ثلاثة فصاعدا او فرضناها متناهية العدد ظهر أنه يوجد فيها ثلاثة اصناف اول ووسط واخير ولكل واحد منها شيء يخصه اما الاخير فيخصه انه ليس بعلة لشىء اصلا واما الاوسط فيخصه انه علة ومعلول معلول عن الاول وعلة للاخير سواء فرضت الاوسط واحدا او كثيرا متناهيا او غير ذلك اذ كانت هذه حال الوسط بما هو وسط لا بما هو وسط كذا اعنى انه متناه او غير متناه ويخص الاول انه علة فقط لا معلول لشىء اصلا من جهة ما هو علة وكان وجوده فى مقابلة الاخير والمتوسط كالممتزج بين الطرفين وهذا كله بين بنفسه فمتى انزلنا عللا لا نهاية لها لمعلول ما اخير فقد انزلنا اوساطا لا نهاية لها والاوساط بما هى اوساط كما قلنا متناهية كانت او غير متناهية مفتقرة الى العلة الاولى من جهة ما هى معلولة والا امكن ان يكون ها هنا معلول بغير علة لكن متى انزلنا هذه الاوساط غير متناهية فقد ناقضنا انفسنا لان من ضرورة

الاوساط ان يكون لها علة اولى واذا انزلنا ها غير متناهية فلا علة اولى هنالك وايضا فانه ممتنع ان يوجد وسط من غير طرفين والحال فى هذا الموضوع (١) كالحال فى الاوضاع التى تناقض انفسها كمن يضع ما لا نهاية له بالفعل وقد تبين فى كتاب سوفسطيقى ان مثل هذا ليست مصادرة على ابطال الوضع وهذا البيان وان كان اخص بالفاعل والمحرك فقد يمكن ان يؤخذ عاما فى بيان تناهى العلل الاربع لكن الاولى ان نبين ذلك فى واحد واحد من العلل الباقية بما يخصه •

ونبتدىء من ذلك بالسبب الهيولانى فنقول ان الشىء يقال انه يتكون من الشىء على وجهين احدهما كما يقال ان الماء يكون من الهواء والهواء من الماء والابيض من الاسود والاسود من الابيض ومن هاهنا فى الحقيقة هى بمعنى بعد اذ كان الشىء الذى منه كان التكون هو الموضوع للماء والهواء وللابيض والاسود لا صورة الماء ولا صورة الهواء ولا البياض نفسه ولا السواد بل ذلك على معنى ان صورة الماء ذهبت عن الموضوع واعقبتها صورة الهواء وفى مثل هذا ليس يمكن تقدم ما منه الكون على ما يكون ولا مرور الى غير نهاية اذ كانت ليست صورة الماء يمكن ان يتوهم مقدمة على صورة الهواء ولا صورة الهواء على صورة الماء بل هما جميعا فى مرتبة واحدة والموضوع لهما واحد وكل واحد منهما هو بالقوة والاستعداد صاحبه على مثال واحد ولذلك امكن ان

(١) د ـ الموضوع

ان يكون الكون فى هذه دورا •

واما الوجه الثانى من اوجه ما يقال فيه ان كذا يكون من كذا فهو أن يكون الشيء الذى يقال ان منه يكون كذا الوجود له بالفعل انما هو من حيث هو مستعد لأن يستكمل بمعنى آخر وصورة اخرى حتى كان الوجود لذلك الشيء الموضوع انما هو من حيث هو متحرك الى الاستكمال فذلك معنى الاخير ما لم يعقه عائق •

ومثال ذلك القوة الغاذية التى فى الجنين المستعدة لقبول الحيوانية وكذلك الحيوانية المستعدة لقبول النطق فانا نقول فى كل واحدة من هذه انه من القوة الغاذية تكون الحيوانية ومن الحيوانية يكون النطق وبمثل هذا نقول انه يكون من الصبى رجل وهذا القسم هو الذى يمكن ان يتوهم فيه ان للتكون اكثر من موضوع واحد بالفعل ويختص هذا الصنف دون الصنف الاول ان المعنى الاخير منه ليس هو بالقوة الموضوع ولا يمكن ان يستحيل اليه لان التوطئات مستعدة لقبول الغايات وليس الغايات مستعدة لقبول التوطئات وهو بين ان هذا النوع ايضا من الموضوعات ليس يمكن ان يمر الى غير نهاية لانه لو كان الامر كذلك لوجدت اشياء بالفعل غير متناهية فى متناه وسواء كان وجود الموضوعات فى الشيء فعلا محضا كالحال فى القوة الغاذية الموضوعة للحس او وجدت وجودا متوسطا بين القوة والفعل كحال الاسطقسات فى الاجزاء المتشابهة

الاوضاع(١)، وايضا فانه قد تبين فى العلم الطبيعى ان هاهنا موضوعا غير مصور بالذات وليس يمكن فى مثل هذا ان يكون له موضوع والا كان هو ذا صورة واذا كان الموضوع الاول والصورة الاخيرة اللذان هما طرفان متناهيان فى محسوس محسوس فما بينهما ضرورة متناه فانه من المحال ان تفرض اشياء متناهية من اطرافها وهى غير متناهية من اوساطها اذ كان هذا الوضع يناقض نفسه لان ما هو غير متناه هو غير متناه من جميع الجهات لامن جهة ما دون جهة وهذا بين بالتأمل .

واما السبب الذى هو الغاية فبين ايضا من امره انه ليس يمر الى غير نهاية فان هذا الوضع يعود برفعه لانه اذا كانت الحركة والسعى الى غير نهاية وغير نهاية طريق غير منقض فليس هاهنا شىء يكون نحوه الحركة والسعى فهو اذن عبث وباطل وانما ليس يمتنع هذا فى الاشياء التى وجود الغاية فيها تابع للحركة بل وفى الاشياء التى لها غايات من حيث هى موجودة فقط مما ليس شأنها ان تتغير وهى الامور التى ليست فى هيولى .

واما امر الصورة فقد يلوح ايضا انها ليس يمكن ان تمر الى غير نهاية اما الصور الهيولانية التى فى واحد واحد من اجزاء العالم فالامر فى ذلك بين بالوجه الذى تبين به تناهى الموضوعات فانه ليس يمكن ان يوجد فى الشىء المتناهى صور لا نهاية لها كما ليس يمكن ان يوجد فيه موضوعات لا نهاية لها وكذلك يظهر هذا

(١) د ـ فى الاخر المشابهة الاجزاء .

المعنى

المعنى فى العالم باسره فانه لما كانت اجزاؤه البسائط بعضها كالصور لبعض على مالاح فى العلم الطبيعى لم يمكن ان تمر اجزاؤه البسيطة الى غير نهاية من جهة ما بعضها كمالات لبعض كما ليس يمكن فى الكمالات ان تمر الى غير نهاية •

ومثال ذلك ان الارض انما وجدت من اجل الماء والماء من اجل الهواء والهواء من اجل النار والنار من اجل الفلك وليس يمكن فى مثل الاستكمال مرور الى غير نهاية وكذلك متى انزلنا صورا غير ذات هيولى بعضها كمالات لبعض تبين تناهيها بهذا البيان اعنى من الجهة التى تبين بها تناهى السبب الغائى فقد لاح من هذا القول ان الاربعة الاسباب متناهية وان ها هنا مادة قصوى وفاعل اقصى وصورة قصوى وغاية قصوى •

واما هل السبب الاقصى فى واحد واحد منها هو واحد ام قد يوجد منه اكثر من واحد فقد يمكن ان يبين ذلك ها هنا اما المادة الاولى فقد لاح من امرها فى العلم الطبيعى انها للكائنة الفاسدة واحدة وبذلك امكن ان تستحيل البسائط بعضها الى بعض واما الفاعل الاقصى فانه لو وجد منه اكثر من فاعل واحد للزم ضرورة ان يكون اسم الفاعل يقال عليهما اما بتواطؤ واما بنسبة الى معنى تشترك فيه فان كان اسم الفاعل يقال عليهما بتواطوء فنهالك جنس تشترك فيه فيكون الفاعل الاقصى ذا هيولى وقد لاح فى العلم

الطبيعى امتناع وذلك واعنى بالفاعل المحرك الاقصى فان قيل عليها بنسبة الى شىء واحد سواء كانت نسبتها اليه فى مرتبة واحدة أو متفاوتة فذلك الشىء الذى ينسب اليه هو الفاعل الاول الذى به صار كل واحد منها فاعلا فهى اذن معلولة وليس واحد منها فاعل اقصى فمن هذا يلزم ضرورة ان يكون الفاعل الاقصى واحدا وكذلك يظهر الامر فى السبب الغائى والصورى بهذا البيان بعينه اعنى ان الاقصى منها يلزم ان يكون واحدا بالعدد واذ قد لاح ان هاهنا اسبابا قصوى اربعة بالعدد فلننظر هل يمكن ان نجد لكل واحد منها الاسباب الباقية أو بعضها •

فنقول اما المادة الاولى فقد تبين من امرها فى العلم الطبيعى انها غير مصورة ولذلك ليس يمكن ان يكون لها فاعل اذ الفاعل انما يعطى المفعول الصورة واما ان لها غاية فواجب ضرورة وهى الصورة والاوجد ما شأنه الا يوجد واما الفاعل الاقصى فمن جهة ما يلزم ان يكون ازليا يجب ان لا يكون ذا هيولى واما انه ذو صورة فواجب ايضا واما هل يكون له سبب غائى ففيه نظر وذلك انا متى انزلنا له سببا غائيا فهو غير معلول ضرورة عنه اذ كانت الغاية اشرف من الفاعل ولأنه ليس فى مادة فالغاية اذن فقط هى سبب وجوده ولانا قد انزلناه انه فاعل للغاية فهو اذن لها سبب فيكون هو سببا لذاته وليس يلزم هذا فى الامور الهيولانية فان الفاعل انما هو سبب

للغاية

للغاية من جهة انها متكونة اوفى مادة وهى له سبب من جهة انها غاية واذا كان هذا ممتنعا ولم يبق الا ان تكون غايته ذاته كالعالم الذى غايته فى التعليم ان يفيض الخير فقط والناموس الذى يحرك الناس الى الفضيلة من غير ان يكتسب من ذلك فضيلة وكذلك ايضا يظهر الامر فى الصورة الاولى انها ليس لها فاعل اذ كان لو كان لها فاعل لم تكن صورة قصوى لانها كانت تكون متقدمة الوجود عند الفاعل وابعد ان تكون ذات مادة واذا لم يكن لها فاعل فهى والفاعل الاقصى واحد بالموضوع لانا متى انزلناهما اثنين بالعدد لزم ان يكون معلولة عن الفاعل او الفاعل معلول عنها من جهة ما هو ذو صورة فليس يكون فاعلا اولا وكذلك ايضا يجب ان لا يكون لها غاية لأن الغاية ذات صورة فتكون هنا صورة اقدم منها فلا تكون هى صورة قصوى واذا كان ذلك كذلك فغايتها ذاتها ولذلك ليس يمكن ان نضع الغاية الاولى غير الفاعل الاول وغير الصورة الاولى وذلك ان الصورة الاولى على ما تبين من هذا القول والفاعل الاقصى واحد بالموضوع وليس يمكن على ما قلنا ان يكون للفاعل الاقصى غاية غير ذاته فقد تبين من هذا القول ان جميع الاشياء ترتقى الى سبب واحد هو الغاية والفاعل والصورة وسنبين هذا بطريق اخص فيما بعد ان شاء الله تعالى — وهنا انقضت المقالة الثالثة — وبتمامها تم الجزؤ الاول من هذا العلم والحمد لله

كثيرا دائما .

المقالة الرابعة

قد قيل فيما سلف ان الموجود يقال على جميع المقولات العشر وانه يقال على الجوهر بتقديم وعلى سائر المقولات بتأخير وان الجوهر هو السبب فى وجود سائر المقولات وقد قيل ايضا هنالك ان الجوهر المحسوس ينقسم الى مادة وصورة هما ايضا جواهر من جهة ما هو منقسم فى الوجود اليهما وبهما قوامه وان سائر المقولات قوامها بمقولة الجوهر وانه ليس لكليات هذه الاشياء ومقولاتها وجود خارج النفس ولا الكليات سبب فى وجود جزئياتها المحسوسة بل الصورة الجزئية والمادة الجزئية هما السببان فقط فى وجود الجوهر المشار اليه وان الشخص انما هو فاعله شخص آخر مثله بالنوع اوشبيه وان الصورة الكلية والمادة الكلية ليس لهما كون ولا فساد فهذا هو مقدار ما انتهى اليه بالقول المتقدم من معرفة مبادى الوجود ولما كانت هذه الصناعة انما نظرها فى ان ينسب الموجود الى اقصى اسبابه الاول فقد ينبغى ان ننظر هل فى تلك المبادى التى لاح وجودها فى الجوهر المحسوس اعنى المادة والصورة كفاية فى وجود الجوهر المحسوس حتى لا يكون ها هنا جوهر مفارق هو السبب فى وجود الجوهر المحسوس ام ها هنا جوهر مفارق هو السبب فى وجود الجوهر

المحسوس

المحسوس دائما بالفعل وان كان فاى وجود وجوده وعلى كم وجه يقال انه مبدأ للجوهر المحسوس وايضا فكما لاح فى العلم الطبيعى ان المواد تنتهى الى مادة اولى موجودة فى الشيء فهل تنتهى الصورة الى صورة اولى موجودة فى الشيء او مفارقة وكذلك الامر فى الغاية الاولى وفى الفاعل الاقصى والسبيل الاخص بالوقوف على هذا الطلب هو ان نضع هاهنا على جهة المصادرة ما تبين فى العلم الطبيعى من وجود محركين لا فى هيولى وقد ينبغى ان نذكر بذلك هاهنا على عادتهم اذكارا الا ان من شأن هذا العلم ان يبين ذلك •

فنقول انه قد تبين فى العلم الطبيعى ان كل متحرك ها هنا فله محرك وان المتحرك انما يتحرك من جهة ما هو بالقوة والمحرك يحرك من جهة ما هو بالفعل وان المحرك اذا حرك تارة ولم يحرك اخرى فهو متحرك بوجه ما اذ توجد فيه القوة على التحريك حين ما لا يحرك ولذلك متى انزلنا هنا هنا المحرك الاقصى للعالم يحركه تارة ولا يحرك اخرى لزم ضرورة ان يكون هناك محرك اقدم منه فلا يكون هو المحرك الاول فان فرضنا ايضا هذا الثانى يحرك تارة ولا يحرك اخرى لزم فيه ما لزم فى الاول فباضطرار اما ان يمر ذلك الى غير نهاية او تنزل ان ها هنا محركا لا يتحرك اصلا ولا من شأنه ان يتحرك لا بالذات ولا بالعرض واذا كان ذلك كذلك فهذا المحرك ازلى ضرورة والمتحرك عنه ايضا ازلى الحركة لانه ان وجد متحركا بالقوة فى حين

ما عن المحرك الازلى فهنالك ضرورة محرك آخر اقدم من المحرك الازلى ولهذا لم يكن فى المحرك الذى تبين وجوده فى السادسة عشر من الحيوان كفاية فى ان يحرك دون محرك الكل وإذا لاح ان هاهنا حركة ازلية وكان ليس يمكن ان توجد حركة ازلية ماخلا النقلة دورا على ما تبين فى العلم الطبيعى فمن البين انه يجب عن هذا ان يكون هاهنا حركة نقلة ازلية وليس يظهر بالحس شيء بهذه الصفة ماخلا حركة الجسم السماوى فاذن حركة هذا الجرم ضرورة هى الحركة الازلية ومحركه هو المحرك الازلى الذى تبين وجوده بالقول .

وقد يظهر ايضا وجود حركة ازلية متصلة من جهة الزمان وذلك ان الزمان على ما تبين لاحق من لواحق الحركة والزمان ليس يمكن فيه ان يكونه ولا من هو فى غاية القحة وذلك انا متى انزلناه متكونا فقد وجد بعد ان كان معدوما وقد كان معدوما قبل ان يوجد والقبل والبعد اسماء لاجزاء الزمان فاذا الزمان موجود قبل ان يوجد وايضا فان كان الزمان متكونا فسيوجد آن مشارا اليه لم يكن قبله زمان ماض وهو ممتنع ان يتخيل آنا مشارا اليه بالفعل وحاضرا لم يتقدمه ماض فضلا ان يتصوره هذا اذا تخيل الزمان على كنهه وانما يمكن ان نغلط فى ذلك متى تخيلنا الزمان بمحاكيه وهو الخط فان الخط من حيث له وضع وهو موجود بالفعل فالواجب فيه ان يكون متناهيا فضلا عن ان يكون ممكنا قد تصور التناهى

 فى

فمتى تصورنا الزمان ايضا بهذه الجهة كأنه خط مستقيم امتنع عليه عدم التناهى وهذا النحو من التغليط هو داخل من المواضع المغلطة تحت موضع النقلة والابدال .

وقد اطال ابو نصر فى هذا المعنى فى الموجودات المتغيرة واذا كان هذا هكذا وظهر أن الزمان متصل ازلى فهو ضرورة تابع لحركة ازلية متصلة واحدة اذ كانت الحركة الواحدة بالحقيقة هي المتصلة واذا كان هنا حركة ازلية فهنا ضرورة محرك ازلى واحد اذ لو كان كثيرا لم تكن الحركة الواحدة متصلة فاما ان هذا المحرك غير ذى هيولى فقد يظهر ذلك من ان تحريكه فى الزمان الى غير نهاية وكل محرك فى هيولى فهو ضرورة ذو كم اى جسم اوفى جسم وكل قوة فى ذى كم اعنى جسما فهى منقسمة بانقسام ذى الكمية وتابعة لها فى التناهى او عدم التناهى على ما تبين فى العلم الطبيعى سواء فرضت هذه القوة شائعة فى الجسم ومنطبعة فيه كالحرارة فى النار والبرودة فى الماء او كان لها تعلق ما اى تعلق اتفق بالهيولى اعنى تعلقا ضروريا فى وجودها كالحال فى النفس ولما كانت الصور الهيولانية لا يمكن ان توجد ذوات كمية غير متناهية على ما تبين فى العلم الطبيعى وجب ان لا توجد قوة هيولانية غير متناهية التحريك وهذا كله قد تبرهن (١) فى العلم الطبيعى فليؤخذ من هنالك وقد يمكن ان نبين هذا المعنى من امر هذا المحرك ها هنا ببيان آخر .

---

(١) د — تبين

فنقول ان المحرك الاول الذى من اجله يتحرك الجرم السماوى ان وضعناه ذا هيولى لزم ان يكون فى موضوع غير الموضوع المتحرك عنه وان يكون من خارج - واذا كان ذلك كذلك فاما ان يحرك هذا الجسم الجسم السماوى من جهة تصوره اه وتخيله كالحال فى الحيوان او يحركه بقوة طبيعية فيه كالحال فى الاين لكن هذا ايضا تبين امتناعه فلنتزل ان حركة هذا الجرم السماوى انما هو تشوق الميل فقط لأن لقائل ان يقول ذلك وليس يكفى فى رد ذلك ما يقوله ابن سينا من ان حركة الميل انما تكون من حال غير طبيعية الى حال طبيعية فان ذلك انما هو موجود لميل الاجسام التى حركاتها حركة مستقيمة ولذلك السكون لهذه الاجسام هو كالطبع - واما الحركة لها فبضرب من العرض واما ميل هذا الجرم فقد تبين انه متشابه من جميع الوجوه اذ كان حول الوسط ولذلك ما قيل انه ليس يمكن فيه السكون فهذا احد ما يمكن ان يظن انه سبب حركة هذا الجرم لكن متى انزلنا ان هذا الجرم ليس يمكن فيه ان يكون غير متنفس ظهر امتناع هذا فاما من اين يظهر فيه انه متنفس فيما اقوله وذلك ان هذا الجرم يظهر من امره انه فى حركة دائمة ولذلك يجب اما ان يكون يشتاق الحركة نفسها او لازم الحركة وهى العناية بما هاهنا او الامرين جميعا فانه ظاهر من امره انه ليس يشتاق نهاية الحركة والا فقد كان يسكن وكل ما يشتاق الحركة نفسها او لازم الحركة

فهو

فهو متنفس ومتشوق عن تصوره لأن الحركة فعل للنفس ولولا النفس لم يوجد الا المتحرك فقط •

وقد تبين هذا مما يقوله الاسكندر وذلك انه ليس يمكن ان يكون الافضل من المتنفس غير متنفس فاما انه افضل من المتنفس فلانه هو المدبر له والمتقدم عليه تقدما طبيعيا وايضا فانه ازلى والازلى افضل من غير الازلى بل يظهر أنه متصور لما هاهنا والا فما كان يمكن ان يمتنى بالاشياء التى هاهنا هذه العناية ولذلك ما عظمته القدماء ورأوا انها الآلهة •

واذا كان ذا نفس فهو انما يتحرك من جهة الحس او التخيل او التصور الذى يكون بالعقل لكن من الممتنع عليه ان تكون له حواس لأن الحواس انما وضعت فى الحيوان من أجل السلامة وهذا الجرم قد تبين من امره انه ازلى، وكذلك الامر فى التخيل فانه ايضا وضع فى الحيوان من اجل السلامة، وايضا فانه ليس يمكن ان يكون تخيل دون حس ولو كانت حركة هذا الجرم عن الحواس او عن التخيل لم تكن حركته واحدة متصلة واذا كان ذلك كذلك فلم يبق ان تكون حركته اى عن الشوق الذى يكون عن التصور بالعقل لكن متى انزلنا هذا التصور جسما كأنك قلت الاشياء التى هاهنا اعنى التى دون فلك القمر وجب ان يكون الاشرف كماله بالاخس وذلك محال، وايضا فانه ليس يمكن ان نضع سبب حركة تصوره لجسم آخر سماوى اشرف منه لانه يلزم فى اعطاء سبب حركة ذلك الجسم

ما يلزم فى هــذا الجسم بعينه فيلزم ان تمر الاجسام السماوية الى غير نهاية واذا كان ذلك كذلك فامتنع ان يتحرك هذا الجسم السماوى نحو جسم آخر سواء فرضت ذلك الجسم اشرف او اخس فلم يبق ان يتحرك الا عن متشوق هو اشرف منه وهو الشىء الذى وجوده هو الخير باطلاق فان المتشوق هو الخير

وواجب ان يكون الخير الذى يتشوقه افضل المتشوقات واتم الخيرات ويعاضده عـلى هـذه الحركة النفسانية الميل الذى له بالطبع لانه لا تمانع بين ميل هذا الجسم وحركته النفسانية على ماتبين العلم فى الطبيعى فهذا احرى ما يمكن به ان يبرهن ان هذا المحرك ليس فى هيولى والطريق الاخص الاوثق هو الذى سلكناه اولا وهى طريقة ارسطو فلذلك ما هو الاولى ان نضع هاهنا وضعا جميع هذه الاشياء تسلمها من صاحب علم الطبائع •

والذى ينبغى ان ننظر فيه هاهنا من امر هذه المبادىء اذا تسلم وجودها بهذه الصفة اعنى من جهة ما ليست فى هيولى ان يقال (١) اى نجود وجودها (ب) وكم عددها (ج) وكيف نسبتها الى الجوهر المحسوس اعنى بكم جهة هى له مبدأ فان المبادى يقال على اشياء كثيرة (د) وايضا ننظر كيف نسبة بعضها الى بعض فى الوجود اعنى هل بعضها متقدم عـلى بعض ام هى مطلقة بعضها من بعض اعنى ان لا يكون بعضها اسبابا للبعض وان وجد بعضها

اسبابا

اسبابا لبعض فعلى كم وجه يكون سببا (٥) وايضا نعرف الاشياء التى تشترك فيها وكيفيه تشترك وتميز جهة تفاضلها فى ذلك الشىء المشترك هذا اذا وجد بعضها اسبابا لبعض واذا كانت اسبابا فعلى كم جهة يكون سببا والاشياء التى تشترك فيها هى مثل ان كل واحد منها عقل ومدرك ذاته وجوهر وحى وواحد وغير ذلك من الاشياء التى ستظهر بعد •

وبالجملة فينبغى ان ينظر ها هنا فى هذا الجزء على النحو الذى نظرنا فى الجزء المتقدم — فانه كما قيل هنالك فى نسبة الموجودات المحسوسة من جهة ما هى موجودة بعضها الى بعض اعنى من قبل الاول منها الى الاول وفى نسبة الاشياء التى تتنزل منها بمنزلة اللواحق كذلك ينبغى ان ننظر ها هنا فى هذا النوع من الوجود ثم يقال فى نسبة ذلك الموجود المحسوس وفى نسبة لواحقه الى هذا الوجود المعقول فاننا متى فعلنا هذا الفعل نكون قد احطنا علما بالموجودات بما هى موجودات وباقصى اسبابها •

وهذا الجزء من النظر هو الذى تضمنته من مقالات ارسطو فى هذا العلم المقالة الموسومة بحرف اللام وهو بين مما قيل ان المعرفة بهذا الجزء تجرى مجرى التمام والكمال للجزء الاول من هذا العلم — واذ قد تبين من هذا القول ما غرض هذا النظر فى هذا الجزء من العلم وما مطلوباته — فقد ينبغى ان نشرع فى شىء شىء منها •

فنقول اما ان المبادىء التى بهذه الصفة اكثر من مبدأ واحد فذلك لاح فى العلم التعاليمى النجومى فان المحرك الذى قلنا قبل فى اثباته هو غير المحرك الذى تبين وجوده فى السادسة عشر من كتاب الحيوان اذ كان ذلك متقدما بالطبع على هذا •

وذلك ان هذا الثانى مفتقر فى تحريكه الى ذلك الاول فانه لولا اعداد الاول له موضوعاتها التى فيها يفعل لما فعل شيئا على مالاح فى العلم الطبيعى وهذا الاول غير مفتقر فى تحريكه اليه وايضا فانه يظهر بالحس هنالك حركات كثيرة للجرم السماوى وكأنها حركات جزئية للمتحرك الحركة العظمى كما ان افلاكها اجزاء او كالاجزاء او كان جزءا للفلك الاعظم وقد تبين فى العلم الطبيعى انها من جوهر واحد وليس لها ضد فجميعها اذن ضرورة ازلى وايضا فاجزاء الازلى ازلية لانه قد تبين ان هذه الحركة الواحدة اعنى اليومية ازلية واذا كانت هذه الافلاك التى هى اجزاء للجرم الاعظم ازليــــة فحركاتها ضرورة ازلية ومحركوها ايضا بهذه الصفة اعنى ازليين وهم من جنس محرك الكل فاما اى عدد عدد هذه الحركات والاجسام المتحركة بها فليتسلم ذلك هاهنا من صناعة النجوم التعاليمية ولنترل من ذلك ما هو الاشهر هاهنا فى وقتنا وهو الذى ليس فيه خلاف بين اهل هذه الصناعة من لدن بطلميوس الى زماننا ونترك منها ما بينهم فيه خلاف الى من هو من اهل تلك الصناعة وايضا فان كثيرا من امر هذه الحركات •

لا يمكن

لا يمكن ان يوقف عليها الا بأن تستعمل فى ذلك مقدمات مشهورة اذ كان كثير من هذه الحركات تحتاج فى الوقوف عليها الى دهر طويل يستغرق العمر الانسانى مرات كثيرة والمقدمات المشهورة فى الصناعة هى التى ليس بين اهلها فيها خلاف فلذلك اعتمدنا امثال هذه المقدمات هاهنا •

فنقول ان الذى اتفق عليه من حركات الاجرام السماوية هى ثمان وثلاثون حركة خمس خمس للكواكب الثلاثة العلوية اعنى زحل والمشترى والمريخ وخمس للقمر وثمان لعطارد وسبع للزهرة وواحدة للشمس على ان يتوهم سيرها فى فلك خارج المركز فقط لا فى فلك تدوير وواحدة للفلك المحيط بالكل وهو الفلك المكوكب •

فاما وجود فلك تاسع ففيه شك فان بطلميوس ظن ان هاهنا حركة بطيئة لفلك البروج غير الحركة اليومية يتم دورها فى آلاف من السنين •

وآخرون رؤا انها حركة اقبال وادبار وهو الرجل المعروف بالزرقال من اهل بلادنا هذه وهى جزيرة الاندلس ومن تبعه منهم ووضعوا لذلك هيئة تلزم عنها هذه الحركة وانما دعاهم الى اثبات هذه الحركة انهم رصدوا عودات الشمس الى نقط معلومة من فلك البروج فوجدوها تختلف وآخرون رأوا ان هذا الاختلاف قد يكون لمزيد حركة اوحركات فى فلك الشمس وآخرون رأوا ان

ذلك لخلل فى الآلات او لتقصير الآلات انفسها عن درك ذلك على كنهه فيها .

وبالجملة فيبعد عندى ان تلفى ها هنا فلكا تاسعا غير مكوكب لان الفلك انما هو من اجل الكوكب وهو اشرف اجزائه ولذلك كلما كثرت هذه الكواكب فيه كان اشرف وقد صرح بذلك ارسطو والفلك المحرك الحركة العظمى هو اشرف الافلاك فلهذا ما استبعدنا ان يكون غير مكوكب بل هو عندى ممتنع فهذا هو احد ما ينبغى ان نتحفظ به عند الفحص عن سبب هذه الحركة وقد خرجنا عما كنا بسبيله فلنرجع الى حيث كنا .

فنقول انه متى انزلنا عدد هذه الحركات هذا العدد لزم ضرورة ان يكون عدد المحركين بعددها وذلك ان كل حركة منها فانما تكون عن تشوق خاص لها والتشوق الخاص انما يكون الى متشوق خاص هذا متى انزلنا ان المحرك لجميع الافلاك فى الحركة اليومية محرك واحد واما متى توهمنا هذه الحركة على ان لكل واحد من هذه الافلاك فيها محرك خاص فانه يكون مبلغ عدد المحركين خمسة واربعين وقد يظن فى بادى الرأى ان هذا هو الذى يذهب اليه ارسطو واما الاسكندر فصرح بخلاف ذلك فى مقالته المشهورة بمبادىء الكل وجعل المحرك لجميع الافلاك فى هذه الحركة اليومية محركا واحدا فاما اى الامرين هو الاولى والاليق فى ذلك لعمرى موضع نظر

فانه متى انزل لكل كوكب من الكواكب السبعة فلكا يخصه عليه يتحرك هذه الحركة اعنى اليومية وذلك على ماجرت به عادة اهل التعاليم فالاولى ان نضع لكل واحد منها فى هذه الحركة اعنى اليومية محركا خاصا والا فتكون الطبيعة قد فعلت باطلا فان وضعنا فلكا لا تكون عليه حركة خاصة عبث لكن متى انزلنا ان الامر ايضا هكذا لم تكن هذه الحركة اليومية واحدة بالحقيقة اذ ليس تكون عن محرك واحد بل ان اتفق فيها ان تساوت فى الزمان فقط وهى فى انفسها حركات كثيرة على مسافات مختلفة وعن محركين مختلفين فتكون على هذا الوضع واحدة بضرب من العرض فان المتحركات المختلفة فى السرعة والبطوء التى تكون حركاتها واحدة بالذات وفى زمان واحد انما يوجد ذلك لاجزاء الكرة فقط وما بالعرض اذا كان ممتنعا وجوده دائما او اكثريا فى الاشياء التى هاهنا فكم بالحرى ان يمتنع على الاجرام السماوية •

واذا كان هذا كله كما وصفنا فالحركة الواحدة بالذات انما تكون بمتحرك واحد والمتحرك الواحد انما يتحرك عن محرك واحد ولذلك الاولى ان نتوهم ان الفلك كله باسره حيوان واحد كرى الشكل محدبه محدب الفلك المكوكب ومقعره المقعر المماس لكرة النار له حركة واحدة كلية والحركات الموجودة فيه لكوكب كوكب حركات جزئية وان الحركة العظمى منه تشبه حركة النقلة

ن المكان للحيوان والجزئيات منها تشبه حركة اعضاء الحيوان ولذلك لم تحتج هذه الحركات الى مراكز عليها تدور كالارض للحركة العظمى فان اكثر هذه الحركات تتبين فى التعاليم ان مراكزها خارجة عن مركز العالم وانه ليس بعدها من الارض بعدا واحدا وعلى هذا فليست بنا حاجة الى ان نتخيل افلاكا كثيرة مركزها مركز العالم واقطابها اقطاب العالم منفصلة بعضها عن بعض بل نتوهم بين الافلاك الخاصة لكوكب كوكب اجساما كأنها ليست منفصلة بعضها من بعض ولا لها حركة بالذات بل من جهة ما هى اجزاء الكل وان على هذه الاجسام تتحرك الكواكب الحركة اليومية فان هذا ليس يعرض عن وضعه(١) محال فان الحاجة التى اضطرب اصحاب التعاليم الى وضع فلك فلك فى كل واحد من الكواكب السبعة عليها تتحرك الحركة اليومية غير الافلاك الخاصة بحركاتها انما هى انه امتنع عندهم ان يتحرك متحرك واحد حركتين مختلفتين وهو متحرك واحد على عظم واحد وهذا بعينه يتهيأ على هذا الوضع الذى تصورناه فان هذه الافلاك تتحرك حركاتها الخاصة بها على افلاكها الخاصة بها والحركة المشتركة على انها اجزاء الجسم الاعظم لا على ان لتلك الاجزاء حركة بذاتها بل من جهة ما هى جزء ــ فاما كيف تستتبع هذه الاجزاء بعضها بعضا عن محرك واحد وهى منفصلة وكيف لا تتعاوق (٢) فقد قلنا فى ذلك فى السماء والعالم .

(١) د ــ وصفه (٢) ــ د لا تتفارق .

واما

واما هل يمكن ان نضع المحركين اقل عددا من هذا العدد مثل ما توهمه بعضهم وذلك ان نفرض لكل فلك محرك واحد فقط يكون اول شيء يتحرك عليه الكوكب ثم تفيض من الكوكب قوى بها تلتئم سائر الحركات التى تخص ذلك الكوكب والتى هى من اجله فذلك ممتنع مما تقدم من قولنا ومما سيتلو ٠

وذلك ان تحرك هذه الافلاك اذا انزلنا انه انما يكون عن تصور الاشياء لافى هيولى فمن البين ان سائر الحركات الموجودة لكوكب كوكب ليس تكون عن تصور الكوكب ولاعن الاشتياق اليه كما تبين من قولنا ولا ايضا هاهنا قوى تفيض من الكوكب الى سائر اجزاء الافلاك اذ كان ليس يوجد لها من اجزاء النفس الا النوع الذى يكون بالتصور العقلى — واما هل يمكن ان يكون عدد هذه الجواهر اكثر من عدد هذه الحركات السماوية فذلك ليس بممتنع لكن متى انزلنا ان مبدأ موجودا من هذه المبادىء غير هذه التى عددناها فيلزم ان يكون لذلك المبدأ فعل ما يخصه اما ان يكون مبدأ لواحد من هذه المبادىء او لجميعها على ما سنبين بعد من امر المبدأ الاول ٠

واما ان يكون مبدأ لبعض الاشياء التى مادون فلك القمر كالحال فى العقل الفعال فانه ممتنع ان يوجد مبدأ من هذه المبادىء الشريفة ليس له فعل فان ذات النار ليس يمكن الا يصدر عنها احراق

وهذه المبادىء فعالة بالطبع كما ان الشمس مضيئة بالطبع وايضا لو وجد فيها مبدأ ليس له فعل لكانت الطبيعة قد فعلت باطلا وان كان ليس وجودها على القصد الاول من اجل افعالها بل بالقصد الثانى على ما سنبين لكن الامر فى ذلك واحد اعنى انلايوجد منها مبدأ عاطل ولهذا ما ينبغى ان يجزم القول هاهنا على ان عددها متناه وانه لا يمكن ان توجد مبادى ليست فاعلة •

واذ قد تبين هذا من امر وجود هذه المبادىء فلننظر أى وجود وجودهم وعلى اى جهة هم محركون وعلى كم نحوهم مبادىء لهذه الاجرام المحسوسة الالهية والسبيل الى الوقوف على ذلك هو أن نضع هاهنا ما تبين فى علم النفس فان اكثر المبادىء التى تستعمل هاهنا هى مأخوذة من ذلك العلم ولا سبيل بوجه الى معرفة هذا الجنس من الوجود بما يخصه الابعد المعرفة بذلك العلم ولذلك قيل فى الشرائع الالهية (اعرف ذاتك تعرف خالقك) •

فنقول انه قد تبين فى ذلك العلم ان للصور وجودين وجود محسوس اوشبيه بالمحسوس وهو الوجود الذى لها من حيث هى فى هيولى ووجود معقول وهو لها من حيث تجرد عن الهيولى فلذلك ان كانت هاهنا صور الوجود لها انما هو من حيث انها ليست فى هيولى فبالضرورة ان تكون عقولا مفارقة اذ كان ليس للصور بما هى صور وجود ثالث •

واذ قد تبين ان الوجود لهذه المحركات انما هو من حيث هى عقول فلننظر على اى جهة تحرك الاجسام السماوية وليس هنا وجه الا على جهة التصور بالعقل الذى يتبعه الشوق كما يحرك صورة العاشق المعشوق . واذا كان ذلك كذلك فالاجرام السماوية ذات عقول ضرورة اذ كانت متصورة وهذا برهان سبب ووجود ولان الحركة انما تكون مع شوق فهى ضرورة ذات شوق نطقى وليس لها من اجزاء النفس الا هذا الجزء فقط فانه ليس يمكن ان توجد للاجرام السماوية حواس فان الحواس انما جعلت فى الحيوان لموضع سلامته وهذه الاجرام ازلية ولا لها ايضا القوى المتخيلة على ما يزعم ذلك ابن سينا فان القوى المتخيلة ليس يمكن ان توجد دون الحواس على ما تبين فى علم النفس.

والمقصود بالقوى المتخيلة انما هو ليتحرك بها الحيوان عن المحسوسات بعد غيبتها وذلك ايضا فى الاكثر لمكان السلامة وايضا لو كان الامر فى الاجرام السماوية على ما يقوله ابن سينا من انها تتخيل الاوضاع التى تتبدل عليها لم تكن حركتها واحدة متصلة لتعاقب اختلاف الامور المتخيلة واختلاف احوال فيها وانما الاوضاع بضرب من العرض وباضافة بعضها الى بعض وذلك ان الميل الذى يكون لحركة الشمس انما هو شىء حادث عن وضع فلكها من الفلك الاعظم . واذا امتنع ان يكون لهذه الاجرام تخيل فليس

لها حركات جزئية وانما حركتها واحدة ومتصلة على الجهة التى اقول وذلك انها اذا تصورت الخير الذى كما لها فى تصوره تشوقت ان تتشبه به فى الكمال وذلك ان تحصل من وجودها على افضل الاحوال التى هى ممكنة فيها ولما كان ان تكون متحركة افضل من ان تكون ساكنة اذ الحركة حياة ما للاشياء الطبيعية كانت فى حركة دائمة وليس ذلك على ان تصورها من اجل الحركة اذ لو كان ذلك كذلك لكان الافضل من اجل الاخس بل على ان الحركة لازمة عن ذلك الكمال وتابعة له كما يتبع الاحراق صورة النار وكما انا اذا حصلنا على الكمال الاخير فالافضل لنا ان نفيد غيرنا من ذلك الكمال بقدر الممكن فيه لا ان كما لنا هو من اجل التغير كذلك الحال فى الاجرام السماوية مع مادونها وسنبين هذا فيما بعد •

فقد لاح من هذا القول اى وجود وجود هؤلاء المحركين وعلى اى جهة تحريكهم ومن هذا تبين انهم ليسوا محركين فقط للاجرام السماوية بل ومعطون لها صورها التى هى بها ماهى لانا متى رفعنا تلك لم توجد صور الاجرام المستديرة كما انا لو رفعنا العقل الذى بالفعل لم يكن الكمال الاقصى لنا موجودا ولذلك هى من هذه الجهة فاعلة لها بوجه ما اذ كان الفاعل هو الذى يعطى جوهر الشىء سواء كان فعله دائما او منقطعا والافضل ان يكون دائما كما انها من اجزاء صور لها فان صور الاجسام السماوية

لیست

ليست شيئا اكثر مما يعقل من تلك ولانها ايضا كما قلنا يتحرك عنها على جهة الشوق فهى لها غايات واذا كان ذلك كذلك فهذه المبادىء تنزل من هذا الوجود المحسوس منزلة الصورة والفاعل والغاية ولذلك ليس صدور الوجود المحسوس عنها على انها من اجله بل هو من اجلها كما تبين من هذا القول واذا كان ذلك كذلك فلم يبق ان يكون صدوره عنها الا على القصد الثانى وعلى نحو ما نقول فى الناموس انه يفيد الناس الفضيلة لا ليكتسب هو فضيلة فى نفسه فانه يظهر ان الموجودات صنفان صنف انما اعد ليخدم غيره على انه غايته وصنف يتم غيره ويكمله على انه رئيس لا على انه من اجله وهذان الصنفان موجودات فى الملكات والصنائع الارادية واذ قد تبين من امر هذه المفارقات على كم وجه هى مبدأ للجوهر المحسوس وكيف نسبتها اليه فقد ينبغى ان ننظر كيف الامر فى نسبة هذه المبادىء بعضها من بعض وهل هى فى رتبة واحدة من الوجود حتى يكون للعالم اكثر من مبدأ واحد ام بعضها معلول عن بعض وكلها ينتهى الى مبدأ واحد هو الاول فى ذلك الجنس والمتقدم على جميعها وسائرها انما صارت مبادىء بما استفادت من ذلك المبدأ وان كان الامر على هذا فعلى كم جهة يكون بعضها مبدأ لبعض ويكون الاول مبدأ لجميعها .

فنقول انه اذا تؤمل الامر فيها وجد بعضها متقدما بالشرف

على بعض وذلك انه يظهر ان المحرك للحركة اليوميه اشرف من جميعها اذ كانت كلها متحركة بالعرض عنه وهو غير متحرك عنها وايضا فما حركته اسرع وجرمه اعظم فهو اشرف ضرورة واذا تؤمل الامر فى سائرها وجدت تتفاوت فى هذا المعنى والاشياء المتفاوتة فى الفضيلة اذا لم تتفاوت بالنوع اعنى ان يكون انواعا شتى بعضها افضل من بعض فالتغاير الموجود فيها انما هو من تقدم بعضها على بعض فى الشىء (١) الواحد الذى تشترك فيه والاشياء التى هذه صفتها بعضها ضرورة معلول عن بعض والمتقدم فى ذلك على جميعها هو العلة القصوى لها والسبب فى وجود جميعها واذا كان هذا هكذا وكان قد لاح ان اشرف هولاء المحركين هو المحرك الحركة اليومية فهذا المحرك هو السبب الاقصى لجميعها وقد يلوح ايضا هذا من ان (٢) سائر المتحركات تشارك هذا المحرك فى حركته وتتحرك عنه فهى اذا تشترك فى تصوره فلكل واحد منها تصور عام اى مشترك وخاص له اما العام فتصور جميعها لهذا المحرك واما الخاص فتصور واحد واحد منها لمحرك محرك وليس يمكن ان يكون هذا العموم هاهنا نسبته الى مايخص واحدا منها نسبة الجنس اذ كانت هذه المتصورات غير ذات هيولى بل انما تكون نسبة اليها نسبة الاشياء المنسوبة الى شىء واحد هو المتقدم عليها والسبب فى وجودها وايضا

---

(١) ن بهامش صف ـ النوع (٢) ن بهامش صف ـ من هذا ان سائر .

فان العام متقدم على الخاص فانه ان ارتفع العام ارتفع الخاص واذا لم يكن فى هذا التصور العام ان تتقدم تقدم الجنسية فتقدمه لهاضرورة على سائر متصورا تهاهو تقدم السببية وكذلك ايضا يظهر هذا المعنى فى الحركات الكثيرة التى توجد لكوكب كوكب فانه مما كان يظهر من امر تلك الحركات انها انما هى من اجل حركة الكوكب لزم ضرورة ان يكون المحرك لهامن اجل حركة الكوكب والا كانت تكون حركة الكوكب عنها بالعرض ٠

واذا كان هذا كله كما وصفنا فكل كوكب توجد له اكثر من حركة واحدة فالمحركون له معلولون ضرورة عن محرك الكوكب والمحركون للكواكب السبعة معلولون عن المحرك للفلك الاعظم فهذا هو مقدار ما انتهى اليه بهذا القول من الوقوف على وجود مبدأ اول فى هذا الجنس ولعله سيلوح فيما بعد ان هذا المحرك ليس فيه كفاية فى ان يكون مبدأ اولا اذا نظرنا فى الاشياء التى تخص واحدا واحدا منها وقد يظهر بقول اعم مما تقدم ان هذه المفارقات باضطرار ان تنتهى الى مبدأ اول وانها ليست بعضها مطلقة عن بعض حتى لا تكون بينها علقة السبب والمسبب وذلك ان اسم المبدأ لا يخلو ان يقال عليها اما بتواطؤ او باشتراك محض او بترتيب وتناسب وهو الصنف من الاسماء التى تدعى بالاسماء المشككة ومحال ان يقال بتواطؤ لان الاشياء المتواطئة انما توجد لها الكثرة من قبل الهيولى وهذه غير ذات هيولى

وكذلك يستحيل ان يقال عليها اسم المبدأ باشتراك محض اذ كان قد تبين انها من جنس واحد واذا كان ذلك كذلك فلم يبق الا ان يقال عليها اسم المبدأ بتقديم وتأخير والاشياء التى تقال بتقديم وتأخير هى ضرورة منسوبة الى شىء واحد هو السبب فى وجود ذلك المعنى لسائرها .

مثال ذلك اسم الحرارة فانه يقال على الاشياء الحارة بنسبتها الى النار التى هى السبب فى وجود الحرارة لسائر الاشياء الحارة فمن هنا يظهر انه يلزم ان نترقى من هذه المبادىء الى مبدأ واحد لكن لا على التخصيص كما لاح من القول المتقدم وقد يظهر ايضا هذا المعنى من انا نرى افعال هذه الاجرام السماوية الصادرة عن حركاتها متعاضدة على وجود موجود موجود مما لدينا وحفظه حتى انا لو رفعنا واحدا من هذه الحركات لاختل وجود الاشياء وفسد نظامها ولذلك ، أنرى القمر والكواكب المتحيرة كأنها تخدم فى حركاتها الشمس وتتقبل آثارها ولذلك انا نجد لها ابدا ابعادا محدودة منها اعنى فى القرب والبعد مسيرات محدودة اعنى فى السرعة والابطاء على ما تبين فى علم النجوم التعاليمى وليس يمكن ان يكون هذا الفعل لها بالعرض واذا كان ذلك كذلك فهى تؤم ضرورة فى حركاتها غاية واحدة ولانه ليس وجودها من أجل الاشياء التى ها هنا فتلك الغاية التى تشترك فيها هى العلة فى اتفاقها وتعاضدها على موجود

موجود مما لدينا فان المفعول اذا كان وجوده باكثر من محرك واحد فانما يلتئم وجوده بالذات لا باشتراك تلك المحركين فى غاية واحدة والى هذه الاشارة بقوله عز وجل(لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) ٠

وبالجملة انما صار العالم واحد المبدأ واحد والا كانت الوحدة موجودة له بالعرض اولزم الا يوجد وبالجملة الحال فى العالم كالحال فى مدينة الاخيار فانها وان كانت ذوات رئاسات كثيرة فانها ترتقى الى رئاسة واحدة وتؤم غرضا واحدا والا لم تكن واحدة وكما ان من هذه الجهة يكون البقاء للمدينة كذلك الامر فى العالم ولذلك كانت المدن المنزلية سريعة البوار فان الوحدة لها انما هى بضرب من العرض واذ قدلاح اى وجود وجود هذه المبادىء وكيف نسبتها الى العالم المحسوس ونسبة بعضها الى بعض فلننظر فى الامور التى تخصها ولنجعل كما قلنا نظرنا فى ذلك مما تبين فى علم النفس ٠

فنقول اما ان كل واحد من هذه المبادىء يعقل ذاته فذلك بين من ان العقل منا لما كان هذا شانه اعنى انه يعرض له عندما يعقل المعقولات ان يرجع فيعقل ذاته اذ كانت ذاته هى نفس المعقولات ولذلك ما اذا كان العقل ها هنا هو المعقول بعينه فكم بالحرى ان يكون الامر هكذا فى هذه العقول المفارقة لان العقل منا اذا كانت هذه خاصته من جهة ما ليس هو منطبعا فى هيولى وان

كان له مع ذلك تعلق بالهيولى فاحرى ان يكون الامر كذلك فى العقول المفارقة التى ليس لها تعلق بالهيولى اصلا ولذلك يكون العقل والمعقول فيها اكثر فى معنى الاتحاد مما هو فينا فان العقل منا وان كان هو المعقول بعينه ففيه تغاير ما من جهة نسبته الى الهيولى واذ لاح ان كل واحد من هذه العقول مدرك ذاته فلننظر هل يمكن فى واحد واحد منها ان يعقل شيئا خارجا من ذاته ام لا .

فنقول انه قد تبين فى كتاب النفس ان المعقول كمال العاقل وصورته فمتى انزلنا واحدا منها يعقل غيره فانما يعقله على انه يستكمل به فذلك الغير متقدم عليه وسبب فى وجوده وكذلك متى انزلنا واحدا منها معلولا عن آخر فبالضرورة ان يتصور المعلول علته حتى ان هذين المعنيين منعكسان اعنى ان ما تصور من هذه المبادىء غيره فذلك الغير سبب له وما كان له منها سبب فالمسبب متصور له فانه ليس يمكن فى المسبب ان يتصور ذاته دون ان يتصور ما به قوام ذاته وقد تبين ان كل واحد منها متصور ذاته فباضطرار ما يلزم ان يكون المعلول منها متصور علته ومن ها هنا يظهر أن بعضها مبادىء لبعض على جهة الصورة والفاعل والغاية على ما تبين من نسبتها الى صور الاجسام المستديرة فان النسبتين واحدة .

وكذلك ايضا ليس العلة فيها من اجل المعلول اذ ليس يمكن فى الاشرف ان يكون من اجل الاقل شرفا بل حصول المعلول فيها

عن العلة انما هو شئ تابع لكمال العلة كما ان الاحراق تابع لجوهر النار

واذا كان هذا كله كما وصفنا فمن البين انه ليس يمكن ان يتصور العلة منها معلولها والا امكن ان تعود العلة معلولة ويستكمل الاشرف بالاقل شرفا وذلك محال ومن هنا يظهر كل الظهور انه ان وضع لها مبدأ اول ليس بمعلول لشيء على ما تبين فيما سلف انه لا يتصور الا ذاته وليس يتصور معلولاته وليس هذا شيء يخص المبدأ الاول منها بل ذلك شيء يعم جميعها حتى الاجرام السماوية فانا لا نرى انها تتصور الاشياء التي دونها على نحو وجودها فانه لو كان ذلك كذلك لاستكمل الاشراف بالاخس وكانت تصوراته كائنة فاسدة كالحال في المعقولات الانسانية واذا كان الامر على هذا فكل واحد من هذه المبادىء المفارقة وان كان واحدا بمعنى ان العاقل والمعقول فيه واحد فهي في ذلك متفاضلة واحقها بالوحدانية هو الاول البسيط ثم الذي يليه ثم الذي يليه •

وبالجملة فكل ما احتاج في تصور ذاته الى مبادىء اكثر فهو اقل بساطة وفيه كثرة ما وبالعكس كلما احتاج في تصور ذاته الى مباد اقل فهو اكثر بساطة حتى ان البسيط الاول بالتحقيق انما هو الذي لا يحتاج في تصور ذاته الى شيء من خارج •

فهذا هو الذي ادى اليه القول من امر تصور هذه المبادىء الا انه قد يلحق ذلك شناعات كثيرة وشكوك احدها ان تكون

هذه المبادىء جاهلة بالاشياء التى هى لها مبادىء فيكون صدورها عنها كما تصدر الاشياء الطبيعية بعضها عن بعض مثل الاحراق الصادر عن النار والتبريد عن الثلج فلا يكون صدورها من جهة العلم ومحال ان يصدر عن العالم من جهة ما هو عالم شىء لا يعلمه والى هذه الاشارة بقوله (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) وايضا فان الجهل نقص والشىء الذى فى غاية الفضيلة ليس يمكن ان يوجد فيه نقص فهذا اقوى الشكوك التى تلحق هذا الموضع ونحن نحلها •

فنقول انه لما كان الفاعل انما يعطى المفعول شبيه ما فى جوهره وكان المفعول يلزم فيه ان يكون غيرا وثانيا بالعدد وجب ضرورة احد امرين اما ان يكون مغايرا له بالهيولى وذلك لازم متى كان المفعول هو الفاعل بالنوع من غير تفاضل بينهما فى الصورة واما ان تكون المغايرة التى بينهما فى التفاضل فى النوع الواحد وذلك بان يكون الفاعل فى ذلك النوع اشرف من المفعول فان المفعول ليس يمكن فيه ان يكون اشرف من الفاعل بالذات اذ كانت ماهيته انما تحصل عن الفاعل واذا كان ذلك كذلك فهذه المبادىء التى ليست فى هيولى انما يغاير فيها الفاعل المفعول والعلة المعلول بالتفاضل فى الشرف فى النوع الواحد لا باختلاف(١) النوعية ولما كان العقل الذى بالفعل منا ليس شيئا اكثر من تصور الترتيب والنظام الموجود فى هذا العالم وفى جزء جزء منه ومعرفة شىء شىء مما فيه باسبابه البعيدة

(١) د س باختلاف

والقريبة حتى العالم باسره وجب ضرورة الا تكون ماهية العقل الفاعل لهذا العقل مناغير تصورهذه الاشياء ولذلك ما قيل ان العقل الفاعل يعقل الاشياء التى ها هنا لكن يجب ان يكون يعقل هذه الاشياء بجهة اشرف والا لم تكن ها هنا مغايرة بينا وبينة ٠

وكيف لا وقد تبين ان العقل منا الذى بالفعل كائن فاسد لتشبثه بالهيولى ومعقوله وهو ازلى فى غير هيولى ولقصور العقل الذى فينا احتاج فى عقله الى الحواس ولذلك متى عدمنا حاسة ما عدمنا معقولها وكذلك متى تعذر علينا حس شىء ما فاتنا معقوله ولم يمكن حصوله لنا الا على جهة الشهرة وكذلك يمكن ان يكون ها هنا اشياء مجهولة الاسباب بالاضافة الينا هى موجودة فى ذات العقل الفعال، وبهذه الجهة امكن اعطاء اسباب الرؤيا وغير ذلك من الانذارات الآتية وانما كان هذا القصور لنا لمكان الهيولى ٠

وكذلك ايضا يلزم الايكون معقول العقل الفاعل للعقل الفعال شيئا اكثر من معقول العقل الفعال اذ كان واياه واحدا بالنوع الا انه يكون بجهة اشرف وهكذا الامر حتى يكون المبدأ الاول يعقل الوجود بجهة اشرف من جميع الجهات التى يمكن ان تتفاضل فيها العقول البريئة عن المادة اذ كان ضرورة معقولة ليس هو غير المعقولات الانسانية بالنوع فضلا عن سائر معقولات سائر المفارقة ان كان مباثنا بالشرف جدا للعقل الانسانى واقرب

شيء من جوهره هو العقل الذى يليه ثم هكذا على الترتيب الى العقل الانسانى وكما ان الموضوع الاخص لتصورنا انما هى الامور الهيولانية وما نعقل من هذه المبادىء انما نعقله بالمناسبة وان كان عقلنا اياها انما هو على ترتيب فان اقرب شيء من جوهرنا هو العقل الفعال ولذلك رأى قوم انه يمكن ان يتصور ذاته على كنهها حتى نكون نحو هو ويعود المعلول هو نفس العلة كذلك ايضا الموضوع لتصور العقل الفعال انما هو ذاته وما يعقل من مبادته فانما يعقلها بالمناسبة وكذلك يلزم فى الثالث والرابع الى ان ينتهى الى المبدأ الاول ولذلك يخص المبدأ الاول انه يعقل شيئا بالمناسبة فلذلك لا يعقل معقولا به نقص بل عقله اشرف العقول اذ كانت ذاته اشرف الذوات ولذلك ليس فى ذاته تفاضل فى الشرف بل هو الشريف باطلاق من غير مقايسة ولو كان ما يعقل المعلول من هذه المبادىء من علته هو هو بعينه ما تعمل العلة من ذاتها لم تكن هنالك مغايرة بين العلة والمعلول ولا كانت كثرة لهذه الامور المفارقة اصلا •

فقد ظهر من هذا القول على اى جهة يمكن فيها ان يقال انها تعقل الاشياء كلها فان الامر فى ذلك واحد فى جميعها حتى فى عقول الأجرام السماوية وعلى اى جهة يقال فيها انها ليس تعقل ماد ونها وانحلت بهذا الشكوك المتقدمة فانها بهذه الجهة يقال انها عالمة

بالشىء الذى صدر عنها اذ كان ما يصدر عن العالم بما هو عالم يلزم ضرورة كما قلنا ان يكون معلوما والا كان صدوره كصدور الاشياء الطبيعية بعضها عن بعض •

وبهذا القول تمسك القائلون بان الله يعلم الاشياء وبالقول الثانى تمسك القائلون بانه لا يعلم ما دونه وذلك انهم لم يشعروا باشتراك اسم العلم فاخذوه على انه يدل على معنى واحد فلزمهم عن ذلك قولان متناقضان على جهة ما يلزم فى الاقاويل التى تؤخذ اخذا مهملا وكذلك الشنعة التى قيلت فيما سلف تنحل بهذا وذلك انه ليس النقص فى ان نعرف الشىء بمعرفة اتم ولا نعرفه بمعرفة انقص وانما النقص فى خلاف هذا فان من فاته ان يبصر الشىء بصرا رديا وقد ابصره بصرا تاما ليس ذلك نقص فى حقه •

وهذا الذى قلناه هو الظاهر من مذهب ارسطو واصحابه او اللازم عن مذهبهم وذلك أنهم يصرحون فى العقل الفعال انه يعلم ما ههنا اعنى ما دونه وكذلك فى عقول الاجرام السماوية ولا فرق على ما تبين من قولنا بين ان يجوز ذلك فى العقل الفعال او فيما فوقه من المبادىء فانه ليس يمكن فيها ان تعقل شيئا لا يتجوهر به الاعلى الجهة التى قلناها فقد تبين من هذا القول كيف تعقل هذه المبادىء ذواتها وما هو خارج عن ذاتها فاما ان هذه المبادىء جواهر فمما لا نشك فيه فان مبادىء الجواهر جواهر ضرورة وايضا اذا كان اسم

الجوهر ينطلق على هذه التي ليست في هيولى فاحق هذه باسم الجوهر هو المبدأ الاول فيها اذ كان جوهره هو السبب في جواهر تلك ٠

وكذلك يظهر ان هذه المبادىء حية وملتذة ومغبوطة بذواتها وان الاول فيها هو الحي الذي لا حيوة اتم من حياته ولا لذة اعظم من لذته وذلك انه هو المغبوط بذاته فقط وغيره انما حصلت له الغبطة والسرور به وذلك ان اسم الحيوة لما كان قد ينطلق عندنا على اخس مراتب الادراك وهي ادراكات الحواس فكم بالحرى ان ينطلق اسم الحيوة على المدركات بافضل ادراك لافضل مدرك وكذلك ايضا اللذة لما كانت ظلا لازما للادراك وكانت تتفاضل بتفاضل المدركات في انفسها وفي دوام ادراكها فكم بالحرى ان تكون تلك هي الملتذة بالحقيقة بادراكها فان كل واحد منها ماعدا الاول ملتذ بذاته وبالاول ومغبوط بذاته وبالاول واما الاول فهو الملتذ بذاته فقط والمغبوط بها ولان ادراكه اشرف الادراكات فلذته اعظم اللذات وهو وان اشترك مع سائرها في كونها ملتذة دائما فلذة تلك انما صار لها الدوام به ولذته هو بذاته وكذلك ايضا سائر المعاني المشتركة لها هي له بذاته ولها به ولما كان قد ظهر فيما سلف من القول انه ينبغي ان يطلب في الجواهر واحد اول هو السبب في وجود الكثرة فيها فان كل كثرة على مالاح هنالك الواحد يجب ضرورة

ان

ان يوجد فيها فقد يجب ايضا ان يكون في هذه الجواهر واحد اول هو السبب في كونها كثيرة ومعدودة وهذا احد ما يظهر به ان هذه المبادئ يلزم ضرورة ان يكون فيها واحد منها متقدم عليها بالطبع من جهة ما هي كثيرة متفاضلة في النوع ولما كان الواحد في كل جنس هو ما لم يكن منقسما ولا كثيرا بالانقسام الموجودة في ذلك الجنس وان كانت الكثيرة الموجودة في واحد واحد من هذه المفارقات انما توجد لها من جهة انها تعقل من ذاتها كثيرة على ما لاح من القول المتقدم فيجب عن هذا ضرورة ان يكون الواحد في هذا غير منقسم فيما يعقل من ذاته فلذلك لا يعقل الا شيئا واحدا بسيطا وهي ذاته ولا يمكن فيه ان يعقل كثرة ما لا في ذاته ولا خارجة عن ذاته وهو واحد بسيط في جوهره وغيره انما صار واحدا به •

ولما كان معنى الوحدة في واحد واحد من تلك المفارقات انما هو ان يكون المعقول منها واحدا وذلك بان تترقى المعقولات الكثيرة التي تجوهر بها واحد واحد منها الى معقول واحد لزم ضرورة ان يكون معنى الوحدة انما يوجد حقيقة واولا للاول ثم لما يليه ثم لما يليه في الرتبة حتى يكون اكثر العقول كثرة معقولات هذا العقل الذي فينا وهذا هو الواحد الذي لم نزل نطلبه بالقول المتقدم وهو الواحد في الجوهر الذي به استفادت سائر الجواهر وحداتها

واذ قد تبين ما يخص الاول من الصفات ويخص موجودا موجودا من هذه المفارقة فقد ينبغي ان ننظر في ترتيبها عن المبدأ الاول حتى ينتهي الى اخس مراتب الوجود المحسوس وهي الاسطقسات البسيطة والمادة الاولى •

فنقول انه قد لاح من القول المتقدم ان اشرف هذه المحركات هو محرك الفلك المكوكب وانه هو العلة الاولى لها فهذا مقدار ما كان تبين من ذلك القول الا انا متى قايسنا بين تلك الصفات الخاصة بالاول اعني من انه واحد بسيط لا يعقل من ذاته كثرة اصلا وبين فعل هذا المحرك لم تنطبق تلك الصفات عليه وذلك ان هذا المحرك يلزم ضرورة ان يكون قد صدر عنه اكثر من صورة واحدة وذلك انه هو الذي اعطى صورة الفلك المكوكب ووجود المحرك للفلك الذي يليه في المرتبة والواحد البسيط بما هو واحد بسيط انما يلزم عنه واحد فكيف تلزم عنه كثرة متفاضلة في الشرف وذلك ان المحرك اشرف ضرورة من صورة الفلك فالذات التي لزم عنها هذان الموجودان ذات اجزاء ضرورة بعضها اشرف من بعض واذا كان هذا حال هذه الذات اعني المحرك للفلك المكوكب فهي معلولة ضرورة ولها علة هي السبب في وجودها وهذا المبدأ هو الذي تليق به الصفات المتقدمة وتنطبق عليه وهذا هو الله تبارك وتعالى لان ادخال مبدأ آخر متقدم على هذا هو ضرورة

فضل

فضل والطبيعة لا فضل فيها .

فاما كيف ترتيب هذه المبادىء عن هذا الاول فهو ظاهر انه ينبغي ان يكون الاقرب فالاقرب اليه ابسط المعقولات واشرف ولما لم يظهر ها هنا محرك اشرف من محرك الكل وجب ان يكون هو اول شيء صدر عنه واما ترتيبها بعده ففيه نظر لانه ينبغي كما قلنا ويجب ان تقدم الاشرف فالاشرف . والاشرف في هذا انما يظهر لنا باحد اربعة اشياء اما سرعة الحركة واما عظم الجسم المتحرك وكونه محيطا واما عظم الكواكب او كثرتها والخامس (١) كثرة الحركات التى تتم بها حركة الكواكب وقلتها فانه اى محرك احتاج فى تحريكه الكواكب الى محركات اكثر من واحد فذلك ضرورة نقص فى حقه بالاضافة الى ما يحتاج الى حركات اقل او ما ليس يحتاج الى حركة غيره اصلا وبين ان المحرك للفلك المكوكب اتفق له الشرف بجميع هذه الجهات اعنى ان حركته اسرع الحركات وجسمه اعظم الاجسام وهو يحرك بحركة واحدة كواكب كثيرة بخلاف ما عليه الامر فى سائر الكواكب .

واما ترتيبها بعده كما قلنا فيشبه الا يكون بايدينا فى ذلك مقدمات يقينية الا على طريق الاولى والاخلق وذلك بان ننزل الامر على عادة المفسرين بان يكون الذى يلى هذا فى الرتبة محرك فلك زحل ثم هكذا على ترتيب الافلاك بحسب ما تبين فى صناعة

---

(١) هامش صف ـ وكثرتها والرابع .

التعاليم وانما قلنا انه ليس بايدينا فى ذلك طريق يقينى لان الشرف ان جعلناه لهذه الحركات من اجل وضع افلاكها بعضها من بعض تعارضت تلك الاشياء التى توجب الشرف وذلك ان المحيط اشرف من المحاط به من جهة انه له بمنزلة الصورة لكن لا يوجد فيه الشرف الذى من قبل سرعة الحركة والكثرة والقلة وعظم الكوكب وصغره وذلك انا نجد ما سفل من الافلاك اسرع حركة كفلك الشمس والقمر .

اللهم الا ان يقول قائل ان هذه السرعة انما هى بالاضافة الى المسافة لا فى نفسها وكذلك يظهر ايضا من امر الشمس انها اعظم كوكبا وانها اقلها حركات فمن هذه الاشياء كما قلنا ليس يوقف بطريق قطعى على ترتيبها .

وقد يسأل سائل فيقول انا اذا وضعنا على ترتيبكم انه صدر مثلا عن محرك زحل نفس فلكه والمحرك للفلك الذى يليه وكانت حركة فلكه تلتئم (١) من اكثر من حركة واحدة فالصادر عنه اكثر من محرك واحد بل مبلغهم على ما يظهر ستة احدها محرك الفلك الذى يليه والخمسة التى تلتئم بها حركة زحل وقد كان يجب على ما فرضتم الا يصدر عن هذا المحرك الا ثلاثة اشياء فقط اذ كان فى المرتبة الثالثة من الاول وذلك انه يجب ان تكون الكثرة الموجودة فى فعله تابعة ضرورة لتكثره فى ذاته كما ان الذات الواحدة انما يتبعها فعل واحد

---

(١) ن هامش صف — تتم .

فقط

فقط فنقول انما كان يلزم هذه الوضعنا تلك الاشياء صادرة عن هذا المحرك الثالث وهي في صدورها عنه في مرتبة واحدة منه بل نقول انه صدر عن هذا المحرك الذي في المرتبة الثالثة وهو محرك فلك زحل صدورا اولا ثلاثة اشياء فقط احدها محرك الفلك الذي يليه والثاني نفس الكوكب والثالث احد المحركين الذين يتحرك بحركتهم الكوكب ثم صدر عن هذا المحرك الثلاثة الباقية من محركات زحل على ترتيب ايضا اعني الثاني عن الاول والثالث عن الثاني فان قيل فيلزم عن هذا ان يكون محرك القمر والشمس مثلا اذ كانا اكثر هذه المبادىء كثرة موجودة في ذاتهما اذ يكون المحرك عنهما بحسب الكثرة الموجودة في ذاتهما فيكون للقمر مثلا تسع حركات وللشمس ان وضعناها في الفلك الرابع خمسة اوثمانية ان وضعناها فوق القمر ودون الزهرة وعطارد على الخلاف الذي في ذلك بين اهل التعاليم .

فنقول اما انه يلزم ان تكون الكثرة الصادرة عن واحد واحد منها ليست اكثر مما تنقسم اليها الذات فذلك حق ولذلك صدر عن الواحد واحد ولم يمكن ان يصدر عنه اثنان ولا امكن فيما ذاته منقسمة الى ثلاثة ان يصدر عنه اربعة واما انه يلزم ان يكون الصادر عن الذات المتكثرة بعدد ما انقسمت اليها الذات في نفسها ولا بد فليس يظهر ذلك فانه انما امتنع فيما سلف ان يكون واحد من هذه المبادىء ليس له فعل فاما ان تكون لا بد افعال كل واحد

منها بعدد ما تنقسم اليه ذاته فلعله ليس يلزم ويكون هذا راجعا الى تفاضلها فى الشرف فما كان منها مما ذاته منقسمة اشرف كانت افعاله معادة(١) لذاته وما كان اقل شرفا كانت كثرة افعاله ناقصة عن كثرة ذاته وليس يلزم عن هذا المحال اللازم عن صدور كثرة افعال عن ذات واحدة او ان تصدر عن ذات متكثرة كثرة هى اكمل من الكثرة الموجودة فى ذات العلة فهكذا ينبغى ان تتحفظ بترتيب هذه الجواهر فى جهة صدور بعضها عن بعض والا لحقها المحال المهروب منه وهو ان يكون الواحد ليس يصدر عنه الا واحد وانما سبيل هذا الوهم العكس وذلك انه لما صح ان الواحد لا يصدر عنه الا واحد اوهمت هذه القضية انها تنعكس وان الفعل الواحد انما يصدر عن فاعل واحد فقط والاثنينية انما تصدر عن اثنينية فقط بل الحق هو ان الواحد لا يصدر عنه الا واحد فقط والاثنينيته لا تصدر عنها الا اثنينية فما دونها فاما ان تكون الاثنينية صادرة ولا بد عن اثنينية فليس يلزم ذلك .

هذا هو مذهب المحدثين من فلاسفة الاسلام كابى نصر وغيره وقد يظن انه مذهب ثامسطيوس من القدماء وافلاطون وهذا الذى ذكرته هو اوثق البيانات التى اعتمدوها فى هذا المذهب وفيه دخل وذلك ان قولنا ان الواحد لا يصدر عنه الا واحد فقط هى قضية صادقة فى الفاعل من حيث هو فاعل فقط لا من حيث هو صورة وغاية فان الصورة والغاية انما يقال فيها انها فاعلة بضرب من التشبيه وانما

(١) كذا ولعله معادلة .

المطلب الخاص بهذا ان يقال هل يمكن ان يتصور من الشيء الواحد البسيط اكثر من شيء واحد ويستكمل به اكثر من شيء واحد فان امتنع هذا فالمسئلة صحيحة وان جاز فالمسئلة باطلة •

وقد تكلمنا فى ذلك فى غير هذا الموضع فلننزل الامر فى الترتيب هكذا، المبدأ الاول صدر عنه محرك الفلك المكوكب ومحرك الفلك المكوكب صدر عنه صورة الفلك المكوكب ومحرك فلك زحل ومحرك فلك زحل صدر عنه نفس الكوكب والمحرك لفلك المشترى ومحرك واحد فقط من المحركين الذين تلتئم بهم حركة كوكب زحل وعن هذا المحرك صدرت عنه الثلاثة المتحركات الباقية من حركات هذا الكوكب على الترتيب ايضا ثم محرك فلك المشترى صدرت عنه ثلاثة ايضا محرك فلك المريخ ونفس فلكه ومحرك ثالث صدر عنه باقى المحركين الذين تلتئم بهم حركاتها على ترتيب الثانى عن الاول والثالث عن الثانى والرابع عن الثالث وهكذا توهم الامر فى جميعها وليس هذا الترتيب قطعيا بل بحسب الاولى والاخلق •

وقد يمكن ان يعتقد أن محرك الشمس صدر عن محرك الفلك المكوكب ثم صدر عن محرك الشمس محرك فلك زحل ثم هكذا على ترتيب الى محرك القمر ويشهد لهذا الترتيب الذى قلناه مايظهر من مسير الكواكب بالقياس الى الشمس وحفظها ابدا فى السرعة

والبطؤ ابعادا محدودة منها وبخاصة الزهرة وعطارد وذلك بان حركتى الفلكين الحاملين لهما مساوية لحركة الشمس والقمر ايضا يرى انه يسير سيرا مستويا عند الاجتماع وفى الاستقبال وعند التربيع وهذا المعنى لعمرى قد يوجد فى الثلاثة العلوية ولذلك ليس يبعد كما قلنا ان تكون الشمس اشرفها ويكون محركها هو الذى يلى فى الرتبة محرك فلك الكواكب الثابتة •

وبالجملة كما قلنا ليس بايدينا مقدمات نقف منها على ترتيبها بطريق يقينى والعقل الفعال هو صادر عن آخر تلك المحركات رتبة ولنتزل محرك فلك القمر •

واما الاسطقسات فهى ضرورة معلولة عن الحركة العظمى وذلك امر قد تبين فى السماء والعالم وذلك انه قيل هنالك ان الحركة من شأنها ان تفعل حرارة والحرارة تتبع وجودها الخفة التى هى صورة النار وعدم الحركة تتبعها ضد هذا اعنى الثقل ولهذا كانت النار تلى مقعر الجسم المستدير وتثبت الارض فى الوسط لبعدها عن حركة المحيط وكانت البسائط التى بين النار والارض وهى الماء والهواء توجد بالحالتين اعنى ثقيلة وخفيفة ثقيلة بالاضافة الى مافوقها وخفيفة بالاضافة الى ما تحتها •

وبالجملة لما كان وجود الاجسام البسائط انما هو من حيث هى متضادة وكان الفاعل لتضادها ليس شيئا اكثر من حركة الجرم

المستدير

المستدير كان الجرم المستدير ضرورة هو الفاعل لها والحافظ وليس يلفى له اليها هاتان النسبتان فقط بل تنزل ايضا هنا منزلة الصورة وهى منه منزلة الهيولى فانه يلفى الاسفل منها مستكملا بالأعلى حتى يستكمل جميعها بنهاية الجسم المستدير وهذا شيء قد لاح فى السماء والعالم وايضا فان الجسم الكرى بما هو مستدير لا بد له من جسم عليه يدور وهو المركز والذى بهذه الصفة للجسم السماوى هو الارض واذا وجدت الارض وجدت سائر الأسطقسات فاذن من الضرورة لزوم وجود الاسطقسات عن وجود الجرم السماوى كما لزم ايضا من الاضطرار اللبن والآجر عن صورة البيت واذا كان ذلك كذلك فالجرم السماوى سبب لوجود الاسطقسات على انه حافظ فاعل وصورة وغاية •

واما امر المتشابه الاجزاء فقد تبين فى العلم الطبيعى انه ليس يحتاج فى اعطاء اسبابه القريبة الى شيء غير الاسطقسات وحركات الاجرام السماوية وكذلك ايضا عند أرسطو انما صار بعض الاجسام المتحركة متنفسا من قبل الاجرام السماوية ولذلك يقول ارسطو إن الانسان يولده انسان والشمس والعلة فى ذلك عنده ان الشخص انما يكونه شخص مثله ولما كانت تلك اجساما حية افادت الحياة لما هاهنا اذ ليس يمكن ان يحرك الهيولى الى الاستكمال النفسانى الا ما هو جسم فى طبيعته ان يكون متنفسا لان الشيء انما يفيد غيره ما فى

جوهره وليس يدخل ارسطو فى العلم الطبيعى مبدأ مفارقا هو عقل الافى العقل الانسانى وفى حركات الاجرام السماوية ـ امافى العقل الانسانى فمن قبل ان العقل الهيولانى يمكان فيه امكان غير مخالط وليس هنالك هيولى تحتاج الى ان يغيرها جسم ، واما فى الاجرام السماوية فمن قبل ان قواها غير متناهية ، واذا كان هذا كما وصفنا وتبين ان الاجرام السماوية هى السبب فى وجود الاسطقسات وعلى كم جهة هى لها سبب فصور الاسطقسات هى العلة القريبة لوجود المادة الاولى المشتركة لها وذلك على جهة الصورة والغاية فقط فانه ليس يمكن ان يتصور من الاسباب للمادة الاولى غير هذين السببين فقط فان الفاعل انما يفعل الشيء بان يفيده جوهره الذى هو به ماهو وهى صورته والمادة الاولى ليست ذات صورة فيكون لها فاعل ولا يمكن ايضا ان يتصور لها مادة اخرى اذ كانت هى الاولى وقد يمكن ايضا ان يتصور أن المادة معلولة بوجه آخر وذلك انه لما كانت المادة يقال عليها وعلى مواد الاجرام السماوية بضرب من التقدم والتاخير وكان ماهذا سبيله فالمتقدم فيه هو العلة فى وجود المتأخر فعلى هذا ايضا تكون مادة الاجرام السماوية هى السبب فى وجود هذه المادة ويكون السبب فى وجود مواد الاجرام السماوية صورها فقط ـ وضرورة هذا الترتيب فيها يفهم على هذه الجهة لما كانت المفارقات من جهة الوجود التام لها لابد أن تصدر عنها موجودات

اخر

اخر وكان بعض هذه الموجودات لا يمكن فى صورها ان يكون غير ذات موضوع باضطرار ما لزم ان يوجد الموضوع وكان وجود هـذه الصور فى المواد من جهة الضرورة واما وجودها فى نفسها فمن جهة الافضل اعنى نفوس الاجرام المستديرة فان وجودها ضرورة افضل من عدمها وبهذا ينحل ما يمكن ان يتشكك به على وجود هذه الصور التى هاهنا.

وذلك ان لقائل ان يقول اذا كانت موجودة فى ذوات المفارقة بالحال الافضل فما بالها وجدت بعد ذلك بالحال الاخس الا ان يقول قائل ان العناية بذلك انما كانت بالهيولى فيكون الاشرف من اجل الاخس، ونحن نقول ان وجودها على هذه الجهة هو ضرورة وجود ثان وهو من حيث هو وجود افضل من العدم ولذلك وجدت وجودا نقص فوجودها الانقص هو من جهة الا فضل بالقياس الى عدمها وكونها ناقصة الوجود وصورا فى مواد هو من جهة الضرورة اذ لم يمكن ان توجد بحال اتم وكما ان الافضل لنا اذا حصلنا على الكمال الاخير ان نفيد غيرنا من ذلك بحسب ما يمكن فيه كذلك الامر فى المبادىء المفارقة مع صدور نفوس الاجرام السماوية عنها.

واما صور الاجسام المستديرة وجدت ايضا فى هيولى من اجل الضرورة وكأنه اجتمع فيها الضرورة من وجهين ــ احدهما من

حيث هي موجودة والثانى من حيث هي فى هيولى والسبب فى هاتين الضرورتين لها هو وجود الاجرام المستديرة وذلك ان الضرورة فى كونها موجودة هو وجود تلك وفى كونها فى مواد هو وجود تلك فى موضع، واما الصورة الحاصلة بعد اختلاط الاسطقسات وامتزاجها كصور النبات والحيوان وصورة الانسان فان وجودها فى نفسها انما هو من اجل النفس الناطقة ووجود النفس الناطقة من اجل الافضل كالحال فى الاجرام السماوية ولذلك ما نرى ان اقرب موجودها هنا فى الرتبة من الاجرام السماوية هو الانسان وهو كالمتوسط بين الموجود الازلى والكائن الفاسد ووجود النفس الناطقة ايضا فى هيولى هو من جهة الضرورة فنسبة النفس الناطقة هنا الى مادونها من الصور هى نسبة الناطقة الى العقل المستفاد ونسبة الحاسة الى الناطقة هي نسبة الهيولى وكذلك نسبة الغاذية الى الحاسة ونسبة المتشابهة الاجزاء الى الغاذية هى نسبة الهيولى ايضا الى الصورة وهى بعينها نسبة صور المتشابهة الاجزاء الى الاسطقسات من الانسان فالانسان هو الواصلة الذى اتصل به الموجود المحسوس بالوجود المعقول ولذلك تمم الله به هذا الوجود الذى لحقه النقصان لبعده عنه •

واما لم وجد من النفس النباتية والحيوانية اكثر من نوع واحد فيشبه ان يكون وجود اكثرها من اجل الافضل ويشبه ان

يبين

يبين فى بعضها انها انما وجدت من اجل الانسان او بعضها من اجل بعض وفى بعضها ليس يظهر هذا كالحيوانات العادية على الانسان والنباتات المسمومة ولذلك ما سيلوح فيما بعد أن فساد هذه الموجودات اكثر ذلك بعضها لبعض انما هو بضرب من العرض ومن قبل ضرورة المادة كالعقارب وسائر الجوارح التى يظهر من امرها انها تفسد ما ان لم يكن اشرف منها فليس باخس وانما كان هذا لمكان الضرورة فقد لاح من هذا القول كيف ضرورة وجود الاشياء بعضها عن بعض ونسبة بعضها الى بعض فى الكمال وان كمالات جميعها منسوبة الى الكمال الاول وضرورة وجوداتها معلولة عن الوجود الاول، وقد ينبغى بعد أن ننظر فى امر العناية بما ها هنا اعنى بما دون فلك القمر ونعمل فى ذلك على هذه الاصول المتقدمة، فنقول اما وجود هذه الاشياء التى على وجه الارض وبقاءها محفوظة الانواع فذلك شىء مقصود ضرورة ليس يمكن ان يكون فاعله الاتفاق على ما كان يرى كثير من القدماء وذلك يظهر اذا تفقد كيف موافقة حركات الاجرام السماوية بوجود شىء شىء مما يحدث ها هنا ويحفظه واظهر ما يوجد ذلك للشمس ثم للقمر وذلك ان الشمس تبين من امرها انها لو كانت اعظم جرما مما هى اولى واقرب مكانا لهلكت انواع النباتات والحيوانات من شدة الحر وكذلك لو كانت اصغر جرما وابعد لهلكت من شدة البرد •

والتصديق بهذا يقع من ان الذى تفعل به الشمس التسخين هو حركاتها وانعكاس لشعاعها ومن المواضع التى لا تعمر من شدة البرد وشدة الحر وكذلك ايضا تظهر العناية فى فلكها المائل ظهورا بينا فانه لو لم يكن لها فلك مائل لما كان ههنا صيف ولا شتاء ولا ربيع ولا خريف وهو بين ان هذه الازمان ضرورة فى وجود انواع النبات والحيوان وامر العناية فى الحركة اليومية ظاهر جدا فانه لو لم تكن الحركة اليومية لم يكن ليل ولا نهار وكانت تكون نصف السنة نهارا والنصف الآخر ليلا وكانت الاشياء تهلك حينئذ اما فى النهار فمن الحر واما فى الليل فمن البرد .

واما القمر فاثره بين ايضا فى تكون الامطار وانضاج الفواكه وبين ايضا انه لو كان اعظم مما هو او اصغر او ابعد او اقرب او لم يكن نوره مستفادا من الشمس لما كان له هذا الفعل وكذلك ايضا لو لم يكن له فلك مائل لما كان يفعل افعالا مختلفة فى اوقات مختلفة ولذلك تسخن به الليالى فى زمان البرد وتبرد فى زمان الحر اما سخونتها فى زمان البرد فلأن وضعه منها يكون حينئذ كوضع الشمس فى زمان الحر بأن يكون هو اقرب الى سمت رؤسنا اذ كان فلكه اكثر ميلا واما فى زمان الحر فيكون الامر بالعكس اعنى ان ظهوره واستناره تكون فى الجهة الجنوبية اذ كان ابدا انما يظهر فى الجهة المقابلة للشمس فاذا كانت الشمس فى الجنوب ظهر فى الشمال واستسر فى الجنوب واذا

كانت الشمس فى الشمال انعكس الامر اعنى انه يظهر فى الجنوب ويستسر فى الشمال ولذلك صار حينئذ يبرد وذلك انه انما يلقى حينئذ شعاعه فى جهة الجنوب وكذلك ايضا ما يظهر من مسيراته المعتدلة فى ابعاد محدودة من الشمس ليس ينبغى ان يتوهم ان ذلك لغير العناية بما هاهنا •

وعلى مثال ما قلناه فى الشمس والقمر ينبغى ان يعتقد الامر فى سائر الكواكب وفى افلاكها وفى مسيراتها مسيرات معتدلة فى ابعاد محدودة من الشمس ولذلك ما يقول أرسطو ان مسيرتها هى مسيرة الشمس وانما قال ذلك لما يظهر من تقبلها(١) حركاتها ورومها التشبــــه بها ونحن وان لم يتميز لنا بالحس آثار كثيرة من حركاتها وخروج مراكزها واستقامتها ورجوعها فانا نقطع قطعا يقينيا ان ذلك للعناية بما هاهنا وانما عسر علينا ادراك ذلك اذ كان ذلك يحتاج الى تجربة طويلة يقصر عنها العمر الانسانى ولذلك قد ينبغى ان تتسلم ذلك عن اصحاب صناعة النجوم التجريبية وذلك فيما يظن انه ممكن مما يقولونه من تأثيرات هذه الكواكب اعنى انه ممكن ان يوقف على ذلك بطول الرصد وممكن ايضا فى الكواكب ان تفعل ذلك لكن لشرف هذه الاجرام السماوية كما قلنا غير ما مرة لسنا نرى ان عنايتها بما دونها هو على القصد الاول والا كانت الاشياء الازلية من اجل المائتة والافضل من اجل الاخس ولكونها ايضا معتنية بما على

---

(١) بها مش صف تمثلها

هذه الجهة لاتقدر ان تقول انها غير عالمة بما هاهنا اذ كانت افعال العالم
بما هو عالم معلومة له لكن علمها على الوجه الذى فصلناه ولما كان
النظام فى حركات هذه انما استفادته بما عقلت من ذات مباديها وكانت
مباديها انما استفادته من المبدأ الاول الذى هو الله تبارك وتعالى فالعناية
الاولى بنا انما هى عناية الله تبارك وتعالى وهو السبب فى سكنى ماعلى
الارض وكل ما وجد هاهنا مما هو خير محض فمن ارادته وقصده
واما الشر ورفوجودها لضرورة الهيولى كالفساد والهرم وغير
ذلك وانما كان ذلك كذلك لانه لما لم يمكن هذا الوجود الاعلى احد
امرين اما الا توجد هذه الاشياء التى يلحق وجودها شر ما فيكون
ذلك اعظم شرا واما ان توجد بهذه الحال اذ كان ليس يمكن فى
وجودها اكثر من ذلك ومثال ذلك ان النار منفعتها فى العالم بينة
واتفق لها بالعرض انها تفسد كثيرا من الحيوان والنبات لكن
انظر العناية بالحيوان كيف جعل له حس اللمس لما امكن ذلك فى طباعه
حتى يفر به عن المحسوسات المفسدة له وكذلك جعل فى نوع نوع
من انواع الحيوان ما يحفظ به وجوده من الاشياء المفسدة له وذلك
ايضا بحسب ما فى طباع ذلك الحيوان ان يقبل من ذلك وهذا ايضا
احد ما يظهر به ان العناية بما هاهنا موجودة ولذلك اذا تأملت امر
كثير من الحيوان ظهر لك انه لم يمكن فيه ان يوجد لو لم تجعل له
الاشياء التى بها يحفظ وجوده واكثر ما يظهر ذلك فى الانسان وانه

لولا

لولا العقل لم يمكن ان يوجد زمانا ما ولذلك ما قد نرى ان تلك المبادىء عالمة بالشرور التى هاهنا على الوجه الذى هى به عالمة وانها لم تبلغ غايتها بنا ان تعطينا وجودنا فقط بل والاشياء التى بها تحفظ وجودنا مما عساه ان يفسدنا •

ويقول الاسكندر ان قول من يقول ان العناية تعم بالجزئيات كلها قول ايضا فى نهاية الخطأ على ما يرى ذلك اصحاب الرواق وذلك ان العناية من تلك انما تكون من حيث هى عالمة على ما سلف وليس يمكن ان تكون لها علوم حادثة جزئية فضلا عن ان تكون غير متناهية والقائل ايضا بهذا يجوز الآلهة ضرورة لانه اذا كانت تنحو نحو تدبير شخص شخص فكيف يلحق الشخوص الشرور ومع ان الآلهة تدبره واعنى هاهنا من انواع الشرور ما قد كان ممكنا الا يقع بهو اما الشرور الضرورى وقوعها بالشخص فلقائل ان يقول ان ذلك ليس من عند الآله لكن اكثر من يرى فى امر العناية هذا الرأى يرون ان الامور كلها ممكنة للاله فذلك يلزمهم ضرورة ان يجوزوه واما ان الامور ليس كلها ممكنة فظاهر جدا فانه ليس يمكن ان يكون الفاسد ازليا ولا يمكن ان يكون الازلى فاسدا كما انه ليس يمكن فى المثلث ان تعود زواياه مساوية لاربع زوايا قوائم ولا فى الالوان ان تعود مسموعات والقول بهذا ضار فى الحكمة الانسانية جدا •

واما قول من يرى ان يحتج لهذا بان افعاله لا تتصف بالجور بل نسبة الخير اليه والشر نسبة واحدة فقول غريب جدا عن طباع الانسان ومنافر لطبيعة الموجود الذى فى غاية الخير وذلك انه ليس يكون ها هنا شىء هو خير بذاته بل بالوضع ولا شىء هو شر بذاته ويمكن ان ينقلب الخير شرا والشر خيرا فلا يكون ها هنا حقيقة اصلا حتى يكون تعظيم الاول وعبادته انما هو خير بالوضع وقد كان يمكن ان يكون الخير فى ترك عبادته والاعراض عن اعتقاد تعظيمه وهذه كلها آراء شبيهة باراء افروطاغورس وسنفرغ لبيان ما يلحقها من الشناعة فى المقالة التى تلى هذا ان شاء الله تعالى.

وها هنا انقضى القول فى الجزء الثانى من هذا العلم وهى المقالة الرابعة من كتابنا هذا والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وسلم.

(١) كان فى الاصل المنتسخ منه هذه المقالة الرابعة هى آخر هذا الكتاب وما وعد ان يتكلم به فى الخامسة فانه بعد ذلك لم يعول عليه لانه رأى ان الذى بقى القول فيه من هذا العلم غير مهم اذ كان اكثر ذلك انما هو فى اعطاء مبادى العلوم وفى تصحيح المقدمات اليقينية بالاقاويل المشهورة اى الجدلية ولما كان هذا غير ضرورى

(١) من هنا الى آخر الكتاب من صف فقط وفى د هنا ـ تمت بعون الله وتوفيقه فى تاريخ (٢١) ربيع الثانى سنه ١٠١١ هـ ـ العبد المذنب محمد رضا.

جزم القول فى آخر هذه المقالة الرابعة وهذا قول من شافه المولف رضى الله عنه *

نقل انه قدم رسول ارسطاليس على الاسكندر فمكث طويلا لا يتكلم فقال له الاسكندر اما ان تقول فاسمع واما ان اقول فتنصت فقال الرسول التخير اليك لا الى وعلى لا عليك فقال الاسكندر ما فعل الحكيم قال ايها الملك جد فى الاجتهاد ولقد كان حذرا مستعدا قال ما بلغ جده قال عينه لا تسكن ولا تطرف ولسانه لا تفتر الدنيا عنده كالقبيح والدبر — قال كيف عمل فى الرعية بعدى قال انار القلوب المظلمة فى الصدور الخربة وكثر فيها الحكمة وامات فيها الجهالة — قال فما لباسه الظاهر قال الزهد فى الدنيا والامتناع من شهواتها — قال فما لباسه الباطن قال الفكر الطويل والتعجب الدائم — قال وممن ذلك قال من اهل الدنيا كيف اغتروا بها ومن اهل التجربة كيف وثقوا بها — قال فمن ايهم كان اشد تعجبا قال من مصروعها كيف عاودها ومن مسلوبها كيف راجعها ومن الذى مات ابوه كيف . . . (١) ومن غنيها كيف فرح بما ليس

(١) خرم فى الاصل

له ومن فقيرها كيف حزن على فوت ما يشقى به الغنى قال فمن ايهما اشد تعجبا قال من جميعهما سواء وذلك ان هذا فرح بما ليس له وهذا حزن على فوت ما يشقى به كيف لم ينله فأحب ان يثقل ظهره وهو خفيف الظهر واحب ان يكثر همه وهو قليل الهم والغم واراد ان يكون فى تعب ونصب وهو مستريح وانما يكفيه من الدنيا ما يسد جوعه ويذهب ظمأه ويستر جسمه •

قال هو فى دوام الملك للملك اظهر سرورا ام فى زواله — قال بل فى دوامه للملك — قال ولم ذاك وليست الدنيا من شأنه — قال المقدرة على اظهار الحكمة فى سلطانه والاستمكان من افاضة العلم واشاعته وتقريب الحكماء والعلماء واخذ الرعية بالادب ابتغاء بالخير ودرك الاجر فى تبصير اهل الجهالة وحمل الناس على حسن الهدى والسيرة الفاضلة والقوة على رفض الدنيا ونبذ الشهوات وترك اللذات عند القدرة عليها والتمكن منها والامتناع عليها عند تكاثرها وتواترها فان الدنيا لم تغلبه على نفسه ولم تورطه فى فخاخها اذا نصبت حبائلها ولكنها كلما لمعت له ازداد منها بعدا وكلما تزينت له ازداد منها استيحاشا وكلما تقربت اليه ازداد منها نفورا •

قال كيف كان هيبته الموت وخوفه من المألوف على حسيب النفس ودمائها • قال كان الى الموت مشتاقا ولما بعده مرتجيا • قال ولم ذلك • قال لانه افتدى نفسه بالدنيا وفك رهنه بالبر وباع نفسه

الآخرة

بالآخرة . . (١) الحكيم لآخرته فاشترى النعيم الباقى بالنعيم المنقطع وصار الموت عنده نجاة من الحبس لا يسليه الموت شيئا مما قدم من الخير فتزود من الحسنات .

قال ما اغلب طباعه اليه قال الرحمة لكل احد والكف عن كل احد والاحسان الى كل احد والتوقير لاهل العلم والحكمة وبذل فوائد الخير للمستفيدين وشكرهم على تعلم الحكمة والاستفادة والسؤال والطلب .

وكان يقول ضن الرجل بالعلم والحكمة المقربين الى السعادة من اشد القسوة واعظم الاثم .

ثم قال فكيف تركت اهل البلاد قال استل الجهل سيفه وافلت من اساره وعز بعد ذله وفغر الحرص فاه متوقدا متضرما مستوليا غالبا فتغلب حثارة ودهماؤهم على الحكماء والعلماء الصالحين فاذلوهم وهجروهم فانقطعت مواد العقول وضمرت النفوس ودخل الحزن علينا فنحن متبددون فى ايدى الجهال منتشرون فى عيش كدر فبكى عند ذلك الاسكندر .

وقال صابرنا وجهدنا فى طلب هذه الدنيا الغرارة وصابر العلماء وجهدوا فى رفضها ابوا ان يقبلوها وابينا ان نرفضها ورغبنا فيما زهدوا فيه وزهدوا فيما رغبنا فيه فاعقبهم فعلهم سرورا دائما واعقبنا فعلنا حزنا طويلا فاصبحنا نرثى لانفسنا ونغبطهم ونبكى لانفسنا

(١) هنا خرم فى الاصل

ونفرح لهم فالويل والثبور لمن سلبت منه الدنيا وجمع ماجمع فيها ونصب فى ادخاره منها ولم يدرك الآخرة •

نقل انه فتح الاسكندر مدينة فاجتمع اليه اهلها فسألهم عن اولاد الملوك بها •

فقالوا ابقى منهم رجل يسكن المقابر فدعا به فأتاه فقال مادعاك الى لزوم هذه المقابر •

فقال احببت ان اميز بين عظام ملوكهم من عظام عبيدهم فوجدتها سواء فقال له الاسكندر هل لك ان تتبعنى فأحيي شرفك وشرف آبائك ان كانت لك همة •

فقال همتى عظيمة قال وماهي قال حياة لاموت بعدها وشباب لاهرم معه وغنى لافقر فيه وسرور لامكروه فيه •

قال ليس عندى هذا قال فدعنى التمسه ممن هو عنده •

قال افلاطون خاصية الحكمة الاحاطة (١) وغايتها تزين انفس الناس ونفى الرذائل عنها •

قال سقراط الشهوة تحارب الحكمة واصحاب العقول يستمدون بالحكمة واصحاب الحواس يستمدون بالشهوة ومن استمد بالحكمة صفت نفسه وبقى ذكره ومن استمد بالشهوة طفىء نوره وخمد ذكره •

قال افلاطون لايزال الظالم مستورا عليه ظلمه حتى يتجاوز

(١) خرم بالاصل •

بظلمه الى الضعفاء الذين لايجدون ناصرا الا الله فحينئذ ينتقم منه قيم العالم ويحرك عليه الطبيعة فيجازيه باشخاصها ٠

سئل بزرجمهر عن حاله فى نكبته فقال عولت على اربعة اشياء قد هونت على ما انا فيه - اولها قلت ان القضاء والقدر لا بد من جريانهما والثانى قلت ان لم اصبر فما اصنع، والثالث انى قلت قد كان يجوز ان يكون اشد من هذا، والرابع قلت لعل الفرج قريب وانت لاتدرى ٠

قال كسرى لا تظهر انكارما لا قدرة معك فى دفعه ٠

من كلام داؤد عليه السلام تعملون للدنيا وانتم ترزقون فيها بغير علم ولا تعملون للآخرة وانتم لا ترزقون فيها الا بالعمل ٠

قال بزرجمهر البخيل لايبلغ شرفا وسيىء الخلق محبوس فى جاره (١) والحسود ضد ربه واللئام اكتسبوا اموالا للاعداء والمستهزؤون بالناس لا يبقى لها بها (٢) ٠

الكلمة اذا خرجت من الفم وقعت فى القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان ٠

تمت المواعظ الملحقة بكتاب ما بعد الطبيعة

---

(١) كذا ولعله فى وجاره (٢) كذا .

خاتمة الطبع
لجوامع ابن رشد رحمه الله تعالى

الحمد لله الحكيم العليم والصلوة والسلام على رسوله النبي الكريم وآله الذين احسانهم على الخلق عميم واصحابه الذين شادوا الدين المبين بالفضل الجسيم، اما بعد فانه لا يخفى علو مرتبة الحكمة العلمية التى هى مبدأ العلوم وأس الصنائع وهذا ابن رشد رأس الأئمة المتبحرين فى هذا العلم وقد وتهم خدم خدمة كافية وافية فى هذه العلوم وله تصانيف كثيرة من جملتها رسائله التى قد نشرتها دائرة المعارف وهى الرسائل المؤنقة الفائقة الجليلة القدر العظيمة المرتبة وقد كان النواب السيد حسين البلجرامى المخاطب بعماد الملك رحمة الله عليه مؤسس دائرة المعارف قد قرر نشر هذه الرسائل فى هذه المطبعة وسعى لتحصيل هذه الرسائل فلم يظفر بها حتى وفاته، ثم ان مجلس دائرة المعارف قد شرى تلك الضالة المنشودة من بعض باعة الكتب الا انها كانت جديدة الخط واخرى استعارها من من المكتبة الآصفية بحيدر آباد الدكن قديمة الخط اصح من الاولى فى الجملة فقد اشتغلنا بنقلها وتصحيحها ورتبنا منهما نسخـــة صحيحة على حسب الاستطاعة وعند الشروع فى الطبع حصل لنا الشرف

بورود

بورود صدر دائرة المعارف النواب مهدى يار جنك بهادر دام فيضه لافتتاح طباعة هذه الرسائل الانيقة ثم طبعنا تلك الجوامع والرسائل كل واحدة على حدة وهى ست رسائل فى العلم الطبيعى تمت بحمد الله تعالى وحسن توفيقه فى شهر صفر المظفر من سنه ١٣٦٦ﻫ

وقد اشتغل بتصحيحها وترتيبها مولانا المحترم السيد هاشم الندوى ومولانا الحبيب عبدالله العلوى الحضرمى ومولانا محمد عادل القدوسى ومولانا الشيخ احمد اليمانى ادام الله عزهم وشرفهم وكاتب الحروف زين العابدين الموسوى عفا الله عنه وقد افادنا باستدراك بعض المتروكات المطبعية وغيرها مولانا المكرم عبدالله العمادى ركن دار الترجمة سابقا وركن دائرة المعارف الآن •

تحت حكومة حضرة السلطان بن السلطان مظفر الممالك نظام الملك سلطان العلوم امير المسلمين النواب مير عثمان على خان بهادر آصف جاه السابع ملك الدولة الآصفية الاسلامية خلد الله ملكه وسلطنته ـ تحت صدارة الصدر الاعظم للرياسة العثمانية النواب السير مرزا اسمعيل ادام الله جاهه وعزه وشرفه، تحت امارة النواب السير مهدى يار جنك بهادر صدر مجلس دائرة المعارف للرياسة ونائب الصدر الاعظم للرياسة وتحت نيابة نائب الامير الدكتور المكرم ولى محمد معين امير الجامعة فى السلطنة العثمانيه

وتحت

وتحت ادارة مولى الكرام محمــــد الياس برنى الناظم الانتظامى لدائرة المعارف وتحت الانتظام العلمى لمولانا الشيخ محمد طه الندوى رفيق دائرة المعارف لازالت فيوضهم ساطعة وبركاتهم نازلة فالحمد لله على تمام هذا العمل بعونه وفضله واحسانه ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم •

ترجمة المؤلف

هو القاضي ابو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد مولده ومنشؤه بقرطبة مشهور بالفضل معتنٍ بتحصيل العلوم اوحد فى علم الفقه والخلاف اشتغل على الفقيه الحافظ الى محمد بن رزق وكان ايضا متميزا فى علم الطب وهو جيد التصنيف حسن المعانى وله فى الطب كتاب الكليات وقد اجاد فى تأليفه .

حدثنا القاضي ابو مروان الباجى قال كان القاضي ابو الوليد ابن رشد حسن الرأى ذكيا رث البزة قوى النفس وكان قد اشتغل بالتعاليم وبالطب على ابى جعفر بن هارون ولازمه مدة واخذ عنه كثيرا من العلوم الحكمية وكان ابن رشد قد قضى فى اشبيلية قبل قرطبة وكان مكينا عند المنصور وجيها فى دولته وكذلك ايضا كان ولده الناصر يحترمه كثيرا وكان قد صنف كتابا فى الحيوان وذكر فيه انواع الحيوان ونعت كل واحد منها وكانت وفاة القاضي ابى الوليد بن رشد رحمه الله فى مراكش اول سنة خمس وتسعين وخمسمائه وذلك فى اول دولة الناصر وكان ابن رشد قد عمر عمرا طويلا وخلف ولدا طبيبا عالما بالصناعة يقال له ابو محمد عبد الله وخلف ايضا اولادا قد اشتغلوا بالفقه واستخدموا فى قضاء الكور .

ومن كلام ابى الوليد بن رشد قال من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايمانا بالله ولابى الوليد ابن رشد من الكتب كتاب التحصيل

جمع فيه اختلاف اهل العلم من الصحابة والتابعين وتابعيهم ونصر مذاهبهم وبين مواضع الاحتمالات التى هى مثار الاختلاف وكتاب المقدمات فى الفقه وكتاب نهاية المجتهد فى الفقه وكتاب الكليات وشرح الارجوزة المنسوبة الى الشيخ الرئيس ابن سينا فى الطب وكتاب الحيوان وجوامع كتب ارسطو طاليس فى الطبيعيات والالٰهيات وكتاب الضرورى فى المنطق ملحق به وتلخيص كتب ارسطوطاليس وقد لخصها تلخيصا تاما مستوفيا وتلخيص الالٰهيات لنيقولاوس وتلخيص كتاب مابعد الطبيعة لارسطوطاليس وتلخيص كتاب السماع الطبيعى وشرح كتاب النفس (هذه الثلاثة طبعت فى دائرة المعارف) وله مصنفات كثيرة فى الطبيعيات والالٰهيات والطب وغيرها رحمه الله تعالى •

تمت بعونه تعالى

استدراك الخطأ والصواب من كتاب ما بعد الطبيعة لابن رشد

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٩	١٥	المفر	المفرد
٢٢	٤	اختطت	اختلطت
٢٤	١	الواحد الفرس	الواحد والفرس
٢٥	٣	واويا ها	زوايا ها
»	٧	تشترك فى اكثر الصفات اقل	اقل
»	٨	الاشياء التى كقولنا	الاشياء التى تشترك فى اكثر بلصفات كقولنا
٤٧	١٩	الجوهر	الجواهر
٥٨	١٩	فى مواضع	ان توجد فى مواضع
٦٦	٥	والمود	والمواد
٧٥	٧	ايها فى	ايها هى فى
٨١	١٧	مداخل	مدخل
٨٧	١٧	الموضوع بحصول	بحصول الموضوع
٨٩	١	ويحتاج	يحتاج
»	١٣	يجملونها	يحملونها
٩٨	٩	تركب	تتركب
»	١٢	قد تركب	قد يتركب
١٠١	٣	وحده الواحد	وحد الواحد
١٠٣	١٥	اذ كانت	اذا كانت
١٠٥	١	لهما	لها

٢

استدراك الخطأ والصواب من كتاب ما بعد الطبيعة لابن رشد

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١٠	١٤	مخالف لشئ اذا خالف لشئ وهو موافق وهذه كلها	مخالف لشئ وهذه كلها
١١٤	١٩	اما السب	اما السلب
١٢٤	١	امتناع وذلك	امتناع ذلك
١٢٨	١٩	قد	فيه
١٣٠	٩	مستيقمة	مستقيمة
١٣٢	٩	العلم فى	فى العلم
»	١٢	تسلها	وتسلها
١٤٩	٩	الاشراف	الاشرف
١٥١	٤	بيناوبينة	بينه
١٥٢	٦	نحو	نحن
»	٧	من مبادته	من مباديه
١٥٩	٩	فى ذتها	فى ذاتها
١٦١	٧	ويحرك فلك زحل صدرعنه	صدرعنه
١٦٥	١٨	واماصور الاجسام المستديرة وجدت	واما صور الاجسام الاربعة اعنى الاسطقسات فانما وجدت من اجل الضرورة وذلك لمكان وجود. صور الاجسام المستديرة ووجدت

تمت الاغلاط بعونه تعالى

